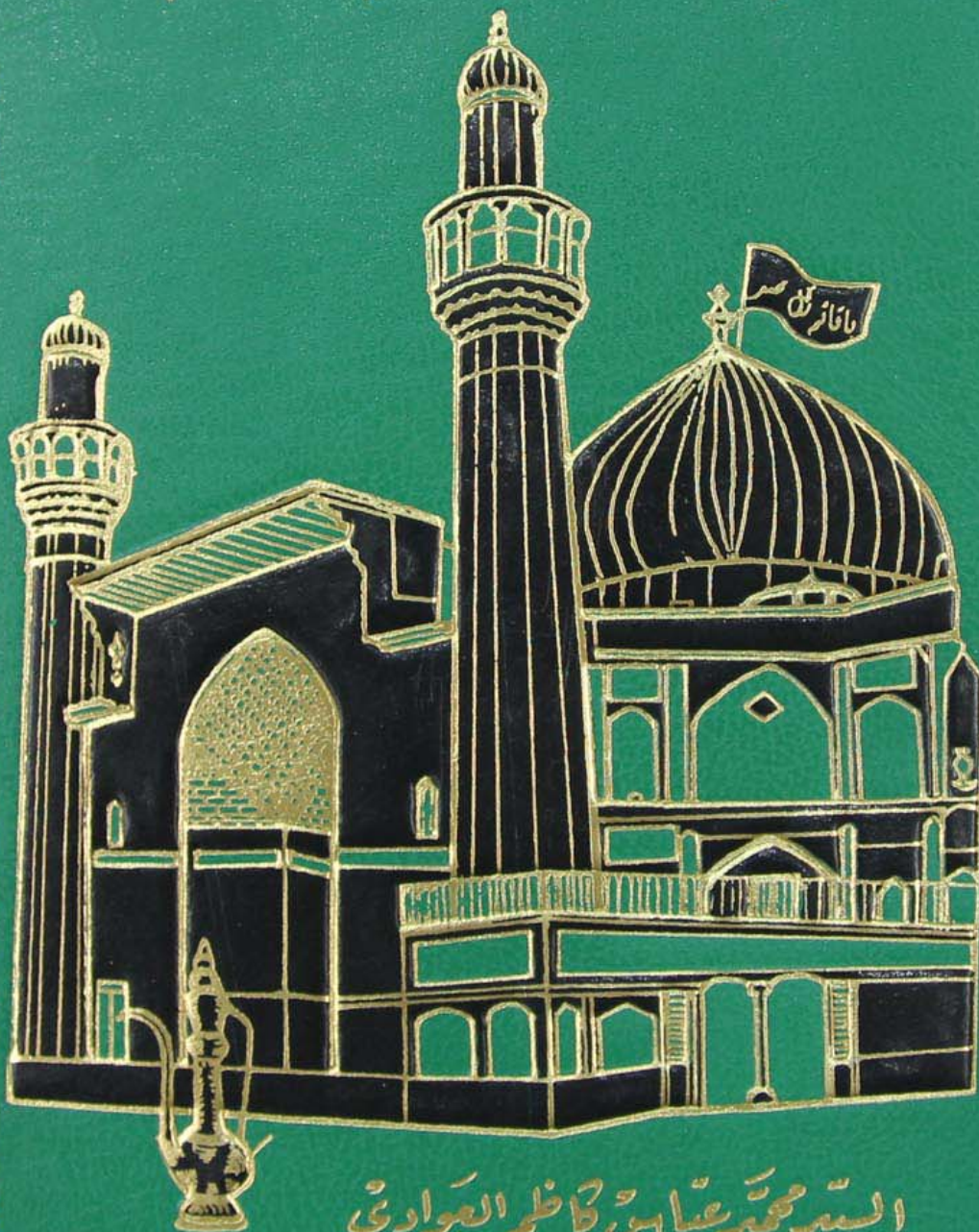


سَبِيلُ الْإِسْلَامِ

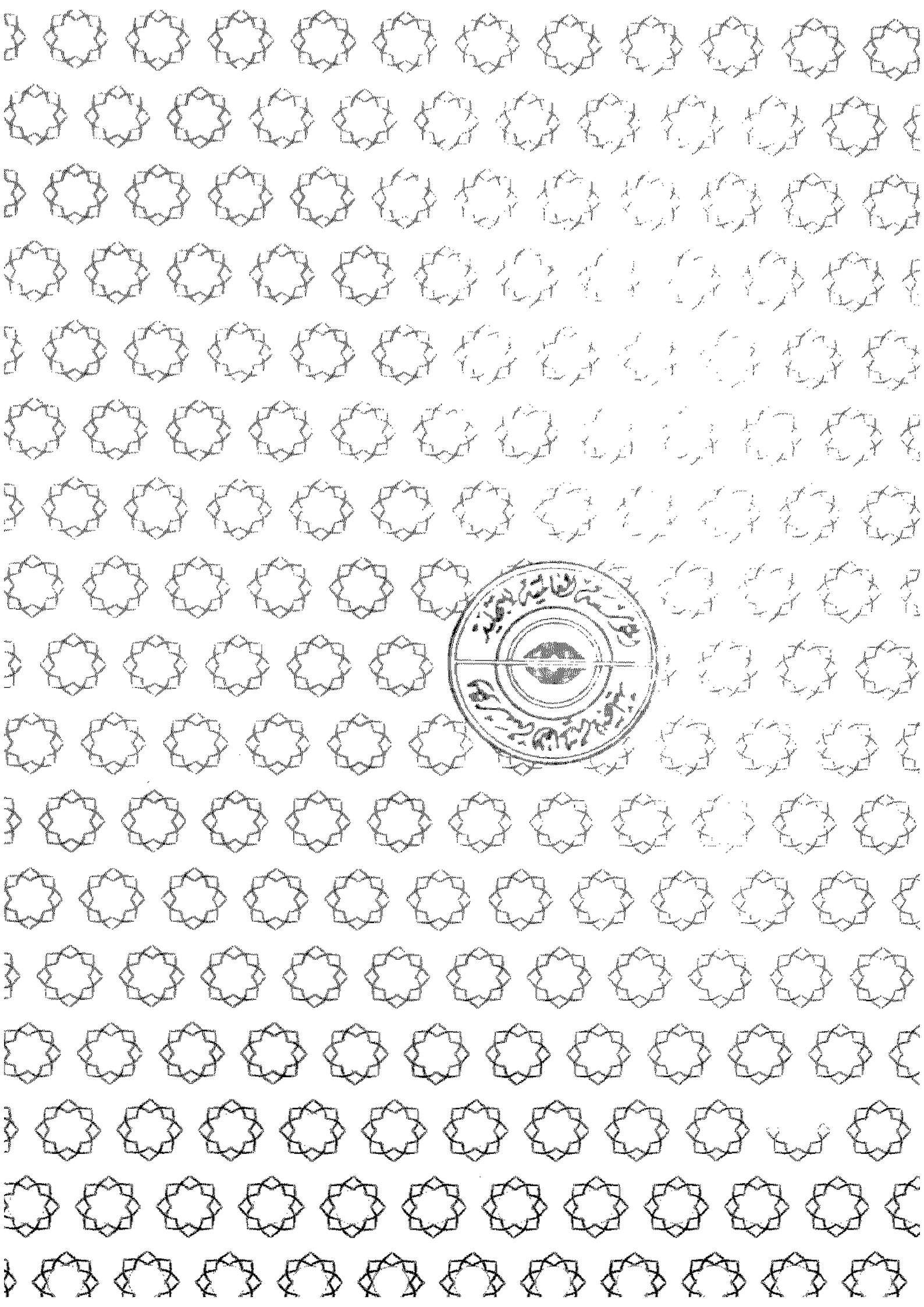
بِوَلَايَةِ تَرَامِيزِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

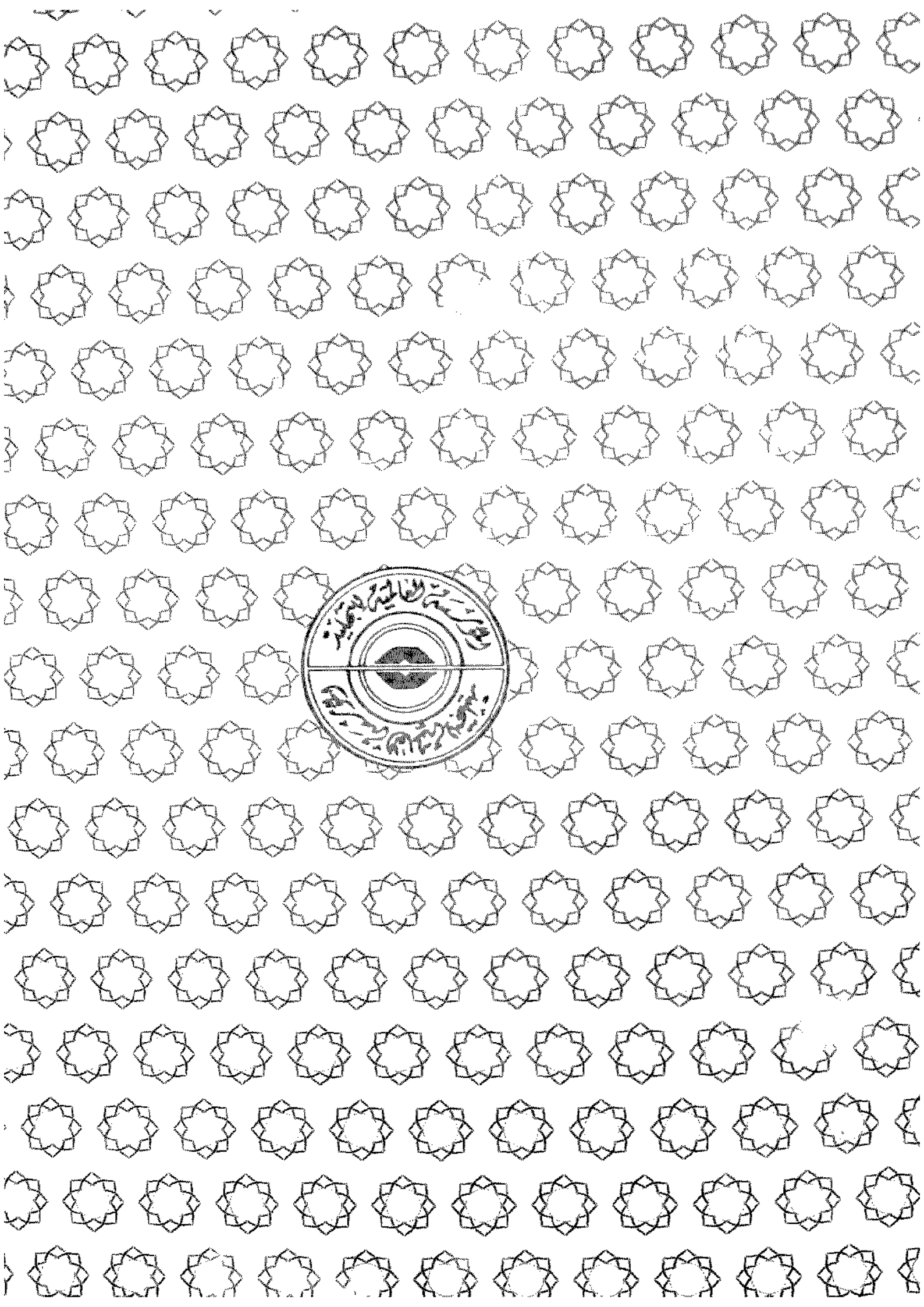


السيد محمد عباس كاظم العوادي



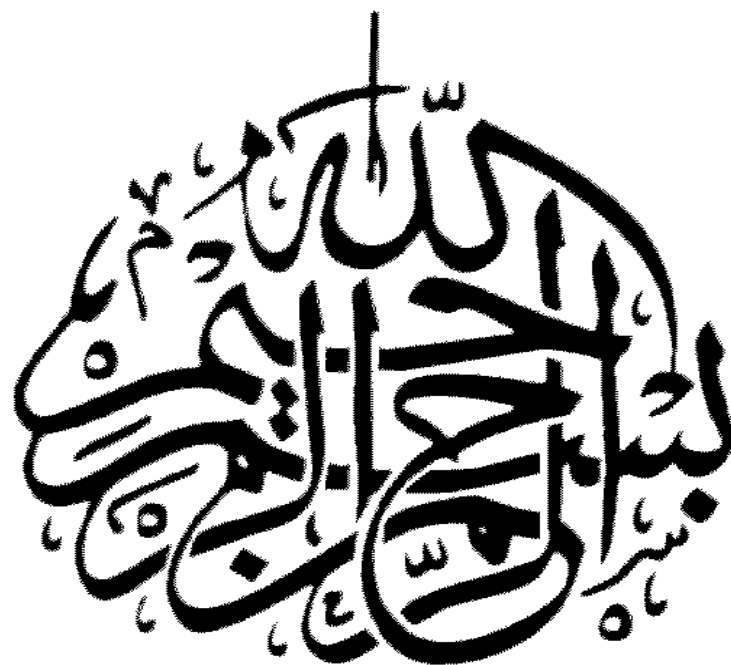
www.haydarya.com





علو

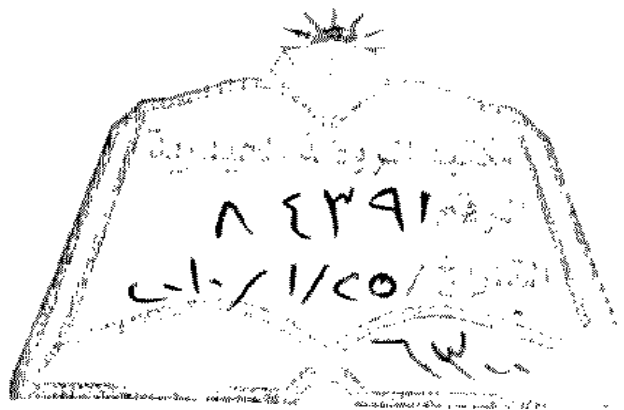
سَبِيلِ الْإِسْلَامِ
بِوَلَايَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ



سَبِيلُ الْمُسْلِمِينَ

بِوَالِيَةِ تَرَامِيزِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

السيد محمد عباس كاظم العوادي



مُؤَسَّسَةُ الْبَلَاغِ

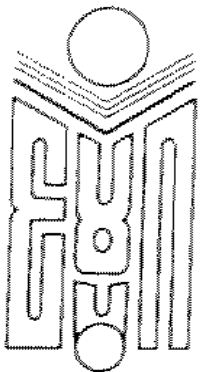
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة وسجلة

الطبعة الأولى

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع



بئر العبد - مدخل مدرسة حارة حريك الرسمية الثانية - بناية فوعاني - الطابق الأول
ص.ب. ١١ - ٧٩٥٢ بيروت ٢٢٥٠ - ١١٠٧ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - فاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان

الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com

E-mail : Albalagh-est@hotmail.com

اللَّهُمَّ وَالْبَيْتِ الْعَبِيدِ الْحَسَنِ
مَسْئُومِي وَعَلَى آبَائِهِ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ فِي كُلِّ عَمَلَةٍ
وَأَيَّ حَافِظًا وَقَائِدًا وَنَاصِرًا
وَوَلِيًّا وَعَيْنًا حَقِّي تَسْلِيمًا رُفْقًا جَمْعًا
وَمُتَّعِبًا فِيمَا قَوْلًا

زيارة أمير المؤمنين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عن جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال: كان أبي علي بن الحسين عليه السلام قد اتخذ منزله من بعد مقتل أبيه الحسين ابن علي عليه السلام بيتاً من شعر وأقام بالبادية، فلبث بها عدة سنين كراهية لمخالطته الناس وملاستهم وكان يسير من البادية بمقامه بها إلى العراق زائراً لأبيه وجده عليه السلام، ولا يشعر بذلك من فعله، قال محمد بن علي عليه السلام: فخرج سلام الله عليه متوجهاً إلى العراق لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام وأنا معه، وليس معنا ذور ولا ناقتين، فلما انتهى إلى النجف من بلاد الكوفة، وصار إلى مكانه منه، فبكى حتى اخضلت لحيته بدموعه، ثم قال:

(السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا أمين الله في أرضه وحجته، أشهد لقد جاهدت يا أمير المؤمنين في الله حق جهاده، وعملت بكتابه، واتبعت سنن نبيه عليه السلام، حتى دعاك الله إلى جواره، فقبضك إليه باختياره لك كريم ثوابه، وألزم أعدائك الحججة مع ما لك من الحجج البالغة على جميع خلقه، اللهم صل على محمد وآله واجعل نفسي

مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك، مولعة بذكرك ودعائك، محبة لصفوة أوليائك، محبوبة في أرضك وسمانك، صابرة على نزول بلائك، شاكرة لفواضل نعمائك، ذاكرة لسوابغ آلائك، مشتاقة إلى فرحة لقائك، متزودة التقوى ليوم جزائك، مستننة بسنن أوليائك، مشغولة عن الدنيا بحمدك وثنائك، ثم وضع خده على القبر وقال: اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهة، وسبل الراغبين إليك شارعة، وأعلام القاصدين إليك واضحة، وأفئدة الوافدين إليك فازعة، وأصوات الداعين إليك صاعدة، وأبواب الإجابة لهم مفتحة، ودعوة من ناجاك مستجابة، وتوبة من أناب إليك مقبولة، وعبرة من بكى من خوفك مرحومة، والاستغاث لمن استغاث بك موجودة، والإعانة لمن استعان بك مبدولة، وعدادك لعبادك منجزة، وزلل من استقالك مقالة، وأعمال العاملين لديك محفوظة، وأرزاق الخلائق من لدنك نازلة، وعوائد المزيد متواترة، وموائد المستطعمين معدة، ومناهل الظماء مترعة، اللهم فاستجب دعائي، واقبل ثنائي، واجمع بيني وبين أوليائي وأحبائي، بحق محمد وعلى وفاطمة والحسن والحسين آبائي، انك ولي نعمائي ومنتهى مناي وغاية رجائي في منقلبي ومثوأي).

قال جابر: قال لي الباقر عليه السلام: ما قال هذا الكلام ولا دعا به أحد من شيعتنا عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام، أو عند قبر أحد من الأئمة عليهم السلام إلا رفع دعاؤه في درج من نور وطبع عليه بخاتم محمد عليه السلام، وكان محفوظا كذلك حتى يسلم إلى قائم آل محمد عليه السلام، فيلقى صاحبه بالبشرى والتحية والكرامة إن شاء الله^(١).

الإهداء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذا هو هدية العبد الفقير إلى مولاه الغني سيد الكونين أبو السبطين
الحسن والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فاقبل يا كعبة أمالي من

هدي مديحي ما استيسر

حينما شرعت بإعداد هذه البحوث الشريفة كهدية أقدمها بين يدي
المولى أمير المؤمنين عليه السلام وأجعلها بإذنه الشريف تحت متناول أيادي
شيعة الكرام أخذت على نفسي عهداً أن لا أنشرها حتى تأتيني علامة
من الناحية المقدسة لمولاي أمير المؤمنين عليه السلام تدل على قبوله إياها،
ولكنني خجلت من وضع علامة معينة وندمت على ذلك، ولذا قررت أخذ
الكتاب إذا انتهيت من مسودته وقبل طبعه ونشره إلى حضرة مولاي أمير
المؤمنين عليه السلام لاستخير الله بمحضره المقدس في موضع رأسه المطهر
على رضاه لنشره وإلا دفنته، وحينما أوشكت على الانتهاء من الجزء الأول
راودتني الفكرة من جديد والعزم على الإعداد للسفر نحو الحضرة المقدسة

وفي اليوم الثاني عند الصباح أخبرتني إحدى المؤمنات الفاضلات التي بيني وبينها صلة رحم بأنها رأت في منامها رؤيا قبل طلوع الفجر، وهي: تطلب لها تفسيراً، فقلت: خير إن شاء الله تعالى. فقالت: رأيت ليلة أمس أنني جالسة في حضرة أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بصوت منادٍ ينادي: جاء السيد ومعه هديته إلى أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قالت: فقامت أنتظر ذلك السيد مع حشود الزائرين لرؤيته وقد انفرج الناس له وإذا بك تدخل منجهاً صوب الضريح المقدس تطلب القرآن الكريم لتستخير الله وبينما أنت مشغول بذلك إذ أقبل جمع من الشباب وهم يحملون هديتك على هودج ضخم على الأكتاف وعليه سبيل ماء على شكل ميضأة كبيرة بلون الذهب فدخلوا بها صوب الضريح المقدس فطافوا بها ثم أخرجوها ووضعوها في الصحن الحيدري المطهر وبقيت أنت في الحضرة المقدسة، ثم اتجهت أنا مع جموع الزائرين للشرب منه ورغم الزحام استطعت الدخول.

ثم قالت: أخذت بإحدى هذه الكؤوس التي خط في داخلها آيات من القرآن الكريم وكانت تلك الكؤوس تحيط بالسبيل وكان كلما أخذ الزائر كأساً ليشرّب كان يجد تحت ذلك الكأس كتاب الله الكريم أو كتاب نهج البلاغة الشريف فشربت من ذلك الماء فلم أذق الذطعما منه، فاخبرني عن تفسير رؤياي وما ذاك السبيل؟ فقلت لها: هو سبيل السالكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام. فحمدت الله على ذلك وشكرت فضل أمير المؤمنين عليه السلام فأطلقت على الكتاب هذا الاسم.

فاتخذه _ رحمك الله _ سبيلاً للنجاة ولا تتخذه سبيلاً للجدال والنقاش فتزول المنفعة عنك وتذهب الفائدة منك، فعلم العقائد علوم مشرفة مصانة تحتاج من صاحبها أن لا يستهين بها فيبذلها لغير أهلها فليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال قد حان أوانه وليس كل ما قد حان أوانه قد حضر

أهله، فراقب نواياك قبل بذله وابذله إلى أهله لكي لا تحرم أجره، ورحم
الله شيخنا البهائي إذ قال:

قد صرفنا العمر في قيل وقال

يا نديمي قم فقد ضاق المجال

واسقني تلك المدام السلسبيل

إنها تهدي إلى خير السبيل

واخلع النعلين يا هذا النديم

إنها نار أضاءت للكليم

سائلاً من الله العلي القدير التوفيق لي ولكم بحق محمد وآله الطيبين

الطاهرين.

المؤلف

استهلال

نستهل بالنصيحة الواردة عن العترة الطاهرة الراضية
المرضية الهادية المهديّة صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين:

من أي الفرق أنت؟

قال أبان قال سليم: سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: إن الأمة
ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، اثنان وسبعون فرقة في النار وفرقة في
الجنة وثلاث عشرة فرقة من الثلاث والسبعين تنتحل محبتنا أهل البيت
واحدة منها في الجنة واثنان عشرة في النار، وأما الفرقة الناجية المهديّة
المؤملة المؤمنة المسلمة الموافقة المرشدة فهي المؤمنة بي المسلمة لأمري
المطبعة لي المتبرئة من عدوي المحبة لي والمبغضة لعدوي التي قد عرفت
حقي وإمامتي وفرض طاعتي من كتاب الله وسنة نبيه فلم ترتد ولم تشك
لما قد نور الله في قلبها من معرفة حقنا وعرفها فضلها وألهمها وأخذها
بنواصيها فأدخلها في شيعتنا حتى اطمأنت قلوبها واستيقنت يقينا لا يخالطه
شك أني أنا وأوصيائي بعدي إلى يوم القيامة هداة مهتدون الذين قرنهم

الله بنفسه ونبيه في آي من الكتاب كثيرة وطهرنا وعصمنا وجعلنا شهداء على خلقه وحجته في أرضه وخزانه علمه ومعادن حكمته وتراجمة وحيه وجعلنا مع القرآن والقرآن معنا لا نفارقه ولا يفارقنا حتى نرد على رسول الله ﷺ حوضه كما قال وتلك الفرقة الواحدة من الثلاث والسبعين فرقة هي الناجية من النار ومن جميع الفتن والضلالات والشبهات هم من أهل الجنة حقاً.^(١)

كيف تتعامل أنت مع كلام أهل البيت ﷺ؟

في كتاب بصائر الدرجات الكبير لمحمد بن الحسن الصفار رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ جَمِيلِ بْنِ صَالِحٍ عَنِ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحَدَّادِ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ النَّوَّاسِ قَالَ سَمِعْتَهُ يَقُولُ: (أَمَا وَاللَّهِ إِنْ أَحَبَّ أَصْحَابِي إِلَيَّ أَوْرَعَهُمْ وَأَفْقَهُمْ وَأَكْتَمَهُمْ لِحَدِيثِنَا وَإِنْ أَسْوَأَهُمْ عِنْدِي حَالاً وَأَمَقْتَهُمْ إِلَيَّ الَّذِي إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ يَنْسُبُ إِلَيْنَا وَيُرْوِي عَنَّا وَلَمْ يَقْبَلْهُ إِشْمَازَ مِنْهُ وَجَعَدَهُ وَكَفَّرَ مِنْ دَانٍ بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الْحَدِيثَ مِنْ عِنْدِنَا خَرَجَ وَإِلَيْنَا أَسْنَدٌ فَيَكُونُ بِذَلِكَ خَارِجًا مِنْ وَلَايَتِنَا)^(٢).

(١) كتاب سليم بن قيس ص ٦٠٥ ح ٧.

(٢) هداية الأبرار إلى طريق الأئمة الأطهار ﷺ ص ٩٠ - ص ٩١.

تمهيد

إعلم أيها العزيز إن الذي يريد أن يكون على مستوى المسؤولية والشرف الذي مَنَّ اللهُ تعالى به عليه ألا وهي مئة الإسلام بالولاية لأشرف الأنام عليهم آلاف التحية والسلام لا بد أن يُفْرغ جهده وي بذل تمام سعيه ويجد جده من أجل إعادة بناء أسس الأخلاق الحميدة بفرز أصولها وتعميق جذورها في نفسه ثم في الآخرين من حوله ليكون أهلاً لتلبية نداء الحق الذي دعانا الله إليه وبه في قرآنه الكريم وصدَّع به النبي الأمين.

وإنك لن تبلغ ذلك إلا بالورود على شريعة الله الطاهرة المطهرة المقدسة أعني شريعة فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، حبل الله المتين وصراطه المستقيم وعدل قرآنه الكريم الذين جعلَ اللهُ مآبَ خلقه إليهم وحسابهم عليهم والجنة والنار في قبضتهم والزواج من الحور العين وجنة النعيم مقرون بولايتهم والائتمار بأمر زبانية جهنم والعياذ بالله تعالى فرضٌ على منكري طاعتهم وعلى من تقاعس عن نصرتهم وهجر أعتاب دورهم التي ظهرت بولايتهم وهم علماء الأمة الأعلام

الذين لا يحدون عن ولاية أهل البيت ورووا أحاديثهم ووعوها ورعوها حق رعايتها فلزموا الحق وتمسكوا به وتعصبوا له فهدي الناس بهديهم واقتدوا بسيرتهم وبنوا للناس حلالهم من حرامهم بأحكام ميسرة استقوها من مشكاة النبوة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وخير شيعتهم بعدهم من لاذ بكهفهم وأخذ بحجزتهم ونصرهم وانتصر بهم وسار لهم بأقدام الارتياض على أحكامهم، والشرب من عذب ماء عقائدهم ومعارفهم بيد محبتهم وطاعتهم ودوام الارتباط بهم.

فاستكمل بناء هيكل إسلامه وحفظ رأس هيكله وما وعاه سالماً ومركزه طاهراً نابضاً بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ فاستطاع إدارة شؤون بدنه وتسيير موارد قبضه وبسطه فصار كله صالحاً لصلاح إمام بدنه وصار كله عاشقاً ومشيراً إلى حجة الله في خلقه.

وأما إذا كان الإنسان لهيكل فطرته هادماً ولمركز سعادته وتعاسته مهمللاً صار كله للفساد مشيراً وبأئمة الكفر والضلال مقتدياً وللظلم والعدوان مناصراً وللحق معادياً وللقرآن منابذاً ولآل بيت رسول الله ﷺ ولشيعتهم مناصباً.

فميزان سعادة الأمم والمجتمعات وصلاحها إنما تكمن في الأخلاق، وإن تسلق سلم المجد والرقي لا يكون إلا بالأخلاق، وإن قيمة كل أمة، وكل أسرة، وكل فرد بالأخلاق، والأخلاق سلوك، ومنشأ السلوك فكر، وقوام الفكر الباعث لإرادة الخير أو الشر للعزم عليه هو العقيدة، قال السيد الطباطبائي رحمته الله: «إن المجتمع لا يسعد إلا بالأخلاق ثم أن الأخلاق لا تؤثر إلا إذا كانت قائمة على أساس التوحيد وهو الإيمان بأن لهذا العالم إلها واحداً...»^(١).

فالذي يَروم تحصيل أخلاق صالحة عليه أن يسعى لتحصيل عقيدة صالحة من فاز بها ووفق لتورها فاز بغنى لا فقر بعده وملك لا يبلى أثره لأنه قد فاز بمعرفة ربه لمعرفته بنفسه قال الإمام سجاد العترة: (من عرف نفسه فقد عرف ربه) ومَن عرف ربه عبده ومن عبده صار معه ومن صار معه لم يخذله قال سلام الله عليه: (العبودية جوهرةٌ كنهها الربوبية).

فاغتنم أيها العزيز فرصة هذا العمر القصير قبل الورود على الحافرة فتكون القاضية ثم نار حامية، اللهم بحق محمد وآله الميامين الطيبين الطاهرين أجزنا من النار يا رب العالمين وارزقنا حُسن العاقبة برحمتك يا أرحم الراحمين.

الثمره من مباحث العقيدة

ولبيان أهمية العقيدة وثمره البحث فيها لا بد من
الولوج في بيان العلاقة بين العقيدة والعمل.

العلاقة بين العقيدة والعمل

إعلم أيها العزيز أن بعض علمائنا الأعلام قد صوروا هذه العلاقة على
أن العقيدة شيء والعمل شيء آخر غير العقيدة، ومن هذا المنطلق نشأ
البحث في التابع والمتبوع وإن المحور في النظرية القرآنية لمن؟

فهل أن العقيدة هي الأصل والعمل تابع لها؟

أم أن العمل هو الأصل والعقيدة تابعة له؟

ثم صار الاختلاف في حجم هذه التبعية، فإذا وقع الاختيار على القول
الأول، أعني أن المحور أو الأصل في النظرية القرآنية هو العقيدة والعمل
تابع لها، وهو مختار الأعلام، فيكون من الواجب على كل مكلف وجوباً
عينياً أن يبحث عن عقيدته لتحصيل العلم بها ولا يجزي فيها التقليد فأى

صلاح في العقيدة يستتبعه صلاح في العمل ، وأي فساد في العقيدة يستتبعه فساد في العمل حتى ولو كان العمل في نفسه صالحاً.

وأما إذا وقع الاختيار على الثاني وهو عكس المطلوب السابق يكون الواجب متعلق بالعمل فقط والعقيدة قد يكون لها دوراً ولكن دورها لا يتجاوز عن تحصيل الثقافة العامة للفرد شأنها شأن الاطلاع على أي مجلة عادية وبالتالي فإن الحديث عن المواضيع العقائدية التي تثيرُ جدلاً وتحسناً من بعض الأفراد أو الجماعات يجب التخلي عنها، وما أكثر العاملين بالمنهج الثاني في أيامنا هذه رغم تصريحاتهم المتكررة بدعوى أنهم من أتباع المنهج الأول وهو ما نعبر عنه بمسلم التصريح كهنوتي العمل أو مسلم في الدعوى علماني في العقيدة والعمل وهم شياطين هذه الملة، لأنهم يتسترون بلباس الإيمان والورع والحفاظ على وحدة الإسلام والمسلمين وهم لإخوانهم حاظمين ولصقوفهم مشتتين ولجماعاتهم مفرقين بأشد فرقة وهي فرقة تناحر القلوب للملة الواحدة والبيت الواحد وما أكثر ما يجدون لأقوالهم شواهد فيشبهون الباطل حقاً للناس ويزينوه في عقولهم ألا لعنة الله على القوم الظالمين.

والبون شاسع بين أصحاب المقولة الأولى الذين قالوا بأصالة العقيدة وتابعة العمل له، وبين أصحاب المقولة الثانية الذين قالوا بأصالة العمل وتابعة العقيدة له، علماً أن أصحاب المقولة الأولى لا يبلغون أهمية العمل بل يجعلون العمل من لوازم العقيدة، ومنزلة من العقيدة بمثابة الجسد إلى الروح، وأما أصحاب المقولة الثانية فإنهم ينزلون العقيدة بالنسبة للعمل بمثابة اللباس للجسد.

القول الفصل (في العقيدة والعمل)

نحن نجد مما تقدم أن أصل المبحث قائم على تصوير العقيدة على أنها شيء والعمل شيء آخر، ويقول أكثر وضوحاً أنهم اعتبروا العقيدة شيء في قبال العمل ثم أسسوا مطلبهم عليه، والأمر ليس كذلك فليست العقيدة شيء وراء العمل، وليس العمل شيء مغاير للعقيدة بل العقيدة عمل والعمل هو العقيدة، وغاية ما في الأمر أن العمل تارة يتعلق بأشرف جزء في وجود الإنسان وهو القلب الذي يصلح الإنسان بصلاحه ويفسده بفساده، وأخرى يكون متعلقاً بباقي جوارح الإنسان فما صدر منها كان مترشحاً عن عمل القلب ومعلول له، فعمل القلب إذاً هو المعرفة وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

روى في علل الشرائع بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج الحسين

بن علي عليه السلام على أصحابه فقال:

(أيها الناس إن الله عزَّ وجلَّ ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة غيره، فقال له رجل: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وأمي فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي تجب عليهم طاعته)^(١).

وأما عمل الجوارح فإن لكل جارحة من جوارح البدن لها عملها الخاص بها الذي يميزها عن غيرها، ولا تغني جارحة عن أخرى، فعمل العينين هو الإبصار ولا تقوم باقي جوارح البدن بعملهما فهو يبصر بغير ما يسمع، ويسمع بغير ما ينطق، وينطق بغير ما يشم، فألة البصر غير آلة السمع، وآلة السمع غير آلة النطق، وآلة النطق غير آلة الشم، ولكنها جميعاً مرتبطة بالقلب وخاضعة لإمارته قوة أو ضعفاً، صلاحاً أو فساداً، فإن كان ما اكتسبه القلب معارف إلهية حتى شُغف حبا بالله والنبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين)، كان ما ترشح عنه على باقي جوارح بدنه التي تحت سلطانه عملاً الخير والصلاح؛ وإن كان ما اكتسبه القلب علوم شيطانية، كان ما ترشح عنه على باقي مملكة البدن عمل الشر والفساد، وقد يكتسب القلب ضعفاً من هنا وآخر من هناك، صار المترشح عنه على جوارحه عملاً صالحاً وآخر سيئاً.

روى أهل الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

(إن القلوب أربعة، قلبٌ فيه نفاق وإيمان، وقلبٌ منكوس، وقلبٌ مطبوع، وقلبٌ أزهر أجرد، فقلت ما الأزهر؟ قال: فيه كهيئة السراج، فأما المطبوع فقلب المنافق، وأما الأزهر فقلب المؤمن إن أعطاه شكر وإن

ابتلاه صبر، وأما المنكوس فقلب المشرك، ثم قرأ هذه الآية: ﴿أَمَّنْ يَمْشِي
مُكْبَأً عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، فأما القلب الذي فيه إيمانٌ
ونفاق فهم قومٌ كانوا بالطائف فإن أدرك أحدُهم أجلُه على نفاقِه هلك وإن
أدركه على إيمانه نجا).

فقلبُ المؤمن هو القلب الأزهر بالإيمان والذي يترشح عنه على باقي
مملكته الخير والصلاح فعيناه تنظران إلى ما أحلَّ اللهُ لهما وتمتنعان عما
حرَّم اللهُ عليهما، قال اللهُ تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١)، فهذه الآية
الوحيدة في القرآن الكريم التي جاء حفظ الفرج فيها بمعنى حفظه عن الناظر
المحترم، وليس بمعنى حفظه عن الزنا كما في باقي الآيات الكريمة.

فوسيلة الكف عن النظر الحرام هي صلاح القلب، ولو تركت العين وما
تريد لنظرت إلى كل مُبَصَّرٍ حلال كان أم حرام لأنها طالبة لكمالها وكمالها
بلا حدود، ولكنها حُدَّتْ بحدود باريها عَلَّامٌ، تجيزها مرة وتمنعها أخرى،
وجعل اللهُ مرجعها وسائسها بصيرة القلب، فهي عيناه التي يبصر بهما
حقائق الأمور، وهي زكاة نظره ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢)؛ فتستعمر البصيرة
البصر فهو المبصر في الدنيا والمبصر في الآخرة.

قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: (من أراد اللهُ به خيراً فتح له العينان التي في قلبه)، وقال
سجاد العترة عَلَيْهِ السَّلَامُ في مناجاة العارفين: (قد كُشِفَ الغطاء عن أبصارهم
وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم وانتفت مخالجة الشك عن
قلوبهم وسرائرهم وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم)، وأما الذي عميت
بصيرته فذاك الذي لا يفرق بين حلال أو حرام لأنه دَسَّ بصيرته في التراب،

(١) سورة النور الآية ٣٠.

(٢) سورة الشمس الآية ٩.

قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّهَا﴾^(١)، فيعمى بصره عن نور الإمامة، قال أبو جعفر عليه السلام: (إنما الأعمى أعمى القلب ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٢)). فجزأه عند ربه أن يحشره يوم القيامة أعمى البصر لأنه قد أعمى بصيرته في الدنيا، قال تعالى مخبراً عنه: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٣) قال كذلك أنتك، أيننا فنسينها وكذلك اليوم نسيني^(٤)، قال عليه السلام: الآيات الأئمة.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(٥)، قال عليه السلام: (أعمى البصر في الآخرة أعمى القلب في الدنيا عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام)^(٥).

يا ابن عم النبي أنت يد الله

التي عم كل شيء نداها

أنت قرآنه القديم وأوصا

فك آياته التي أوحاها

ليت عيناً بغير روضك ترعى

قذيت واستقر فيها قذاها^(٦)

وجعل الباري عز وجل الأذنين آلة السمع وحدها بحدودها إكراماً لها وتنزيهاً، فإذا كان القلب مفعماً بالإيمان عامراً بذكر الله عز وجل استعمرت مسامع قلبه

(١) سورة الشمس الآية ٩.

(٢) سورة الحج الآية ٤٦.

(٣) سورة طه الآيات ١٢٥-١٢٦.

(٤) سورة طه الآية ١٢٤.

(٥) عن الإمام علي عليه السلام في الكافي نقلاً عن تفسير الجديد ج ٤ ص ٤٧٢، وروى قريباً منه في

تفسير فرات ج ١ ص ٢٦٠.

(٦) أبيات مقتطفة من القصيدة الأزرية المعروفة للشيخ كاظم الأزري (رضوان الله عليه).

إذنيه فيشرح صدره للإسلام، وأما الكافر قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله تعالى إذا أراد بعبد سوء أنكت في قلبه نكتة سوداء وسد مسامع قلبه ووكل به شيطانا يضلّه، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَهْدِيَهُ وَيَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١).

فبصلاح القلب يصلح السمع فيلتذ المؤمن بسماع تلاوة القرآن الكريم والأدعية الشريفة والمناجاة الطاهرة فلا يبقى منه شيء إلا سجد لله رب العالمين (سجد وجهي الذليل لوجهك العزيز الجليل، سجد وجهي البالي الفاني لوجهك الدائم الباقي، سجد وجهي الفقير لوجهك الغني الكبير، سجد وجهي وسمعي وبصري ولحمي ودمي وجلدي وعظمي وما أقلت الأرض مني لله رب العالمين)^(٢).

وأما الذي يضم مسامع قلبه عن ذكر الله فهو يسمع بإذنيه ولكن لا يطرق المسموع أبواب قلبه، قال عليه السلام: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً - أي غشاوة - أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا - أي صمماً - وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوَّا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾^(٣). فلصمم قلبه لا يسمع نداء الحق وكيف يسمعه وقد دس مسامع قلبه في التراب، ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَن فِي الْقُبُورِ﴾^(٤).

قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه الشريفة: (ودعيتم إلى الأمر الواضح فلا يصم عن ذلك إلا أصم ولا يعمى عن ذلك إلا أعمى ومن لم

(١) الكافي الشريف لشيخنا الكليني ج ١ ص ١٦٦.

(٢) الكافي الشريف لشيخنا الكليني ج ٣ ص ٣٢٧ باب السجود والتسبيح والدعاء.

(٣) سورة الإسراء الآية ٤٦.

(٤) سورة فاطر الآية ٢٢.

ينفعه الله بالبلاء والتجارب لم ينتفع بشيء... الخ^(١).

فيا أيها العزيز أذ للسمع حقه وكن آذاناً صاغية لنداء الحق (الإخلاص في الاعتراف بحقهم والتمسك بحبلهم موقناً أن الحق لهم ومعهم وفيهم وبهم أوالي من والوا وأجانب من جانبوا)^(٢)، ونزه سمعك عن الخنا وعن سماع الغناء والموسيقى، قال رسول الله ﷺ: (يحشرُ صاحب الغناء من قبره أعمى وأخرس وأبكم ويحشر الزاني مثل ذلك وصاحب المزمار مثل ذلك وصاحب الدف مثل ذلك)^(٣).

أما اللسان فهو آلة النطق والذوق وهو أخطر الجوارح وقد حرزه الله في مصاريع أربعة. عن علي بن إبراهيم عن أبيه ومحمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن عبد الحميد عن قيس أبي إسماعيل وذكر أنه لا بأس به من أصحابنا، قال: (جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أوصني فقال إحفظ لسانك، قال يا رسول الله أوصني قال: إحفظ لسانك، قال: يا رسول الله أوصني قال: إحفظ لسانك، ويحك وهل يُكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم)^(٤).

جراحات السهام لها التئام

ولا يلتام ما جرح اللسانُ

أحذر لسانك أيها الإنسانُ

لا يلدغُنك إنّه ثعبانُ

(١) من شرح نهج البلاغة ج ١٠، ص ٣٠.

(٢) مقطع من أحد تعقيبات صلاة الصبح.

(٣) المستدرک ج ١٣، ص ٢١٩، ح ١٥١٧٦-١٧- عن جامع الأخبار. باب تحريم استماع

الملاهي.

(٤) الكافي الشريف لشيخنا الكليني ج ٢ ص ١١٥، ح ١٤. باب الصمت وحفظ اللسان.

فالذي يريد سلامة دنياه وآخرته فليجعل قياد لسانه للسان قلبه الذاكر. وقد قال رسول الله ﷺ: (ما يُكَبُّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم) فمن أراد السلامة في الدنيا والآخرة قيّد لسانه بلجام الشرع فلا يطلقه إلا في ما ينفعه في الدنيا والآخرة، فتكون عضلة اللسان مستعمرة للسان قلبه وله تابع في انشغاله بذكر الله ﷻ وهذا لا يكون حتى يأخذ الإيمان بمجامع قلبه فعرفه وعمل به ولم يكتف بالعلم لأن العلم شيء والمعرفة شيء آخر.

فالعلم: هو انطباع صورة نفس الشيء في عقل الإنسان فالذي جمع هذه الصور العلمية يسمى عالماً.

وأما العارف: فهو الذي اتحدت عنده الصور العقلية والقلبية حتى صارت شيئاً واحداً.

والعالم قد يترتب الأثر على علمه وقد لا يترتب، فربما يكون الشخص من أقدر الناس على تعريف الشجاعة وهو أجبنهم، ومن أقدرهم على تعريف الكرم وهو أبخلهم، فعلم الشخص بالشيء لا يلازمه أن يكون متصفاً به، وغالب الناس تعلم أن الأموات لا يؤذون أحداً ولكنهم يخافون منهم أو من الدخول إلى المقابر.

أما العارف فإن المفاهيم القلبية قد امتزجت عنده بالمفاهيم العقلية حتى صارت شيئاً واحداً، بل إن له من المفاهيم ما تقصر الكلمات عن بيانها فالعارف يصمت عن كنز مستور والعالم ينطق بلسان معسول ليستر قلباً مهجوراً. عن محمد بن يحيى عن أحمد بن علي بن فضال عن علي بن عتبة عن عمر بن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: (تجد الرجل لا يخطئ

بلام ولا واو خطيباً مصقعاً ولقلبه أشدُّ ظلمة من الليل المظلم وتجد الرجل لا يستطيع يعبر عما في قلبه بلسانه وقلبه يزهر كما يزهر المصباح^(١).

وصفة المعرفة هي العمل الذي لا ينفك عن المعلوم، أما صفة العلم هي العمل واللا عمل. فالمعرفة صفة الإيمان الحقيقي الذي أحبه الله وهو العلم الحقيقي، وأما العلم الصوري وهو الإيمان الاصطلاحي المبغض لدى الله تعالى وهو الموجود عند غالب المسلمين. قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾.

فالمؤمن الحقيقي هو العارف الذي اتحدت عنده المفاهيم القلبية بالمفاهيم العقلية لتجاوزه حجاب العلم بالمعرفة فهو يفعل ما يقول ويقول ما يفعل. جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (من أحبنا أهل البيت وحقق حبنا في قلبه جرت ينابيع الحكمة على لسانه)^(٢).

فمقام المعرفة هو مقام التحقق بالإيمان وهو المقام الذي أراده الله سبحانه وتعالى من خلقه. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣)، قال الإمام عليه السلام إلا ليعرفون.

لأن التحقق في العبودية يساوي معنى التحقق في المعرفة فلا عبودية إلا بمعرفة ولا معرفة إلا بعبودية لذا جاء عنهم عليهم السلام (من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة على لسانه) فالإخلاص لله جلّ وعلا لا يكون إلا بمقام التحقق في محبة أهل البيت وهذا المقام مفاده ما جاء عن سجاد العترة عليه السلام في مناجاة العارفين (قد كُشف الغطاء عن أبصارهم

(١) الكافي الشريف لشيخنا الكليني ج ٢ ص ٤٢٢، ح ١.

(٢) سورة الصف الآيات ٢-٣.

(٣) عن كتاب المحاسن الشريف للبرقي.

(٤) سورة الذاريات الآية ٥٦.

وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم وانتفت مخالجة الشك عن قلوبهم وسرائرهم وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم... إلى آخر المناجاة الشريفة).

فانشراح الصدور لا يكون إلا بتحقيق المعرفة. قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾^(١). ومن هنا نقول أنّ عمدة ذكر الجوارح هو ذكر القلب فصارت الجوارح مستعمرة القلب ولا يتحقق ذلك إلا في قلب المؤمن العارف ذاك الذي يكون قلبه أزهاراً مشعاً بالإيمان وذكر الرحمن: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^(٢).

وأكتفي هنا بذكر هذه الإشارة من جواهر العبارة عن آل بيت الطهارة، روى في الكافي الشريف عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن بكر ابن صالح عن القاسم بن بريد قال: (حدّثنا أبو عمر الزبيريّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ له: أيُّها العالمُ أيُّ الأعمال أفضل عند الله؟ قال: ما لا يقبل الله شيئاً إلا به. قلتُ: وما هو؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو أعلى الأعمال درجة وأشرفها منزلة وأسناها حظاً - فقد جعل عليه السلام التوحيد عملاً - قال قلتُ: ألا تخبرني عن الإيمان أقول هو وعمل أم قول بلا عمل؟ فقال: الإيمان عملٌ كلُّه والقول بعضُ العمل بفرضٍ من الله بيّن في كتابه واضح نوره ثابتة حُجَّتُهُ يشهدُ له به الكتابُ ويدعوه إليه. قال قلتُ: صف لي جعلتُ فداك حتى أفهمه؟ قال: الإيمان حالاتٌ ودرجاتٌ وطبقاتٌ ومنازلٌ فمنه التام المنتهى تامه ومنه الناقص البين نقصانه ومنه الراجح الزائد رجحانه. قلتُ: إن الإيمان ليتّم وينقصُ ويزيدُ؟ قال عليه السلام: نعم. قلتُ: كيف ذلك؟ قال: لأن الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسّمه عليها وفرّقهُ فيها

(١) سورة الأنعام الآية ١٢٥.

(٢) سورة الرعد الآية ٢٨.

فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وُكِّلت من الإيمان بغير ما وُكِّلت به أُختها فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أميرُ بدنه الذي لا تَرُدُّ جوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ومنها عيناه اللتان يُبصر بهما وأذناه اللتان يَسْمَعُ بهما ويدها اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجُه الذي ألباه من قِبَلِه ولسانه الذي ينطق به ورأسه الذي فيه وجهه فليس من هذه جارحة إلا وقد وُكِّلت من الإيمان بغير ما وُكِّلت به أُختها بفرض من الله تبارك اسمه يَنْطِقُ به الكتاب لها ويشهد به حيثما فُفِرِضَ على القلب غير ما فرض على السمع وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما ما فرض على القلب فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً وأن محمداً عبده ورسوله والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله على القلب الإقرار والمعرفة هو عمله وهو قول الله عَزَّ وَجَلَّ : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ ، وقال : ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ، وقال : ﴿الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ ، وقال : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، فذلك ما فرض الله عَزَّ وَجَلَّ على القلوب من الإقرار والمعرفة وهو عمله وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به قال الله تبارك وتعالى : ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ وقال : ﴿وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ

إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَاللَّهُنَا وَاللَّهُكُمْ وَحَدُّ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿﴾ فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله.

وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرّم الله وأن يُعرض عما لا يحل له مما نهى الله ﷻ والإصغاء إلى ما أسخط الله ﷻ فقال في ذلك: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾، ثم استثنى الله ﷻ موضع النسيان فقال: ﴿وَإِذَا يُنْسِنَا الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وقال: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾، وقال ﷻ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وقال: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرًّا كِرَامًا﴾، فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغي إلى ما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرّم الله عليه وأن يُعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾ فنهاهم أن ينظروا إلى عوراتهم وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ من أن تنظر إحداهنّ إلى فرج أختها وتحفظ فرجها من أن ينظر إليه، وقال كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلا هذه الآية فإنها من النظر، ثم نظم ما فرض على القلب واللسان والسمع والبصر في آية أخرى

فقال: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ يعني بالجلود الفروج والأفخاذ، وقال: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾، إلى آخر الرواية الشريفة^(١).

من هذا يتبين لنا أن العقيدة ليست شيئاً وراء العمل بل هي نفس العمل وبقول أدق هي لبُّ العمل وحقيقته ومنبعه فما من عمل يصدر عن الجوارح إلا والقلب منبعه.

فإما أن يكون القلب قد أنجز عمله في تحصيل المعرفة الإلهية التي مرجعها القرآن الكريم والنبى المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التي بها يكون القلب هادياً ومرشداً، وإما أن يكون القلب ضالاً مضلاً فلا تكون جوارحه عاملة إلا بالضلال. وقد جاء في دعاء السحر الشريف (اللهم طهر قلبي من النفاق وعملي من الرياء ولساني من الكذب وعيني من الخيانة فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور). فلا صلاح إلا بطهارة القلب من النفاق وتجليته بعقد البراءة من أعداء أهل البيت ثم تحليته بالعقد على ميثاق عالم الذر قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾. قال صادق العترة عليه السلام: (كان الميثاق مأخوذاً عليهم الله بالربوبية ولرسوله بالنبوة ولأمير المؤمنين والأئمة بالإمامة، فقال: ألسْتُ بربكم ومحمدٌ نبيكم وعليٌّ إمامكم والأئمة الهادون أئمتكم؟ قالوا: بلى. فقال الله: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي لئلا تقولوا يوم القيامة ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ إلى آخر الرواية الشريفة).

فمن خلال هذا العرض السريع تبين لكم أن العقيدة عمل وليس شيء وراء العمل.

وإن كان قد استند بعض الأساتذة الأعلام (أدام الله عزهم ورفع شأنهم) على قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ لإثبات أن العقيدة غير العمل، فقالوا: أن الكلم الطيب هو العقيدة لا العمل على الأساس الذي اعتمدوا عليه في المغايرة بين العقيدة والعمل، وقالوا: لو كان المراد من الكلم الطيب هو العمل لكان الرافع والمرفوع واحداً ويكون معنى الآية الكريمة إليه يصعدُ العملُ الصالح والعملُ الصالح يرفعه فلا معنى لها وبقرينة المقابلة والعطف نستكشف أن الرافع شيء والمرفوع شيء آخر، وأن الدور الأساسي للعقيدة، فالعقيدة هي الأصل والعمل تابع لها.

ونحن لا نختلف معهم (دام عزهم) من أن العقيدة هي الأصل وأن العمل فرعٌ مترتبٌ على ذلك الأصل بل نابعاً منه وتابعاً له ولكن نظرنا متجه إلى أن العقيدة عمل وليست شيئاً وراء العمل، غاية ما في الأمر أن العقيدة التي هي عقد القلب على المعارف الإلهية المعبر عنها بأصول الدين وضروريات المذهب الجعفري (أعزَّ الله رايته) هي أشرف الأعمال لأشرف بقعة لأفضل ولد آدم عليه السلام فعقد القلب هو عمل إمام البدن.

وأما رفع الإشكال القائل بإتحاد الرافع والمرفوع فهو سهل المؤونة لوجود المغايرة بين عمل القلب وعمل الجوارح، بين الأصول والفروع أو بين عمل الإمام والمأموم.

فيكون المعنى إليه يصعد عمل القلب وعمل الجوارح يرفعه، وهو معنى يتفق مع الآيات الكريمة والروايات الشريفة وسنتعرض لذلك النور في خاتمة هذه المقدمة إن شاء الله تعالى.

ويقصدُ من الصعود والرفع في الآية الكريمة هو القبول حيث أن الأمور المادية لا يمكن تصورهما مع الحق سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً.

بيان - لقوله - تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١)

حينما نؤمن النظر في الآية الكريمة نجد أن ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ وهي العقيدة الحق تصعد إلى الحق سبحانه وتعالى بنفسها لا بشيء آخر فالصاعد هو الكلم الطيب وصعوده بنفسه لأن جنس الكلم الطيب هو النور والنور من النور وعودة النور إلى النور لا بواسطة.

واستعمال الله جلَّ وعلا الفعل ﴿يَصْعَدُ﴾ لا ليدل على مجرد القبول بل ليدل على أن ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو بنفسه درجات ومراقي كمرقي السلم التي يصعد بها المؤمن مرقاةً بعد مرقاة، جاء في الكافي الشريف عن عبد العزيز القراطيسي قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام يا عبد العزيز إن الإيمان عشر درجات بمنزلة السلم يصعد منه مرقاة بعد مرقاة)^(٢). وقال عليه السلام: (من أراد الصعود إلى الإسلام أو إلى ذروته فليتعلق بهم ويأخذ منهم)^(٣).

أي أن هذا الصعود لا يكون إلا بواسطة النبي وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام) والأخذ من علومهم ومعارفهم فمنهم وبهم وإليهم يكون الصعود، والصعود أشد من النزول لاحتياجه إلى بذل جهد أكبر من النزول.

ولعل الاقتصار في الصعود على الكلم الطيب ولم يوصف العمل بهذه الصفة بل استخدم الرفع للعمل والصعود للكلم الطيب لإشعار القارئ بأن الصعود في هذه الآية الكريمة مفاده أن للإيمان درجات ولم يستخدم مع الكلم الطيب الرفع لأن الرفع غير الصعود في دلالة الأخير على الترقى مرقاة

(١) سورة فاطر الآية ١٠.

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ٤٤.

(٣) البحار الشريف ج ٩ ص ١٦٧.

بعد مرقاة الذي لا يفيد الرفع.

ولو نظرنا إلى فعل الرفع الذي يتلو ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ لوجدنا أنّ الحق سبحانه تعالى علّق رفع العمل الذي هو القبول على أمرين:

الأمر الأول: يتعلّق بنفس العمل وهو أن يتصف العمل بالصلاح فقال
جلّ وعلا ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾.

الأمر الثاني: أن قبول العمل الصالح متوقف على صعود الكلم الطيب؛
ويقول آخر أكثر وضوحاً أن العمل بعد أن يكون صالحاً يتوقف قبوله على
قبول العقيدة، فإذا قبلت العقيدة قبل العمل الصالح، وإذا لم تقبل العقيدة
رُدّ العمل حتى ولو كان بنفسه صالحاً، ولو كان قبول العمل متوقفاً على
صلاحه فقط لكان وجود الفعل ﴿يَرْفَعُهُ﴾ في آخر الآية زائداً عليها ولكان
الخطاب بصورة ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ من دون ذكر
الفعل (يرفع)، ولعل عودة الفاعل في الفعل ﴿يَرْفَعُهُ﴾ إلى ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾
إشارة لتلك النكته.

وهنا في المحل نكته أخرى لطيفة وهو أن عودة الفاعل في الفعل ﴿يَرْفَعُهُ﴾
إلى ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ لتقول لنا أن قبول العمل يكون بدرجة قبول الكلم الطيب
فثواب العمل له علاقة طردية مع درجة العقيدة فكلما ازدادت درجة العقيدة
ازدادت درجة ثواب العمل.

خلاصة ما توصلنا إليه من قوله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ
الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾:

أولاً: أن العقيدة هي الأصل وأن العمل تابع لها.

ثانياً: أن قبول العقيدة بنفسها ولا يتوقف قبولها على قبول شيء آخر.

ثالثاً: أنّ قبول العمل متوقف على أمرين:

الأمر الأول: أن يكون نفس العمل صالحاً.

الأمر الثاني: أن قبول العمل الصالح متوقف على قبول العقيدة، فإذا قبلت العقيدة قبل العمل، وإذا ردت العقيدة رد العمل حتى ولو كان العمل بنفسه صالحاً.

رابعاً: أنّ درجة قبول العمل والثواب عليه يكون من سنخ الدرجة التي عليها العقيدة، فيزداد ثواب العمل بزيادة درجة العقيدة ويقل ثواب العمل بنقصان درجة العقيدة.

قبس من نور الولاية

مؤيد لخلاصة تمام البحث السابق المبين بالنقاط التالية:

أولاً: أن للإيمان درجات ومراقي كمرقي السلم.

قال تعالى: ﴿ أَفَمِنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيَسْرًا الْمَصِيرُ ۝١٦٣ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ ۝١٦٤ ﴾^(١). روى في الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال لعمار السباطي: (هم والله يا عمار درجات للمؤمنين وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يضاعف الله أعمالهم ويرفع الله لهم درجات العلي)^(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَلَوُكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۝١٦٣ ﴾^(٣). روى في وسائل الشيعة عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: (إن درجات الجنة على قدر آيات القرآن يقال له اقرأ وارق فيقرأ ثم يرقى)^(٤).

(١) سورة آل عمران الآيات ١٦٢ - ١٦٣.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٣٠.

(٣) سورة الأنعام الآية ١٦٥.

(٤) وسائل الشيعة ج ٦ ص ١٨٧.

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾^(١)، وقال: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْ كَلِمِ اللَّهِ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(٣)، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّت قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَعْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾^(٦)، وقال: ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾^(٧)، وقال: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٨)، وقال: ﴿وَيُؤْتِي كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾^(٩)، وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَاءٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾^(١٠)، وقال: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْفِقَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظَاهَمُونَ﴾^(١١).

روي في معاني الأخبار أن رجلاً سأل أبا جعفر عليه السلام عن الزهد فقال:
(الزهد عشرة أشياء وأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع وأعلى درجات

(١) سورة الزخرف الآية ٣٢.

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٣.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٣.

(٤) سورة الأنعام الآية ١٣٢.

(٥) سورة الأنفال الآيات ٢٤.

(٦) سورة الإسراء الآية ٥٥.

(٧) سورة الإسراء الآية ٢١.

(٨) سورة هود الآية ٣.

(٩) سورة يوسف الآية ٧٦.

(١٠) سورة الأحقاف الآية ١٩.

الورع أدنى درجات اليقين وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله ﷻ: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾^(١).

ثانياً: أن الإيمان الصادق بالله وبكتابه الكريم ونبيه المصطفى وآل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هو ما عقد عليه قلب المؤمن بالمعرفة والرضا والتسليم. وقد مرّ عليك ذلك في رواية الزبير السابغة.

وجاء أيضاً عن جميل بن دراج قال: (سألت أبا عبد الله ﷺ عن الإيمان فقال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ قال قلت أليس هذا عمل قال بلى قلت فالعمل من الإيمان قال: لا يثبت له الإيمان إلا بالعمل والعمل منه)^(٢). والرواية في غاية الوضوح أن الإيمان هو عمل وقوله ﷺ والعمل منه أي عمل الجوارح من الإيمان فهو عمل من عمل.

وجاء عن عبد الرحمن القصير قال: (كتبت مع عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله ﷺ أسأله عن الإيمان ما هو فكتب لي مع عبد الملك ابن أعين سألت رحمك الله عن الإيمان والإيمان هو الإقرار باللسان وعقد في القلب وعمل بالأركان والإيمان بعضه من بعض)^(٣).

وروي عن الإمام الرضا ﷺ أنه قال: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ عليّ وليّ الله وخليفته حقاً وخلفاؤه خلفاء الله، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ فهو دليله وعمله اعتقاده الذي في قلبه بأن هذا الكلام صحيح كما قلته بلساني)^(٤).

(١) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٢٣٠.

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ٣٨ الحديث ٦.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ٧٣، باب أن العمل جزء الإيمان.

(٤) بحار الأنوار الشريف ج ٦٦ ص ٦٤ باب أن العمل جزء الإيمان.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ﴿الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قول المؤمن لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله عليٌّ وليُّ الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله. وقال ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ الاعتقاد بالقلب إنَّ هذا هو الحق من عند الله لا شك فيه من رب العالمين^(١).

وقال الإمام الرضا عليه السلام: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ قول لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وآله عليٌّ وليُّ الله وخليفة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله حقاً وخلفاؤه خلفاء الله، ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ علمه في قلبه بأن هذا صحيح كما قلته بلساني). وفسرَّ المجلسي الكلم الطيب بالشهادتين أو هما سائر العقائد لا سيما الإمامة^(٢).

وقال السيد الطباطبائي: «أن المراد بالكلم الطيب ليس مجرد اللفظ بما للفظ من معنى طيب ولكن المراد به الاعتقادات الحقّة التي يسعد بها الإنسان بالإذعان لها وبناء عمله عليها والمُتَيِّقن بها كلمة التوحيد التي تَرَجُّعُ إليها سائر الاعتقادات الحقّة وهي المشمولة بقوله تعالى: ﴿كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ (١٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(٣)»

ثالثاً: أن تحصيل المعارف هي الإيمان بأصول الدين وما لازمها من ضرورياته التي عقَد القلبُ عليها وهي العملُ الصاعدُ بنفسه من غير أن يتعلق صعوده على شيء آخر.

رابعاً: أن قبول سائر الأعمال من عبادات ومعاملات التي هي (فروع

(١) بحار الأنوار الشريف ج ٦٦ ص ٦٤ باب أن العمل جزء الإيمان.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ١٨١ باب اليقين والصبر على الشدائد.

(٣) تفسير الميزان الجزء السابع من تفسير قوله تعالى (إليه يصعد...) الآية.

الدين) متوقفة على أمرين:

الأمر الأول: هو وجود المقتضي في العمل لكي يُرفع إلى مستوى يمكن أن ينظر إليه كونه مقبول أو ليس بمقبول. فإذا اتصف بالصلاح ارتفع المانع وبقي الأمر الثاني شرط القبول.

الأمر الثاني: إذا اتصف العمل بالفساد صار الفساد مانعاً عن تحقق مقتضى القبول، ولكن فساد العمل الذي هو في الفروع لا يؤدي إلى فساد في الأصول، ومنه قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: (حبُّ علي بن أبي طالب حسنة لا تمحوها سيئة) لأن حب علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ أصلٌ والفساد الذي يقع في فروع الدين لا يؤدي إلى فساد في الأصول.

ولأن عمل كل امرئ في الفروع هو حصاد ما زرعه في الأصول، فقد يتبادر إلى الأذهان أن كل ذنب يصدر عن المؤمن هو لخلل واقع في أصول دينه، ومع وجود الخلل في أصول الدين لا يدخل الجنة إلا الأنبياء والأئمة الطاهرين عليهم آلاف التحية والسلام!!

ويكون جواب هذا الإشكال واضحاً لمن استوفى معنى أن الإيمان درجات فهناك حد أدنى للإيمان الذي لا تقبل الأعمال إلا به وحد أعلى يزداد الثواب عليه، وأن للإيمان مراتب بين الأدنى والأعلى على اختلاف درجاته ومستوياته ليس قائماً على تحصيل العلوم والمعارف الإلهية الحققة فحسب بل قائمة على تحصيل اليقين بها ولليقين درجات.

نعم مما لا شك فيه أن تحصيل العلوم والمعارف الإلهية الحققة تدفع الشكوك والظنون عن قلب المؤمن (واقشع عن بصائرنا سحاب الارتباب واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب وأزهق الباطل عن ضمائرنا واثبت الحق في سرائرنا فإن الشكوك والظنون لواقع الفتن ومكدره لصفو

المنايح والمنن)^(١)، فإذا خلص القلب من الشك والريب فتحت له تلك العلوم والمعارف أبواب السعي في طلب مرضاة الله جلّ وعلا (ونور قلبي وسري بالاطلاع على مناهج مساعيك)^(٢) فالمؤمن الذي قد حاز أدنى درجات الإيمان حتى عندما يصدر الذنب والخطيئة من عنده إنما تصدر عن غفلة عما انعقد عليه قلبه من إيمان لهوى غلبه غير معاند ولا عامد (إلهي لم أعصك حين عَصَيْتُكَ وأنا بربوبيتك جاحدٌ ولا بأمرِكَ مُسْتَخَفٌّ ولا لعقوبتك مُتَعَرِّضٌ ولا لوعيدك مُتَهَاوِنٌ فجحود الربوبية كفر والاستخفاف بالأمر الإلهي والتهاون في الوعيد ناتج عن إنكار يوم القيامة والمؤمن يُبريء نفسه أصولاً من أن ارتكابه لتلك الذنوب والمعاصي لا - لخلل بأصول دينه - لكن خطيئة عَرَضَتْ وَسَوَّلَتْ لي نفسي وغلبني هواي وأعانني عليها شقوتي وعَرَّني سِتْرَكَ المُرْخَى عَلَيَّ... إلى آخر الدعاء الشريف)^(٣).

روى الشيخ الصدوق في أماليه: عن الحسين بن إبراهيم بن ناتانة عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن هشام بن سالم عن عمار بن موسى الساباطي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن أول ما يُسأل العبد عنه إذا وَقَفَ بين يدي الله جلّ جلاله عن الصلوات المفروضة وعن الزكاة المفروضة وعن الصيام المفروض وعن الحجّ المفروض وعن ولايتنا أهل البيت فإن أقرّ بولايتنا ثم مات عليها قُبلت منه صلاته وصومه وزكاته وحجّه وإن لم يُقر بولايتنا بين يدي الله جلّ جلاله لم يقبل الله عَنْهُ منه شيئاً من أعماله).^(٤)

(١) المناجاة السابعة مناجاة المطيعين.

(٢) فقرة من دعاء الاسم الأعظم.

(٣) فقرة من دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٤) مستدرک الوسائل: ج ١ ص ١٥٢، ٢٣٦ - ١١.

وعن جابر قال: (قال أبو جعفر عليه السلام قال رسول الله ﷺ: التاركون ولاية علي عليه السلام خارجون من الإسلام من مات منهم علي ذلك)^(١).

ونعم ما قاله محمد بن عبد الله:

بحق محمد قولوا بحق

فإن الإفك من شيم اللئام

أبعد محمد بأبي وأمي

رسول الله ذي الشرف التهامي

أليس علي أفضل خلق ربي

وأشرف عند تحصيل الأنام

ولايته هي الأيمان حقاً

فذرني من أباطيل الكلام

وطاعة رينا فيها وفيها

شفاء للقلوب من السقام

علي إمامنا بأبي وأمي

أبو الحسن المطهر من حرام

إمام هدى أتاه الله علماً

به عرف الحلال من الحرام

ولو أني قتلت النفس حياً

له ما كان فيها من أثم

يحل النار قوم أبغضوه

وان صلوا وصاموا الف عام

(١) المستدرک ج ١٧ - ١١ باب وجوب الرجوع في القضاء والقدر ٢٢٤٢١ - ٢.

ولا والله لا تزكو صلاة

بغير ولاية العدل الامام

أمير المؤمنين بك اعتمادا

وبالفجر الميامين اعتصامي

فهذا القول لي دين وهذا

الى لقياك يا ربي كلامي

برأت من الذي عادى علياً

وحرابه من اولاد الطغام

تناسوا نعيه في يوم خم

من الباري ومن خير الأنام

برغم الأنف من يشنأ كلامي

على فضله كالبحر طامي

وأبرأ من أناس أخروه

وكان هو المقدم بالمقام

علي هزم الابطال لما

رأوا في كفه برق الحسام

خامساً: إذا قبلت أصول الدين قبلت الأعمال الصالحة، وإذا ردت

أصول الدين رُدَّت الأعمال بلغت ما بلغت. قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ

يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِبْرَاهِيمَ

فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

(١) سورة النساء الآية ١١٦ .

(٢) سورة المائدة الآية ٥ .

الْخَسِرِينَ ﴿١٠﴾ ، وقال جلّ وعلا: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ (١١) ، وقال: ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِ
اللَّهِ فَتَكُونُ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (١٢) ، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَتِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الْخَسِرُونَ﴾ (١٣) ، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ
مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾ (١٤) ، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾
أُولَئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١٥) ، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ
الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبِطُلُّ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ (١٦) ، وقال: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ (١٧).

هذا بعض ما جاء في كتاب الله.

أما الروايات الواردة في هذا الباب فهي كثيرة جداً من واسع فضلهم
وجودهم في التأكيد على رعيّتهم من السقوط في الهاوية، ومن نار حامية
سجّرت بغضب الجبار وليس منها فرار إلا بالعقد والإقرار بما جاء في آيات
الذكر وصحيح الأخبار.

روى المجلسي عن الإمام العسكري عليه السلام أنه قال: (في بيان قوله

(١) سورة الزمر الآية ٦٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢١.

(٣) سورة يونس الآية ٩٥.

(٤) سورة الزمر الآية ٦٣.

(٥) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٦) سورة يونس الآيات ٧-٨.

(٧) سورة هود الآيات ١٥-١٦.

(٨) سورة الفرقان الآية ٧٣.

تعالى: ﴿بِكُلِّ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، قال: السيئة المحيطة به أن تخرجه عن جملة دين الله وتنزعه عن ولاية الله وهي الشرك والكفر به، والكفر بنبوة محمد، والكفر بولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وخلفائه. كل واحد من هذه سيئة تحيط به أي تحيط بأعماله فتبطلها وتُمحِقها فأولئك عاملو هذه السيئة المحيطة بأصحاب النار هم فيها خالدون^(١).

وروي أيضا في تفسير الإمام العسكري عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (فرض الله الإيمان بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كما فرض الإيمان بمحمد فمن قال آمنت بنبوة محمد وكفرت بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فما آمن بنبوة محمد)^(٢).

وروي في المستدرک أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (فَرَضَ اللهُ عَلَى أُمَّتِي خَمْسَ خِصَالٍ إِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ وَوِلَايَةَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْأُئِمَّةِ مِنْ وَلَدِهِ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ عَبْدِهِ فَرِيضَةً مِنْ فَرَايِضِهِ إِلَّا بِوِلَايَةِ عَلِيِّ عليه السلام فَمَنْ وَالَاهُ قَبْلَ مَنْهُ سَائِرِ الْفَرَايِضِ وَمَنْ لَمْ يُوَالِهِ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ مِنْهُ صِرْفًا وَلَا عَدْلًا وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)^(٣).

وروي أيضا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (والذي بعثني بالحق لو تعبد أحدكم ألف عام بين الركن والمقام ثم لم يأت بولاية علي والأئمة من ولده كبه الله

(١) البحار ج ٨ ص ٣٥٨ عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام وجاءت بسند آخر في البحار ج ١٧ ص ٨٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٨٦ نقلاً عن تفسير الإمام العسكري عليه السلام.

(٣) المستدرک ج ١ ص ١٧٥-١٧٦ باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة الأطهار عليهم السلام.

تعالى على منخريه في النار^(١).

وروي في وسائل الشيعة عن المعلی بن خنيس قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: يا معلی لو أنّ عبداً عبد الله مائة عام ما بين الركن والمقام يصومُ النهار ويقوم الليل حتى يسقط حاجباه على عينيه ويلتقي تراقيه هرماً، جاهلاً بحقنا لم يكن له ثواب)^(٢).

وروي عنه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (والله لو أنّ عبداً عمّره الله ما بين الركن والمقام وما بين القبر والمنبر يعبدُهُ ألفَ عامٍ ثم دُبِحَ على فراشه مظلوماً كما يُذبح الكبشُ الأملح ثم لقي الله عزَّ وجلَّ بغير ولايتنا لكانَ حقيقاً على الله عزَّ وجلَّ أن يكبّه على منخريه في نار جهنم)^(٣).

سادساً: أن درجة الثواب للأعمال الصالحة تكون على مقدار درجة الإيمان، فكلما ازدادت درجة الإيمان ازدادت درجة الثواب، فربما يؤدي العمل الواحد كالصلاة مثلاً مجموعة من المؤمنين مع أن هيئة الصلاة واحدة ولكن اختلافهم في درجاتهم الإيمانية يؤدي إلى اختلافهم في تحصيل درجة الثواب لأن العمل وإن كان مظهره واحد إلا أنه يختلف بدرجة القرية من مؤمن إلى آخر بسبب اختلاف درجة الإخلاص والإقبال على العمل من مؤمن لآخر. فالعمل الذي يصدر من المؤمن وهو في الدرجة ألف من الإيمان له من الثواب بمقدار الدرجة ألف، وإذا كان في الدرجة باء له من الثواب بمقدار الدرجة باء وهكذا.

ومن هنا يتسنى لنا فهم الاختلاف الوارد في ثواب عمل واحد قد صدر من مجموعة من المؤمنين رغم إتحاد الصورة الخارجية لذلك العمل فقد

(١) المستدرک الشریف ج ١ ص ١٧٥-١٧٦، باب بطلان العبادة بدون ولاية الأئمة عليهم السلام.

(٢) وسائل الشيعة ج ١ ص ١٢٢ باب بطلان العبادة بدون ولايتهم عليهم السلام.

(٣) وسائل الشيعة ج ١ ص ١٢٣ باب بطلان العبادة بدون ولايتهم عليهم السلام.

اختلفت درجة الثواب لا من حيث العمل المتحد في صورته مع العمل الصادر من الآخرين بل أن اختلاف الثواب ناتج عن اختلاف الدرجة الإيمانية للمؤمنين؛ فصورة صلاة سلمان هي نفس الصورة التي يُصلي بها أبو ذر الغفاري ولكن ثواب سلمان من صلاته أكبر من ثواب أبي ذر الغفاري من صلاته مع أن صورة الصلاة واحدة، وما ذاك إلا لاختلافهم في الدرجة الإيمانية بين التي عليها سلمان وهي الدرجة العاشرة والدرجة الإيمانية التي عليها أبي ذر الغفاري وهي الدرجة التاسعة، فاختلف الثواب ناتج عن اختلاف الدرجة الإيمانية.

وأكثر من ذلك ربما تكون الصلاة واحدة ولكنها تصدر من مجموعتين كل منهما يُصلي بصلاة الجماعة فتقبل من إحداهما بأحسن القبول وتُرد الصلاة من المجموعة الأخرى حتى تُضرب بها وجوههم، مع أن الطرفين صلى بجماعة في نفس المكان ونفس الوقت وفي نفس الاتجاه. فلماذا تقبل من هذا بأحسن القبول وترد على ذلك حتى تضرب بها وجوههم؟! وما ذاك إلا لأن الصلاة الأولى صدرت عن عقيدة حق، والصلاة الثانية أبعدها الله قد صدرت عن عقيدة فاسدة باطلة.

فصلاة المولى أبو عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) بأصحابه في كربلاء وصلاة أولئك الأرجاس الأنجاس عمر بن سعد بأصحابه (لعنهم الله) في كربلاء مثلاً لذلك، أو صلاة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بأصحابه في صفين (اللهم احشرونا في زمرة أنصاره وأعوانه إنك سميع مجيب) وصلاة أولئك الأرجاس الأنجاس معاوية وأصحابه (عليهم لعائن الله) مثل آخر على قبول الصلاة من الأطهار وردها على الأنجاس.

جاء عن عمار الساباطي قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: يا عمار درجات للمؤمنين، وبولايتهم ومعرفتهم إيانا يُضاعفُ الله لهم أعمالهم ويرفع الله لهم

الدرجات العلى^(١). ومضاعفة الثواب لِرَاجِحِ موجود وهو اختلاف الاستعداد من مؤمن لآخر.

وأذكر لك مثلاً آخر: فإنك لو راجعت كتب الحديث في باب ثواب التفكير لوجدت أن الأحاديث مختلفة في تحديد مقدار الثواب، فبعضها قال: (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)، وبعضها قال: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة)، وقال في أخرى: (تفكر ساعة خير من عبادة الدهر كله)، وقال في رابعة: (تفكر ساعة خير من عبادة سبعين ألف سنة). فهذا الاختلاف لم يكن ناتجاً عن وجود تضارب في هذه الروايات الشريفة، بل هو ناتج عن اختلاف الدرجة الإيمانية التي عليها المتفكر.

ومن هذا تفهم أحد أسرار التأكيد على إقامة صلاة الجماعة للمؤمنين، فوجود المؤمنين أصحاب الدرجات العالية من الإيمان يؤثر تأثيراً بليغاً على تمام صلاة المصلين في زيادة الثواب للباقيين ببركة وجود المخلصين. فكيف لو كانت الصلاة خلف ناموس الوجود (صلوات الله وسلامه عليه)!!؟

أيها القارئ العزيز:

بعد هذه المقدمة صار معلوماً لديك أهمية البحوث العقائدية والشمرة الطيبة من شجرة طوبى المترتبة عليها وأهميتها وحيويتها لنا كأفراد، ولمجتمعاتنا وأمتنا التي ارتبط اسمها باسم أشرف مخلوق خلقه الله طراً محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين). فعلينا أن نسعى جاهدين لبناء أنفسنا وأسرنا وأمتنا على عقيدة صادقة بعيداً عن هوس عصبية أهل الضلال، والتيارات المنحرفة الكثيرة التي صارت فيضاً جارفاً قَلَعَ الأخضر واليابس، وأهلكت الحرث والنسل من ناصبٍ مُعاندٍ ومُغالٍ مُلحدٍ أو قال

مُشْرِك.

ضيعوا الدين وشوهوا صورة سيد المرسلين حتى عاد الإسلام غريباً كما بدأ، وأُحيط المؤمن بحلقة نار التسقيط والظعن والإيذاء والإبعاد، وليت الأمر توقف عند الأبعاد من الناس، بل حتى القريب صار يرجو أن يصيبه بمقتل، فأعملوا سكاكينهم المُحمّات بلحم ذي الآهات، ثم وضعوه في صندوق الهبات، ونادوا عليه في الأعياد والجُمُعات هذا لحمٌ زنديقٍ قد مات، فمن أكل من لحمه قطعة جعل الله مآبه الجنات. ثم رفعوا شعار لا إكراه في الدين، ولكنك مكره على التخلي عن حب طه وآله الطُهر الميامين.

يا بقية الله

يا ابن الزهراء

يا ابن شهيد كربلاء

أَدْرِكِ تِرَاتِكِ أَيُّهَا الْمَوْتُورُ
 فَلَكُمْ بِكُلِّ يَدٍ دَمٌ مَهْدُورُ
 مَا صَارِمٌ إِلَّا وَفِي شَفْرَاتِهِ
 نَحْرٌ لآلِ مُحَمَّدٍ مَنْحُورُ
 وَلَوْ أَنَّكَ اسْتَأْصَلْتَ كُلَّ قَبِيلَةٍ
 قَتَلًا فَلَا سَرَفٌ وَلَا تَبْذِيرُ
 خُذْهُمْ فُسْنَةً جَدِّكُمْ مَا بَيْنَهُمْ
 مَنْسِيَةٌ وَكِتَابُكُمْ مَهْجُورُ
 غَضَبُوا الْخِلَافَةَ مِنْ أَبِيكَ وَأَعْلَنُوا
 إِنَّ النَّبِيَّةَ سِحْرُهَا مَأْثُورُ

والبضعة الزهراء أمك قد قضت
 قرحى الفؤادِ وضلعها مكسورُ
 وأبو على الحسنِ الزكيُّ بأن يرى
 مشواه حيثُ محمد مقبورُ
 وأسأل بيومِ الطفِّ سيفك إنّه
 قد كلّم الأبطالَ فهو خيرُ
 يومٍ أبوك السبِّ شمر غيرهُ
 للدينِ لنا أن عفاه دثورُ
 بأبي القتيلِ وغُسله علقُ الدما
 وعليه من أرج الشنا كافورُ
 ظمان يعتلجُ الغليلُ بصدريه
 وتبلُّ للخطي منه صدورُ
 وتحكمت بيضُ السيوفِ بجسمه
 ويح السيوفِ فحكمنَ يجورُ
 وغدت تدوسُ الخيلُ منه أضالعا
 سيرَ النبي بطيها مستورُ
 وهوينَ ألويةَ والشرية نُكصاً
 وتعطلُ التهليلُ والتكبيرُ^(١)

(ربِ أدخلني في لجة بحر أحديتك وطماطم^(٢) يَم وحدانيتك وقونني
 بقوة سطورة سلطان فردانيتك حتى أخرج إلى فضاء سعة رحمتك وفي وجهي

(١) أبيات مقتطفة من رائية السيد جعفر الخلي رحمته الله.

(٢) الطماطم بالكسر هي النار الكبيرة، وطمطم البحر إذا امتلأ وتعالَت أمواجه ومنه البحر
 المطمطم، ويقال طمطمت الفتنة إذا اشتدت، والطمطمة هي العجمة فيقال رجل طمطام
 بالضم أعجم لا يفصح ومنه الطمنة: هو صوت العود، وأطاميم ونطم في السير إذا أسرع.

لمعات برق القرب من آثار حمايتك مهيباً بهيبتك عزيزاً بعنايتك متجللاً
مُكرماً بتعليمك وتزكيتك وألبسني خلع العزة والقبول وسهل لي مناهج
الوُصلة والوصول)، (إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا
بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل إلى معدن
العظمة وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك) برحمتك يا أرحم الراحمين
وبمحمد وآله الميامين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

أيها العزيز: بعد الذي مهدناه والثمر الذي جنيناه والعلم الذي اكتسبناه
صار لزاماً علينا أن نسلك ما رجونا في بحثنا ونحدد مسارنا وسوف نجعل
انطلاقنا بعونه تعالى أصل الإمامة لا كما هو معتاد في مباحث العقائد
التي سلكها علماؤنا الأعلام حيث جعلوا انطلاقهم من أصل التوحيد على
أساس أنه أصل الأصول. فحينما يُريد المتكلم أن يثبت النبوة أو الإمامة أو
المعاد أو العدل لشخص لا يعتقد بوجود الخالق يتدئ معه بإثبات وجود
الخالق له، ودعوته إلى عبودية الله الواحد القهار وهو عمل صفوة خلق الله
من أنبياء ورسل وأئمة عليهم السلام.

ولكون خطابي ليس موجهاً إلى غير الموحدين بل ليس موجهاً إلى
غير المسلمين صارت انطلاقنا في بحثنا مختلفة. فالمسلمون عموماً مقرّين
بالتوحيد وبنبوة نبينا الأكرم عليه السلام، والخلاف واقع في إثبات أصل الإمامة،
وهذا لا يعني انحصار الخلاف في هذا الأصل الشريف، بل أن هناك خلافاً
أيضاً في إثبات أصل العدل مع وجود خلافات كثيرة واقعة في تفاصيل باقي
الأصول بما فيها أصل التوحيد. ولكن هذه الخلافات مع عظم مواردها يمكن
تجاوزها حتى يتم استكمال أدلة هذا الأصل الشريف، فمتى اكتملت مباحثه
صار حل جميع الخلافات المترامية أمر سهل ويسير، لا لسهولتها بل أن
هذا الأصل المقدس هو مفتاحها الأوحى الذي انتخبه الله جلّ وعلا من بين

كل الأصول لاستكمال أدلتها وتماमितها، ومن دون هذا الأصل المقدس ليس فقط لا يكون المرء قادراً على استكمال دينه بل لا يكون عنده دين.

نعم يُعامل معاملة المسلمين ويحكم عليه بالإسلام فله ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين مادماً في زمان الغيبة الشريفة لإمامنا ومولانا الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام ليستكمل ما ابتدأه جده (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بنشر فرض هذا الأصل المقدس على كل الخلائق فمن أدركه الموت قبل الاعتقاد بذلك الأصل المقدس يكون مسلماً في الدنيا كافراً في الآخرة، وهو المعبر عنه بالمسلم الكافر وهو باب يطول شرحه وليس هذا محله. وعلى كل حال فإن مباحثنا هذه التي تدور في فلك أصل الإمامة ليست معدة لأجل محاججة الخصوم من أصحاب المذاهب الأخرى وإن كانت محققة لذلك في معظم المباحث رغم أنني لم أعدها لهذا الغرض، وسبب ذلك هو الرد على الشبهات والشكوك هنا وهناك من الخاصة والعامة.

وقد رتبُ مباحثه بحسب الأهمية والمرتكز الذي يعتمد عليه هذا الأصل المقدس وبما أفضى بعضه إلى البعض الآخر، وبطريقة تمكن السالك معنا أن يصل لمراده إن شاء الله تعالى، وتفتح باب الكرامة والسعادة لمن أخلص لله تعالى في مسعاه طالباً لرضاه سائلاً من الله مولاه أن يُيسر عليه أشد الطرق وعورة وأكثرها خطورة، وينير له البصيرة، ويُذيقه من تلك الثمرة المخصوصة المكنوزة من الشجرة المباركة الطيبة المذكورة تدعى طوبى لمن طاب وطهر وإلى الحق تواضع وبالعروة الوثقى تمسك ومن حب علي وآله شرب، وفي سفينة النجاة ركب.

قال رسول الله ﷺ: (مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك) فاحرص على أن تكون على سنة الصادق الأمين ومنازمة سنة أبي موسى الأشعري خائنُ صفين الذي هو وصحبه كثر عثارهم واشتدت

أخطاؤهم، كيف لا؟! وأن أعظم من فيهم أقرّ على نفسه بأنه «حتى النساء المخدرات أعلم منه» وقال الآخر: «أقيلوني أقيلوني ما أنا بخيركم»، فبئس التابع وبئس المتبوع. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾.

مبحث أصل الإمامة

الفصل الأول: مبحث العصمة: وهو ينطوي على مجموعة من المسائل.

المسألة الأولى: ما هي الحاجة إلى تقديم العصمة على النص في الإمامة؟

المسألة الثانية: ما هي فلسفة وجوب العصمة في الإمام عليه السلام. وفيها أمران:

الأول: هل هناك حاجة إلى إمام يحل محل النبي؟

الثاني: مع فرض وجود الحاجة إلى من يقوم مقامه لماذا نشترط العصمة له؟

الفصل الأول

مبحث العصمة

المسألة الأولى: ما هو سبب تقديم مبحث العصمة على مبحث النص في الإمامة؟

إعلم رحمك الله، إنَّ الشائع في مباحث أصل الإمامة هو تقديم مبحث النص على مبحث العصمة، ولكني لما وجدتُ أنَّ مبحثَ النص يصلحُ أن يكون مقدماً في حالة وجود مرتكز واحد للمسلمين في فهم معنى الإمامة، والحقيقة غير ذلك؛ فإن للإمامة معانٍ مختلفة بحسب اختلاف المذاهب الإسلامية.

نجد أنَّ مرتكز معنى الإمام لدى الطائفة الشيعية (أعزَّ الله رايتهما) له معنى مختلف بالتمام عن معنى الإمام لدى المذاهب السنية (هداها الله لإتباع سنة نبينا المختار)، وهذا الاختلاف الكبير في المعنى أدى إلى اختلاف الشرائط.

وحينما يختلف المرتكز تنتفي وحدة الموضوع في الكلام، فهم

يتحدثون عن إمام نحن لا نعرفه، ونحن نتحدث عن إمام هم لا يعرفونه، فكيف يكون للنص أثر في حل النزاع، بل سيكون النص جزءاً من النزاع حيث أن عرض النصوص يستدعي عرض أبحاثها عند الخاصة والعامّة. وهذا العرض يستدعي فتح أبواب كثيرة تُبعد المتتبعين عن تحقيق الهدف مع اختلاف المرتكز، وخصوصاً مع تثبيت الطرف المقابل في الآيات الكريمة التي يدلُّ ظاهرها على خلاف تحقيق المطلوب لدى الطائفة المحققة (أعزّ الله رايتها)، وبالتالي ينتهي بهم الكلام من حيث ابتداء، فمع وجود الآيات الكريمة التي ظاهرها البدوي يُنافي ثبوت العصمة لهم تجعل للإمام معنى آخر غير المعنى الذي تمسك به المحق.

نعم إن مسلك تقديم النص على مبحث العصمة يكون منتجاً لدى كل طائفة في إثبات مطلوبها منفرداً عن الطوائف الأخرى مع فرض عدم وجود المنازع لها، ومع فرض عدم إمكانية دخول شبهات المبطل إلى المحق. وأما مع وجود المانع في تحقيق هذين الفرضين يكون السعي في إثبات المطلوب وهو الإمامة الحق أمراً متعسراً ولا أقول إنه مستحيل.

وتعسره ناشئ عن سعة دائرة الخلاف وكثرة المعاندين. لذا فمن الأجدى الابتداء بما يجعل الموضوع الذي يُدار عليه الحديث موضوعاً واحداً للأطراف المختلفة وهو عملية تحديد معنى الإمامة.

حينما تقول الطائفة الشيعية (أعزّ الله رايتها) إمام تقصد منه ذلك الشخص العظيم ذو المقام القدسي والمنزلة الرفيعة التي تعجز عن إدراكه العقول وتتيه في حبه القلوب الطاهرة، والذي قد ثبتت له من المقامات العلية والوظائف الشريفة كل ما ثبت لرسول الله ﷺ ولا يخرج عنه إلا ما خرج بالدليل ولم يخرج بالدليل وبالضرورة إلا النبوة؛ فهو المعصوم عن الغلط والخطأ صغائر وكبائر بل حتى المكروه وترك الأولى على قول وعن

السهو والنسيان. وهو أعلم الناس بالحلال والحرام والعقائد وسائر العلوم. بل هو صاحب العلم الخاص الذي اختصه الله تعالى به، وهو الغني عن الناس بغنى الله وهم الفقراء إليه، والذي لو خُلِّت الأرض منه ساعة لساخت بأهلها ولا يخلو زمانٌ منه. هو أسخى الناس وأشجعهم وأزهدهم، له مقام التشريع الذي لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ فالإمامة أمرٌ إلهي (ليس لهم الخيرة فيه) وله مقام الخلافة الإلهية الكلية على جميع خلقه، وهو الشافع والمشفع، والشاهد على الأعمال وخفايا القلوب، محبته وولايته فرضٌ من الله، الجنة لمن أحبه وتولاه والنار لمن تخلف عنه وعاداه، وليس لأحد أن يثبت لنفسه أو لغيره الحاكمية على الناس إلا بإذنه الخاص أو العام.

وأما الإمامة عند أبناء العامة فهو أمرٌ مختلف بالتمام، فالإمام أو ولي الأمر عندهم لا يعدو عن معنى الحاكمية على الناس، ثم إنهم اختلفوا في تحديد الحاكمية، فبعضهم قال بالشورى وآخرين قالوا بانتخاب الناس وثالثة بانتخاب أهل الحل والعقد، وتَنَزَّل البعض منهم ليشمل به كل من يملك رقاب الناس ولو بقوة السيف حتى لو كان فاسقاً فاجراً، فاعتبروا أضراب يزيد والوليد (لعنهم الله) من أولي الأمر الذين يجب على المسلمين طاعتهم، وأن الخارج عليهم كالخارج على رسول الله صلى الله عليه وآله وأن المقتول بسيفهم كالمقتول بسيف رسول الله صلى الله عليه وآله فعادوا النبي وآله.

فالإمامة إذاً عندهم منصبٌ سياسي يُنصَّب على أحسن الأحوال بانتخاب الناس فهو من أبسط فروع الدين ولا يرقى حتى إلى مستوى الصلاة والصيام والحج ونحوها. وأما عندنا فالإمامة أصلٌ من أصول الدين لا تُقبل الأعمال إلا بها وليس للناس الخيرة فيه. فهنا العصمة وهناك العدالة على أحسن الأقوال، وهنا النص وهناك الانتخاب والشورى على أحسن الأقوال، هنا عزة إلهية وهناك عزة معتمدة على الانتخاب، هنا المعصوم يجب أن يكون

أعلم الناس في حلالهم وحرامهم وما يحتاجون إليه بل يكون صاحب مقام العلم الخاص وهناك لا يضر حتى لو كانت النساء والصبيان أفاقه وأعلم منه، هنا الأرضُ تسيخُ بمن عليها لو خلّيت من الإمام ساعة وهناك إما أن يكون سيان وجوده وفقده وإما أن تكون الأرض ومن عليها يميّسون كما تميّسُ العروس لو تخلصوا من شره، هنا خيرٌ محض ومحض الخير وهناك إما خير يشوبه شر أو شرٌ لا خير فيه شرٌّ محض ومحض الشر، هنا إعجازُ الولاية وهناك عَجْزُ الضلالة، هنا تشريعه تشريع الله العزيز العليم وهناك تشريعُ الهوى وقذف الشيطان الرجيم.

فأختر بربك أي إمام تُريد!!!

ما زال ولاك يا علي مستندي

أتيتك مرتجاً نجاتاً لغدي

مولاي سواك لم يكن معتمدي

أجأت إليك واثقاً خذ بيدي

يا علي المرتضى انظر إليّ

قد أتيتُ خائفاً مما لدي

يا وليّ نجني مما أخافُ

يا عليّ يا عليّ يا عليّ

فالمسافة بين هنا وهناك بعيدة أبعد ما بين السماء والأرض ولا تحتسب

بوحدة قياس قط، والبون شاسع، فلا بدّ لنا أن نرجع إلى أنفسنا لتحديد

مسلكنا في الإمامة للوصول إلى مرتكز واحد ليكون انطلاقنا منه.

فمن هو الإمام؟

هل هو كباقي الناس يصيب ويخطئ؟ أم هو المعصوم بالعصمة

المطلقة؟

للإجابة نحتاج إلى وحدة في المرتكز ولذا سنجعل بداية بحثنا العصمة، فهي قطب رحي الإمامة؛ فالإمامة هي مركز العقيدة الصادقة. فلا توحيد من غير نبوة وولاية، ولا نبوة من غير توحيد وولاية، ولا ولاية من غير توحيد ونبوة. فإنكار إحداها يؤدي إلى إنكارها جميعاً قال السيد الخميني قدس سره: «إن الشهادتين منظومتان جميعاً في الشهادة بالإلهية وفي الشهادة بالرسالة أيضاً الشهادتان الأخريان منظومتان، كما أن في الشهادة بالولاية الشهادتان الأخريان منظومتان»^(١)، ومراده أن قول لا إله إلا الله معناه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ولي الله، وأن قول أشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله معناه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ولي الله، وإن قول أشهد أن علياً ولي الله معناه قول لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ ولي الله. وقد بين هذا المطلب الأستاذ الشيخ عبد الحلیم الغزي (دام ظله) في كتابه الشهادة الثالثة المقدسة بأحسن بيان راجع تغنم.

المسألة الثانية: ما هي فلسفة وجوب العصمة في الإمام عليه السلام؟

ويقول آخر لماذا نشترطُ العصمة في الإمام عليه السلام؟

وهذه المسألة في الحقيقة تنطوي على سؤالين:

السؤال الأول: هل هناك حاجة في الدين إلى إمام يحل محل النبي المصطفى بعد فقدته إلا أنه ليس بنبي؟ وهل أن هذه الحاجة نابعة عن وجود نقص في دين سيد المرسلين؟! أم أن هذه الحاجة هي جزء من هذا الدين القويم ولا يتم ولا يكتمل الدين إلا بها؟.

(١) الآداب المعنوية للصلاة ص ٢٦٥. مؤسسة دار الكتاب الإسلامي.

والسؤال الثاني: مع فرض ضرورة الحاجة إلى الإمام عليه السلام، فلماذا اشتراط العصمة فيه؟

أما الشطر الأول من المسألة الثانية في حاجة الدين إلى إمام يحل محل النبي المصطفى بعد فقدته؛ فهذا وإن كان جوابه سيتبين واضحاً في المباحث اللاحقة إن شاء الله تعالى ليجيب عن حاجة الدين إلى الإمام المعصوم عليه السلام ولكنني سأكتفي هنا بعنوان الحاكمية في الإجابة.

إعلم رحمك الله إن من المسلم به أن الحاكم إذا أراد مغادرة حكومته لسفر أو مرض أو أحسَّ بقرب الأجل يوصي إلى من هو محل ثقته ويوكل له شؤون الدولة ليقوم بتدبير أمورها وساسة الناس فيها. وتؤكد الوصية أو الوكالة فيما لو كانت تلك الدولة تحيط بها أخطار ومطامع داخلية من منافقين وضعاف الإيمان، وأخطار ومطامع خارجية لوجود دولتين عظيمتين، دولة الفرس ودولة الروم إضافة إلى وجود أطماع وكيد أهل الكتاب وما يحيكونه من مؤامرات ودسائس من أجل القضاء على جذوة الدين الإسلامي الحنيف؛ قال تعالى: ﴿وَلَنْ رَضِيَ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَابِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

فمع وجود هذا المركب الخطير الذي كان يحيط بدولة النبي لا يمكن لعاقل أن يقول بأنه يمكن لقائد هذه الدولة التي هي نواة نشر دين الله على البسيطة أن يتركها رسول الله ﷺ من دون أن يوصي لمن يقوم مقامه

(١) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٧.

يستخلفه على دولته وآل بيته.

فإذا كان قائد من عوام الناس ملك دولة من أصغر الدول وتحيط به معشار عُشر هذه الأخطار فإنه جزماً لا يترك دولته من غير أن يجعل له وكيلاً وخليفةً عليها في إدارة شؤونها وهذه من أوضح الواضحات، حتى لراعي الغنم الذي لا يترك قطع غنمه في المرعى من دون أن يوكل شخص آخر يقوم بحفظ قطع غنمه. فليس من المعقول جزماً أن يترك النبي المصطفى أمته من دون أن يوصي إلى شخص يقوم بحفظ النظام وقيادة الأمور بعده في دولة فتية أعدها رسول الله ﷺ لتكون النواة في نشر تعاليم الدين الحنيف. ألا يعد ترك الأمة من غير قيادة في تلك الظروف والأوضاع خيانة لتلك الوديدة الإلهية؟! ثم ألا يعد ذلك منافياً للحكمة والتدبير وتضييعاً للغرض الذي أفنى رسول الله ﷺ حياته وحياة أهله وأحبائه وأموالهم من أجله؟! فإن وُصم النبي بكونه قد ترك أمته من غير وصي لا تقل جرأة ووقاحة عن إسناد الهجر إليه ساعة احتضاره، بل هي أعظم وأشد وأكبر.

وتبرير دعوى ترك الأمة من دون وصي اتكالا على الانتخاب أو الشورى كما يزعمون لا تقل فداحة عما سبق. ثم كيف وأتى يتيم الانتخاب في دولة عرف عنها قائدها بتمكن المنافقين وقربهم، واجتماع الكفار والمشركين حولهم من طامع وكاره وحاسد. ومع كثرة ضعف الإيمان في أمته ومع هذا المركب الناري الذي أحاط بدولته، أفلا يكون ترك النبي أمته إلى الانتخاب والشورى هو إلقاءها في أحضان الكفار والمنافقين؟!!

وهل كان النبي حريصاً على آل بيته ونساءه وقضاء ديونه أكثر من حرصه على أمته؟!!

ثم هل من المعقول أن تُترك الشورى في أمة قد شملها الله بدم الكثرة ومدح القلة فقال: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾^(٢)، وفي آيات أخرى كثيرة في القرآن الكريم!!؟

قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣).

وحقيقة الحال أن أبناء العامة يثبتون الوصاية لأبي بكر وعمر في تحديد النص على الخليفة الذي يليهما ويمنعون الشورى والانتخاب فيمن تلاهما مع حق إعمال رأيهما في تحديد الخليفة بلا انتخاب أو شورى!!! ولم يقبلوا ذلك من النبي المصطفى فإنهم يمنعون عن الوصية بالخلافة ويجعلونها بالشورى والانتخاب وكأنهم يميلون إلى إثبات العصمة للشيخين ويصرفونها عن النبي المصطفى فهم أتباع تلك الصرخة التي أطلقها ابن الخطاب في قضية الدواة والقلم.

فقد جاء عن ابن أبي الحديد المعتزلي في الكيفية التي عقده أبو بكر بها الخلافة لعمر فقال: «إِنَّ أبا بكر كان يجود بنفسه فأمر عثمان أن يكتب عهداً، وقال أبو بكر: أكتب بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به عبد الله أبو بكر إلى المسلمين أما بعد، ثم أُغمي عليه فكتب عثمان قد استخلفت عليكم ابنُ الخطاب... وفاق أبو بكر، فقال اقرأ فقرأه فكبر أبو بكر وقال أراك خفت أن يختلف الناس إن مُتُّ في عشتي. قال: نعم. قال جزاك الله خيراً عن الإسلام وأهله. ثم أتمَّ العهد وأمره أن يقرأه على الناس»^(٤).

(١) سورة المؤمنون الآية ٧٠.

(٢) سورة سبأ الآية ١٣.

(٣) سورة الحج الآية ٤٦.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٦٣، أبو بكر بن أبي قحافة للخليلي ص ٤٣، بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٩٧، ج ٣٠ ص ٥١٧، مستدرک سفينة البحار ج ١ ص ٣٩٢، ج ٩ ص ٥٥.

فقد جرت حقيقة هذه المقولة على الانتقاص من النبي المصطفى وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) وسيرهم خلف سنة الشيخين وتركهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله. وهم قد أنزلوا سنة الشيخين منزلة سنة المعصوم عليه السلام، بل وقدموها على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد قال الأول منهما "أقيلوني ما أنا بخيركم"، وقال الثاني في بيعته "فلتة وقى الله المؤمنين شر الفلتات".

قال المولى أمير المؤمنين في خطبته المعروفة بالشقشقية وهو يصف ذلك الحال: (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً وطفقت ارتني بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا حتى إذا مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى عمر من بعده فيا عجباً بينا هو يستقيها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها ثم تمثل بقول الأعشى:

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا

وَيَوْمَ حِيَانِ أَخِي جَابِرِ

فصيرها في حوزة خشناء يخشن مسها ويغلظ كلمها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة إن عنف بها حرن وإن أسلس لها تقحم فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض فصبرت على طول المدة وشدة المحنة حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم فيا لله وللشورى متى اعترض الريب في مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر...^(١).

(١) الاحتجاج ج ١ ص ١٩١-١٩٤ رواها جماعة من أهل النقل من طرق مختلفة عن ابن

وروى الشيخ الكليني في الكافي الشريف عن محمد بن علي بن محمد عن محمد بن علي بن محمد عن محمد بن علي بن عكاية التميمي عن الحسين بن النظر الفهري عن أبي عمر والأوزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد قال: (دخلت إلى أبي جعفر عليه السلام فقال: عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: عن الله نطق الرسول إذ عرفوني أني لست بأخيه لأبيه كما كان هارون أخا موسى لأبيه وأمه ولا كنتُ نبياً فاقتضي نبوة، ولكن كان ذلك منه استخلاف موسى هارون حيث يقول: ﴿أَخْلَقَنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١) إلى أن قال عليه السلام: ولئن تقمصها دوني الأشقيان ونازعاني فيما ليس لهما بحق وركباها ضلالة واعتقداها جهالة فلبئس ما عليه وردا ولبئس ما لأنفسهما مهّدا يتلاعنان في دورهما ويتبرأ كل واحد منهما من صاحبه يقول لقرينه إذ التقيا ﴿يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَنْبَسُ الْقَرْيُنُ﴾ فيجيبه الأشقي على رثوته ﴿يَوَلَّتْ لَيْتِي لَمْ أَخَذْ - أَتَخَذْ - فَلَنَا خَلِيلًا﴾^(٢) لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنس خذولاً^(٣) فأنا الذكر الذي عنه ضلّ والسبيل الذي عنه مال والإيمان الذي به كفر والقرآن الذي إياه هجر والدين الذي به كذب والصراط الذي عنه نكب ولئن رتعا في الحطام المنصرم والغرور المنقطع وكانا منه على شفا حفرة من النار لهما على شرّ ورود في أخيب وفود وأعن مورد يتصارخان باللعة ويتناعلان بالحسرة ما لهما من راحة ولا عن عذابهما من مندوحة إن القوم لم يزالوا عبّاد أصنام وسدنة أوثان يقيمون لها المناسك وينصبون لها العثائر ويتخذون لها القربان ويجعلون لها البحيرة والوصيلة والسائبة والحام ويستقسمون بالأزلام عامهين عن الله عز ذكره حائرين عن

عباس قال كنتُ عند أمير المؤمنين عليه السلام بالرحبة فذكرتُ الخلافة وتقدم من تقدم عليه فتنفس الصعداء وقال إلى آخر الحديث).

(١) سورة الأعراف الآية ١٤٢.

(٢) سورة الفرقان الآيات ٧٨-٧٩.

الرشاد مُهطعين إلى العباد وقد استحوذ عليهم الشيطان... إلى آخر كلامه الشريف الذي أوردناه للتبرك^(١).

فإذا أنّ يترك النبي الخاتم أمته من غير وصية ومن غير إمام ترجع إليه الناس فهذا حديث ناصب معاند أو مجنون لا ينطلي إلا على ناصب أو مجنون.

أما من هو الإمام؟ فهذا ما نتركه إلى بحثنا في النص إن شاء الله تعالى. ولكن قد يقول قائل إن القدر المتيقن إذاً هو أنه ترك إمام بعده - بمعنى الحاكم الذي يسوس الناس بغض النظر عن اسمه - فمن أين قلت أنه يجب أن يكون إماماً معصوماً له ما لرسول الله ﷺ إلا النبوة؟

والجواب عن هذا السؤال يعتمد على أمرين:

الأمر الأول: متعلق بالدور التكويني للمعصوم عليه السلام الذي سنأتي على بيانه في الأبحاث القادمة إن شاء الله تعالى.

الأمر الثاني: الذي أختصر فيه الجواب فأقول: إنّ الدين المتمثل بشريعة سيد المرسلين لا يتم ولا يكتمل ولا يُحكم له بالبقاء إلا على هذا النحو بقيام الخلافة بالإمامة بعد النبوة أي بقيام اللطف العام من عند الجبار جلّ وعلا بعد قيام النبوة التي هي لطفٌ خاص.

بيان

إعلم رحمك الله، أنّ الله سبحانه وتعالى هو عينُ الكمال فخلقه لا يكون إلا كامل، ولكي تبقى شريعة سيد المرسلين كاملة تامة إلى أن يرث الله

الأرض ومن عليها لا بد من وجود متمم ومكمل لهذه المسيرة الخالدة وهذا لا يكون إلا بوجود هذه التركيبة الطاهرة النورانية المبتنية على العصمة وهم مشكاة النبوة فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها عليهم آلاف التحية والسلام.

بذلك يتميز الإمام عن المأموم لأنه لو لم يكن معصوماً لم يؤمن عليه أن يدخل فيما دخل الناس فيه من موبقات الذنوب والشهوات واللذات، ولو دخل فيها للزم وجود من يُقيم عليه الحد، ولزم وجود من عنده أهلية إصلاحه وتقويم خلقه. فمع فرض عدم العصمة صار الحاكم محكوماً والإمام مأموماً ولا يجوز أن يكون الإمام بهذه الصفات، لأنه يفوت على المأمومين وجود القدوة الصالحة والأسوة الحسنة التي يقتدي بها الناس، حيث أن الإمام عليه السلام يمثل تجسيدا للقرآن الكريم، والقرآن الكريم معصوماً وعاصماً لمن عرفه وتمسك به فكيف بمن جعله الله ترجماناً له لا ينفك عنه حتى يردها (القرآن والعترة) على رسول الله صلى الله عليه وآله الحوض وإن دعوى كفانا كتاب الله دعوى كفرٍ وإلحاد لما جاء به النبي المصطفى صلى الله عليه وآله مخبراً فيه عن الله تعالى في انقطاع طمع الطامعين ويأس الكافرين وكمال الدين وتمام النعمة بولايتهم.

وانظر إلى عقيدة أولئك القائلين بهذه الدعاوى تجدها قد ملئت بالأباطيل فلذا اختصوا بمصداق من يحاسبوا في الدنيا حساب المسلمين ويحشرون يوم القيامة مع الكافرين، لإنكارهم إمامة أئمة الهدى وتوليهم لإمامة أئمة الكفر والضلال (لعنهم الله) فجحدوا الحق ونبذوه وأخذوا الباطل ورعوه كأنه ابنٌ ولدوه واستدلوا بقصور العقول عن إدراكهم على إنكار مقاماتهم فكيف بهم بعد أن جَدَّوا واجتهدوا بالتقصير عن معرفتهم!!؟

وليس كل ما يعرف يقال وليس كل ما يقال فقد حان أوانه، وليس كل

ما حان أوانه قد حضر أهله.

جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام سائلاً: (أخبرني لماذا رَفَعَ النبيُّ علياً على كتفه؟ فقال عليه السلام: ليعرف الناس مقامه ورفعته، فقال زدني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: ليعلم الناس أنه أحق بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال: زدني، فقال: ليعلم إنَّه إمام بعده والعلمُ المرفوع. فقال الرجل زدني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عليه السلام: هيهات والله لو أخبرتك بكنه ذلك لقيمت عني وأنت تقول إن جعفر بن محمدٍ كاذبٌ في قوله أو مجنون، وكيف يُطلَعُ على الأسرارِ غير الأبرار).

وقد قال الإمام علي بن الحسين سجاد العترة عليه السلام:

إنِّي لأَكْتُمُ من علمي جواهره

كي لا يَرى العِلْمَ ذو جهلٍ فيفتننا

وقد تقدّم في هذا أبو حسنٍ

إلى الحسين وأوصى قبله الحسن

يا ربّ مكنونَ علمٍ لو أبوحَ به

لقلّ لي أنت ممن يعبدُ الوثنا

ولا ستحلّ رجالٌ صالحون دمي

يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إعلم رحمك الله، إن الله عزَّ وجلَّ صان هذا الدين وحفظه بالعلاقة القائمة

بين القرآن والعترة الطاهرة عليه السلام؛ فتغافل القوم عن حقيقة أن نور القرآن

ونور العترة الأطهار واحد وإنهما لن يفترقا حتى يردا على رسول الله صلى الله عليه وآله

الحوض، فمع ديمومة هذا الإتحاد القائم بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة

(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) يبقى عطاءً شريعة سيد المرسلين

متواصلًا إلى قيام يوم الدين ضامنًا لكل فرد إيصاله إلى الدرجة التي هو

مستعدُّ للوصول إليها. وضامنًا للأمة مادامت تؤمن بهذا الإتحاد المُطهر

وتَعَمَل من أجل الوصول إلى مقام إقامة خلافة الله العظمى على أرضه.

تلك الأمة التي ضَجَّت وَعَجَّت لظهور وليّ الله في الأرضين القائم من آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فيعطي كل مؤملي ما أمّل ويزاد أضعافاً مضاعفة بتمكين ابن سيد المرسلين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ورحم الله الشيخ الرئيس إذ قال: "وجوده لطفٌ من الله وظهوره لطفٌ آخر" فوجوده نورٌ وظهوره نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

وخلاصة القول: لكي تكون شريعة سيد المرسلين باقية إلى قيام يوم الدين لا بد من بقاء القرآن الكريم وعترة رسول رب العالمين معاً، وهذا ما أكدّ عليه النبي المصطفى ﷺ طوال بعثته الشريفة وما أكدّ عليه القرآن الكريم الذي سنأتي على بيان بعض آياته إن شاء الله تعالى في النص واعلم أنه مهما جاء من بيان لإظهار عظمة القرآن الكريم في الدنيا ومنزلته وعظمته في الآخرة فإن عقول الخلق جميعاً قاصرة عن فهم تلك العظمة وحقيقتها التي لا يدركها إلا النبي الخاتم وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لأنهم من سنخ تلك الحقيقة العزيزة.

وإنّ ما جاء في سورة ﴿أقرأ﴾ التي نزل بها الأمين جبرائيل ﷺ على قلب الخاتم إشارة لطيفة لتلك المعرفة الفريدة التي انجلت أشدّ وضوحاً من الشمس في رابعة النهار لولا شبهة أشاعتها العامة ومن حذا حذوهم من بعض علماء الشيعة من غير تحقيق ولا تدقيق، فقالوا: إنّ قول النبي ما أنا بقارئ حينما قال له الأمين جبرائيل ﷺ ﴿أقرأ﴾ أنه كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب وما زاد في تلك الشبهة شيوعاً أنهم اعتبروا ذلك أحد أدلة إعجاز القرآن الكريم. فقالوا: كيف لشخص لا يقرأ ولا يكتب أمي يأتي بهذا الكلام؟! فهل هذا مدح أم قدح؟!!

ولنأتي لنلقي نظرة على مصدر هذا الكلام الذي تبنته العامة ومن اغتر
بأقوالهم ولنقف عليه ثم نذكر مصدره.

إنَّ أول من ابتدع هذا الرأي هو معاوية (لعنة الله عليه) فقد جاء (أن
الواقدي روى أنَّ معاوية لما عادَ من العراق إلى الشام بعد صلح الحسن عليه السلام
 واجتمع الناس إليه خطبَ فقال: أيها الناس إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي إنك
 ستلي الخلافة بعدي فاختر الأرض المقدسة فإنَّ فيها الأبدال وقد اخترتكم
 فالعنوا أبا تراب فلعنوه فلما كان من الغد كتب كتاباً ثم جمعهم فقرأ عليهم
 وفيه، هذا كتاب كتبه أمير المؤمنين معاوية صاحبُ وحي الله الذي بعث
 محمداً نبياً وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فاصطفى له من أهله وزيراً كاتباً
 أميناً فكان الوحي ينزلُ على محمد وأنا أكتبه وهو لا يعلمُ ما أكتب فلم
 يكن بيني وبين الله أحدٌ من خلقه فقال له الحاضرون كلهم صدقت يا أمير
 المؤمنين^(١)! أسنة رسول الله صلى الله عليه وآله اهتديتم أم بسنة الوزغ ابنُ الوزغ (لعنة
 الله) اقتديتم وسُميتم؟!!

إذا اختلفت في الدين سبعون فرقةً

وَنَيْفٌ كَمَا قَدْ صَحَّ عَنْ سَيِّدِ الرِّسْلِ

وَلَمْ يَكُ مِنْهَا نَاجِياً غَيْرَ فِرْقَةٍ

فماذا ترى ياذا البصيرة والعقل

أفي الفرقة الهلاك آل محمد

أم الفرقة الناجين ماذا ترى قل لي

فان قلت هلاك كفرت وإن تَقُلْ

نجاة فحالفهم وخالف ذوي الجهل

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤، ص ٧٢.

لئن كان مولى القوم منهم فإنني
رضيتُ بهم في الدين بالقولِ والفعلِ
فخلّ علياً لي إماماً وولده
وأنت من الباقيين في أوسعِ الحلِّ

فياله من وترٍ ضربته معاوية ورَقَصَ عليه القوم وَغْنَى له إبليس.

والأغرب من كل ذلك أن تعدُّ هذه التُرْهات واحدة من إعجاز القرآن الكريم، وعلى منطقتهم المِعْوج هذا لو كان نزول القرآن الكريم على النبي المصطفى ﷺ وهو في الأيام أو السنين الأولى من عُمره لكان أكثر إعجازاً فلماذا تأخير البعثة الشريفة حتى بَلَغَ الأربعين من عمره الشريف؟!!

ولو كانت أُمِّيَّة النبي ﷺ لها دخلٌ في إعجاز القرآن الكريم لماذا لم تكن في الأنبياء السابقين وبالخصوص أولي العزم منهم؟! أولم يكونوا أصحاب شرائع سماوية وكتب إلهية؟! ثم لماذا لم يذكر الله ولا رسوله ولا آل بيته هذه الصفة على أنها واحدة من أساليب الإعجاز أم أن القوم أدري؟!!

بل إنَّ إعجاز القرآن الكريم ليس له أيُّ علاقة بأُمِّيَّة النبي أو عدمها، فقال جلَّ وعلا: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١)، وهو تحدٍ قائم لجميع خلق الله إلى قيام يوم الدين؛ فكلام الله جلَّ وعلا بلغَ حداً إلى ما شاء الله من الأسرار والفصاحة والبلاغة عجزَ جميع الخلق أن يأتوا ولو بسورةٍ واحدةٍ من مثله حتى لو بلغت تلك السورة من القصر بحدود ثلاث آيات فقط. والجميع يعلم بالتواتر أن العرب سابقاً، وقوى الشرف في هذا الزمان أيضاً

(١) سورة البقرة الآية ٢٣.

على جميع فئاتهم من كفار ومشركين ومنافقين وطامعين وأبالسة ملعونين كلهم يعادون الإسلام أشدّ المعادة ويتهاككون في إبطال أمره وبذلوا ولا زالوا يبذلون الغالي والنفيس من أجل إضعاف هذا الدين، فكيف بهم في إبطال إعجازه؟! هيهات هيهات كيف وأنى لهم ذلك وهو كلام الله جلّ وعلا؟! بل ازدادوا سوءاً وافتضاحاً حينما أضاف الله تعالى على التحدي تقرّبهم بعجزهم وضعفهم الأبدي قبالة، فقال جلّ وعلا: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾^(١)، ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ تفيد النفي التأييدي وهو اخبار بالمستقبل من أن إعجاز القرآن الكريم يبقى إلى قيام يوم الدين وما شك في ذلك إلا كافر. وقوله جلّ وعلا: ﴿مَنْ مِثْلِهِ﴾، ﴿مَنْ﴾ هنا للتبعض أو للتبيين وليست زائدة كما قال الأخفش. ثم قال جلّ وعلا: ﴿وَأَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وهو تحدٍ آخر بأن يجمعوا قواهم والشهداء منهم وهو جمع شهيد وهو الحاضر أو القائم المطلع على خفايا الأمور وصغائرها وبمعنى أدق ادعوا أئمتكم من دون الله فإنكم لن تستطيعوا أن تأتوا ولا بمثل سورة واحدة.

ومع هذا التحدي الصارخ نستطيع أن نقول وبضرسٍ قاطع أن إعجاز القرآن الكريم هو من أسمى مراتب الإعجاز الذي لا يُدانيه أيُّ إعجاز آخر منذ نشوء البشرية وإلى قيام يوم الدين فكل المعاجز السابقة واللاحقة للقرآن الكريم كانت معاجز صادرة بتخلل وسيط بين المعجز وبين الله سبحانه وتعالى وهم الأنبياء والأوصياء بما جعله الله جلّ وعلا لهم من ولاية تكوينية على خلقه، أما القرآن الكريم فهو وإن كان معجز للنبي الخاتم، ولكن النبي لم يكن له فيه إلا التلاوة ولم يكن له مدخلة في إحداث ذلك المعجز الكريم. فلذلك كانت نسبة القرآن الكريم إلى الله وحده ونسبته إلى النبي الخاتم هو نسبة التبليغ والتلاوة والتطبيق فقط، وهذه كلها أمور متعلقة

بالموجود بعد إيجاده لا بنفس الإيجاد والإحداث.

أما بالنسبة إلى المعاجز الفعلية فإنها معجز لما كان في عالم الدنيا وليس بمعجز للملائكة في الجبروت الأعلى وكيف يكون معجز عليهم ولهم من الأعمال ما يفوق الإعجاز المتصور في عالم الدنيا.

أما القرآن الكريم فهو معجزٌ لجميع خلق الله بلا استثناء، وعليه فإن إعجاز القرآن الكريم من الدرجة التي لا يحتاج معها إلى التذرع بمقولة أمية النبي ﷺ، بل إنَّ القول بأمية النبي الخاتم ﷺ هو رقصٌ على وترٍ ضربه معاوية (لعنه الله) ليس إلا.

وقد استفاد القوم من توسعة نطاق شبهتهم في القول بأمية النبي ﷺ باعتمادهم على أمرين:

الأمر الأول: كان في أول البعثة الشريفة حينما كرر النبي ﷺ قوله ما أنا بقارئٍ حينما قال له الأمين جبرائيل عليه السلام ﴿اقرأ﴾ من سورة العلق المباركة وفسرَّ القوم قول النبي الخاتم ﷺ ما أنا بقارئٍ بأنه أمي لا يقرأ ولا يكتب. ولنقف قليلاً على هذا الموضوع ونحدد نوعية النزول، فإما أن يكون هذا النزول مادي حسي أي أن الأمين جبرائيل عليه السلام نزل بكتاب مخطوط أو بلوح محفور ثم قال للنبي إقرأ فقال ما أنا بقارئٍ؟! وإما أن يكون هذا النزول معنوياً نورانياً على قلب الخاتم، فقال: ما أنا بقارئٍ، فإن كان الأول فأين ذلك الكتاب أو اللوح؟! أولاً يستحقُّ التخليد والحفاظ عليه، ويكون رداً لأولئك الذين قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١)!!؟

ثم لماذا لم توجد ولا رواية واحدة من جميع الطوائف تشير ولو مجرد

إشارة إلى هذا النزول المادي والحسي؟! بل ما تواتر عليه الخبر أن النزول معنوي وليس بمادي ومع كونه معنوياً فلا معنى لتفسير قوله ما أنا بقارئ بأنه لا يقرأ ولا يكتب؟! ومع تواتر القول بالنزول المعنوي يكون تفسير قوله ما أنا بقارئ بعدم القراءة والكتابة تكذيباً لما تواتر من حديث. وبما أنه متواتر فنحكم بكذب ما قالوه لأن القول بعدم القراءة والكتابة لا ينسجم إلا مع كون المقروء مادي حسي، ولا يصدق على العنوان المعنوي وطلب التردد الثابت، قال تعالى: ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ أي قرأناه عليك شيئاً فشيئاً.

فَلِنَتَقِ اللَّهَ فِيمَا نَقُولُ أَوْ مَا نَعْتَقِدُ بِهِ قَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ).

أما الأمر الثاني: هو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رُسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(١)، فَهَمَّ الْقَوْمُ مِنْ كَلِمَةِ ﴿الْأُمَمِ﴾ أَنْ الْأُمَّةَ كَانَتْ لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ فَلَمَّا اسْتَتَبَعَهَا تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿رُسُولاً مِنْهُمْ﴾، قَالُوا: إِنَّ النَّبِيَّ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الَّتِي لَا تَقْرَأُ وَلَا تَكْتُبُ وَهُوَ أَيْضاً لَا يقرأ وَلَا يكتب! وَيُردُّ عَلَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهَا مِنْهَا إِنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَلَا مَوْرِداً وَاحِداً يَدُلُّ عَلَى اسْتِعْمَالِ لَفْظَةِ الْأُمِّيِّ فِي الَّذِي لَا يقرأ وَلَا يكتب فَهُوَ مُصْطَلِحٌ مُسْتَحْدِثٌ، وَلَا يُمْكِنُ حَمْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَلَا بَدَّ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى أَهْلِ الذِّكْرِ لِفَهْمِ مَعْنَى ﴿الْأُمَمِ﴾ الْوَارِدَةِ.

روى المجلسي رحمته الله عن عبد الله بن محمد عن الحسن بن موسى الخشاب عن علي بن أسباط وغيره قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: إن الناس يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يكتب ولا يقرأ فقال كذبوا لعنهم الله أنى ذلك

وقد قال الله: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ فيكون أن يعلمهم الكتاب والحكمة وليس يحسن أن يقرأ ويكتب. قال: قلت: فلم سمي النبي أمياً؟ قال: نسبة إلى مكة وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾^(١)، فـ ﴿أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة فقيل أمي لذلك^(٢).

سبحان الله ما أعجب هؤلاء القوم الذي يرون الشمس في رابعة النهار ويقولون انه ليل؟!!! فالآية تثبت انه يقرأ ويكتب لقوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ وهم يقولون إنه قال أمي؟.

جاء عن سجاد العترة عليه السلام في مناجاة المريدين قال عليه السلام: (سبحانك ما أضيقت الطرق على من لم تكن دليله وما أوضحت الحق عند من هديته سبيله) فدعوى القوم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم لا يقرأ ولا يكتب دعوى كذب وافتراء على النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وأجمل لك أدلة كذب هذه الفرية بالنقاط التالية:

أولاً: مصدرُ تلك الفرية هو معاوية (لعنه الله).

ثانياً: أن مصطلح الأمي الذي يطلق على الذي لا يقرأ ولا يكتب هو مصطلح مستحدث ولم يستعمله القرآن الكريم.

ثالثاً: القرآن الكريم يُكذب هذه الدعوى ويثبت عكسها بإسناد التعليم والبيان إليه وأنه غني عن الناس والناس جميعاً فقراء إليه.

رابعاً: عدم القراءة والكتابة نقصٌ والنبي منزّه عن النقص.

(١) سورة الأنعام الآية ٩٢.

(٢) البحار ج ٦٦، ص ١٦٦، ح ٤.

خامساً: عدم القراءة والكتابة جهلاً والنبى منزّه عن الجهل.

سادساً: لو كان النبى لا يقرأ ولا يكتب لتنافى ذلك مع القاعدة التي تسالم عليها المسلمون من انه أعلم الموجودين، لأن الذي يقرأ ويكتب يكون بالتأكيد أعلم من الذي لا يقرأ ولا يكتب، ومع وجود الأعمم وجب عقلاً ونقلًا الرد إليه وإن لم يفعل كان يأمر عمّا ينهى عنه وينهى عمّا أمر به، فهو يأمر الناس بالرجوع إلى الأعمم للتعلم منه وهو ليس فقط لم يعمل بما أمر به بل فعل ما نهى عنه وهو أمرهم بالرجوع إليه، وهو أمرٌ بالمتناقضين، فهو يأمر من حيث ينهى وينهى من حيث يأمر. هذا مضافاً لمخالفته لما تواتر عنهم لا تعلموهم فهم أعلم منكم.

سابعاً: الروايات الشريفة تؤكد خلاف ذلك، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

(إن النبى كان يقرأ ويكتب ويقرأ ما لم يكتب)^(١).

وقوله: (آتوني بدواةٍ وقلم أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً). وقوله (أكتب) دليلاً كافياً على المباشرة وإلا قال أملي عليكم كتاباً، وهلع الأول والثاني من هذا الكتاب وقول الثاني إنه ليهجر يرجح أن يكون ذلك الكتاب لو كتب لكان بخط النبى المصطفى عليه السلام وإلا كان محلاً للطعن.

وختام الكلام في هذا المورد يكون ببيان تكرار (ما أنا بقارئ) للنبى الخاتم في تكرار جواب طلب الأمين جبرائيل عليه السلام ﴿أقرأ﴾ ثلاث مرات. فأما المراد من (ما أنا بقارئ) الواقعة في جواب ﴿أقرأ﴾ الأولى فهو جواب مقام حبيب الله المصطفى محمد وهو في مقام الفناء التام في الله تعالى والعبودية المطلقة الكلية له جلّ وعلا فجاءت ﴿أقرأ﴾ الأولى طلب للصحو بعد الفناء المطلق وهو من أشد الأوامر صعوبة على مقام الفانى فناءً مطلقاً وكلياً في

الله ﷻ فلذا قال (ما أنا بقارئ) تنزيهاً للباري ﷻ من أن يخرج عبده الفاني عن ذلك المقام، وحينما تكرر الطلب من الأمين جبرائيل ﷺ بـ ﴿أقرأ﴾ جاء الجواب (ما أنا بقارئ) فكانت الثانية تنزيهاً وأدباً منه ﷺ من قراءة كلام الله المجيد وما يترتب على تلك القراءة من أثر في الاصطفاء والاختيار وهو يرى نفسه في مقام التقصير التام عن عبودية الله الواحد القهار، حينها قال الأمين جبرائيل ﷺ: ﴿أقرأ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ والباء للاستعانة أي اقرأ مستعيناً باسم ربك فجاءت اقرأ الثالثة تلاوة للسورة المباركة والله العالم.

وقفه مع النفس

هل يمكن لنا بلوغ مرتبة العصمة؟

إعلم هداك الله بهديه أن للعصمة مراتب متعددة وكل مراتبها تدور حول مرتكز واحد وهو المختص بعصمة العترة الطاهرة ﷺ، ونحن أمرنا بالتوجه نحو هذا المرتكز الطاهر بالتوكل، والمعرفة الصادقة، والجد والمثابرة.

وقد جاءت الأدعية والمناجاة الشريفة لتقوم بتثبيت ذاك المعنى المبارك الذي لا تتحقق النجاة إلا به، فجاء على سبيل المثال استحباب قراءة الدعاء التالي بعد كل فريضة: (اللهم إني أسألك من النعمة تمامها ومن العصمة دوامها ومن الرحمة شمولها ومن العافية حصولها)^(١).

وجاء أيضاً في تعقيب صلاة الظهر استحباب تكرار قوله (بالله اعتصمت وباللله أثق وعلى الله أتوكل) عشر مرات^(٢)، وغاية هذا التكرار هو لبناء مادة

(١) البحار ج ٨٣ ص ٥٢.

(٢) تعقيب صلاة الظهر من كتاب مفاتيح الجنان الشريف.

الاعتصام في نفس المؤمن وقطع مادة الفساد ودفع الرجس عنه ، إضافة إلى وجود بعض الأعمال التي لو قام بها الإنسان في حياته لأدت به إلى سبيل الاعتصام حتى وإن لم يكن متوجهاً إلى الاعتصام بعينه. لأن بعض تلك الأعمال توجد دواعي مادة الاعتصام وتسُدُّ مادة الفساد كزواج الشاب والشابة فإن الزواج يعصمهما عن الزنا غالباً وقد يصلان لمستوى يمنعهما عن الهَمِّ بالزنا، وبهذا الجانب يتحقق الاعتصام وينهدم ركنٌ من أركان المعصية.

قال رسول الله ﷺ: (مادةُ الذنب أربعة: الحرص والحسد والغضب والشهوة) وبالزواج ينهدم ركنٌ من أركان مادة الفساد. قال رسول الله ﷺ: (ما من شاب تزوج في حداثة سنه إلا عَجَّ شيطانه يا ويلاه عَصِمَ مني ثلثي دينه. فليتق الله العبدُ في الثلث الباقي). وبهدم أركان مادة الفساد رُكنا بعد ركن يستطيع المكلف أن يتدرج في تحصيل العصمة الكسبية، وكلما استطاع المكلف أن يهدم ركناً من أركان مادة الفساد فإنه يشيّد محلها حصناً من حصون الاعتصام.

أما ما هي مادة الهدم وما هي مادة البناء؟ فهذا يخرجنا عن بحثنا.

والمهم أنّ المكلف كلما استطاع تحصيل مادة بناء حصن قلبه بالاعتصام كلما ابتعد عن الذنوب وفر منها وكأنه يفر من النار فيصل إلى مقام يرى فيها الذنوب كأنها نار محرقة وقد يصل إلى مقام يرى فيها الذنوب ناراً محرقة، فيكون فراره من الذنوب والمعاصي كفرارنا من النار والشم والأفاعي والعقارب والحشرات الضارة، بل بكل ما يضر بأبداننا، وتحقق الفرار عنده من الذنوب وعدم تحققه عندنا لأنه وصل إلى مقام المعرفة وتجاوز حجاب العلم. وأما نحن فالكثير منا لم يلج حجاب العلم حتى يتجاوز حجاب طاب له المكوث فيه وغرته سكرته، وأصابته غفلته فصار حجابُه أغلظ حجاب لأنه عقد نيته بدءاً على اعتباره غاية فسولت له نفسه تناسي عبودية

ربه فظن أنه يبني حصن قلبه إلا أنه هذه بزيادة كثافة رجسه ضالٌ مضل.

روى الفضيل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (سمعت أبا عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إنَّ قائمنا إذا قام استقبل من جهال الناس أشدَّ مما استقبله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من جهال الجاهلية، قلتُ: وكيف ذلك؟ قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتى الناس وهم يعبدون الحجارة والصخور والعيدان والخشب المنحوتة، وإن قائمنا إذا قام أتى الناس وكلهم يتأول عليه كتاب الله، يحتج عليه به، ثم قال: أما والله ليدخلن عليهم عدله جوف بيتهم كما يدخل الحر والقر) (١).

ولو نظرنا إلى الذنوب كما نظر إليها أصحاب اليقين ما قارفنا ذنباً، بل إننا لا نفكر بارتكاب ذنب لأن أهل اليقين ينظرون إلى الذنوب بعين قد كُشف عنها الغطاء فيرونها ناراً ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ (٢) قال تعالى: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾ (٣) ولذا فإن أصحاب اليقين لا يُدنسون أنفسهم بارتكاب الذنوب والمعاصي فأثبتوا الحق في سرائرهم فإلى المكرمات مسابقين وإلى الخيرات مسارعين وللباقيات الصالحات عاملين ولرفيع الدرجات ساعين (اللهم ألهمنا طاعتك وجنبنا معصيتك ويسر لنا بلوغ ما نتمنى من ابتغاء رضوانك وأحللنا بحبوحه جناتك وأقشع عن بصائرنا سحاب الارتياب واكشف عن قلوبنا أغشية المرية والحجاب وأزهق الباطل عن ضمائرنا وأثبت الحق في سرائرنا برحمتك يا أرحم الراحمين) (٤).

هذا مقام العارفين أصحاب الكشف الذي يلازم أطوار حياتهم بإخلاصهم وخلوصهم لله رب العالمين فهؤلاء الأطهار يرون الجزاء ملازماً للعمل

(١) عن غيبة الشيخ النعماني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ص ٢٩٧ ح ١.

(٢) سورة الهمزة الآية ٧.

(٣) سورة التكاثر الآيات ٥-٦.

(٤) مقطع من المناجاة السابعة الموسومة بمناجاة المطيعين لله عن مفاتيح الجنان الشريف.

غير منفك عنه لأن رؤياهم رؤيا عارف لا رؤيا عالم رؤيا من تعلق قلبه بمعدن العظمة (فهم إلى أوكار الأفكار يأوون وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون وشرايع المصافاة يردون قد كشف الغطاء عن أبصارهم وانجلت ظلمة الرّيب عن عقائدهم وضمائرهم...) (١).

ينقل أحد أفراد أسرة آية الله السيد روح الله الموسوي الخميني عليه السلام في مقابلة أجرتها إحدى وسائل الإعلام الإيرانية، أنه ذات يوم زارت إحدى النساء كريمة السيد وكان السيد جالساً في حجرته منشغلاً، وجلست تلك المرأة مع كريمة السيد في حجرة الضيوف، وفي أثناء كلام الزائرة تعرضت إلى ذكر إحدى جاراتها بالغيبة، وإذا بالسيد يترك حجرته مسرعاً نحو حجرة الضيوف وهو يقول أتريدين تحويل منزلي إلى قطعة من جهنم؟ فنهاها عن الغيبة ثم عاد إلى غرفته وهو مغتاض ففتح جميع النوافذ والأبواب، فسألوه عن السبب فقال لقد فسّد هواء المنزل.

فهذا كشف أصحاب اليقين الذي يختلف باختلاف مراتب أهل اليقين.

وأما الكشف المطلق الذي عند المعصومين بالعصمة المطلقة الكلية فذاك أتم التمام وأكمل الكمال الذي لا تُدانيه درجة. ذاك الذي أشار إليه المولى أمير المؤمنين عليه السلام في قوله (لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، فهو عليه السلام لا يعني أنه كان عنده غطاء فأنكشف وازداد يقيناً، بل معناه لا غطاء موجود حتى ينكشف فازداد يقيناً، فاليقين له لازم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (عليّ مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار). وجاء في تعقيب صلاة الفجر

(١) مقطع من المناجاة الثانية عشر مناجاة العارفين عن مفاتيح الجنان الشريف.

(إنَّ الحقَّ لهم ومعهم وفيهم وبهم أوالي من والوا وأجانب من جانبوا)؛
فهم الحقُّ وحقُّ الحقِّ وعين الحقِّ.

تم الكلام في الأمر الأول بحمد الله تعالى.

أما الشق الثاني من المسألة الثانية: هل العصمة ممكنة عقلاً؟

وإذا كانت ممكنة فما هو سبب اشتراط العصمة في الأئمة الأطهار؟

الأمر الأول: هل العصمة ممكنة عقلاً؟

الجواب أما عصمة الأنبياء والرُّسل وأوصيائهم وآل البيت عليهم السلام فهي ليست ممكنة فحسب بل واجبة عقلاً ولولا وجوب عصمتهم لانتقض الغرض من بعثهم واصطفائهم واختيارهم، وهذا ما أكدَّ عليه القرآن الكريم والروايات الشريفة وهو ما سنأتي على بيانه إن شاء الله تعالى فوجوب العصمة لهم وإمكانه لغيرهم مع ملاحظة اختلاف نسخية العصمة لاختلاف الوجوب مع الإمكان واختلاف الدفع مع التدريج فليس لباقي الناس مهما بلغوا من الكمال أن يصلوا لتلك المراتب المتعلقة بهم بل ولا حتى مرتبة أخص الخواص كمقام عقيلة بني هاشم وأبي الفضل العباس عليهما السلام.

أما العصمة الكسبية أو التدرجية فنعم ممكنة لا الدفعية.

والكسبية لها درجات ومراتب ومراقي بعدد أنفاس العارفين وهم السالكين إلى الله وَجَلَّ من أصحاب اليقين الذين هم أندر من الكبريت الأحمر، ومثلهم في ابن آدم كمثل الكحل في العين والملح في الطعام، وهم الذين اعتصموا بحبل الله وأطاعوا أمره جلَّ وعلا، قال تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا

وَلَا تَفَرَّقُوا^(١)، وحبل الله هو القرآن والعتره.

عن ابن يزيد قال: (سألت أبا الحسن عليه السلام عن قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾، قال: علي بن أبي طالب حبل الله المتين)^(٢).

وجاء عن جابر رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (آل محمد هم حبل الله الذي أمر بالاعتصام به فقال: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾)^(٣).

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي رضي الله عنه قوله: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، قال: التوحيد والولاية)^(٤).

ولا يمكن للإنسان أن يعتصم إلا بمن كان معصوماً وعدلاً للقرآن الكريم، ومحال إن يتحقق الاعتصام بغير المعصوم عليه السلام، وقد أجمع المسلمون على عدم عصمة أبي بكر وعمر ولكن البغض للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وبما أشربت قلوبهم من حب العجل والسامري وضعوا حديثاً يناقض الإجماع والدليل الروائي والتاريخي التام، فجاء في حديث أبي الدرداء رواه ابن حجر المكي عن الطبراني حيث قال: "الحديث الثاني والسبعون: أخرج الطبراني عن أبي الدرداء: اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر، فإنهما حبل الله الممدود، من تمسك بهما فقد تمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها)^(٥). وهو أيضاً مخالف لما تواتر من روايات شيعية وسنية متعلقة بحديث الغدير الشريف الذي سنده كسند القرآن الكريم ولكن

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣.

(٢) تفسير نور الثقلين للحويزي ج ١ ص ٣٧٧.

(٣) تفسير نور الثقلين للحويزي ج ١ ص ٣٧٧.

(٤) تفسير نور الثقلين للحويزي ج ١ ص ٣٧٧.

(٥) الصواعق المحرقة ص ٤٦.

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

ومع ثبوت الأمر بالاعتصام يثبت وجود المعصوم الواجب عصمته أولاً وديمومته ثانياً وإمكان الاعتصام به ثالثاً وإلا كان الأمر لغواً تعالى الله ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

أما الأمر الثاني: فهو متعلق بتحديد نوع عصمة آل البيت عليهم السلام، هل إنها عصمةٌ دفعية أم عصمةٌ تدريجية؟

ولو كانت عصمتهم دفعية ومن الولادة فهل يعني ذلك أن عصمتهم جبرية أم اختيارية؟ وكيف الجمع بين العصمة الدفعية مع الاختيار؟

إعلم هداك الله إن مما لا يشوبه الشك أن عصمة آل البيت عليهم السلام دفعية ومنذ الولادة، ولو لم تكن كذلك لم يتميز الإمام عن المأموم، فلو كان في فترة من فترات حياته مذنباً لكان ظالماً، وقد نفى الله تعالى أن ينال عهد الإمامة ظالم فقال جلّ وعلا: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢)، ونفي الظلم عن الإمام عليه السلام لأن جنس الإمامة هو الطهارة وجنس الظلم هو الرجاسة، والطهارة ضد الرجاسة فهما لا يجتمعان، ولو كان الإمام ظالماً - من باب فرض المحال ليس بمحال - لوجب أن يوجد من يقيم الحدّ عليه، وإلى من يقوم سلوكه فيستوي الإمام بالمأموم ويبقى المأموم بلا هادياً مجسماً للقرآن الكريم، وهل القرآن الكريم لوحده كافياً في تحقيق هداية الناس؟!

لو كان القرآن الكريم لوحده كافياً في تحقيق هداية الناس لكان أصحاب مقولة كفانا كتاب الله، اهتدوا به، ونحن نراهم قد ضلوا وأضلوا وقتل بعضهم

(١) سورة الحج الآية ٤٦.

(٢) سورة البقرة الآية ١٢٤.

بعضاً وكفر بعضهم بعضاً لأنهم فسروا القرآن بأرائهم الفاسدة وعقولهم القاصرة، فاعتقد بعضهم بالجبر وآخرين بالتفويض وثالثة بالتجسيم وإلى ما شاء الله من العقائد الفاسدة حتى كذب بعضهم بعضاً وتفل بعضهم في وجوه بعض وسمى بعضهم بعضاً كافرين وانقسم أبناء الجماعة بعضهم يقول للبعض الآخر بأنهم قدرية هذه الأمة محاولة من كل قسم منهما أن لا يكون مصداقاً للحديث النبوي الشريف: (قدرية هذه الأمة مجوسها)، والحق كلاهما قدرية هذه الأمة لأن إحداهما تثبته والأخرى تنفيه ثم صدرت عنهم فئات الغي والتكفير واستبيحت دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم وكل طائفة تُترجم كلام الله المجيد بما يتوافق مع مذاهبهم الفاسدة ومع كل ما وقعوا فيه، لا زالوا يصرخون بصرخة الكفر كفانا كتاب الله التي استحقوا بها الطرد من محضر الرسالة.

ولو كان كتاب الله كافياً لما بعث الله معه رسولاً، وإن قلتُم سنة رسول الله ﷺ معه لقلنا أنّ السنة ومشاكلها أعظم ألف مرة من الحمل على ظواهر القرآن الكريم، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: (لا تحتاج بالقرآن فإنه حمالة ذو وجوه) لأن فيه المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد ومنه ما نزل على الإشارة ومنه ما نزل على العبارة، وإن للقرآن ظاهر وللظاهر باطن وللباطن باطن بل وإلى سبعين بطن، فأبطل القوم المحكم لأنهم لم يعرفوه أو عرفوه ولكنهم لم يعوه أو وعوه ولكنهم لم يرعوه، وأقحموا أنفسهم في ظلمة مسالك المتشابه من غير سراج منير، ثم قبضوا على ناعم الملمس كبير فضنوا به جوهراً ثمين وإذا به ثعبان عظيم يسوقهم إلى وادٍ للملاعين اسمه ويل في وسط جهنم يُلقونه يوم الدين محاسبين على جحودهم لولاية أمير المؤمنين وآله الطيبين الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليه أجمعين).

ثم ألا يرون أنفسهم بأنهم إذا أرادوا فهم أي كتاب من كتب المخلوقين في النحو أو الصرف أو البلاغة بل حتى في السحر وضرب الرمل والنجوم وغيرها يصرحون بأن فهمها محتاج إلى معلم، بل تجد في بعضها عبارات طويلة وعريضة تنهى عن قراءتها من غير معلم، وحينما يأتون إلى كلام الله تفسره كل طائفة بما تشتهي وتحب. قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(١).

فالقرآن الكريم كتاب سماوي فريد من نوعه لا تُدانيه جميع الكتب السماوية السابقة ولا حتى عُشر المعشار، وإن كان مصدرها واحد، وذلك ناتج عن اختلاف الدرجة الوجودية للنبي الخاتم التي لا تعادلها درجة وجودية أخرى لجميع الأنبياء السابقين. فإن كل معجزة تصدر عن نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل إنما هي تتناسب مع تلك الدرجة الوجودية لكل نبي أو رسول، وبما أن نبينا الأكرم له مقام لا يدركه ملكٌ مُقرب ولا نبي مرسل وهو مقام نور النور ومقام التمام والكمال وهو مقام قاب قوسين أو أدنى ذلك المقام الذي لا يكون الدين معه إلا تاماً كاملاً، ولا تكون شريعته إلا تامة كاملة، ولا يكون كتابه وإعجازه إلا تاماً كاملاً يفوق كل إعجاز. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٢)، فالقرآن الكريم مهيمن على جميع الكتب السماوية، وجاء في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام عند ختم القرآن الكريم: (اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب أنزلته... الخ)، ومهيمناً لأن فيه علم كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣).

(١) سورة يونس الآية ٣٩.

(٢) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

وفي القرآن الكريم من المعاني ما لا يحتملها ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان ولكن يحتمله النبي الخاتم وآله فقط، وفيه من المعاني ما لا يحتملها لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل ولكن يحتمله من شاءوا هم عليهم السلام ممن امتحن الله قلبه بالإيمان، وفيه من المعاني ما لا يحتملها إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه بالإيمان، وفيه من المعاني ما دون ذلك يكفل لكل مؤمل ما أومل وكل على حسبه ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(١).

فلعظمة كتاب الله المجيد لا بد من أن يلازمه من هو قادر على إخراج كل تلك المعاني ويبين ما فيه لأهلها، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

روي أنه قد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأنشده هذه الأبيات:

يا رسول الله إنك صادق
فبوركت مهدياً وبوركت هادياً
شرعت لنا دين الحنيف بعدما
عبد كمثل الحمير الطواغيا
فيا خير مدعو وخير مرسل
إلى انسها والجن لبيك داعياً

فرسول الله صلى الله عليه وآله وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من بعده كانوا تجسيدا حياً ودائماً للقرآن الكريم معصوماً طاهراً مطهراً انطوت فيه كل عوالم الملك والملكوت، ورحم الله الحافظ رجب البرسي إذ أجاد

(١) سورة الإسراء الآية ٨٤.

(٢) سورة الجمعة الآية ٢.

بأحسن بيان في قوله:

أضَاءَ بِكَ الْأَفْقُ الْمَشْرِقُ

ودان لَمَنْطِقِكَ الْمَنْطِقُ

كُنْتَ وَلَا آدَمُ كَائِنًا

لأنك من كونه أسبق

ولولاك لم تُخْلَقِ الْكَائِنَاتُ

ولا بان غرب ولا مشرق

فميك مفتاح كل الوجود

وميمك بالمنتهى يُغْلَقُ

تجليت يا خاتم المرسلين

بشأو من الفضل لا يلحق

فأنت لنا أول وآخر

وياطن ظاهرك الأسبق

إن هذا الدين لا دوام له إلا بآل البيت عليهم السلام، وهم شهود على الخلق أجمعين ومطلعين على خفايا الأمور وسرائر القلوب، فيهبون منه ما شاءوا ويمنعونه عمن شاءوا وعطائهم يتناسب مع ما عليه الخلق من اختلاف في قابلياتهم، فلا يحملوا على صاحب السهم الواحد سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة، ولا على صاحب الثلاثة أربعة فهم أدرى، وعطائهم مقترن بعطاء القرآن الكريم فهو عطاء معصوم دائم، لا انقطاع له لأنهم مستودع علم الله ومعدن الوحي والتنزيل المحفوظ بذاك التسلسل العظيم والنسل الكريم آل طه ويس هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وبهذا التركيب المقدس صار دين الخاتم محمد صلى الله عليه وآله خاتماً لجميع الشرائع السماوية السابقة وتاماً كاملاً حافظاً لهذا التمام والكمال إلى

أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمن أراد النجاة فعليه التمسك بآل البيت عدلُ القرآن الكريم، وبهم تفتح أبواب فهم كتاب الله المجيد، فمن أراد الفهم فعليه الدخول من ذاك الباب الرباني بعد أداء الاستئذان، ومن تكبر عن دخول الباب، فستجده كشكولاً جامعاً لمباني الفساد متمسكاً بالظهورات البدوية التي وافقت الآراء الفاسدة والميول الباطلة ومن أولئك الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم بهجرهم لوصية النبي المصطفى التي أوحى الله بها إليه وأمره بها لأن كمال الدين وتمام النعمة وانقطاع طمع الطامعين ويأس الكافرين لا يكون إلا بالقرآن والعترة مجتمعين.

فالقرآن الكريم هو الكتاب الصامت والعترة هم الكتاب الناطق ولا يمكن لأحد أن يفهم مراد الصامت إلا بالناطق، وإن حاول البعض وضع معنى للكتاب الصامت من غير الرجوع إلى الكتاب الناطق، فإنه غالباً ما يخطئ المعنى وإن أصابه أحياناً فإصابته تكون وبالأعلى عليه، قال تعالى: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١) التي أحد معانيها أنه لا يمس معنى القرآن الكريم ويفهمه إلا المطهر، وقد بين الله تعالى بقوله: ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ ولم يقل جلّ وعلا الطاهرون أو الطاهر فقط. لأن ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ فيها زيادة في المعاني على الطاهرون أو الطاهر، والقاعدة تقول زيادة المباني تدل على زيادة المعاني، فكلمة ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ يُقصد بها أولئك الذين عناهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(٢) فالألف واللام عهدية ذكرية ونسبة التطهير في ﴿الْمُطَهَّرُونَ﴾ راجعة إلى الإرادة التكوينية الإلهية في طهارة آل البيت المستفادة من هذه الآية الكريمة وآيات أخرى، إضافة إلى الروايات الكثيرة الحاملة لهذا المعنى الشريف.

(١) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

ولذا فإننا نجد روايات كثيرة تمنع تفسير القرآن الكريم من دون الرجوع إلى آل البيت عليهم السلام أو إلى القواعد التي أسسوها لفهم القرآن الكريم، قال عليه السلام: (من فسّر آية من القرآن برأيه فقد سقط أبعد ما بين السماء والأرض). ولو عملت هذه الأمة بما أمرهم به الله ورسوله وساروا خلف آل البيت عليهم السلام لألفت هذه الأمة أمة واحدة تحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها ولما صارت أشلاءً وحكامها كفاراً، المؤمن فيها مهاناً والفاسق مصاناً، ولكنهم تركوا آل بيت النبي صلى الله عليه وآله فتركوا بذلك القرآن الكريم وضيعوا سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله.

بعد أن ثبت ضرورة وجود المعصومين الذين عصمتهم منذ نشوئهم وهي عصمة دفعية لا تدريجية، وتكوينية لا تشريعية، واختيارية لا جبرية، نريد هنا أن نجمل الاستدلال على كون عصمة آل البيت عليهم السلام عصمة اختيارية لا جبرية بدلالة أمرين ولا أزيد:

الأمر الأول: أنها لو كانت جبرية لانتقض الغرض من وجودهم كمعصومين وانتفت حجيتهم على الخلق أجمعين، فلا يكون لله الحجة البالغة على خلقه، بل لخلقه أن يحتجوا قائلين: لو عصمتنا ما عصيناك، ولو لم تعصمهم لعصوك، فهل يكون لله الحجة البالغة على خلقه مع مقولة الجبر؟! ليس فقط لا تكون له الحجة البالغة بل تنقلب موازين الاحتجاج وهو خلاف قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(١).

وأما الأمر الثاني: فلنسأل هل الجبر الإلهي الذي هو بمعنى سلب الاختيار عن العاقل، فلا يكون له إلا الفعل ولا وجود لاختيار الترك معه، أو لا يكون له إلا الترك مع عدم وجود خيار الفعل معه، ممكن عقلاً أم لا؟

مع علمنا بأن كل شيء خاضع لقدرته جلّ وعلا، ولكن جوابه متعلق بالوقوع فنقول: ليس فقط إنه لا يمكن وقوعه بل استحالة وقوعه وذلك لجملة من الأسباب:

السبب الأول: أن أصل الخلقة في ابن آدم لا تقبل الجبر، فإن الله تعالى خلق جميع البشر من عقل وشهوة ولم يستثن منهم أحد. ولا يخفى عليكم أن هذا التركيب يقتضي التنازع، وقول الفصل يكون للاختيار؛ وبقول آخر أن كل واحدة من هاتين القوتين اللتين تتركب منهما ابن آدم تطلبان كمالهما، فقوة الشهوة طالبة لكمالها وتحقيق مبتغاها بأي وسيلة كانت، والمهم عندها هو شبع نهمها فهي إذاً لا تفرق في تحقيق ما يشبعها بطريق حلال أم حرام. والقوة العاقلة طالبة بدورها لكمالها فهي لا تشبع من طلب الأمور العقلية، وهذه القوة ترى الشهوة صارفة لها عن كمالها، كما أن القوة الشهوية تزاحمها القوة العاقلة وتصرفها عن كمالها، فمع هذا الاختلاف والتزاحم بين هذين الشريكين في المملكة الواحدة لا بد من وقوع نزاع بينهما ومع تحقق التزاحم والخلاف أو النزاع لا بد من غلبة أحد الأطراف على الآخر، والحكم يكون للطرف الغالب.

فإما أن يكون العقل هو الغالب والحكم على مملكة الإنسان يكون له، حينها يكون الإنسان أفضل من الملائكة، أما لماذا أفضل؟ فلعدم وجود هذا النوع من التزاحم والنزاع فيها، فهي مركبة من العقل فقط. وقد تكون الشهوة هي الحاكمة على مملكة البدن (والعياذ بالله تعالى) فيفعل المحكوم ما أرادته الشهوة منه وتكون البهيمة أفضل منه، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(١). أما لماذا ﴿أَضَلُّ سَبِيلًا﴾، والأنعام أفضل منه؟ فلأن البهيمة خلقها الله تعالى من الشهوة فقط، فهي منصاعة لغريزتها

فقط ولا عقل لها، أما الإنسان الذي تغلب شهوته على عقله فيكون أضل من البهيمة، لأنه دسَّ عقله بالتراب فجعل مملكة نفسه محكومة للبهيمية ومن حكمته البهيمية تكون البهيمة أفضل منه.

خلاصة القول: إن فعل الله عَزَّ وَجَلَّ لا يوصف بعبث، فزيادة الشهوة على العقل في البشر يلازمها التزاحم، والتزاحم يوجب الاختيار، وإلا كان وجود هذا التركيب عبثاً تعالى ربنا عن ذلك علواً كبيراً.

السبب الثاني: إن هذه التركيبية في خلقة البشر من وجود القوة العاقلة والقوة الشهوية المودعة فيه عدّدت سبل الاختيار عنده، فالاختيار واقع في كل جانب من جوانب هذا التركيب اللطيف، فوجود القوة الشهوية في الإنسان تفتح عليه سبل الاختيار الواقعة بين الحلال والحرام، وقوة العقل تفتح عليه سبيل الاختيار بين الحسن والأحسن أو الجميل والأجمل، أو الفاضل والأفضل، أو الطاهر والأطهر، أو الكامل والأكمل، فمع كون القوة العاقلة لا يوجد فيها تزاحم بين الحلال والحرام إلا أن التزاحم يقع بين اختيار الكامل والأكمل.

ومنه يتسنى لكم فهم كيفية القول بأن الملائكة مختارين مع أنهم مركبين من العقل فقط. وليست مضطرة إلى أعمالها كما صورها الكثير من الأعلام. نعم لنشأة الملائكة قانون خاص سنتعرض له إن شاء الله تعالى في مكانها المناسب.

فوجود القوة العاقلة لا تقبل الجبر أيضاً بسبب اختلاف درجات القرب الإلهي التي تنتج اختلافاً في الدرجات التكاملية، وعلى هذا فالاختيار موجود حتى عند الملائكة واختيارهم هو الذي سبب تفاوتهم في درجاتهم وأعمالهم، ولكن دائرة الاختيار في الملائكة أضيق من دائرة الاختيار في

بني البشر، فالاختيار في الملائكة يكون على مستوى واحد وهو المتعلق بدرجات التكامل فقط، أما الاختيار في بني البشر فإنه على مستويين مستوى بين الجنة والنار، أو بين الفضيلة والرذيلة، ومستوى آخر يكون بين الحسن والأحسن، فإذا تجاوز الإنسان المستوى الأول بنجاح واختار المستوى الأحسن، يكون أفضل من الملائكة، وأحسن الطاعات وأكملها وأقربها وأحبها إلى الله تعالى هو أن يعبد الله بعبادة الأحرار لا بعبادة العبيد ولا بعبادة التجار وهي عبادة آل البيت عليهم السلام التي لا ترقى إليها عبادة مخلوق قط. قال أمير المؤمنين عليه السلام: (إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك). وكل عامل يوفيه الله أجره وكل بحسبه قال تعالى: ﴿كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾^(١)، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٢)، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٣)، وقال: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾^(٤).

وخلاصة القول: أن كل بني البشر مركب من عقل وشهوة، وأن كل مركب من عقل وشهوة فهو مختار. إذاً كل بني البشر مختار.

السبب الثالث: إن صفات الله جلّ وعلا لا تقبل الجبر.

السبب الرابع: كتاب الله جلّ وعلا لا يقبل الجبر بأي حال من الأحوال بل القول بالجبر ناقضاً لتمام الأحكام والإرشادات والوعد والوعيد والدم والمديح.

السبب الخامس: الإيمان بالجبر والعياذ بالله تعالى ينفي الغرض من وجود المعاد لانتفاء الثواب والعقاب فمن أجبر على الطاعة لا يستحق ثواباً

(١) سورة الإسراء الآية ٨٤.

(٢) سورة الزلزلة الآيات ٧ و٨.

(٣) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

ومن أُجبر على المعصية لا يستحق العقاب.

السبب السادس: الواقع الذي نحن عليه يُكذّب عقيدة الجبر.

السبب السابع: من الأهداف الرئيسية لبعث الأنبياء والرُّسل وجميع المعصومين هو إقامة العدل والقسط بين الناس، وقد أمر الله خلقه بذلك. فكيف يناقض قوله بنفسه جل الله ربُّنا؟!!! أيأمر بالعدل وهو ظالم؟!!!
فالقول بالجبر يعني أنه جبر خلقه على فعل المعاصي ثم يُعذبهم عليها - والجبر عقيدة الأشاعرة وهم أبناء العامة من المذاهب الأربعة - فهل هذا توحيد؟!!!

وإذا كان ظالماً فكيف يأمر بإقامة العدل؟!!! بل كيف يُقيم الموازين بالقسط يوم القيامة؟!!! وفاقد الشيء لا يُعطيه، ثم ألا يُعد الجبر نقضاً لبعث المعصومين؟!!!

وإن لمبحث الجبر والاختيار والتفويض تنمة إن شاء الله تعالى في مبحث العدل الإلهي حيث نتناول بالتفصيل الأقوال فيها ونتعرض هناك إلى الأدلة التي اعتمد عليها القوم في القول بالجبر أو بالتفويض وبطلان ذلك وأن المختار هو الاختيار ولا طريق له إلا الاختيار فهو مجبور على الاختيار فافهم.

الفصل الثاني

في التنزيه

في توجيه مجموعة من الآيات الكريمة والروايات الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام التي لها ظهور بدوي يدل على خلاف العصمة، وإن كان هذا مبحثاً واسعاً إلا إنني لن أتعرض في هذا الفصل إلا لبعض الآيات التي تتعلق بنبينا الأكرم سيد رسل الله محمد صلى الله عليه وآله لأن عصمة آل بيته الأطهار من نفس جنس عصمة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وهي أعلى درجات العصمة التي لا توجد فوقها درجة، وهي أوسعها دائرة وأرفعها شأنًا وأسنها رتبة وأنقاها أصلاً وأطهرها فرعاً، وقد دلت الآيات الكريمة على ذلك.

لقد عقدنا هذا الفصل في تنزيه نبينا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله عما أسند إليه في ما يخالف العصمة، وأما الذي أسند إلى باقي الأنبياء الطاهرين فسنعقد له فصلاً مستقلاً إن شاء الله تعالى في مبحث النبوة.

الآية الأولى:

قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۝﴾

استند تيار تخطئة النبي المصطفى على هذه الآية الكريمة في أن للنبي ذنوب متقدمة ومتأخرة، وقد وعد الله جلّ وعلا نبيه بأن يغفرها له. نعم اشترط أصحاب هذه التيار أن تكون الذنوب من الصغائر لا من الكبائر كما اشترط غالبهم أن لا تكون في التبليغ لاتفاق المسلمين على عصمة النبي المصطفى ﷺ في التبليغ وما شدّ عن ذلك إلا النادر، وتيار التخطئة هذا هو قول أبناء العامة ولم يخرج منهم إلا النادر من أرباب التحقيق؛ وأما الطائفة الشيعية (أعز الله رايتها) فقد اعتقدت بالعصمة المطلقة فهي عندنا ضرورة من ضروريات مذهبنا ولم يخرج عن ذلك في بعض تفاصيلها إلا النادر الذي نصّ على الخلاف إما لتقية أجبرته أو لدراية خذلته.

تفسير

إنّ لهذه الآية الكريمة في تفسيرها ظاهر وباطن.

فأما الظاهر فهو ما دلّت عليه روايات آل بيت العصمة عليهم السلام ومنها ما جاء في محادثة المأمون العباسي (لعنه الله) مع الإمام الرضا عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ۝﴾، قال الإمام الرضا عليه السلام: (لم يكن أحد عند مشركي مكة أعظم ذنباً من رسول الله ﷺ لأنهم كانوا يعبدون من دون الله ثلاثمائة وستين صنماً فلما جاءهم بالدعوة إلى كلمة الإخلاص كبر ذلك عليهم وعظم وقالوا: ﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَقٌّ﴾

عَجَابٌ ﴿٥﴾ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ هَاهُنَا لَشَيْءٍ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمَلَأَةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقٌ ﴿١﴾ ، فلما فتح الله وعجله على نبيه مكة قال له يا محمد ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ مكة ﴿فَتْحًا مَبِينًا﴾ ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿٢﴾ عند مشركي أهل مكة بدعائك إلى توحيد الله فيما تقدم وما تأخر لأن مشركي مكة أسلم بعضهم وخرج بعضهم عن مكة ومن بقي منهم لم يقدر على إنكار التوحيد عليه إذ دعا الناس إليه فصار ذنبه عندهم مغفوراً بظهوره عليهم. فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن ^(١).

ولقائل أن يقول أن السورة جاءت قبل فتح مكة!! فجوابه: لا يمنع ذلك من البشارة له والحكم له بأنه سيدخل مكة وينصره الله وعجله على أهلها وهو إخبار بمستقبل الأمور وكم له نظير في القرآن الكريم، وقد قال تعالى في بيان إنه في فتح مكة ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ^(٢)، والفتح القريب هنا هو فتح خيبر. وأما حمل الفتح هنا على القضاء الذي قضاه رسول الله ﷺ في الحديبية فهو خلاف الظاهر ومقتضى الآية.

لأن الفتح بالإطلاق الظاهر منه الظفر والنصر ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ ^(٣). ويمكنك مراجعة كتاب تنزيه الأنبياء فيه بحث مفصل ووافٍ لمن أراد ^(٤) مع ملاحظة أن الذنب مصدر والمصدر يجوز إضافته إلى الفاعل والمفعول معاً. فهذا ظاهر المعنى.

(١) البحار ج ١١ الصفحة ٨٣.

(٢) سورة الفتح الآية ٢٧.

(٣) سورة الفتح الآية ٣.

(٤) كتاب تنزيه الأنبياء ص ١١٧-١١٩.

أما المعنى الباطن فقد أشارت إليه الكثير من الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام.

جاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، قال عليه السلام: (ما كان له ذنب ولا هم بذنب ولكن الله حمّله ذنوب شيعته ثم غفرها له) ^(١).

وجاء أيضاً عن أبي الحسن الثالث عليه السلام في قوله عنه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، قال عليه السلام: (وأي ذنب كان لرسول الله صلى الله عليه وآله متقدماً أو متأخراً وإنما حمّله الله ذنوب شيعة علي عليه السلام ممن مضى منهم وبقي ثم غفرها له) ^(٢).

وجاء عن النبي أنه قال للإمام علي عليه السلام: يا علي إن الله تبارك وتعالى حملني ذنوب شيعتك ثم غفرها لي وذلك قوله عنه: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ ولما أنزل الله عنه: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: أيها الناس ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ﴾ ^(٣) وعليّ نفسي وأخي أطيعوا علياً فإنه مطهرٌ معصوم لا يضل ولا يشقى وتلا هذه الآية: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾ ^(٤).

ولعل للآية معنى آخر لأهل السلوك مستفاد من بعض الروايات والأدعية الشريفة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام وهو أن النبي صلى الله عليه وآله في مقام العبودية المطلقة الكلية والفناء التام في جمال الله وجلاله ومقام

(١) البحار الشريف ج ١٧ ص ٦٧، وج ٢٢ ص ٤٤٤ نقلاً عن روضة الواعظين.

(٢) البحار ج ٢٤ ص ٢٧٣، تأويل الآيات ص ٥٧٥، وتفسير فرات الكوفي ص ٤١٩.

(٣) سورة المائدة الآية ١٠٥.

(٤) سورة النور الآية ٥٤.

الخلافة الالهية الكلية، وإن لذلك المقام أحكامه الخاصة ومن أحكامه أنه (صلوات الله وسلامه عليه) يجد نفسه ملازماً لمقام التقصير المطلق في عبودية الله سبحانه وتعالى والعجز عن شكره، وهذا التقصير والعجز يعده الكمّل في العبودية ذنب العبودية المطلقة الكلية، إنه ذنب أطهر الطهارة هو ذنب أحببه الله تعالى وارتضاه وأراده ولأجل هذا الذنب كان النبي الخاتم عليه السلام يتعبد الله ليله واقفاً على أطراف أصابعه حتى ورمت قدماه باكياً من خشية الله حتى بكى لبكائه كل حجر ومدر فأنزل الله جلّ وعلا عليه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ﴿١﴾، وقد نقلت عنه بعض زوجته وأصحابه أنه كان يبكي بكاء مرأً في قيامه وركوعه وسجوده، فقالوا له يا رسول الله، مم بكائك وقد قال الله تعالى لك: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً. وقد زاد في وطأة ذلك على روحه المقدسة الطاهرة الطيبة بنزول سورة هود، فكان يقول شيبتي سورة هود وحينما يُسأل عن سبب ذلك كان يقول لآية فيها وهو قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾^(٢)، والنبي عليه السلام هو قمة الاستقامة، بل هو عين الاستقامة ومنبعها، ولكن لما أتبع الله تعالى قوله: ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ وحمله الله جلّ وعلا مسؤولية النهوض بمن تاب وأخلص لله وكان مع رسول الله عليه السلام ظاهراً وباطناً وهذا لم يصدق إلا على شيعة أمير المؤمنين عليه السلام خاصة فكانت مسؤوليته أكبر وثقله أعظم وهذا ما يزيد في دواعي نفسه الطاهرة المطهرة شعور التقصير وذنب العبودية ولذا تجد في كلام آل البيت عليهم السلام عبارات التقصير والذنب والخطيئة التي هي تختلف اختلافاً كلياً وجذرياً لنفس تلك الألفاظ حينما تصدر منا فالذنب عندهم ذنب العشق الإلهي والوله الرباني والعبودية التامة لله وحده، وأما الذنب عندنا فهو ذنب المعصية والعبودية

(١) سورة طه الآيات ١-٢.

(٢) سورة هود الآية ١١٢.

الناقصة المشوبة بعبودية الهوى وإتباع الشيطان، فشتان بين ذنبهم الذي هو عين الطاعة وبين ذنبنا الذي هو عين المعصية. وقياس ذنوبنا بذنوبهم هو قياس الثرى بما فوق الثريا.

وعلى المدعي بأن لهم - والعياذ بالله - ذنوب كذنوبنا الدليل، ودونه خرط القتاد.

وقد جاء عن إبراهيم الخليل عليه السلام المعنى المتقدم في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١)، فتلك الخطيئة هي خطيئة العبودية وذنوب عشق الربوبية لا كذنب الذين أسرفوا على أنفسهم فقال تعالى عنهم: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

الآية الثانية:

قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكِي (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَن ت لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلْيَزْكِي (٧) وَأَمَّا مَنِ جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَن ت عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾^(٣).

جاء في تفسير أبناء العامة لهذه الآيات الكريمة ومن أخذ عنهم وتأثر بأحاديثهم بإسناد الفعل المنكر والعياذ بالله تعالى إلى النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الطبرسي رحمته الله متأثراً بما جاء في روايات أبناء العامة أو هو من

(١) سورة الشعراء الآية ٨٢.

(٢) سورة الزمر الآية ٥٣.

(٣) سورة عبس الآيات ١ - ١٠.

سهو القلم: «أن هذه الآيات نزلت في عبد الله ابن أم مكتوم وذلك أنه أتى رسول الله ﷺ وهو يُناجي عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأبياً وأمياً ابني خلف يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم فقال يا رسول الله أقرئني وعلمني مما علمك الله فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنه مشتغل مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله ﷺ لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء الصناديد إنما أتباعه العميان والعبيد فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم فنزلت الآية فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يكرمه وإذا رآه قال مرحباً بمن عاتبني فيه ربي. فهو كان يحسب أن إعراض رسول الله ﷺ عنه لفقره وإقباله عليهم لرئاستهم وغناهم تعظيماً لهم

﴿عَبَسَ﴾ أي بسر وقبض وجهه. ﴿وَتَوَلَّى﴾ أي أعرض بوجهه. ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ أي لأن جاءه الأعمى. ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ﴾ أي لعل هذا الأعمى ﴿يَرْزُقُ﴾ يتطهر بالعمل الصالح وما يتعلمه منك. ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ أي يتذكر فيتعظ بما تعلمه من مواعظ القرآن، ﴿فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ في دينه قالوا: وفي هذا لطفٌ عظيم لنبيه إذ لم يخاطبه في باب العبوس فلم يقل عبست فلما جاوز العبوس عاد إلى الخطاب ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَفْنَى﴾ أي من كان عظيماً في قومه واستغنى بالمال ﴿فَأَن تَصَدَّقَى﴾ أي تتعرض. تم كلامه^(١).

نلاحظ أن القوم ومن سار بركابهم في تفسير هذه الآيات أنهم نسبوا العبوس والإعراض بالوجه، والجهل والإقبال على الأغنياء، حتى ولو كانوا كفاراً والإعراض عن الفقراء حتى لو كان ضريباً ومؤذناً لرسول الله ﷺ وزادوا في تفسيرهم الطين بله بأن جعلوا النبي يحدث نفسه بالخجل من أتباعه لأنهم من العبيد والفقراء ثم كان إعراضه لما حدث به نفسه وهذه

معاني كلها لا نرضى بأن تنسب لعوام المؤمنين فكيف نرضى أن تنسب
لرسول الله ﷺ!!؟

نعم حاول البعض التملص عن إسناد هذا القبح إلى النبي ﷺ فقالوا أن عبوس النبي في وجه ابن أم مكتوم لا ضير فيه لأنه كان ضريراً!! وعذرهم هذا أقبح من ذنبهم في إسناد هذا الفعل القبيح إلى النبي المصطفى ﷺ فلو كان ابن أم مكتوم ضريراً لا يبصر العبوس فهل كان أصماً وهو يكرر السؤال على النبي كما هم يقولون والنبي يعرض عنه!!؟ وهل كان النبي ﷺ لا يعلم بأن الله يرى!!؟ أم أنه لا يعلم ولا يبصر من كان حوله من الكفار والمشركين وعموم المسلمين وهم ينظرون إليه وهو في مقام الأسوة الحسنة!!؟ ولكننا نتساءل عن سر صرف هذه الآيات عمّن به نزلت، فحينما تعرف السبب تزدادُ عجباً على عجب!!؟

والذي يثبت بطلان ما جاؤوا به عدة أمور:

أولاً: أن ظاهر الآيات لا يدل على توجيهها إلى النبي المصطفى ﷺ ولا يوجد ما يدل على أنه خطاب له، بل هي إخبارٌ محض لم يُصرح بالمخبر عنه، بل عند التأمل في الخطاب والمعنى يحصل عندنا اليقين بأن المعنى بها غير النبي المصطفى ﷺ، وما انصرف الذهن عن الحقيقة إلا لشبهة أشاعوها وفرية ابتدعوها.

ثانياً: الوصف الوارد في هذه الآيات الشريفة من سورة عَبَسَ تنافي بالتمام مع الثابت جزماً عن وصف النبي المصطفى ﷺ في صريح القرآن وفي الأخبار المتواترة عن الفريقين بأنه جامع لكل صفات الكمال والخير والصلاح حتى تعجب من كمال أخلاقه العدو والصديق وقال عنه تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وهل هناك وصفٌ أكمل من هذا الوصف؟! ولو جئنا إلى سورة عَبَسَ المباركة لوجدناها تصف إنساناً أقل ما يُقال عنه بأنه لم يثبت الإيمان في قلبه، فعبوس الوجه كناية عن الغيظ والغضب ومنه الأعبس هذا الذي لا يرى إلا مغتاضاً، والعبس بالتحريك وهو ما يتعلق بأذنان الإبل من أبوالها وأبعارها فيجف عليها فيقال أعبست الإبل أي صارت ذات عبس. فهل من المعقول أن يغضب مؤمناً من عوام المؤمنين من قول مؤمن آخر يقول له علمني مما علمك الله؟! ثم يغتاض منه ويأنف عن قربه لفقره فهو يتلهى عن الفقراء ويتصدى للأغنياء ثم يخاطبه الباري عز وجل: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزُكِّيَ﴾ وهو مبعوث للتعليم والتزكية، وقال عنه تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢). فكيف يعبس بوجه فقير من المؤمنين مؤذن له وقد أمره الله تعالى قائلاً: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٣)، بل كيف يحقر مؤمناً ضعيفاً ويكرم غنياً كافراً؟! وقد قال تعالى له: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾^(٤)، ثم قال تعالى مخبراً عن سيد رسل الله: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٥)، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾^(٦)، فلو كان هذا الفعل القبيح والعياذ بالله تعالى هو فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيكون أسوة حسنة أم سيئة؟! مالكم كيف تحكون ومن

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) سورة الجمعة الآية ٢.

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٢.

(٤) سورة النساء الآية ١٠٥.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٦) سورة الأحزاب الآية ٢١.

لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ^(١) ، وهل من المعقول أن يقول لنبيه الأكرم: ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ، وقد قال تعالى عنه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣) !! أم أنه عن الفقراء يتلهى وقد قال عنه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(٣) !!

ثالثاً: أن الروايات السابقة الواردة في تفسير سورة عبس هي روايات سنية وليست شيعية وهي على ذلك ذات سند واهٍ و متن ضعيف، وقد أنكرها المحققون منهم أمثال الفخر الرازي في رسالته عصمة الأنبياء فقد طرح تلك الروايات واعتبرها أخبار آحاد فضلاً عن كونها مخالفة للقواعد العقلية فلا يجوز التعويل عليها. فكيف بها إذا كانت مخالفة لصريح القرآن الكريم والأخبار المتواترة كما مر عليكم !!؟

رابعاً: عند شك القوم في تعيين من نزلت به السورة فيجب عليهم صرفها عن النبي المصطفى لدلالة العقل والنقل بامتناعها عليه.

خامساً: قيام الدليل النقلي على تحديد من نزلت به السورة على الأقل عند الخاصة، وهو كونه غير النبي المصطفى ﷺ يقطع لسان من أراد وصتها بالنبي المصطفى ﷺ ، والغريب أن يذهب بعض الخواص وراء تلك الترهات ولعل ضخامة البحث وقلة المصادر هي السبب أو إنها من سهو القلم.

قد جاء عن أبي عبد الله ﷺ قوله: (إنها نزلت في رجل من بني أمية

(١) سورة النور الآية ٤٤ .

(٢) سورة النجم الآيات ٣ و٤ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٢٨ .

كان عند النبي فجاءه ابن أم مكتوم فلما رآه أي ذلك الرجل تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه^(١).

وجاء أيضاً أنه قد جاء عنهم: (في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ١) ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾، قال عليه السلام: نزلت في عثمان بن عفان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله ﷺ وكان ضريباً وجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، فأنزل الله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ يعني عثمان ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ٢) ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ أي يكون طاهراً أزكى ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ قال يذكره رسول الله ﷺ ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ ثم خاطب عثمان فقال: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ ٥) ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾، قال أنت إذا جاءك غني تتصدى له - أي عثمان - وترفعه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ أي لا تبالي زكياً كان أو غير زكي إذا كان غنياً، ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ١) ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ أي تلهو - أي عثمان - ولا تلتفت إليه^(٢).

ها قد بطل العجب بمعرفة السبب فقد صرفها القوم عن عثمان وألصقت بسيد الأنام، فقد بطل العجب بما هو أعجب من العجب.
وإذا البيّنات لم تُغْنِ شيئاً
فالتماس الهدى بهنّ عياء
وإذا ضلّت العقول على علم
فماذا تقولهُ النصحاء؟!

(١) تفسير شبر الجزء الأول ص ٥٨٥.

(٢) البحار ج ٣٠ ص ١٧٤ ح ٣١، تفسير البرهان ج ٥ ص ٤٢٧، تفسير نور الثقلين ج ٥ ص

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۗ ﴾^(١).

هذه الآية الكريمة مرتبطة بزواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش.

وقد ساق أبناء العامة مناسبة النزول فقالوا أن النبي قصد دار ربيبه زيد ابن حارثة وكانت زوجة زيد في الدار، ثم اختلفت أقوالهم فمنهم من قال إنها كانت تطحن طيباً، ومنهم من قال إنها كانت تغتسل فدفع النبي الباب ودخل بلا استئذان، وبعضهم قال أنه وجد الباب مفتوحاً فدخل من غير استئذان فلما رآها النبي على تلك الحالة أعجبه جمالها وقال سبحان الله الذي خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول من زعم إن الملائكة بنات الله، ومنهم من قال إنها وقعت في قلبه وأن النبي بشر: ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴾ فهوها، ثم قالوا: أليست الشهوة قد تكون عشقاً على بعض الوجوه وهي من فعال الله تعالى وإن البشر لا يقدرُونَ عليها؟!

وهذا الدخول أو الاقتحام بلا استئذان، أو العشق الذي وقع في الوقت الذي كانت فيه زينب زوجة زيد مولى رسول الله ﷺ وربيه، ولما صارت هذه القضية من المشهورات والمسلمات عند الكثير منهم أدخلت في مباحثهم الفقهية من أن النبي إذا رغب في نكاح أي امرأة فإن كانت خلية ليس لها زوج فعليها الإجابة ويُحرم على غيره خطبتها.

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٧.

كان عند النبي فجاءه ابن أم مكتوم فلما رآه أي ذلك الرجل تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه^(١).

وجاء أيضاً أنه قد جاء عنهم: (في قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ١) ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾، قال ﷺ: نزلت في عثمان بن عفان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذن رسول الله ﷺ وكان ضريراً وجاء إلى رسول الله ﷺ وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدمه رسول الله ﷺ على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولى عنه، فأنزل الله ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ يعني عثمان ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ٢) ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ أي يكون طاهراً أزكى ﴿أَوْ بَدُّكَ﴾ قال يذكره رسول الله ﷺ ﴿فَنَنْفَعُهُ الذِّكْرَى﴾ ثم خاطب عثمان فقال: ﴿أَمَّا مَنْ أَسْتَعْنَى﴾ ٥) ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْتَهُ﴾، قال أنت إذا جاءك غني تتصدي له - أي عثمان - وترفعه ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّي﴾ أي لا تبالي زكياً كان أو غير زكي إذا كان غنيا، ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ يعني ابن أم مكتوم ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ١) ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تُلَهَّى﴾ أي تلهو - أي عثمان - ولا تلتفت إليه^(٢).

ها قد بطل العجب بمعرفة السبب فقد صرفها القوم عن عثمان وألصقت بسيد الأنام، فقد بطل العجب بما هو أعجب من العجب.

وإذا البيّنات لم تُغنِ شيئاً

فالتماس الهدى بهنّ عياء

وإذا ضلّت العقول على علم

فماذا تقولهُ النصحاء؟!

(١) تفسير شبر الجزء الأول ص ٥٨٥.

(٢) البحار ج ٣٠ ص ١٧٤ ح ٣١، تفسير البرهان ج ٥ ص ٤٢٧، تفسير نور الثقلين ج ٥ ص

الآية الثالثة:

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾^(١).

هذه الآية الكريمة مرتبطة بزواج زيد بن حارثة من زينب بنت جحش.

وقد ساق أبناء العامة مناسبة النزول فقالوا أن النبي قصد دار ربيبه زيد ابن حارثة وكانت زوجة زيد في الدار، ثم اختلفت أقوالهم فمنهم من قال إنها كانت تطحن طيباً، ومنهم من قال إنها كانت تغتسل فدفع النبي الباب ودخل بلا استئذان، وبعضهم قال أنه وجد الباب مفتوحاً فدخل من غير استئذان فلما رآها النبي على تلك الحالة أعجبه جمالها وقال سبحان الله الذي خلقك، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تبارك وتعالى عن قول من زعم إن الملائكة بنات الله، ومنهم من قال إنها وقعت في قلبه وأن النبي بشر: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فهوها، ثم قالوا: أليست الشهوة قد تكون عشقاً على بعض الوجوه وهي من فعال الله تعالى وإن البشر لا يقدرُونَ عليها؟!!

وهذا الدخول أو الاقتحام بلا استئذان، أو العشق الذي وقع في الوقت الذي كانت فيه زينب زوجة زيد مولى رسول الله ﷺ وربيه، ولما صارت هذه القضية من المشهورات والمسلمات عند الكثير منهم أدخلت في مباحثهم الفقهية من أن النبي إذا رغب في نكاح أي امرأة فإن كانت خلية ليس لها زوج فعليها الإجابة ويُحرم على غيره خطبتها.

وللشافعية وجه أنه لا يُحرم وإن كانت ذات زوج وجب على الزوج طلاقها لينكحها رسول الله ﷺ مستدلين على صحة هذا الاستنتاج العظيم بقضية زيد وقالوا: أن السر في هذا الحكم من جانبين الأول من طرف الزوج لامتحان إيمانه واعتقاده بتكليفه النزول عن أهله، والثاني من جانب النبي لابتلائه ببلية البشرية ومنعه عن خائنة الأعين، وعن الإضرار الذي يخالف الإظهار كما قال تعالى: ﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي تخفي شهوتك وحبك لها، ولا شيء أدعى إلى غض البصر وحفظه لمجاريه الاتفاقية من هذا التكليف وليس هذا من باب التخفيف كما قال الفقهاء، بل هو في حقه في غاية التشديد لو كلف بذلك آحاد الناس لما فتحوا عينهم في الشوارع خوفاً من ذلك، فلذلك اعتبر القوم هذه الآية إظهار للنوازع الداخلية التي كانت عند النبي، وكان يخشى النبي أن تظهر تلك النوازع للناس فيفتضح. لذا قالت عائشة: لو كان النبي يريد إخفاء آية لأخفى هذه الآية. أما لماذا يخفيها؟! لأنها فضحته!!!

قال البلخي أن رسول الله ﷺ تمنى أن يطلقها زيد حتى يتزوجها من حيث إنها ابنة عمته فأراد ضمها إلى نفسه لئلا يُصيبها ضيعة كما يفعل الرجل بأقاربه.

هذا ملخص لما جاء في تفسير ألف ليلة وليلة لهذه الآية الكريمة.

هلا نظرت إلى النتيجة شأنها

تبع الأخس من المتقدمينا

يُنقل أن رجلاً من أهل الفطرة السليمة دخل مسجداً لأبناء العامة حتى يستريح قبل قيام الصلاة بساعة فوجد جماعة تحيط بفقيه لهم وهم يتحدثون، فقال الرجل نعم المراد أستريح وأستمع ثم أصلي. وإذا بفقيه القوم يحدثهم بحديث أشبه بالحديث الذي مضى فاغتم الرجل واستر القوم حتى قاموا

لصلاة الجماعة خلف فقيهم فقرأ الفقيه في صلاته ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ فقال الرجل أما أنا فألى منزلي وأما هؤلاء الديوثية فلا أدري إلى أين يذهبون ما لهم لا ينكرون وعن الحق معرضون ثم انصرف الرجل.

إعلم هداك الله بهديه لكي يحصل فهم تام لهذه الآية كما ينبغي لا بد من فهم القصة بخطوطها العامة.

بعد أن تزوج رسول الله ﷺ بأُم المؤمنين خديجة بنت خويلد ﷺ خرج النبي ﷺ إلى سوق عكاظ في تجارة لها، ورأى زيدا يُباع وراه غلاماً كئيباً حصيفاً فاشتراه، فلما نبئ النبي محمد ﷺ دعاه إلى الإسلام فأسلم وكان يدعى زيد مولى محمد وكان يحبه حتى سماه زيد الحب، فهو من الأدعياء الذي هو جمع الدعي وهو الابن بالتبني. قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾^(١)، فحكم الابن بالتبني ليس ابناً على الحقيقة، فلما علم أبو زيد حارثة بن شراحيل الكلبي بن عبد ود إن ابته قد وقع عليه السبي وبيع في مكة للنبي محمد ﷺ، أتى أبا طالب ﷺ وقال له: سل ابن أخيك فيما أن يبيعه فأرجع له ثمنه، وإما أن يعتقه. فأخبر أبو طالب ﷺ النبي بذلك فقال النبي ﷺ هو حر فليذهب حيث يشاء، فأبى زيد أن يفارق رسول الله ﷺ، فقال حارثة يا معشر قريش إشهدوا أنه ليس ابني، فقال رسول الله ﷺ إشهدوا أن زيدا ابني. فكان يدعى زيد بن محمد حتى هاجر مع النبي إلى المدينة المنورة وزوجه النبي من زينب بنت جحش، وهي بنت أمية بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ؛ فزينب بنت جحش هي بنت عمّة رسول الله ﷺ وليس بنت عمه كما جاء في بعض الروايات التي هي ربما من فعل الصحاف وينقل عن زينب أنها كانت متزوجة قبل زيد؛ وينقل أنه لما عاد النبي من معركة أحد استقبلته النساء وهن يولولن

ويبكين فاستقبلته زينب بنت جحش فقال لها رسول الله ﷺ احتسبي فقالت من يا رسول الله قال: أخاك قالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هنيئاً له الشهادة. ثم قال: لها احتسبي قالت: من يا رسول الله قال: حمزة بن عبد المطلب. قالت: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ هنيئاً له الشهادة. ثم قال: لها احتسبي قالت: من يا رسول الله قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزنه. فقال رسول الله ﷺ إن للزوج عند المرأة لحداً ما لأحد مثله، فقيل لها لم قلت ذلك قالت ذكرتُ يتم ولده^(١).

ثم خطبها النبي لمولاه زيد بن حارثة ورأت هي أن يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه خطبها إلى زيد أبت وأنكرت، وقالت: أنا ابنة عمك فلم أكن لأفعل وكذلك قال أخوها عبد الله بن جحش، فنزل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾^(٢) الآية يعني عبد الله وأخته زينب، فلما نزلت الآية قالت: رضيتُ يا رسول الله وجعلت أمرها بيده، وكذلك أخوها. فأنكحها زيدا وساق إليها مهرها ونزل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ﴾ أي إذكر يا محمد حين تقول ﴿لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالهداية ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق وقيل أنعم الله عليه بمحبة رسول الله ﷺ وأنعم عليه الرسول بالتبني وهو زيد، ثم جاء زيد بن حارثة إلى النبي وهو يريد طلاق زوجته، فقال له النبي ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ يعني زينب يقول له إحبسها ولا تطلقها. وهذا يفضي إلى حدوث مشاجرة بين زيد وزوجته حتى وعظه الرسول ﷺ وقال امسكها ﴿وَأَتَّقِ اللَّهَ﴾ أي مفارقتها ومضارتها ومن هذا المقطع يثبت بطلان ما جاء في بعض الروايات الضعيفة والساقطة على أن زينب أخبرت زوجها زيد بأن النبي دخل عليها الدار فوقع في قلبه، وقال سبحان الله فقال لها

(١) بحار الأنوار ج ٢٢ ص ١٦٦.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

زيد هل لك أن أطلقك حتى يتزوجك رسول الله ﷺ فلعلك قد وقعت في قلبه ، فقالت أخشى إن تطلقني ولا يتزوجني رسول الله ﷺ فجاء زيد إلى رسول الله ﷺ فقال بأبي أنت وأمي أخبرتني زينب بكذا وكذا فهل لك أن أطلقها حتى تتزوجها فقال له رسول الله ﷺ لا إذهب واتق الله امسك عليه زوجك.

فضلاً عن كون هذه الرواية ضعيفة السند والمتن فهي تنطوي على تناقض بين فيها، فإن طلب زيد طلاق زوجته مبتني على التمني فيما لو كان النبي طالباً للزواج من زينب طلقها زيد وإلا احتفظ بزوجته وكان هذا العرض هو طلب زينب من زوجها والذي اتفقا عليه ، فما عدا مما بدا حتى يطلق زوجته بعد نهى رسول الله ﷺ نهياً رادعاً وقال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ ثم قال له ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾!!؟

فهذه الرواية وأضرابها ساقطة لا يمكن الأخذ بها. والثابت عندنا أن هناك خلافاً قد وقع بين زيد وزوجته وبعد وقوع الخلاف قام زيد بطلاقها، ثم خاطب الله تعالى نبيه قائلاً: ﴿وَتَخَفَى فِي نَفْسِكَ﴾ أي أخفى نبيه ما جاء في علمه أن هذه المرأة ستكون من زوجاته ولقائل أن يقول فلماذا لم يتزوجها هو بدلاً من أن يخطبها لزيد حتى وقع ما وقع؟! نجيب عليه فيما بعد إن شاء الله تعالى ثم قال جلّ وعلا: ﴿مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو زواجه منها ولم يُظهر النبي ذلك لكي لا يقول أحد من المنافقين أنه قال في امرأة في بيت رجل إنها إحدى أزواجه من أمهات المؤمنين مع إن الله ﷻ قد أوحى إليه أسماء زوجاته في دار الدنيا وأسماء زوجاته في الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿وَتَخَشَى النَّاسَ﴾ أي تخشى قول المنافقين في أنهم سيتقولون عليه الأقاويل الباطلة بما يدخلون الريب في قلوب ضعاف الإيمان فيكون ذلك سبباً مانعاً عن استقرار الإيمان في قلوبهم ومانعاً للآخرين من الدخول في الإسلام، فخشيت

إنما هي خشيةٌ على الدين.

وقال الجبائي إنها خشية الاستحياء لان الحياء كان غالباً على شيمته الكريمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي، مِنْكُمْ﴾^(١) ثم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ في نفسك.

إذا فخشيته الأولى أي ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ لم تتعلق بالخشية من التبليغ كما قالوا!! بل هي خشية الحرص على الدين، فالعاقل يتحرز عن المقالة القبيحة وعن إساءة الظنون عليه السلام به وخصوصاً مع كونه أسوة حسنة في الناس وأنه يتولى جميع شؤونهم فزواجه من طليقة ابنه بالتبني مع أن الناس في ذلك الزمان يحرمون على أنفسهم هذا النوع من الزواج، وكان تحريمهم هو ناتج عن عاداتهم وتقاليدهم يكون ذلك التحريم باعثاً للتقول على النبي عليه السلام.

وأما الخشية الثانية أي ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَهُ﴾ متعلقة بالتبليغ فإن زواج النبي عليه السلام من زينب بنت جحش طليقة ربيبه زيد هو أمر إلهي لدفع حكم الجاهلية في أنهم يعتبرون الربيب ابناً، لذا قال الناس أن محمداً تزوج امرأة ابنه فقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾^(٢) فكان زواجه أمراً إلهياً ليس فيه حرج، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ - أَي إِثْمٍ وَضِيقٍ - فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾^(٣) أي فيما أحل له من التزويج بامرأة المتبنى أو فيما أوجب عليه من التزويج ليبطل حكم الجاهلية في الأدياء ويرفع الحرج عن المؤمنين قال تعالى: ﴿لَكِنِّي لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي زَوْجِ

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٨.

أَدْعِيَاءِهِمْ ﴿١﴾ ، فهذا كان ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ ﴿٢﴾ أي كسنة الله في الأنبياء الماضين وطريقته وشريعته فيهم في زوال الحرج عنهم وعن أممهم بما أحل سبحانه لهم من ملاذهم، وقيل في كثرة الأزواج كما فعله داود في زواجه من أوريا حيث كان الحكم في أيام داود عليه السلام أنه إذا مات الزوج أو قتل فإن زوجته لا تتزوج بعده وأول من أباح الله وعجله له أن يتزوج بامرأة قُتِلَ زوجها هو داود عليه السلام وبفعله عليه السلام رفع الحرج عن أمته واسقط عنهم القانون الذي سنوه على أنفسهم والذي ما أنزل الله به من سلطان. وجرت السنة في هذه الأمة، فكانت هذه الأمة تحرم الزواج من طليقة الأعداء فحمل الباري وعجله نبيه الأكرم مسؤولية الإصلاح وتغيير حكم الجاهلية كما جرى في الأمم السالفة وهو القائل جلّ وعلا: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ﴿٣﴾، وجرت سنة داود عليه السلام في هذه الأمة لرفع حكم الجاهلية بسنة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولتعلم هذه الأمة بأنه ليس لهم أن يحللوا أو يحرموا شيئاً من عند أنفسهم من غير هدى أو كتاب مبين.

وبهذا البيان اتضح لكم أيضاً سبب عدم زواج النبي بزینب بنت جحش عليها السلام مباشرة قبل زواج زيد بها فهذا الترتيب في الزواج كان رافعاً لحكم الجاهلية وإتماماً للمقادير الإلهية.

ويبطل قول القائل ظلماً وزوراً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أنه دَخَلَ على زينب الدار من غير استئذان فوجدها تطحن طيباً أو تغتسل فتعجب من جمالها وقال سبحانه الله تنزيهاً للباري من قول إنه جَعَلَ الملائكة إناثاً!! فهذه الأحاديث لا يمكن الأخذ بها لعدة وجوه أهمها:

أولاً: ضعفها سنداً ومتناً وتخلل أسانيد الكذابين.

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٨.

(٢) سورة الانشقاق الآية ١٩.

ثانياً: مخالفتها لما نعتقدُ به من عصمة الأنبياء وتنزيههم.

ثالثاً: مخالفتها لصريح القرآن الكريم الذي نقله تعالى عن أدب نبيه الأكرم عليه السلام أو عموم النهي عن الدخول من غير استئناس فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا﴾^(١)، وقال تعالى عن خلق نبيه الأكرم: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢)، فهل يتناسب مع عظمة الأخلاق اقتحام الدار على امرأة في خلوتها تطحن طيباً أو تغتسل؟!؟

وهل من الأخلاق أن ننسبُ ذلك إلى من وصفه الله تعالى بأشرف الأوصاف؟!؟

ألا يعدُّ اقتحام الدار من الفظاظِ والغلظة التي نزهه الله تعالى عنها وقال: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنَّفُضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾^(٣)؟!؟

ثم ألم يخبر الله تعالى عن رسوله الأكرم عليه السلام إنه أسوة حسنة فقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٤)، فمع ما زعمتموه من اقتحامه الدار على امرأة في خلوتها بأننا هل يمكن لنا أن نتأسى بفعله المزعوم هذا أم لا؟! فإن قلتم نعم فقد خالفتم كتاب الله في الأمر بالاستئذان، وإن قلتم لا فقد خالفتم كتاب الله في أنه أسوة حسنة. فثبت بطلان ما أخبرتم به فخبتم بفریتكم وعليكم عارها وشنارها حتى تلقون جزها.

(١) سورة النور الآية ٢٧.

(٢) سورة القلم الآية ٤.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٥٩.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٢١.

رابعاً: إنها مخالفة لما تواتر عن السنة الشريفة التي تنص على عصمة النبي المصطفى ﷺ.

خامساً: إنها مخالفة لما تواتر عن السنة الشريفة التي دلت على وجوب الاستئذان مطلقاً بل امتدت في تأكيدها على طلب الإذن حتى في محارم البيت الواحد ومنعت الأولاد من الدخول على دار الأب والأم وعلى الإخوة والأخوات في أوقات تخفيف الملابس عند الظهر والنوم لأنها عورة لهم. فماذا نسمي اقتحام الدار على امرأة في خلوتها وهي تغتسل؟! وليس لك أن تقول إنها زوجة ربيبه بعد قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾^(١)، وبعد عموم وجوب طلب الإذن في قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهْرِ وَمِنَ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

وأما ما جاء عن اليهود والمنافقين أن النبي محمد تزوج بامرأة ابنه هو قول واضح البطلان قال تعالى: ﴿ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ﴾^(٣) أي قولكم الدعي ابن الرجل شيء تقولونه بالسنتكم لا حقيقة له عند الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ ﴾ الذي يلزم اعتقاده ﴿ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ إلى طريق الحق ﴿ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ ﴾^(٤) الذين ولدوهم وانسبوهم إليهم أو إلى من ولدوا على فراشهم ﴿ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي أعدل عند الله قولاً وحكماً.

(١) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٢) سورة النور الآية ٥٨.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٤) سورة الأحزاب الآية ٥.

سادساً: إنّ هذا الخبر الموضوع والمنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله قد أسند إليه فعل القبيح، منها دخوله دار الغير من غير استئذان، ومنها كون دخوله في وقت الخلوة، وثالثة دخول حُبّها أو شهوتها إلى قلبه وهي زوجة ربيبه ذنب يستقبح فعله عوام الناس، فكيف بمن جعله الله قدوة صالحة وأُسوة حسنة بين الناس؟!!

فإن صدور هذه القبائح ممتنعة عقلاً عليه وإجماعاً لأنها من الذنوب المنفرة للناس عن دخول هذه الدين الحنيف.

سابعاً: إنّ من المعلوم أن زينب بنت جحش عليها السلام هي ابنة عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وحتماً أنّه قد رآها أكثر من مرة قبل زواجها من ربيبه زيد فلماذا لم تعجبه قبل ذلك حينما كان يحلّ له خطبتها أم إن الإنسان حريص على ما منع؟!!

وقد نهى الله تعالى عباده عن النظر إلى أزواج الغير فقال: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾^(١)، فقد حرّم الله تعالى خائنة الأعين فكيف جاز لهم نسبة ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟! ألا يعد نسبة ذلك إليه هو عين الخيانة له؟! وهل يليق ذاك العرض بإحدى أمهات المؤمنين وبالخصوص زينب التي كان زواجها بأمر الله عز وجل فقال سبحانه: ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾؟!!

والشعبي قال: كانت زينب تقول للنبي: إني لأدُلُّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن: جدي وجدك واحد وإني انكحنيك الله في السماء وإن السفير جبرائيل.

تمّ الكلام في هذه المسألة بحمد الله تعالى ومنتته.

الآية الرابعة:

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾^(١).

ترجمت هذه الآية الكريمة في مواطن كثيرة جداً في غير ما وضعت لأجله، وإحدى تلك المواطن هو ما مرَّ عليك في المسألة الثالثة حينما أسند التيار المعطل لعصمة الأنبياء العشق المزعوم للنبي المصطفى ﷺ لامرأة كانت زوجة لربييه فأسندوا إليه ذنباً يأنف عن ارتكابه ضعاف الإيمان. فهم فهموا من الجنبه البشرية المذكورة في الآية الكريمة أنّ النبيّ يعتريه من الضعف ما يعتريه من نواقص الأمور وهم لم ينظروا إلى النور الذي أودعه الله فيه فكانت نظرتهم للبشرية هذه شبيهة بنظر إبليس (لعنة الله عليه) حينما حكى الله تعالى مخبراً عنه قائلاً: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(٢)، ولو كان إبليس نظر إلى النور الذي أودعه الله في آدم ﷺ ما تجرأ على الاعتراض ومقايسة النار بالنور، بل بأقدس نور لأنه من نور الله وهو النور الأول لنبينا المصطفى محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، لأنه نظر بعين الحسد والتكبر، وقد أصاب القوم ما أصاب إبليس فبرروا لأنفسهم اتهام سيد الخلق بالعشق الحرام والنظرة الحرام لأنه بشر والبشر يدخل العشق إلى قلوبهم من غير اختيار فدخل هوى زوجة ربييه إلى قلبه فأنساه ذكر ربه!!! ولا ريب إنّ الذي هو أضلُّ من الأنعام لا يُدرك بشرية سيد الأنام، وسرى هذا الفهم الخاطيء والساذج حتى وصل إلى فهم انعدام الفرق بيننا وبين سيد خلق الله محمد ﷺ إلا بالوحي فإذا غاب الوحي صار هو ونحنُ سواء. وأما القوة الإيمانية والعقلية وقوة روح القدس التي تلازمه فقد غيبت هذه المعاني وكأنه لا وجود لها، ونتج عنه إنكار

(١) سورة الكهف الآية ١١٠، وسورة فصلت الآية ٦.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢، وسورة ص الآية ٧٦.

مقاماتهم العليّة وشؤوناتهم القدسية، فأنكروا أن يكون لهم دورٌ تكويني وأنكروا الولاية التكوينية وعلمهم الخاص والعلم بالمغيبات وبشهادتهم على الأعمال والعصمة المطلقة ثم جوزوا عليهم ارتكاب الذنوب والسهو والنسيان، فما من ساقطة إلا وكانوا هم لها لاقطة وأيدوها بأدلةٍ واهية لتسيقهم إلى نارٍ حامية.

لذا وجب علينا أن نقف على معنى هذه الآية الكريمة فافهمها بأذن واعية.

مقدمة تاريخية

إعلم هداك الله بهديه، إن مسألة الانتقاص من الأنبياء ليست بالمسألة المستحدثة في هذا الأمة، بل كانت في الأمم السالفة واتبعتها هذه الأمة (حَدَوْ النعل بالنعل والقُدّة بالقُدّة) فنظروا إلى أنبيائهم من خلال جنس البشرية المشترك قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴾^(١). أما كيف يكون هذا الانتشار المذكور في الآية الكريمة واحد أم متعدد؟ فالقوم لم يفهموا منه إلا معنى واحد، وهو أن الأنبياء يأكلون كما تأكل الناس ويشربون كما تشرب الناس ويتكاثرون كما تتكاثر الناس ويمشون في الأسواق ويتنفسون ويمرضون ويموتون، وهي خصال مشتركة في بني البشر، وتوقف الفهم على هذا المعنى.

أما جنبه الانتشار التي جعل الله منها هؤلاء الأطهار أنبياء وأئمة ورسول وجعل باقي الناس تبعاً لهم فهذا ما أُسدل عليه الستار وأهمل.

فالشبهة إذا وقعت عندهم في التشابه الحاصل في جزء من جنبه المادية لا كلها، التي لا يستطيع أن ينكرها أحد وكيف ينكرها؟! حيث أن لبني

البشر عموماً جوانب يشتركون فيها كالحياة والموت وحاجة الجميع إلى المأكل والمشرب ونحوها، وهناك جوانب مادية أخرى اختلفوا فيها فجعل الله تعالى فيهم الجميل والقبيح، والطويل والقصير، والسمين والنحيف، والذكر والأنثى والخشى، والذكي والخامل، والصحيح والسقيم، والغني والفقير، وإلى ما شاء الله من التباينات المادية قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُوتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وأما الجانب المعنوي ففيه أيضاً جنبتان، جنبه معنوية اشترك فيها جميع بني البشر وهي الفطرة الإلهية، والفطرة بقول جامع هي جميع أصول الدين، قال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾^(٢)، وهي الصبغة الإلهية: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً﴾^(٣). وجنبه معنوية أخرى قد اختلف فيها بني البشر بعدد الطرق إلى الله وبعدد أنفاس الخلائق.

فنظرة الجاحدين كانت ولا زالت نظرة سطحية وساذجة أوجدتها دواعي الحقد والحسد المزروعين في نفوسهم على من اختصهم الله بالعصمة والطهارة، فخبث سرائرهم وحسداهم دفعهم إلى قتل المعصومين وظلمهم وإيذائهم ونسبوا لهم ما لا يجوز عليهم واستحالة صدوره عنهم كفعل الذنوب والمعاصي وجواز السهو والنسيان فما وجدوا قشة إلا وتعلقوا بها لنفخ سموم حسدهم وحقداهم على المعصومين عليهم السلام فحكى الله تعالى عن قوم نوح عليهم السلام قائلاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ

(١) سورة آل عمران الآية ٢٦.

(٢) سورة الروم الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٣٨.

مِنَ إِلَهِ غَيْرِهِ أَفَلَا تَنفَقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى ﴿١﴾ ،
 وقال: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَشَرِبْتُمْ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ
 أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١﴾ ، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ
 كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ .

وقال الكفار لموسى وهارون حاكياً الله تبارك وتعالى قولهم فقال:
 ﴿فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ ^(١) فتعجبوا من فوز موسى وهارون بالنبوة فساقهم
 حسدهم لهما إلى الكفر.

وقول قوم ثمود ليس ببعيد فقالوا لنبي الله صالح عليه السلام قال تعالى:
 ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَيِّنَاتٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ
 الصَّادِقِينَ ﴿٥﴾ .

وهذه النظرة السطحية والجاحدة انتقلت من الأمم السالفة إلى هذه الأمة
 فقالوا لرسول الله ﷺ كما حكا الله تعالى عنهم قائلاً: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ
 الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُنُّكَ لِمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿١﴾ ، وقد جاء في
 بداية الدعوة الإسلامية في الوقت الذي كان به النبي منشغلاً بتعليمهم إذ اتفق
 كبار المشركين وزعمائهم على إبطال أمر رسول الله ﷺ ومنهم أبو جهل
 فقال عبد الله بن أبي أمية المخزومي أما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفيماً؟

(١) سورة المؤمنون الآيات ٢٣ و ٢٤ .

(٢) سورة المؤمنون الآيات ٣٣ و ٣٤ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ٣٨ .

(٤) سورة المؤمنون الآية ٤٧ .

(٥) سورة الشعراء الآيات ١٥٣ و ١٥٤ .

(٦) سورة الشعراء الآيات ١٨٥ و ١٨٦ .

قال أبو جهل بلى فأتوه بأجمعهم فابتدأ عبد الله فقال يا محمد لقد ادعيت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً زعمت أنك رسول رب العالمين وما ينبغي لرب العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون مثلك رسوله بشرٌ مثلنا تأكل ما نأكل وتشرب كما نشرب وتمشي في الأسواق كما نمشي فهذا ملك الروم وملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلا كثير المال عظيم الحال له قصور ودور وفساط وخيام وعبيد وخدام، ورب العالمين فوق هؤلاء كلهم فهم عبيده ولو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث إلينا ملكاً لا بشرأ مثلنا ما أنت يا محمد إلا رجلاً مسحوراً ولست بنبي، فقال رسول الله ﷺ هل بقي من كلامك شيء قال: بلى لو أراد الله أن يبعث رسولاً لبعث أجلاً من فيما بيننا أكثره مالاً وأحسنه حالاً فهلاً أنزل هذا القرآن الذي تزعم أن الله أنزله عليك وبعثك به رسولاً على رجل من القريرتين عظيم إما الوليد بن المغيرة بمكة وإما عروة بن مسعود الثقفي في الطائف فقال له رسول الله ﷺ هل بقي من كلامك شيء يا عبد الله فقال بلى لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً بمكة هذه فإنها ذات أحجار وعرة وجبال تكسح أرضها وتحفرها وتجري فيها العيون فإننا إلى ذلك محتاجون أو تكون لله جنة من نخيل وعنب فنأكل منها وتطعمنا وتفجر الأنهار خلال تلك النخيل والأعناب تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً فإنك قلت لنا: ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾^(١) فلعلنا نقول ذلك ثم قال أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً تأتي به وبهم وهم لنا مقبلون أو يكون لك بيت من زخرف تعطينا منه وتغنيننا به فلعلنا نطغي وإنك قلت لنا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ﴾^(٢) أن رآه استغنى^(٣) ثم قال أو ترقى - أي تصعد - في السماء ولن نؤمن لرؤيك - أي لصعودك - حتى تنزل علينا

(١) سورة الطور الآية ٤٤ .

(٢) سورة العلق الآيات ٦ و٧ .

كتاباً نقرأه من الله العزيز الحكيم إلى عبد الله بن أمية المخزومي ومنه ومعه بأن آمنوا بمحمد بن عبد الله بن عبد المطلب فإنه رسولي وصدقوه في مقاله وإنه من عندي ثم لا أدري يا محمد إذا فعلت هذا كله أو من بك أو لا أو من بك بل لو رفعتنا إلى السماء وفتحت أبوابها وأدخلتناها لقلنا إنما سكرت أبصارنا وسحرتنا. فقال رسول الله ﷺ هل بقي شيء من كلامك؟ فقال يا محمد أو ليس فيما أوردته عليك كفاية وبلاغ ما بقي شيء وقال ما بدا لك أفصح من نفسك إن كان لك حجة وإتنا بما سألتك به فقال رسول الله ﷺ: اللهم أنت السامع لكل صوت والعالم بكل شيء تعلم ما قاله عبادك. فأنزل الله عليه يا محمد ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۗ ﴾ (٧) أو يُلقَى إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿ (١) ثم قال الله تعالى: ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ (٢) ثم قال يا محمد: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَجَعَلَ لَكَ قُصُورًا ﴾ وأنزل عليه يا محمد: ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ ﴾ (٣) وأنزل عليه: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ (٤) إلى قوله: ﴿ وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَكَابِلِسُوتَ ﴾ ثم قال له رسول الله ﷺ يا عبد الله أما ما ذكرت من أنني آكل الطعام كما تأكلون وزعمت أنه لا يجوز لأجل هذا أن يكون الله رسولا وإنما الأمر لله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد وهو محمود وليس لك ولا لأحد الاعتراض عليه بلمم وكيف ألا ترى أن الله كيف أفقر بعضاً وأغنى

(١) سورة الفرقان الآية ٧.

(٢) سورة الفرقان ٩.

(٣) سورة هود الآية ١٢.

(٤) سورة الأنعام الآية ٨.

بعضاً وأذل بعضاً وأصح بعضاً وأسقم بعضاً وشرف بعضاً ووضع بعضاً وكلهم ممن يأكل الطعام ثم ليس للفقراء أن يقولوا لم أفقرتنا وأغنيتهم ولا للضعفاء أن يقولوا لم أضعفنا وأصحتهم ولا للأذلاء أن يقولوا لم أذللتنا وأعززتهم ولا لقباح الصور أن يقولوا لم قبحتنا وجملتهم بل إن قالوا ذلك كانوا على ربهم رادين وفي أحكامه منازعين وبه كافرين ولكان جوابه لهم أنا الملك الخافض الرافع المغني المفقر المعز المذل المصحح المسقم وانتم العبيد ليس لكم إلا التسليم لي والانقياد لحكمي فإن سلمتم كنتم عباداً مؤمنين وإن أبيتم كنتم بي كافرين وبعقوباتي من الهالكين ثم أنزل الله عليه يا محمد: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ إلى آخر الرواية الشريفة.

إذن هم استفادوا من كلمة ﴿بَشَرٌ﴾ في حبسها على بعض المعاني المادية وصرف المعاني الأخرى التي لا ترقى إليها حتى ملائكة الجبروت الأعلى لأن عقولهم جامدة على معاني البشرية في المأكل والمشرب والمنكح ونحوها ثم حَمَلُوا عليها جميع أعمال القوة الغضبية والشهوية في عموم الأوقات لغالب البشر ولبعض الأوقات للبعض الآخر وعدم استثناء المعصومين وصرفوا عنهم القوة القدسية، وهذا الفهم الخاطيء للقوم جعل فهمهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ منطبقاً على فهم الكفار والمشركين والعياذُ بالله تعالى في أنّهم وأنا على حدٍ سواء في البشرية ولا فرق بيننا وبينهم إلا بالوحي. وهذا الفهم الخاطيء جعل القوم يتخذون التجاوز على المعصومين سُنَّةً وشعاراً لهم.

بحثُ لفهم الآية الكريمة

إعلم هداك الله بهديه، إن مما لا شك فيه أن الله سبحانه وتعالى نصّ في

كتابه الكريم على بشرية الأنبياء والرُّسل، وهم أثبتوا لأنفسهم ما أثبتته الله تعالى لهم فهو عين العزِّ والكرامة، لأنَّ البشرية خلاصة عالم الإمكان. قال تعالى: ﴿قُلْ - يَا مُحَمَّد - سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾^(١)، وقال: ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾^(٢)، فالمراد من البشرية هو الصورة، فإنَّ الله عزَّ وجلَّ أظهر وليه الحق لخلقه بصورةٍ مماثلة لما هم عليه وقد ذكر الحافظ رجب البرسي في مشاركته الشريف قائلًا: " ولو خرج لهم على ما هو عليه من نورانية وجلال لم يقدر أحد أن ينظر إليه فضلاً أن يكلمه ويحدثه لعظمة نورانيته " صاحبُ مقام قاب قوسين أو أدنى والذي يقول عنه الأمين جبرائيل عليه السلام لو اقتربت أنملة لا احترقت بنور جلال الباري وجماله، هذا النور الذي لا يحتمله إلا مخلوقه الأول المصطفى الأجد أبي القاسم محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وهناك فهمٌ آخر مستفاد مما تقدم من بحث تركيبية ابن آدم وقلنا هناك إنَّ البشر عموماً مركبين من عقل وشهوة وهو مقتضى البشرية، وإنَّ هداية البشر وتزكيتهم وتعليمهم وإيصالهم إلى الكمال لا يكون إلا ببعث الأنبياء والرُّسل والأئمة بالصورة البشرية المركبة من العقل والشهوة التي يلازمها الاختيار وقوة قدسية ملازمة لهم فاختر الأنبياء وأوصيائهم العصمة، وأختر النبي المصطفى وآله عليهم السلام أعلاها درجة وأرفعها شأنًا وأزكاها عملاً وأسناها شرفاً وأحسنها جمالاً وأكثرها نوراً وأشدّها قُرباً وأراد الله لهم ما أرادوا لأنفسهم وأراد الله إثبات حجته على الخلق بهم لتكون له الحجة البالغة عليهم ولم يجعلهم ملائكة لملازمتها للخير والصلاح فالملائكة مخلوقة

(١) سورة الإسراء الآية ٩٣.

(٢) سورة إبراهيم الآية ١١.

من العقل فقط وهي مع ذلك مختارة في درجات الخير والصلاح وتتنافس في العمل لبلوغ الدرجات العالية إلا أنها لا تصلح أن تكون أنبياء وأئمة لعدم حصول الحجة البالغة بهم ولو كانوا لقاتلت الناس هو ملك فلم يعص وأنا بشر أعصي ولو جعلني الله ملكاً ما عصيته ولو جعله بشراً لعصى قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيُسُونَ﴾^(١)، أي لجعلناه مركباً من عقل وشهوة يعني بشراً ليكون له الحجة البالغة عليهم ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢) فالآية الكريمة إذاً في صدد بيان حجية النبي محمد ﷺ على ما هو عليه من بشرية، وببشريته الكريمة اللطيفة هذه بلغ مقام قاب قوسين أو أدنى ذاك المقام الذي قال عنه الأمين جبرائيل عليه السلام لو اقتربت أنملة لا احترقت فما كانت صورته البشرية مانعة عن بلوغ ذاك المقام المقدس، بل بصورته البشرية وبتلك اللطيفة الإلهية بلغ مقاماته العلية في قوس الصعود فباب القرب الإلهي مفتوح على مصراعيه للبشر في بلوغ أرفع الدرجات التي بلغها السابقون ونكل عنها المتخاذلون ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ ولعل هذا هو أحد معاني قول رسول الله ﷺ لسبطه الإمام الحسين عليه السلام: (إن لك درجة لن تنالها إلا بالشهادة)، فهذه الدرجة متعلقة بصورته البشرية في قوس صعوده المقدس عليه السلام فما من ناظرٍ نظر في صورة النبي محمد وآله إلا ازداد عجباً على عجب فالبشرية فيهم وبهم بلغت أكمل الكمال، لأنهم عين الكمال الذي لا كمال فوقه إلا كمال الله ﷻ، وهم منبع الكمال الإلهي ومن شدة كمالهم اضطرب العلماء فيهم حتى قال محمد بن إدريس الشافعي إمام الشافعية بتعجبه من أحوال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وكان عجبه بحدود سمعه وقراءته فأنشد فيه قائلاً أبياته المشهورة:

(١) سورة الأنعام الآية ٩.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٩.

ها عليٌّ بشر كيف بشر
رُبُّه فيه تجلَّى وظهر

إلى آخر الأبيات وقال أحد الشعراء الفاطميين:
بَشْرٌ فِي الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ
مَنْ طَرِيقَ الْعَقْلِ نَوْرٌ وَهُدًى
جَلَّ أَنْ تَدْرِكُهُ أَبْصَارُنَا
وَتَعَالَى أَنْ نَرَاهُ جَسَدًا
فَهُوَ فِي التَّسْبِيحِ زَلْفَى رَاكِعٌ
سَمِعَ اللَّهُ بِهِ مَنْ حَمِدًا
تَدْرِكُ الْأَفْكَارُ مِنْهُ جَوْهَرًا
كَأَنَّ مِنْ إِجْلَالِهِ أَنْ يُعْبَدَا
فَهُوَ الْكَعْبَةُ وَالْوَجْهُ الَّذِي
وَحَّدَ اللَّهُ بِهِ مَنْ وَحَّدَا

قبس من نور العصمة

قال النبي صلى الله عليه وآله: (مَنْ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عِنْدَ مَنَامِهِ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ
إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ﴾ فَتَنَ كَانَ يَرْجُو الْفَقَاءَ رَبِّهِ فَيَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكُ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ
أَحَدًا﴾^(١) سَطَعَ لَهُ نَوْرٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَشَوَ ذَلِكَ النُّورَ مَلَائِكَةٌ يَسْتَغْفِرُونَ
لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ)^(٢). هذا بشرطها وشروطها، ومرتكز الشرط والشروط معرفتها
عن أهلها.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ - يَعْنِي آكِلُ الطَّعَامِ - يُوحَىٰ

(١) سورة الكهف الآية ١١٠.

(٢) الفقيه ج ١ ص ٤٧٠.

إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ فَنَ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۚ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ ۚ
أَحَدًا ﴿١﴾ يعني قل لهم أنا في البشرية مثلكم ولكن ربي خصني بالنبوة دونكم
كما يخص بعض البشر بالغنى والصحة والجمال دون بعض من البشر، فلا
تنكروا أن يخصني أيضاً بالنبوة) (١).

وجاء في كتاب سليم بن قيس: (عن سلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد
أن رسول الله ﷺ قام خاطباً وهو مغضباً حاسراً عن ذراعيه وركبتيه حتى
صعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس ﴿أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أوحى
إلي ربي فاختصني برسالته واصطفاني لنبوته وفضلني على جميع ولد آدم
وأطلعني على ما شاء من غيبه فاسألوني عما بدا لكم فوالذي نفسي بيده
لا يسألني رجلٌ منكم عن أبيه وأمه عن مقعده من الجنة والنار إلا أخبرته،
هذا جبرائيل عن يميني يخبرني عن ربي فاسألوني) (٢).

وجاء عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، قال:
(يعني في الخلق أنه مثلهم مخلوق ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ إلى قوله: ﴿بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾
قال: لا يتخذ مع ولاية آل محمد ولاية غيرهم وولايتهم العمل الصالح فمن
أشرك بعبادة ربه فقد أشرك بولايتنا) (٣).

(١) بحار الأنوار ج ٩ ص ٢٧٢.

(٢) البحار ج ٢٢ ص ١٤٨.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٧.

الآية الخامسة

قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ﴿١﴾.

استفادَ التيار المعطل لعصمة الأنبياء من هذه الآية الكريمة في إثبات مطلوبهم الواهي بإثبات الذنوب لهم فقالوا وبئس ما قالوا أن ظاهر هذه الآية مشتملة على خطاب يتضمن العتاب والعتاب لا يكون إلا على ذنب كبير أو صغير وجواز أحدهما كافٍ في نفي العصمة.

وجواب ذلك نقول: أن الظهور الذي اعتمدتم عليه باطل من عدة وجوه:

أولاً: أن العتاب أعمّ من أن يستلزم عقاباً أم لا.

ثانياً: لا يوجد في الآية ما يدل على العتاب، وإن ما زعمتموه أنه عتاباً إنما هو خارج مخرج التوجع واللطف والرحمة لرسول الله ﷺ كقوله تعالى: ﴿طه﴾ (١) مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ أَنْ لَتَشْقَى ﴿١﴾.

ثالثاً: أن الظاهر الذي تزعمونه لا يمكن الاعتماد عليه لأنه مخالف لصريح القرآن الكريم الدال على عصمته وسمو خلقه ورفعته.

رابعاً: مخالفاً لدليل العقل.

خامساً: مخالفاً للسنّة الشريفة العامة الدالة على عصمته والخاصة الدالة على بيان المراد من هذه الآية الكريمة.

(١) سورة التحريم الآيات ١ و٢.

(٢) سورة طه الآيات ١ و٢.

سادساً: دلالة قوله تعالى: ﴿لَمَّا حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ عندهم هو إبدال حلال الله إلى حرام وهو مخالف لعصمة النبي المصطفى في التبليغ، المجمع عليها.

سابعاً: تحريم رسول الله ﷺ على نفسه بعض أزواجه أو كلهن بسبب أو بغير سبب لا يعدُّ ذنباً بل هو مباح له قال تعالى: ﴿تُرْجَىٰ مِنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ ابْنَيْتٍ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلَّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾^(١)، ثم أن النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، قال تعالى: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢). فتصرف النبي بزواجه أولى من ذلك، بل أن تحريم الرجل على نفسه بعض زوجاته قد يكون واجباً عليه لنهيها عن منكر عظيم وقد يكون مستحباً لراجع، فلماذا عمد القوم إلى الأخذ بوجه لا يجوز نسبه إليه؟!!

بحث في أسباب النزول

السبب الأول: أن أم سلمة أو زينب بنت جحش إحداهما سقت رسول الله ﷺ عسلاً فقالت عائشة كان رسول الله ﷺ يشرب عندها عسلاً فتواطيت مع حفصة أنه إذا دخل النبي علينا فلنقل له إنا نشم منك رائحة المغافير^(٣) - فلما دخل النبي على عائشة وضعت يدها على أنفها وقالت: إني أجد منك رائحة المغافير فهل أكلت المغافير؟! فقال لها رسول الله ﷺ: لا بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش^(٤).

(١) سورة الأحزاب الآية ٥١.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٣) المغافير: هي بقلّة ذات رائحة متّنة، وما جرت العادة بأكلها.

(٤) البخاري في صحيحه برقم ٤٩١٢، وذكرها القرطبي في تفسيره ج ٤ ص ١٣٥ وج ١٨

ولما دخل رسول الله ﷺ على حفصة قالت له مثل ذلك ووضعت يدها على أنفها فقال لها رسول الله ﷺ: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعودُ إليه^(١).

وكانت عائشة وحفصة متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي وكانتا تحوكان المؤامرات على باقي أزواجه. وسيأتي بيان ذلك قريباً إن شاء الله تعالى.

السبب الثاني: ورد أن رسول الله ﷺ قَسَمَ الأيام بين نسائه فلما كان يوم حفصة قالت: يا رسول الله إن لي إلى أبي حاجة فأذن لي أن أزوره، فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله ﷺ إلى جاريتها مارية القبطية وكان قد أهداها له المقوقس فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فأنت حفصة فوجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب حتى خرج رسول الله ﷺ فقالت حفصة إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي وعلى

ص ١٧٧ و ص ١٨٠ و ص ١٨٤، تفسير البغوي ج ٨ ص ١٥٩ ولكنه نقله عن عائشة، تفسير الألوسي ج ٢١ ص ٨٧، تفسير البحر المحيط ج ٥ ص ٢، فتح القدير ج ٧ ص ٢٥١ و ص ٢٥٣، زاد المسير ج ٦ ص ٤٥ في قوله "والسبب الثاني ما رواه عروة عن عائشة..."، تفسير اللباب لابن عادل ج ١٥ ص ٣٤٤، وهذا غيض من فيض. وقد استخدم أبناء العامة هذه القضية في أحكامهم الشرعية، فقال إمامهم أحمد بن حنبل مستدلاً بهذه القضية قائلاً إنه من حرّم على نفسه شيء من مأكّل أو مشرب فإنه يجب عليه بذلك كفارة اليمين وهو يؤاخذ بمجرد تحريمه على نفسه، واتبعه على ذلك آخرون، نقلاً عن تفسير ابن كثير ج ٨ ص ١٦٠-١٦١ و ج ٣ ص ١٧١، وذكرها ابن جرير، وذكره الهيثم بن كليب في مسنده، وقد اختاره الحافظ الضياء المقدسي.

(١) مصادر العامة كثيرة منها: تفسير الطبري ج ٢٣ ص ٤٧٥، تفسير البغوي ج ٨ ص ١٦٣، تفسير الألوسي ج ٢١ ص ٨٧ و ص ٩٠، تفسير البحر المحيط ج ١٠ ص ٢٩٥، فتح القدير ج ٧ ص ٢٥١، زاد المسير ج ٦ ص ٤٥، تفسير الرازي ج ١٥ ص ٣٨٤، بحر العلوم للسمرقندي ج ٤ ص ١-٣.

فراشي أما رأيت لي حرمة وحقاً فقال لها: أليست هي جاريتي قد أحل الله ذلك لي إسكتي فهي حرام عليّ ألتمس بذاك رضاك فلا تخبري بهذا أحداً وهو عندك أمانة فلما خرج قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت ألا أبشرك أن رسول الله ﷺ قد حرّم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها^(١). فمن الواضح للعيان أن الحادثة مدبرة بينهما لأجل منع رسول الله ﷺ عمّا أحلّ الله له.

وجاء عن العياشي بالإسناد عن عبد الله بن عطاء المكي عن أبي جعفر عليه السلام أنه زاد فيه أن كل واحدة منهما حدثت أباهما بذلك؛ وجاء أيضاً عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلِغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(١) قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم ﴿ قال عليه السلام: فجعل عليه الكفارة فقال إنما حرّم عليه جاريتته مارية وحلف أن لا يقربها وإنما جعل عليه الكفارة في الحلف ولم يجعل عليه في التحريم، فكفرها رسول الله ﷺ ورَجَعَ إليها فولدت منه إبراهيم عليه السلام فكانت أم ولده^(٢). وجاءت روايات أخرى تقول أن الحادثة السابقة كانت من فعل عائشة.

السبب الثالث: إن حفصة قالت إن طلقنا وجدنا أكفاءنا من قومنا - فهي مستغنية عن لقب أم المؤمنين بنت الخطاب بالحاء المهملة - فنزل قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ حُرِّمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ فطلقها رسول الله ﷺ واعتزل سائر نسائه تسعة وعشرين يوماً وقعد في مشربة أم إبراهيم مارية حتى نزلت آية التخيير.

(١) البحار ج ٢٢ ص ٢٢٩.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٢ ص ٣٩ ومستدرک الوسائل ج ١٥ ص ١٩٥.

بيان

أما بخصوص ما ورد من جعل رواية مقولة حفصة (إن طلقنا وجدنا أكفاءنا) على أنها صدرت بعد آية التخيير فهذا ما لا أذهب إليه، لما ورد من روايات تنقل أن رسول الله ﷺ خير زوجاته بعد نزول آية التخيير بين البقاء وطلاقهن، فاخترته جميعاً والتخيير الوارد في الآية الكريمة والذي نصت عليه الروايات تخالف على كون طلاقها قد وقع بعد التخيير. بل قد وقع بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ الآية، إضافة إلى أني لم أجد ولا رواية واحدة تدل على أن النبي طلق إحدى زوجاته بعد آية التخيير بل مجموعها يدل على أنهم جميعاً اخترن رسول الله ﷺ، إضافة إلى وجود روايات أخرى تؤكد على أن طلاق حفصة وقع بعد نزول قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ...﴾ الآية.

وبعد هذا العرض في أسباب النزول العامة قد يقول القائل أن الروايات الواردة لتحديد سبب نزول الآية الأولى أي قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بأنها روايات مضطربة فما تعلق منها بشرب العسل اختلفت كونها في بيت زينب بنت جحش أو في بيت أم سلمة (رضوان الله تعالى عليهما) ويرد عليه بأن هذا التغير الحاصل لا يؤثر على قبول الحادثة.

أما السبب الثاني الذي تعلق برواية أم إبراهيم مارية رضي الله عنها، والمؤامرة التي أعدتها عائشة أو حفصة فذاك لا يغير في أصل وقوع الحادثة لأنها تمت باتفاقهما.

وبالجملة فإن تعدد الأسباب المتقدمة التي نقلها أهل الحديث والمفسرون من العامة والخاصة يجعلنا نطمئن بأن سبب نزول هذه الآية الكريمة غير

مقتصر على سبب واحد بل اجتمعت عدة أسباب متوالية على النبي من إيذاء عائشة وحفصة له (صلوات الله عليه) إلى أن ختمت تلك التجاوزات العديدة بتلك المقولة اللئيمة التي ذاعت على الألسن أعني مقولة حفصة (إن طلقنا وجدنا أكفأنا من قومنا) حينما أمنت وصاحبتهما من عقوبة رسول الله ﷺ لهن أو طلاقهن مُستغلات فيه طول صبره عليهما وامتناعه من طلاق أو هجر بعض زوجاته اللواتي آذينه وعدم استخدام ما أحل الله له حتى أنزل الله تعالى عليه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، فنزلت هذه الآية الكريمة للتوجع على رسول الله ﷺ وما أصابه من غصص وآلام وعدم ممارسة ما أحله الله له حتى يأتيه أمره ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فطلق حفصة. وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق قتادة عن أنس بن مالك قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾^(١) فقبل له راجعها فإنها صوامة قوامة. وأخرجه ابن جرير عن قتادة مرسلأ وابن المنذر عن ابن سيرين مرسلأ، وذكرها أيضاً في أسباب النزول للسيوطي^(٢)، وذكرها خليل جمعة في كتابه نساء أهل البيت^(٣)، وأضاف الرازي في تفسيره^(٤) عن حفصة بأنها المعروفة بحدة الطباع وسلاطة اللسان، ونقلت أبناء العامة بأن عمر جاء بابنته حفصة بعد طلاقها من زوجها الأول قبل رسول الله ﷺ وعرضها على أبي بكر وعثمان وغيرهما ليتزوج أحدهم بها، فرفضوا فجاء بها إلى النبي فتزوجها وكان دائم الخوف هو وابنه عبد الله من أن يقوم بطلاقها لما عُرفت به من حدة الطباع وسوء الأخلاق وسلاطة اللسان فلذلك نقلت السنة

(١) سورة الطلاق الآية ١.

(٢) أسباب النزول للسيوطي ص ٢١٤.

(٣) نساء أهل البيت لخليل جمعة ج ١ ص ١٨٨.

(٤) تفسير الرازي ج ٣١ ص ٢١٥.

أنه بعد أن طلقها رسول الله ﷺ ضرب عمر على رأسه ثم جاء مع بعض أصحابه إلى النبي يستشفعوا لها بإرجاعها ثم قالوا إن رسول الله ﷺ قبل شفاعتهم فيها وراجعها.

وأما ما قيل في تفسير الآية الثانية أعني قوله تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ من إلحاق بعض أخبار القسم الثاني والثالث من أسباب النزول بأن النبي قد أقسم على عدم وطئ جاريتته أم إبراهيم مارية ثم كفر النبي عن حنثه ليمينه بإرجاعه أم إبراهيم أو ما قيل في إلحاق بعض أخبار طلاق حفصة بأنه كفر النبي ثم راجعها، فهذا مرفوض جملة وتفصيلاً لعدة أسباب مع غض النظر عن ضعف السند واضطراب المتن ومن جملة تلك الأسباب:

أولاً: أن الأعم الأغلب من الروايات الناقلة لهذه الأخبار لم تتعرض إلى مسألة حنث اليمين.

ثانياً: لحن الخطاب، فلقد كان الخطاب في الآية الأولى متوجه إلى النبي ﷺ في حين أن الخطاب في الثانية متوجه إلى الأمة لبيان حكمها الشرعي فيما لو حنث أحدهم عن أداء يمينه فعليه دفع الكفارة.

ثالثاً: إن الكفارة إنما شرّعت لدفع عقوبة أخروية عظيمة آجلة بعقوبة دنيوية عاجلة لقيام العبد بمعصية مولاه في شيء ما.

فالكفارة إذاً في حقيقتها قائمة على التكفير عن ذنب ما، والتكفير هو ستر الذنب أو المعصية بفريضة إلهية، وهذا المعنى لا يمكن قبوله على النبي، وإذا ورد عندنا شيء يدل على ذلك فيحمل على التقية لقيام الدليل العقلي والنقلي التامين برهاناً وقرآناً وسنةً على عصمة النبي المصطفى ﷺ.

ورابعاً: أن الروايات التي تعلقت بقضية أم إبراهيم لم تقل لنا أنه أقسم على عدم مراجعتها بل نقلت لنا أنه عَلَّقَ عدم مراجعتها على عدم الإخبار، فلما قُمن بالإخبار انتفى شرط عدم المراجعة.

وأما رواية طلاق حفصة ومراجعتها فلا علاقة له بكفارة حنث اليمين!! حيث لم يشترط أحد من المسلمين بدفع كفارة حنث اليمين لمن طلب مراجعة طليقته على فرض إرجاعها جدلاً!!

الآية السادسة:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(١). قالوا وبئس ما قالوا إن وقوع الشرك منه ممكن بدلالة الخطاب.

وجوابه نقول: إنه على سبيل التقدير والشرط، ومنه قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(٢) فإن وجود ثانٍ لله جلّ وعلا محال ولكنه لم يمنع تقدير ذلك وبيان حكمه وفرض المحال ليس بمحال، ولذا ساغ وقوع هذا الخطاب للنبي فمع أن الشرك من النبي محال إلا أن فرضه ليس بمحال، فقام بفرض المحال هنا وهو الشرك ثم بين حكمه ولا يمنع أيضاً أن يكون ذاك الخطاب بـ «إياك أعني واسمعي يا جارة».

قد جاء عن طريق المذهب الجعفري (أعز الله رايته) بيان ذلك وهو أن النبي ﷺ لما نصَّ على أمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة في ابتداء الأمر جاءه قوم من قريش فقالوا له يا رسول الله إنَّ الناس قريبو عهد بالإسلام ولا

(١) سورة الزمر الآية ٦٥.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٧٢.

يرضون أن تكون النبوة فيك والإمامة في ابن عمك فلو عدلت به إلى غيره لكان أولى فقال لهم النبي ما قلتُ ذلك برأبي فأتخير فيه لكن الله تعالى أمرني به وفرضه عليّ فقالوا له فإذا لم تفعل ذلك مخافة الخلاف على ربك تعالى فأشرك في الخلافة معه رجلاً من قريش تسكن الناس إليه لئتم لك أمرك ولا يخالف الناس عليك. فنزلت الآية والمعنى فيها لئن أشركت في الخلافة مع أمير المؤمنين عليه السلام غيره ليحبطن عملك^(١)؛ وعلى هذا التأويل فمن قال أن السؤال باق من أنه تعالى عالمٌ عن نبيه لا يفعل ذلك ولا يخالف أمره لعصمته فما الوجه في الوعيد؟ فجوابه قد مر من أنه فرض محال ليس بمحال، ففرض المحال وسيق حكمه معه.

وأما على قول أنه بخطاب إياك أعني واسمعي يا جارة، فيكون المعنى بهذا الخطاب هو أمة النبي بأن الله لا يقبل منهم عملاً بلغ ما بلغ من أشرك في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام غيره وهذا يكون واضحاً لديكم الآن بعد أن مرّ عليكم في المباحث السابقة، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقَبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾^(٢)، فالكفر مانع من قبول الأعمال.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (فرض الله الإيمان بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام كما فرض الإيمان بمحمد فمن قال آمنتُ بنبوة محمد وكفرت بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فما آمن بنبوة محمد). وكما أن التوحيد لا يقبل الشرك فالنبوة والإمامة لا تقبلان الشرك والشرك ظلمٌ عظيم فمن أشرك بولاية آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) غيرهم فقد أحبَطَ الله عمله

(١) تنزيه الأنبياء عليهم السلام ص ١٢٠ للسيد مرتضى علم الهدى عليه السلام.

(٢) سورة التوبة الآيات ٥٣-٥٤.

ولم يتقبل منه عدلاً ولا صرفاً، تم الكلام فيها بحمده تعالى.

الآية السابعة

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١).

ذَكَرَ أبو عبد الرحمن بن محمد بن هاني - من أبناء العامة - في كتابه تفسير الغريب تفسيراً غريباً لهذه الآية الكريمة وهو أنه إذا قرأ الرسول أو النبي بما فيهم الخاتم ألقى الشيطان في قراءته، وهذا يعني أن الشيطان لم يسلم منه أحد حتى الأنبياء والرسل بل حتى سيد رسل الله ﷺ!! وهذا الأمر لم ينفرد فيه صاحب كتاب الغريب بل أن هناك مجموعة ضخمة من أبناء العامة اسندوا ذلك إلى رسول الله ﷺ ولم يخرج منهم إلا القليل من أهل البحث والتحقيق لإنكارهم هذه الفرية المعتمدة على قصة الغرائيق التي جاء سند بعضها صحيحاً عندهم والتي حاول البعض منهم الطعن في سندها جزافاً من أجل أن لا يطعنوا في مؤلفي صحاحهم والمؤثقين من روايتهم!! ومن تلك الأسانيد هو ما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه بسند صحيح عن سعيد بن جبير، وقال السيوطي: "أخرج البزار والطبراني وابن مردويه والضياء في المختارة بسند رجاله ثقات من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن رسول الله ﷺ قرأ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى! ففرح المشركون بذلك وقالوا قد ذكر آلهتنا! فجاء جبرائيل عليه السلام فقال:

إقرأ علي ما جئتكَ به، فقرأ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى، فقال جبرائيل ما أتيتك بهذا، هذا من الشيطان!! فأنزل الله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىَ الْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾^(١).

وفي رواية أخرى وبسند صحيح عندهم أضافوا نعمة في طنبور فريتهم بأن الرسول سجد للأصنام فقالوا أنه سجد للأصنام وسجد معه كل مسلم ومشرك وجاء أيضاً في مجمع الزوائد: «أنه بعد نزول سورة النجم سجد كل المسلمين والمشركين الذين كانوا معه غير أن الوليد ابن المغيرة كان كبيراً فرفع ملىء كفه تراب فسجد عليه فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم في السجود لسجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأما المسلمون فعجبوا من سجود المشركين من غير إيمان وبقين وحدثهم الشيطان أن النبي سجد في أثناء قراءة السورة عليه فسجدوا لتعظيم آلهتهم ففشت تلك الكلمة في الناس وأظهرها الشيطان حتى بلغت الحبشة!! فلما سمع عثمان بن مضعون وعبد الله بن مسعود ومن كان معهم من أهل مكة أن الناس أسلموا وصاروا مع جبريل وقال: معاذ الله من هاتين ما أنزلهما ربي ولا أمرني بهما ربك!! فلما رأى ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: أظعت الشيطان وتكلمت بكلامه وشركني في أمر الله!! فنسخ الله ما يلقي الشيطان وأنزل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ مِمَّا..﴾ الآية، فلما برأه الله عز وجل من سجود الشيطان وفتنته! انقلب المشركون بضاللتهم وعداوتهم»^(٢).

وهذه الرواية الصحيحة عندهم نقلها في سنن البيهقي^(٣)، ورواها

(١) الدر المنثور ج ٤ ص ١٩٤ وص ٢٦٦، وذكره السيوطي في تفسيره ص ٣٦٦.

(٢) مجمع الزوائد ج ٧ ص ٧٠.

(٣) سنن البيهقي ج ٢ ص ٣١٤ رواها عكرمة عن ابن عباس.

البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه^(١) وبعد هذا فإن دفاع الفخر الرازي عن البخاري ونفيه لقصة الغرائق لم يبتن على الدقة لأنها موجودة في صحيح البخاري في أكثر من رواية^(٢).

وحينما يسمع السامع بهذه الفرية على سيد البرية من أناس نصبوا أنفسهم أئمة على أمته لا يستبعد بعدها تلك التجاوزات اللثيمة والنوايا الخبيثة على سيد رسل الله محمد ﷺ من مستشرق خبيث انحدر عن أمة الرذيلة، خبيثة لثيمة قاداتها شياطين وساستها ملاعين وعلمائهم خونه مُداهنين وللحق جاحدين وعلى الإسلام والمسلمين حاقدين منهم المستشرق (بروكلمان) قال: «ولكنه - أي النبي محمد - على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونهن بنات الله وقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحات إليه بقوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترتجى»^(٣).

فإذا كان هناك عتب أو رفض قاطع لهذه التجاوزات من قبل المسلمين فعليهم أولاً أن يستأصلوا ما جاءت به صحاحهم من أكاذيب، قال الإمام الصادق عليه السلام: (كذبوا والله إن هذا الدين لا يؤخذ إلا من ها هنا وأشار إلى صدره الشريف).

كيف لا؟! وهم موضع الرسالة ومعدن الوحي والتنزيل، فإذا كنت تُريد أن تنصر رسول الله ﷺ وتقطع لسان سلمان رشدي وأمثاله رجس الشيطان فابدأ بنفسك وارجع إلى آل بيت نبيك (صلوات الله عليهم أجمعين) من

(١) صحيح مسلم ج ٢ ص ٨٨.

(٢) راجع البخاري في صحيحه ج ٥ ص ٧.

(٣) نقد الباحث السوداني عبد الله النعيم في كتابه الإستشراق في السيرة النبوية. المعهد العالمي

للفكر الإسلامي ١٤١٧ ص ٥١.

جَعَلَ اللهُ حُبَّهُمْ وَطَاعَتَهُمْ وَوِلَايَتَهُمْ وَالْبَغْضُ لِعَدُوِّهِمْ فَرَضَ أَنْزَلَهُ وَلَا تَقْبَلُ
الفروض إلا به.

إِذَا رُمْتَ يَوْمَ الْبَعْثِ تَنْجُو مِنَ اللَّظْمِ
ويقبل منك الدين والفرض والمتن
فوالِ عَلِيًّا وَالْأُئِمَّةَ بَعْدَهُ
نجوم الهدى تنجو من الضيق والمحن
أئمة حق أوجبَ اللهُ حقهم
وطاعتهم فرض بها اللهُ يتحن
فحب علي عدة لوليه
يلاقيه عند الموت والقبر والكفن
كذلك يوم البعث لم ينجُ قادم
من النار إلا مَنْ تولى أبا الحسن^(١)

و تُرَدُّ هَذِهِ الْفَرِيَّةُ بَبَيِّنَاتٍ جَلِيَّةٍ:

أولاً: إِنَّ هَذَا التَّفْسِيرَ مُخَالَفٌ لِصَرِيحِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لِنُنَبِّئَكَ
بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾^(٢)، وقد عني فيها القرآن الكريم، فكيف يشب
الفؤاد به وللشيطان فيه نصيب؟!!!

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِ لَإِذَا لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٣)
ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ^(٤)، والذي جاء في تلك الفرية إسناد التقول إليه!!!

وقال تعالى: ﴿سَنُقَرِّبُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(٥)، وقال تعالى عن نبيه الأكرم: ﴿وَمَا

(١) الغدير: ج ٧ ص ٤٩، شعراء الحلة ج ٢ ص ٣٩٢.

(٢) سورة الفرقان الآية ٣٢.

(٣) سورة الحاقة الآيات ٤٤-٤٦.

(٤) سورة الأعلى الآية ٦.

يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٢﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١﴾ ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ ﴿٢﴾ .

وهل من العقل والإنصاف أن تنسب هذه الفرية على من قرن الله طاعته بطاعته؟! فقال جل وعلا: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ﴿٤﴾ ، وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ﴿٥﴾ .

ثانياً: إن هذه الفرية تناقض شهادة الله ﷻ لعباده المؤمنين ، فكيف بشهادته لسيد الخلق أجمعين حيث قال: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ ﴿١١﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠﴾ ، وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ﴿٧﴾ ، وقال: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ﴿٨﴾ .

ثالثاً: إن هذه الفرية تخالف حتى ما أقر به إبليس على نفسه من انحسار قدرته عن عباد الله المؤمنين فاستثناهم عن غوايته وطاعته قال تعالى: ﴿ إِلَّا

(١) سورة النجم الآيات ٣ و٤ .

(٢) سورة النحل الآية ١٠٢ .

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٤) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٥) سورة المائدة الآية ٥٥ .

(٦) سورة النحل الآيات ٩٩-١٠٠ .

(٧) سورة الإسراء الآية ٦٥ .

(٨) سورة الحجر الآية ٤٢ .

عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿١﴾، فكيف برسول رب العالمين؟!!

رابعاً: إن هذه الفرية مخالفة للسنة القطعية الشريفة الدالة على عصمته عليه السلام.

خامساً: مخالفة للدليل العقلي التام برهاناً على عصمته عليه السلام.

سادساً: مخالفة للإجماع المعقود عليه شيعاً وسنة في عصمته في التبليغ على الأقل، وأبي نقض أشد من دعوى تلقيه كلام إبليس وتلاوته وجعله من القرآن الكريم حتى يصل الحبشة.

سابعاً: إن الرسول والنبي صفتان مشبهتان أخذاً من الفعل اللازم ناظران لشخص النبي والرسول من حيث أخذ الوحي وكيفية تلقيه فقط.

وأما لفظي المرسل والمبعوث فإنهما من باب الأفعال متعد وغير لازم، وهما يُطلقان ويُراد منهما النظر إلى حيثية التبليغ والإنذار والإرشاد والتعليم، وبكلمة جامعة بكل ما يتعلق بهداية الناس، فليس الرسول بمعنى المرسل وليس الرُّسُلُ بمعنى المرسلين وليس النبي بمعنى المبعوث لأن الرسول والنبي لفظان ناظران إلى كيفية أخذ الوحي وتلقيه، وأما لفظي المرسل والمبعوث فهما ناظران إلى ما يتعلق بهداية الناس، ويشهد لذلك وقوع معنى لفظي الرسول والنبي مفعولاً لأرسل وبعث في آيات كثيرة في القرآن الكريم، ثم أن مرتبة المرسل والمبعوث متأخرة عن مرتبة النبي والرسول، قال تعالى حاكياً عن نبيه عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليهما أفضل الصلاة والسلام: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(١)، فحينما تكلم عيسى بن مريم في المهدي كان نبياً وحجة الله على خلقه ولم يكن مُرسلاً

(١) سورة الحجر الآية ٤٠، سورة ص الآية ٨٣.

(٢) سورة مريم الآية ٣٠.

فمعنى النبي والرسول غير معنى المبعوث والمرسل ، فلا بد من التفكيك في فهم هذين المقامين ليتسنى فهم الآية الكريمة ، وعليه يكون متعلق الأمنية في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ، إنما هو فعل أرسل لا الرسول ولا النبي فيكون المعنى وهو التمني متعلق في مرحلة الإرسال المتعلقة بهداية الناس وعليه يكون المعنى من الآية الكريمة أنه ما من نبي ولا رسول إلا يتمنى صلاح قومه وهدايتهم وإرشادهم إلى التوحيد وعبودية الله الواحد الأحد فيلقي الشيطان بوساوسه في قلوب الناس فيمنع ذلك عن تحقق أمنية الرسل والأنبياء في تحقق عموم الهداية بهم ، ولا يستجيب لهم إلا المؤمنون فينسخ الله ما يُلقى الشيطان في قلوب المؤمنين فلا تقبله ، ويمتنع عن قبول الهداية من أطاع الشيطان وغوايته قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ (١) ، وقال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (٣) .

ويقول أكثر تلخيصاً أنه ما من مبعوث ولا مرسل إلا وهو يتمنى أن تتحقق الهداية العامة للناس به فيلقي الشيطان أمانيه ووساوسه في قلوب الناس لمنع تحقق ذلك.

قبس من نور العلامة الطباطبائي رحمته الله:

قال: " وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى وقدّر بعض ما يتمناه من توافق الأسباب على تقدم دينه وإقبال الناس عليه وإيمانهم به

(١) سورة الحجر الآية ٤٢ .

(٢) سورة النحل الآيات ٩٩-١٠٠ .

ألقى الشيطان في أمنيته وداخَلَ فيها بوسوسة الناس وتهييج الظالمين وإغراء
المفسدين فأفسد الأمر على ذلك الرسول أو النبي وأبطلَ سعيه فينسخُ الله
ويزيلُ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته بإنجاح سعي الرسول أو النبي
وإظهار الحق والله عليّم حكيم" (١).

الفصل الثالث

في النص على الإمامة

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: ما هي الحاجة إلى النص على الإمام عليه السلام؟

لما كان تكليف الخلق بمعرفة المعصوم عليه السلام من دون نص يدل عليه، تكليف بما لا يطاق، صار النص على الإمام المعصوم عليه السلام لطف عام من عند الله تعالى، هذا اللطف لازم تعدد الأئمة لتكون لله الحجة البالغة على خلقه.

بيان

بعد أن مرَّ عليكم مسبقاً بأن معرفة الإمام عليه السلام ليست مسألة يمكن للمؤمن أن يتجاوزها وهو باق على إيمانه بل هي أصل من أصول الدين، وقد جاء بالخبر المتواتر عند العامة والخاصة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (من

مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية^(١)، أي على غير دين التوحيد، وجاء في الدعاء الذي يستحبُّ المداومة على قراءته في زمن غيبة الإمام الحجة ﷺ أن الإمام الصادق ﷺ قال: (يا زرارة إذا أدركت ذلك الزمان فادعوا بهذا الدعاء اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ظللتُ عن ديني - اللهم لا تمتني ميتةً جاهلية -)^(٢).

وجاء عن جعفر الكناسي قال: (قلتُ لأبي عبد الله ﷺ: ما أدنى ما يكون به العبد مؤمناً؟ قال ﷺ: يشهدُ أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويقرّ بالطاعة، ويعرف إمام زمانه، فإذا فعل ذلك فهو مؤمن)^(٣).

وقال رسول الله ﷺ: (معرفة آل محمد براءةٌ من النار، وحبُّ آل محمد جواز على الصراط، والولاية لآل محمد أمان من العذاب)^(٤).

ولأهمية الإمامة صارَ لزاماً علينا أن نسأل أنفسنا كيف نتعرف على الإمام ﷺ؟ وهل يمكن لنا اختياره أو انتخابه؟!

نقول: لو كانت الإمامة أمر غايته ساسة الناس وحكومتهم فقط كما فهمته أبناء العامة (هداهم الله) لكان الانتخاب والاختيار كافياً لتحديد القائد السياسي

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٤ / ٩٦ (من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية)، وفي سنن البيهقي ج ٨ / ١٥٦ (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، وادعى القاضي الإجماع عليه في المواقف في علم الكلام ٨ / ٣٤٤.

(٢) التوحيد للشيخ الصدوق ص ٢٨٧، وجاء أيضاً في إعلام الوري بأعلام الهدى للطبرسي ج ٢ ص ٢٣٧.

(٣) بحار الأنوار ج ٦٦ ص ١٦ نقلاً عن معاني الأخبار ص ٣٩٣.

(٤) الغدير الشريف ج ٢ ص ٣٢٤، ونقله ابن حجر في الصواعق ص ١٣٩، والإتحاف ص ١٥، ورشفة الصادي ص ٤٥٩.

أو الحاكم، ولكن الإمام بالمفهوم الذي نعتقد به وهو المفهوم الحقيقي الذي نصّ عليه القرآن الكريم، قال تعالى مخاطباً نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١)، يقصدُ به ذلك الذي اصطفاه الله واختاره من بين خلقه ليكون حجته على خلقه عُصارة عالم الإمكان وآيته الكبرى ومستودع علمه وحكمته، والمظهر الأتم لصفاته وأسمائه ومن كان كذلك كان أتم خلق الله وأكملهم فعصمته تكون عصمة مطلقة لا نظير لها حتى عند جميع ملائكة الجبروت الأعلى بل حتى لجميع الأنبياء والرسل عدا الخاتم فإنه منبع كل كمال بإذن الله تعالى.

ولكون منصب إمامة الأئمة الأطهار عليهم السلام منصبٌ إلهي متمم ومكمل لمقام النبوة والرسالة الخالدة كان لا بد من وجود نص يدل عليه كما نصّ على إمامة إبراهيم الخليل عليه السلام، نص صادرٌ من عند الله عز وجل يعين لنبيه الخاتم إمامة أمير المؤمنين وباقي الأئمة الميامين عليهم السلام. وهذا التعيين لم يكن مقتصر على زمان محدد من البعثة الشريفة بل أكدّ عليه الخاتم بالأمر الإلهي من أول البعثة الشريفة وحينما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢)، فجمع النبي عشيرته على طعام وشراب ثم قال لهم: (أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم عليه فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا - وكنتُ أحدثهم سناً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً - يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأعاد القول فأمسكوا وأعدتُ ما قلتُ فأخذ برقبتي ثم قال هذا أخي

(١) سورة البقرة الآية ١٢٤.

(٢) سورة الشعراء الآية ٢١٤.

ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا، فقام القوم يضحكون ويقولون قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

فكان هذا الإعلان في أول البعثة الشريفة في تنصيب أمير المؤمنين عليه السلام لمقام الولاية والإمامة التي لم تجر فيه المبايعة لأمر المؤمنين عليه السلام إلا مع الخواص، ولكن لما نزل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، صار الإعلان عاماً وأمر النبي بأمر الله تعالى بالنص والإعلان العام على إمامة المولى أمير المؤمنين عليه السلام، وجعل يوم التنصيب ذاك عيداً للمسلمين بل من أعظم أعيادهم وأمر النبي بأن تُنصب لأمر المؤمنين عليه السلام خيمة وأن يدخل عليه جميع المسلمين لمبايعته وإعلان طاعتهم له والتسليم عليه بإمرة المؤمنين فدخل عليه جميع الرجال ووقفوا أيديهم بيد المولى عليه السلام وأعلنوا بيعتهم له وسلموا عليه بإمرة المؤمنين ثم دخلت النساء عليه وأعلنن بيعتهن له وسلمنَّ عليه بإمرة المؤمنين فكانت أول مبايعة عامة بأمر الله ورسوله واستمرت هذه المبايعة ثلاثة أيام كان فيها النبي صلى الله عليه وآله حريصاً على أن يشهد مبايعة جميع المسلمين للمولى أمير المؤمنين عليه السلام وكان يأمرهم على أن يبلغ الشاهد منهم الغائب.

وخلاصة القول: أن الإمامة منصب إلهي بها تتم الحجة البالغة على الناس ولكونها كذلك كان الإمام معصوماً؛ ويقول آخر إن وجوب النص على المعصوم عليه السلام ناتج عن سببين:

السبب الأول: هو كون الإمامة منصب إلهي وليس للخلق الخيرة فيه فلا بد من وجود مُخبر يدل عليه.

(١) أعيان الشيعة المجلد ٨ ص ١٢٦.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

والسبب الثاني: هو أن صاحب هذا المنصب الإلهي لا بد أن يكون معصوماً والعصمة ليست بالأمر الظاهري حتى يمكن للناس اختياره أو انتخابه، بل ما هو دون العصمة بمراتب كالعدالة والمروءة لا يمكن تحديدها عن طريق الانتخاب والشورى حتى من قبل بعض المعصومين فكيف يمكن انتخاب أو اختيار المعصوم عليه السلام من باقي خلق الله والذي تتوقف عليه هدايتهم وصلاحهم، وتمام الحجة البالغة به من عند الله عليهم؟!!

وقد قرأت في القرآن الكريم ما قالته الملائكة من عدم إذعانها ابتداءً لجعل الله تعالى آدم عليه السلام خليفته في أرضه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(١) فلما كشف الله تعالى للملائكة سر اختيار آدم عليه السلام بذلك النور الذي أودع فيه قالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) فأظهروا عجزهم عن فهم اختيار وانتخاب الله تعالى لمستودع النور الإلهي.

وإن الذي جرى في انتخاب كلیم الله موسى عليه السلام لسبعين رجلاً على أنهم من عدول قومه وخيارهم لميقات ربه ليس ببعيد عن اطلاعكم، فرغم أن اختيار كلیم الله موسى عليه السلام لرجال من قومه بمشورة خواص الرجال من قومه وفي مرتبة العدالة لا فوقها، تبين أن اختياره الذي صادق على اختيار قومه في انتخاب العدول وهو نبي من أولي العزم قد وقع على الفاسقين دون العدول الحقيقيين، فقال موسى عليه السلام: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾^(٣)، حينما قالوا: ﴿أَرِنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بظلمهم ثم أخذوا العجل من

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٥٥.

بَعْدَ مَا جَاءَ تَهُمُّ الْبَيْنَتِ ﴿١﴾.

وكذلك جرى ليعقوب عليه السلام في اختياره أولاده لحفظ ولده يوسف عليه السلام وأخيه من بعده، ولكن هذا الانتخاب رغم أنه صدر من نبي لأولاده إلا أنه لم يحقق له الغرض الذي كان يبتغيه في حفظ ولده يوسف عليه السلام وأخيه من بعده، فقال تعالى عنهم في فعلهم مع أخيهم يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (١)، وقال تعالى في فعلهم مع أخيهم من بعده: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (٢).

ومع هذه الشواهد من القرآن الكريم لا يبقى لطالب الحق أدنى شك في بطلان نظرية الانتخاب والاختيار في تحديد المعصوم عليه السلام؛ فكان تحديد إمامة الأئمة الإثني عشر بنص إلهي وبتبليغ محمدٍ وإبنة غدیر خم لا يحجب نورها عن مخلوق قط فإن نور الشمس لا تحجب بكف يدٍ قط.

وقد نقلت لنا كتب الأخبار والروايات الشريفة أقوال أولئك الذين اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم غدیر خم يوم تنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام إماماً وأميراً للمؤمنين وخليفة ووصياً من بعده، وقرن طاعته بطاعته، وولايته بولايته، ومحبته بمحبته، وعداوته بعداوته، وسلمه بسلمه، وحربه بحربه، فقالوا له: يا رسول الله إنها منك أم من الله؟ فقال: بل إنها والله من الله فكررنا عليه السؤال ثلاثاً وهو يقسم لهم ثلاثاً: بل إنها والله من الله.

(١) سورة النساء الآية ١٥٣.

(٢) سورة يوسف الآية ١٠.

(٣) سورة يوسف الآية ٧٧.

فإمامة الأئمة لم تكن إلا بتعيين من الله وَعَلَّمَ ولا دخل للانتخاب أو الاختيار فيها لأنه منصب إلهي كالنبوة إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولأهمية هذا المقام الرباني جهزهم الله تعالى بجهاز في زيادة الحججة البالغة منه على خلقه وهو الآية أو المعجزة، فَجَعَلَ اللهُ وَعَلَّمَ الكون طوع أمرهم وولايتهم يُقَدِّمُوا منه ما شاءوا ويؤخروا منه ما شاءوا ولا يشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين.

قال الإمام علي بن الحسين زين العابدين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (الإمام منا لا يكون إلا معصوماً، وليست العصمة في ظاهر الخلقة فيعرف بها، فلذلك لا يكون إلا منصوباً. فقليل له يا ابن رسول الله ﷺ فما معنى المعصوم فقال: هو المعتصم بحبل الله وحبل القرآن لا يفترقان إلى يوم القيامة، والإمام يهدي إلى القرآن والقرآن يهدي إلى الإمام وذلك قول الله وَعَلَّمَ: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^(١)^(٢).

المسألة الثانية: هل هناك حاجة إلى عمل فهرسة للنصوص؟

إعلم هداك الله بهديه لما كانت النصوص القرآنية والروائية التي تدل على عصمة الأئمة كثيرة جداً، وهي مع كثرتها مختلفة في دلالتها وفي مقدار ما تثبته، فمنها ما يثبت جميع مطالب الإمامة، ومنها ما يثبت جانباً من مطالبها دون أن يتعرض إلى الجوانب الأخرى، ومنها المجمل ومنها المفصل ومنها ومنها، وهذا الاختلاف ناتج عن اتساع مطالب الإمامة وتشعب مباحثها الشريفة، ولهذا يُعَدُّ عمل فهرسة للنصوص، واختيار النص الذي يثبت جميع المطالب وتقديمه أمرٌ مهم في مباحث العقائد ثم بعد اختيار ذلك النص لا بد من صنع فهرسة له لغرض بيان مطالب ذلك النص على أساس

(١) سورة الإسراء الآية ٩.

(٢) وسائل الشيعة الشريف ج ١١ ص ٣٨.

السلسلة المترتبة لبيان تلك المطالب الإلهية. فالفهرسة إذاً تمثل المفتاح الذي يفتحُ مطالب الإمامة كما أنّ لكل خارطة عسكرية أو مدنية جغرافية نظامية لا بد من وجود مفتاح يوضع في تلك الخارطة لبيان المطالب والرموز التي فيها، ومع عدم وجود ذلك المفتاح تكون الخارطة ذات منفعة قليلة، بل إن السير من دون التوجه إلى المفاتيح المهمة في الخارطة يكون مجلبة للضرر، كما لو رسم على الخارطة مستنقعاً أو منطقة لرمال متحركة أو حقل الغام بعلامة معينة فمع السير من دون التوجه أو الجهل بهذه الرموز، يكون سيره حينئذٍ خطراً عليه.

والمطالب الروحية العقائدية لها مسالكها ومجاريها الخاصة حتى لا يقع تأخير المتقدم أو تقديم المتأخر فيضر السالك بنفسه عن غير علم وقصد، كما تنفع تلك الفهرسة أيضاً في حفظ السالك على الجادة المستقيمة وعدم تشتت أو تفلت المطالب عنه، كما تنفعه في هداية الآخرين والردُّ على المبطلين، ومن سعة مطالب هذه الآيات الكريمة وشرف دلالتها جعلتها أبواباً للعلم وعلى كل باب وقفة أو عدة وقفات يطرق فيها السالك أبواب الرحمة الإلهية.

فهرسة النصوص

البابُ الأول: آية التطهير قال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ صدق الله العلي العظيم.

الوقفة الأولى: ما هي دلالة الآية أو الحد الذي تثبته الآية من
العصمة؟

الوقفة الثانية: نظرة في مفردات الآية:

المفردة الأولى: قوله ﴿إِنَّمَا﴾.

المفردة الثانية: المراد من ﴿يُرِيدُ﴾.

المفردة الثالثة: المراد من ﴿لِيُذْهِبَ﴾.

المفردة الرابعة: المراد من ﴿الرِّجْسَ﴾.

الوقفة الثالثة: بيان ويحتوي على خمسة مباحث:

المبحث الأول: في المراد من الإرادة، والتمييز بين الإرادة التكوينية
والتشريعية، مع بيان مشكلة الجبر وحلها.

المبحث الثاني: يتعلق بـ ﴿لِيُذْهِبَ﴾ ، وتحديد المراد منه بالدفع أو الرفع، والرد على شبهات العامة.

المبحث الثالث: في كلمة ﴿الرَّجَسَ﴾ والمراد من الألف واللام.

المبحث الرابع: في المراد من ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ شيعة وسنة، ثم مناقشة أقوال أبناء العامة الخمسة. مع وقفة من الماضي.

المبحث الخامس: لقوله ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ ، معنى الطهارة، الأبعاد المترتبة على الطهارة، إذا اتصف مخلوق بالطهارة فكيف يكون؟ وما ملازمات الطهارة؟.

ردود على شبهات أبناء العامة منها: لماذا لم تنزل أسمائهم في القرآن الكريم للدفع الاختلاف؟

لماذا لم تذكر الآية في آخر السورة أو أولها؟

كيف يفسرُ دعاء النبي بإذهاب الرجس عنهم مع أن الإذهاب فرعُ الوجود أو تحصيل حاصل؟

كيف يمكن تعميم آل البيت إلى الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام؟

المقصد الأول

آية التطهير

سنطرق بعونه تعالى أول أبواب النص على العصمة: ﴿ فِي بُيُوتِ الَّذِينَ
أَلَّهَ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ هو باب آية
التطهير.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴾^(١) وفيها عدة وقفات.

الوقفة الأولى: دلالة آية التطهير

دلت الآية الكريمة على أمرين:

الأمر الأول: أنَّ الآية الكريمة جاءت لإثبات منقبة عظيمة لمن نزلت
بحقهم.

الأمر الثاني: إنها دالة على العصمة في أعلى درجاتها.

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

الوقف الثانية: نظرة على بعض مفردات الآية

المفردة الأولى: ﴿إِنَّمَا﴾ وهي إحدى أدوات الحصر وأكثرها دلالة عليه وأشدّها، وقد ذكرت في موارد كثيرة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢)، وقال: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّمَا يَذُكَّرُ أُولَئِكَ الْأَنْبِيَاءُ﴾^(٤)، وقال: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٥)، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾^(٦)، وقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٧).

المفردة الثانية: ﴿يُرِيدُ﴾ الإرادة الإلهية لا تخلو من أن تكون أحد أمرين إما أن تكون تكوينية المعبر عنها بإرادة كن والتي عبّرت عنها الروايات الشريفة بإرادة الحتم، وإما أن تكون الإرادة التشريعية والمعبر عنها في الروايات بإرادة العزم وهي تنقسم إلى قسمين تصيب وتخطيء وأترك تفصيل ذلك إلى ما بينته بفضل الله ومنتته وفضل النبي وآله ومنتهم في رسالة الإرادة والمشية التي سأقوم بطباعتها عند أول فرصة سانحة بعونه تعالى.

المفردة الثالثة: ﴿لِيَذْهَبَ﴾ يُطْلَقُ الإِذْهَابُ وَيَزَادُ بِهِ أَحَدُ أَمْرَيْنِ الدَّفْعَ أَوْ الرَّفْعَ.

(١) سورة النساء الآية ١٧.

(٢) سورة فاطر الآية ٢٨.

(٣) سورة الرعد الآية ٧.

(٤) سورة الزمر الآية ٩، سورة الرعد الآية ١٩.

(٥) سورة الحجرات الآية ١٠.

(٦) سورة الأعراف الآية ٣٣.

(٧) سورة المائدة الآية ٥٥.

المفردة الرابعة: ﴿الرَّجَسُ﴾ يطلق ويُراد به معانٍ متعددة وهي:

١. كل نجاسة معنوية، فقد جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (أيما رجل غضبَ وهو قائم فليجلس فإنه يذهب عنه رجس الشيطان).

وقال أحد الشعراء:

وظننتُ أني بالغُ غرضي

قلبي بذاك وغاسلُ درني

ومطهرٌ من كل رجس هوى

لما اجتهدت ومبري شجني

٢. يطلق على النجاسة المادية فيقال لعين النجاسة رجس.

٣. النفاق والكفر: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(١)، قال عليه السلام بحقها: (أي نفاقاً وكفراً إلى نفاقهم وكفرهم)^(٢).

٤. الشك: جاء في زيارة الأئمة أن الزائر يقول: (عالمٌ بأن الله جلَّ جلاله قد طهركم من الفواحش ما ظهرَ منها وما بطنَ ومن كل ريبةٍ ورجاسةٍ ودناءةٍ ونجاسةٍ...)^(٣).

وجاء عن أبي جعفر عليه السلام قال: (الرجس هو الشك ولا شك في ديننا أبداً ثم قال: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٤)، قلت: أنتم

(١) سورة التوبة الآية ١٢٥.

(٢) البحار ج ٢٢ ص ٤٢.

(٣) البحار ج ٩٧ ص ٢٠٧.

(٤) سورة العنكبوت الآية ٤٩.

هم؟ قال عليه السلام: فمن عسى أن يكون؟^(١)

٥. أطلقت الرجاسة على الدم والميتة ولحم الخنزير والخمر قال تعالى:
﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً
أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ﴾^(٢).

٦. على ولد الزنا، فقد جاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (يقول
ولد الزنا يا ربي ما ذنبي فما كان لي في أمري صنع، قال يناديه مناد
فيقول أنت شر الثلاثة أذنب والداك فتبت عليهما وأنت رجس ولن
يدخل الجنة إلا طاهر)، وبيانها سيتضح لك في مباحث الطينة.

٧. أطلقت على فاضل ماء الكلب (إذا ولغ في الإناء).

٨. على المشركين قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ
نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ﴾^(٣)، وقال:
﴿ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ
إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ﴾^(٤).

٩. أطلق الرجس على الشطرنج عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تبارك
وتعالى: ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ
الزُّورِ ﴾^(٥) قال عليه السلام: (الرجس من الأوثان هو الشطرنج وقول الزور
الغناء).

(١) البحار ج ٢٣ ص ٢٠٣.

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٥.

(٣) سورة التوبة الآية ٢٨.

(٤) سورة التوبة الآية ٩٥.

(٥) سورة الحج الآية ٣٠.

١٠. أُطلقَ الرَجْسُ على المسوخ: عن عبد الله بن طلحة قال سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن الوزغ - البُرص - فقال: (هو رجسٌ وهو مسخ).

١١. أُطلقَ الرَجْسُ على كل ذنب صغيراً كان أو كبيراً.

١٢. اطلقَ على أخبث الأسماء.

الوقفه الثالثة: بيان وفيه خمسة بحوث

إن هذه الآية الكريمة لطف إلهي من الله تعالى بها على المسلمين وفتح أمامهم أبواب أسرار العصمة التي امتاز بها آل البيت عن جميع خلاصة خلق الله من أنبياء ومُرسلين وملائكة ربوبيين، فابتداء الآية بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ التي هي من أشد أدوات الحصر دلالة عليه باتفاق اللغويين وجميع المفسرين لتبين للخلق جميعاً أن في الآية الكريمة حصرين:

الأول: هو حصر إرادة إذهاب الرجس والتطهير.

الثاني: هو حصر إرادة المرید بمراد واحد وهم آل البيت عليهم السلام.

لكي يتسنى لنا فتح باب فهم العصمة، لا بد لنا من الدخول في مباحث هذه الآية الكريمة من تحديد نوع الإرادة التشريعية أو تكوينية، وتحديد نوع الإذهاب، والمراد من الرجس، ثم المراد من آل البيت، ثم معرفة التطهير، فهذه مباحث خمسة على عدد أصحاب الكساء عليهم السلام.

المبحث الأول: في الإرادة والتمييز بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية

إن المشهور لدى العلماء أن الإرادة في آية التطهير الشريفة هي من سنخ الإرادة التكوينية ولم يخرج عن المشهور إلا الشاذ النادر، بل حتى الشاذ النادر عند النظر في أقوالهم تجدُّهم يعترفون باللازم وينكرون الملزوم، فهم ذكروا لوازم الإرادة التكوينية ثم قالوا إنها تشريعية، كالذي يرى الشمس في رابعة النهار ويقول أنه ليل وسأبين لكم بعونه تعالى أهم الفوارق بين التشريعية والتكوينية مع تطبيقها على الآية الشريفة في بضع مسائل:

المسألة الأولى: أن الإرادة التشريعية تكون عامة وغير مختصة بصنف من الناس، ولذا فإنها لا تقتضي تشريفاً ولا منقبة لأحد، فهي إنشاء للحكم الشرعي وليست إخبار، ومنه قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، فهو خطاب عام، ومراد الشارع المقدس منه هو أن يؤدي العباد ما فرض الله عليهم من تقوى الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ويدخل في هذا الخطاب حتى الكفار والمشركين والمنافقين لعموم أدلة التكليف التي منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

أما الإرادة التكوينية فإنها تدلُّ على الإخبار عن أمرٍ قد فرغ منه فهي ليست إنشاءً وهي متعلقة بفرد أو بصنف له حقيقة واحدة، ولذا فإن الخطاب بالإرادة التكوينية يعد تشريفاً، ويدل على وجود منقبة، وعليه فإما أن نقول أن الآية دالة على الحصر، وعلى وجود منقبة، وهي إخبار وليست إنشاءً، فلا بد من حمل الإرادة على كونها إرادة تكوينية.

وأما أن نقول أن آية التطهير عامة ولا تخصيص فيها ولا تدل على وجود منقبة فتكون الإرادة التشريعية، وبما أن الثاني باطل ثبت الأول لا محالة، حيث أن الإرادة لا تخلوا إما أن تكون تشريعية أو تكوينية، ولذا نجد أن السواد الأعظم من العلماء والمفسرين حملوا الإرادة في الآية الكريمة على الإرادة التكوينية، وأما الشاذ النادر الذي فسّر الإرادة بالإرادة التشريعية فعند إجماله النظر في أقوالهم نجدهم قد التزموا بمجموعة أمور تعدُّ كلها من لوازم الإرادة التكوينية لا التشريعية، فهم قالوا أولاً أن الآية دالة على وجود منقبة عظيمة، وحتى ذلك الذي لم يصرح بأنها دالة على وجود منقبة عظيمة تماوت من أجل إثباتها لنساء النبي ﷺ وصرفها عن العترة الطاهرة عليهم السلام فلو لم تكون الآية تدل على وجود منقبة وفضيلة فلماذا هذا التماوت من أجل إثباتها لنساء النبي ﷺ وصرفها عن العترة عليهم السلام؟! ثم أقرروا ثانياً على أن الآية فيها حصر لإرادة إذهاب الرجس والتطهير بآل البيت فهي ليست عامة بل خاصة بالإجماع، فلو كانت الإرادة في آية التطهير تشريعية لكانت عامة لكل المكلفين وبما أن التالي باطل فالمقدم مثله.

ولذا نجد أن أولئك الذين صرفوا الإرادة في آية التطهير من التكوين إلى التشريع، وقع في أقوالهم خبط واضح وأحدهم الألوسي في تفسيره روح المعاني فإنه قال: «إنها متضمنة على فضيلة عظيمة لآل البيت وهذا لا يكون إلا عن إرادة إخبارية وهي التكوينية»^(١)، وهو في موقع آخر يستدل على أنها تشريعية فاعترك الحق عنده مع الباطل فأقرّ بالحق ثم فرّ منه مختبئاً وراء أحجية تحصيل الحاصل، فقال: «وقد يُستدل على كون الإرادة هاهنا بالمعنى المذكور الإرادة التشريعية دون المعنى المشهور فلو كانت تكوينية للزم منها تحصيل الحاصل وحيث أن تحصيل الحاصل لغو على الحكيم

فلا بد أن تكون الإرادة هنا تشريعية»^(١) فهو ذكر لوازم الإرادة التكوينية ثم قال إنها تشريعية.

شغلتَ نَفْسَكَ فيما ليس تدركه

تَقولُ لله ماذا حين تلقاهُ

فإذا حُلَّتْ مشكلة الألوسي في تحصيل الحاصل لا يبقى له ولمُرِيدِهِ
بدأ من القول بكون الإرادة في آية التطهير هي الإرادة التكوينية وسنبين ذلك
في مكانه المناسب إن شاء الله تعالى.

وقد أُشكِلَ إشكال آخر على هذا الفهم مفاده أن القول بالإرادة التشريعية
لآية التطهير يكون خلاف دلالة اللازم والملزوم ومخالفاً للأدلة الروائية
ومخالفاً للمشهور، فهم قد وعوا تماماً أن الإرادة في آية التطهير لا يمكن
أن تكون إرادة تشريعية، ولما جاءوا إلى مقام التصريح بكون الإرادة المعنية
هي الإرادة التكوينية وجدوا أنفسهم أمام مشكلة الجبر فظنوا أن القول بالإرادة
التكوينية يلازمها الجبر فخرجوا إلى القول بنفي الإرادة التكوينية أيضاً بعد
أن نفوا أن تكون الإرادة تشريعية وقالوا إنها إرادة من نوع ثالث لا تشريعية
ولا تكوينية والواقع لا يخلوا من أن تكون الإرادة إما تشريعية أو تكوينية
ولا ثالث لهما فإذا حُلَّتْ مُشكلة الجبر لا يبقى مانعاً لهم من القول بكون
الإرادة في آية التطهير هي الإرادة التكوينية، وسنبين حل هذه المشكلة في
مكانها المناسب إن شاء الله تعالى.

المسألة الثانية: أن تحقق المراد بالإرادة التكوينية يكون من غير توسط
مُرِيدٍ آخر، فهي سنخ إرادة يتحقق فيها المراد بإرادة المريد الواحد فقط.
أما المراد بالإرادة التشريعية فتحقق المراد متوقف على توسط مُرِيدٍ آخر

(١) روح المعاني ج ٢٢ ص ٢٠.

وهو المكلف، ولذا فإن المراد فيها قد يتخلف عن المرید وقد لا يتخلف عنه فقوله تعالى: ﴿وَأَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ هو مُراد تشريعي للشارع المقدس جلّ وعلا وهذا المراد معناه أمر الشارع ونهيه وهو متوقف على طاعة العبد، فإن التزم العبد بالطاعة تحقق المراد، وإن لم يطع لم يتحقق. وهذا البحث كنتُ قد فصلته في رسالة الإرادة والمشئة فلا أتعرض إليه هنا خشية الخروج عن الموضوع.

وعند رؤية الخطاب في آية التطهير نجد أنه إخبار لا إنشاء والإخبار في الإرادة معناه إنها إرادة المرید الواحد الأحد من دون أن يتوقف تحققها على مُريدٍ آخر وهذه النقطة هي التي أوقعت البعض في فهم ملازمة الجبر للإرادة التكوينية.

بيانُ لمشكلة الجبر في قوله إن الإرادة في آية التطهير المباركة هي إرادة تكوينية

قلنا فيما سبق أنّ المراد بالإرادة التكوينية يتحقق المراد فيها من دون توسط إرادة مُريدٍ آخر كما لو أنك تُريد أن تُحرك يَدَكَ فَإِنَّ يَدَكَ تنبعت للقبض أو البسط من دون توسط إرادة مرید آخر ليقول لِيَدِكَ انقبضي أو انبسطي، بل بمجرد أنك تريد من يدك أن تنقبض انقبضت، وبمجرد كونك تريد منها أن تنبسط انبسطت، وأمرك لها من غير صوت مسموع ولا بلفظ مقروع بل أمرك لها بين الكاف والتون بإذن الله، فهو المالك لما أقدرك عليه وهذا مثال واضح للإرادة التكوينية، فإذا قلنا أنّ المعصومين عُصموا بإرادة تكوينية من عند الله الواحد الأحد، فعصمتهم تكون دفعية لا تدريجية، ومنذ النشوء فلا معنى لأن نقول بأن لهم الفضل في ذلك!!

ثم كيف يثبت الجمع بين اختيارهم للعصمة مع إرادة الله تكويناً لهم

ذلك، وقد التزمتم بالقول أن الإرادة التكوينية لا يتوسط فيها بين المرید والمراد مرید آخر؟!!

وعند سلب الإرادة من الطرف الآخر يكون هذا الطرف بمثابة الأداة التي لا خيار لها فهو كقول العرب: قال الجدارُ للوتد لم تشقني؟ قال: سل من يدقني، فإن الذي ورائي ما خلاني ورأيي.

وقال الشاعر: امتلأ الحوض وقال قطني.

هذا الفهم المُشكل من الإرادة التكوينية للعصمة الذي أوضحته لكم بأفضل أسلوب جعلَ البعض يَنفي أن تكونَ تلك الإرادة إرادة تكوينية، ولكونه ملتزماً بالدليل النافي من أن تكون تلك الإرادة إرادة تشريعية اضطرَّ إلى القول بوجود نوع ثالث من الإرادة لا هي تكوينية ولا هي تشريعية، ونُسبَ هذا القول إلى السيد الشهيد الصدر الأول^(١)!!

بَعَدَ أن مرَّ علينا في البحوث المنصرمة استحالة سلب الاختيار الملازم لاستحالة سلب الإرادة عن كل عاقل وليس فقط لبني البشر. هنا أريد أن أقدم لجنابكم توضيحاً أبين فيه الانسجام التام بين الإرادة التكوينية للباري وَجَلَّ مَع اختيار المعصومين عليهم السلام للعصمة الدفاعية ومن حين نشوئهم.

أبتدئ الجواب مستعيناً بذكر الله وبقيسٍ مُسدِّدٍ من نور ولاية آل البيت عليهم السلام.

روايةً ينقلها شيخنا الكليني في الكافي الشريف عن معلى بن محمد قال: (سُئِلَ الْعَالِمُ عليه السلام كَيْفَ عَلِمَ اللَّهُ؟ قَالَ عليه السلام: عَلِمَ وَشَاءَ وَأَرَادَ وَقَدَّرَ

(١) وقد حاول بعض طلبة السيد الشهيد عليه السلام التمسك بقول السيد الأستاذ وتمسكهم ذاك مبتني على فهم إرادة الخالق بالاعتقاد على إرادة المخلوق وهو قياس مع الفارق لا يمكن الاعتماد عليه وضيق المحل يمنعني عن بسط الكلام فيه (جزأهم الله جميعاً خير الجزاء).

وقضى وأمضى فأمضى ما قضى وقضى ما قَدَّرَ وقَدَّرَ ما أراد فبعلمه كانت المشيئة وبمشيئته كانت الإرادة وبإرادته كان التقدير وبتقديره كان القضاء وبقضائه كان الإمضاء والعِلْمُ مُقَدَّمٌ على المشيئة والمشيئة ثانيةٌ والإرادةُ ثالثةٌ والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء فلله تبارك وتعالى البدء فيما عِلِمَ متى شاء وفيما أراد لتقدير الأشياء فإذا وَقَعَ القضاء بالإمضاء فلا بدءاً فالعِلْمُ في المعلوم قَبْلَ كونه^(١).

إذاً فلا إرادة إلا بمشيئة ولا مشيئة إلا بعلم، وعلمه بالمعلوم قَبْلَ كونه أي قَبْلَ أن يكون وعلمه تفصيلي لا يُزَادُ فيه ولا يَنْقُصُ منه لأن الزيادة والنقصان صفةُ الممكن لا الواجب، فعلمه بخلقه وبأعمالهم علم تفصيلي قَبْلَ أن يكونوا، قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٢)، وقال جلَّ وعلا: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، أي أن جميع أعمال الخلائق صورة مُسْتَنْسَخَةٌ من عِلْمِ الله عز وجل، فحقيقة ما يقومُ به الملكان الموكلان هو المصادقة على النسخة النازلة إليهما (ليكونا شهوداً عليه مع جوارحه) ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ﴾. وقد أخفى الله ما كتبَ عليه، ولم يُطَّلِعْ على ذلك المستور إلا مَنْ شاء وارتضى من عباده زيادة في الحجة عليهم، وكتابه إنما كتبه الله عليهم لعلمه بخلقه وما سيؤولون إليه فمَنْ اختار الطاعة كتبها له ومَنْ اختار المعصية كتبها عليه، فمَنْ أراد الطاعة لله شاءها الله له وأمرَ ورضي بها فكتبها عليه، ومَنْ أراد المعصية شاء الله له ذلك ولم يأمرَ بها ولم يرضَ بها ومشيئته تلك كانت بعلمه، فشاء الله أن لا يشاء إلا ما شاء الخلق لأنفسهم، فعلم الله

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٤٨ من باب البلاء.

(٢) سورة سبأ الآية ٣.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٩.

الأزلي بما سيصنعه عبده، وما كتبه عليه لم يُخرج عبده عن الاختيار بل أن المعلوم والمكتوب عليه كان ناتج عن اختياره، فمن عَلِمَ الله منه أنه سيختار الطاعة كتبها له، ومن علم الله منه أنه سيختار المعصية كتبها عليه.

جاء في الكافي الشريف لشيخنا الكليني عن المولى أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: (قال الله يا بن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء وبقوتي اديت فرائضي وبنعمتي قويت على معصيتي جعلتك سمياً بصيراً قوياً ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك وذلك أني أولى بحسناتك منك وأنت أولى بسيئاتك مني وذلك أني لا أسأل عما أفعل وهم يُسألون)^(١).

وحيثما يكون الكلام عن العترة الطاهرة يكون هو الكلام في أنهم أرادوا لأنفسهم الطاهرة المطهرة أكمل الكمال في عبودية الجبار، وأنهم لا يعصونه طرفة عين أبداً ولا يهتمون بذنب قط، فشاء الله لهم ما شاءوا لأنفسهم ولا يشاءون إلا ما شاء الله لهم.

كان هذا من حيث المشيئة ومن حيث مقتضى عدله وحكمته وجوده وكرمه سبحانه، شاء تعالى أن يعطي كل مستعد لما هو مستعد له فمن شاء من خلقه لنفسه أن يكون في مقام الصادر الأول شاء الله له ذلك، وبعده أمضاه وبجوده وكرمه زاد له من واسع فضله ومنته، لأنه أهل للكرم والجود، ومن أفيض عليه كان أهلاً لاستقبال جود الله وكرمه قال تعالى: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَتُولَاءِ وَهَتُولَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٢)، وقال: ﴿عَطَاءٌ

(١) الكافي الشريف للكليني ج ١ ص ١٥٢.

(٢) سورة الإسراء الآية ٢٠.

عَبْرَ مَجْدُوزٍ ﴿١﴾ ، وقال: ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِيُيسِّرَ﴾ ﴿٢﴾ ، ففيضه نازلٌ لا انقطاع له وهو غير متلون بلون، ولكن الوعاء هو الذي يأخذ من ذلك الفيض كُلِّ بحسبه، فبعضهم وعائه لا حدود له وهو يحفظ فيضه تعالى طاهراً رقراقاً فيفيض منه ما صدرَ إليه، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ ﴿٣﴾ ، وقال: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ ﴿٤﴾ ، فالماء النازل من السماء لا لون له ولا طعم له ولا رائحة، ولكن الأودية هي التي تُعطي لذلك الماء لونا وطعماً ورائحةً معينة، ومن الأوعية من يحفظه صافياً نقياً رقراقاً طاهراً كما أنزل إليه فيسيلُ منه ما نزل إليه من طهر وحياة ونقاوة وعدوبة، فكيف يكون آل البيت عليهم السلام؟! وهم مستودع علمه وحكمته ومعدن عظمتهم ومظهر صفاته وأسمائه، فمن عرفهم فقد عرف الله، ومن جهلهم فقد جهل الله ومن استخف بهم فقد استخف بالله.

ثم إعلم أيها العزيز أن الباري أودع في البشر قوى ظاهرة وباطنة تبعث في نفسه مسلك الخير والصلاح أكثر من مسالك الشر والفساد، وأطلق الله على داعي الخير بالفطرة، فقال تعالى: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥﴾ ، ولم يستثنِ الله سبحانه وتعالى من الناس أحد، بل جميع الناس خلقوا على الفطرة وهي التوحيد ويقول أدق مجموع أصول الدين، وقال رسول الله ﷺ: (ما من مخلوق يخلق إلا وهو على الفطرة)، والجنسُ إلى جنسه أميل، فالفطرة الإنسانية ميّالة إلى الخير والصلاح ونبذ الشر والفساد،

(١) سورة هود الآية ١٠٨.

(٢) سورة الليل الآية ٧.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١٨.

(٤) سورة الحجر الآية ٢١.

(٥) سورة الروم الآية ٣٠.

وهي معبر عنها أيضاً بالصبغة، فقال تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾^(١)، فتلك الصبغة الإلهية المودعة في الهياكل البشرية لونها التوحيد ولون التوحيد هو الخير والصلاح فمن سلك مسلك الخير والصلاح فقد احتفظ بصبغة الله وصانها عن التغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾^(٢)، أولئك الذين قد زكوا فطرتهم بالعمل الصالح قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾، وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾^(٣) و﴿ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾^(٤)، وأما الذي اختار مسالك الشر والفساد، فقد غيّر صبغة الله بصبغة الشيطان واختار الكفر على الإسلام وأبدل النور بالظلام، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥)، فاستبدلوا ولاية الله بولاية الشيطان فأخرجهم اختيارهم من نور صبغة الله إلى ظلمات صبغة الشيطان بما كسبت أيديهم وسوء جنائيتهم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٦).

فكل مخلوق يختار الله له ما اختار هو لنفسه (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء). وهذا الاختلاف في أعمال الخلائق الذي قد علمه الله عن خلقه قبل أن يكونوا كتبه عليهم، ومن مقتضى عدله وحكمته استدعى ذلك اختلافاً في أصل الخلقة والطينة، فاختلاف الطينة ناشئ عن اختيار

(١) سورة البقرة الآية ١٣٨.

(٢) سورة فصلت الآية ٣٠.

(٣) سورة الأعلى الآيات ١٤ و ١٥.

(٤) سورة المؤمنون الآية ١.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٥٧.

(٦) سورة المطففين الآية ١٤.

كل مخلوق لما سيكون عليه، وبعده الله وسنته التي أجراها في خلقه كان الذي اختار لنفسه دوام المعصية والظلم وقتل الأنبياء وأبناء الأنبياء وإيذائهم، خلقهم الله من طينة سجين، وما يلائم هذه الطينة هو ولادته من الزنا، فكتب الله عليهم ما كتبوا هم على أنفسهم، وشاء الله لهم ما شاءوا هم لأنفسهم، ولو علم منهم أنهم سيختارون الطاعة لكتبها عليهم ولجعل خلقتهم متناسبة معها، ولأنه علم عنهم أنهم لا ولن يختاروا الطاعة غير منفكين عن المعصية كتبها عليهم فظهرت لوازمها.

وأما الذي يوالي الأنبياء وأبناء الأنبياء فقد عَلِمَ اللهُ عنه ذلك فخلقه من فاضل طينتهم، وما يُناسب هذه الطينة هو أن يكون ابن حلال، قال رسول الله ﷺ: (لا يحبك يا علي إلا ابن رِشدة - أي حلال - ولا يبغضك إلا ابنُ زنا). قال صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلبي رَحِمَهُ اللهُ:

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَرَاكَ لَمَّا

ذَكَرْتُكَ عِنْدَ ذِي حَسْبٍ صَفَى لِي

وَإِنْ كَرَرْتُ ذَكَرَكَ عِنْدَ نَفْلِ

تَكَدَّرَ عَيْشُهُ وَبَغَى قِتَالِي

فَصَرْتُ إِذَا شَكَّتُ بِأَصْلِ مَرِي

ذَكَرْتُكَ بِالْجَمِيلِ مِنَ الْقَالِ

فَلَيْسَ يَطِيقُ سَمْعَ سِنَاكَ إِلَّا

كَرِيمَ الْأَصْلِ مُحَمَّدَ الْفِعَالِ

فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُ بِكَ الْبَرَايَا

فَأَنْتَ مَحْكُ أَوْلَادِ الْحَلَالِ

وأما الذين اختاروا أكمل كمال الطاعة ودوام العبودية المطلقة الكلية لله جلَّ وعلا، خلقهم الله من أعلى عليين فاستودعهم في الأصلاب الشامخة

إلى الأرحام المطهرة فأراد الله لهم ما أرادوا لأنفسهم وشاء الله لهم ما شاءوا لأنفسهم (يا ابن آدم بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء)، وجاء في مقطع من دعاء النذبة الشريف: (اللهم لك الحمد على ما جرى به قضاؤك في أوليائك الذين استخلصتهم لنفسك ودينك إذ اخترت لهم جزيل ما عندك من النعيم المقيم الذي لا زوال له ولا اضمحلال بعد أن شرطت عليهم الزهد في درجات هذه الدنيا الدنية وزخرفها وزبرجها فشرطوا لك ذلك الخ)، وجاء في زيارة سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام (يا ممتحنة امتحنك الذي خلقتك قبل أن يخلقك فوجدك لما امتحنك صابرة ونحن على ذلك مصدقون).

تم بحمد الله تعالى بيان مشكلة الجبر وأن الإرادة التكوينية للباري عز وجل منسجمة تمام الانسجام مع اختيار المعصومين للعصمة في أعلى درجاتها.

المبحث الثاني: قوله: {لِيُذْهِبَ} ، فما هو المراد بالإذهاب الرفع أو الدفع؟

فإذا فُسرَّ الإذهاب بالدفع دلت الآية على وجود الرجس قبل نزولها، وأصحاب هذا الاتجاه قالوا إذا لم يكون هناك رجس فلا معنى لأن نقول ليذهب عنكم الرجس، فتعلقت الإرادة بالإذهاب أي برفع ذلك الرجس الموجود.

وإذا فُسرَّ الإذهاب بالدفع فالدفع أعم في دلالة من الوجود للرجس أو عدمه. فمع الاختلاف في فهم هذا المقطع الشريف يوجد عندنا إتجاهين:

الاتجاه الأول: والذي عليه غالب أبناء العامة، أن المراد بـ ﴿لِيُذْهِبَ﴾

هو الرفع، فلوحظ في كلمة ﴿لِيُذْهِبَ﴾ كونها فعل مضارع واعتبر للزمان مدخلية في تفسير الآية الكريمة، كانت دلالة الإذهاب هو الرفع، وهذا يعني أن الرجس كان موجوداً قبل نزول هذه الآية الكريمة ثم رُفع بنزولها، وهو مدلول خطير يُدخل الملتزم بهذا المعنى حد السفه والشك في دين الله لأنه إثبات للرجس على شخصية نبينا محمد ﷺ في غالب حياته والشطر الأعظم من نبوته وسيأتي لك بيان ذلك، ولذا فإن شطراً من المنصفين والمحققين من أبناء العامة حملوا الإذهاب على معنى الدفع لا الرفع وإن كان أكثر هذا القليل أصابه تلميحاً لا تصريحاً.

الاتجاه الثاني: وهو ما اتفقت عليه كلمة الطائفة الشيعية (أعز الله رايتهم وأهلك عدوهم)، بأن المراد من ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ أي يدفعه ويصرفه عنكم، والدفع أو الصرف يكون مطلقاً غير محدد بزمان، فلا توجد مدخلية لزمان الفعل المضارع في تفسير آية التطهير المباركة.

فأما أصحاب الاتجاه الأول الذين صرفوا معنى الإذهاب إلى الرفع لا الدفع فغايتهم واضحة لسلب العصمة المطلقة ومقام الفضيلة والمنقبة عن رسول الله ﷺ المصطفى والعترة الطاهرة الطيبة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ليبقى الأمر بعده للانتخاب والشورى لا للنص. ولكي نحمل الإذهاب على معنى الرفع أو الدفع لا بد من وجود أدلة وقرائن داخلية أو خارجية توجه الكلمة إلى أحد المعنيين دون المعنى الآخر.

أما أصحاب الاتجاه الأول، فقد استدلوا على دعواهم بأمرين:

الأول: الفعل ﴿لِيُذْهِبَ﴾ في الآية كونه فعل مضارع وهذا يعني الرفع، وإلا لم يكن لقوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ معنى.

الثاني: استدلالهم بدعاء النبي إذ قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب

عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)، فلا توجد مناسبة لدعائه لو حمل الإذهاب على معنى الدفع، لأنه تحصيل حاصل، وهذه الشبهة قد مرّت عليك مسبقاً للآلوسي فقال لو كانت الإرادة تكوينية لكان تحصيل حاصل. وظاهراً إن القوم ما أن وجدوا شبهة حتى طربت أنفسهم لذلك واستعملوها في أحجيتهم لعوام الناس، ولذا سأجيب على شبهة تحصيل الحاصل لوجود مناسبة بين المقامين، ثم نعود لبيان بطلان ما ادعوه إن شاء الله تعالى.

إعلم أيها العزيز: أن إشكال الآلوسي في تحصيل الحاصل ابتنى على مغالطة واضحة فهو:

أولاً: اتفق مع باقي المفسرين على أن الآية تدلّ على وجود منقبة عظيمة لآل البيت، ووجود المنقبة لا تستقيم إلا مع الإرادة التكوينية، كما مرّ عليك ذلك مسبقاً فكيف جعلها الشيخ تشريعية؟!!

ثانياً: قال أن الآية دالة على حصر الإرادة بآل البيت لوجود أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ والإرادة التشريعية عامة لا حصر فيها، والحصر من خصائص التكوين لا التشريع، فكيف صرفها إلى التشريع؟! إن هذا ولا ريب من إعجاز إرادة الآلوسي!!

ثالثاً: إن المشهور هو كونها إرادة تكوينية كما صرح بذلك، ولكنه قال إنها تشريعية، فلماذا قلت بالشاذ النادر؟! وقد قال رسول الله ﷺ: (خذ بما اشتهر بين أصحابك ودع عنك الشاذ النادر).

كان هذا جواباً نقضياً، أما الجواب الجلي فيرد على إشكال تحصيل الحاصل وامتناع هذا الإشكال بالأسباب التالية:

أولاً: أن مشكلة تحصيل الحاصل لو صححت لبطلت غالب الأدعية وكانت

خلاف قوله تعالى: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^(١)، فليس شرط صحة الدعاء بأن يكون لطلب شيء غير موجود أو لرفع شيء موجود، بل يمكن أن يكون الدعاء لطلب استمرار نعمة ودوامها، أو لطلب الزيادة. وإلا ماذا يُفسّر القوم طلب النبي وآله (صلوات الله عليهم) وأُمتهم من بعده في كل فريضة ونافلة وهم يقولون: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾!!؟ التي يجب على المصلي أن يقرأها إنشاءً لا إخباراً، أفلم يكن النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) على صراط مستقيم حتى يكرروا هذا الطلب في كل فريضة ونافلة!!؟ ما لكم كيف تحكمون!!؟

ثانياً: إن دعاء النبي المصطفى ﷺ واقترانه بفعله المقدس في جمع العترة الطاهرة تحت الكساء ومنع أم سلمة من الدخول ما هو إلا لبيان شدة الحصر وتحديد المعنى بهذه الآية الكريمة دون غيرهم، فهو حصرٌ نبوي شريف مضاف إلى الحصر الربوبي المقدس لبيان المراد من الآية الكريمة بما لا يُدخاله شكٌ أو ريب ويقطع به كل من كان عنده عقل ولا يجحدُ به إلا كافرٌ معاند.

وتأكيد النبي ﷺ في قوله وفعله ما هو إلا للتأكيد على الخلق جميعاً، وإخبارهم بأمر يتوقف عليه قبول الشريعة وتاممها وكمالها ودوامها، وهو تعريف الخلق بمن له مقام العصمة المطلقة الكلية مع رسول الله ﷺ وبعده، فهذا الدعاء الشريف والفعل المقدس من جمعهم تحت الكساء والوقوف على باب العترة الطاهرة وهو ماسكٌ بعضادتي الباب طوال تلك المدة الطويلة في أوقات الصلاة، كان كله من كمال التبليغ وإقامة الحجة البالغة على الناس فلا يبقى معذور قط لا في زمانه المقدس ولا بعده حتى يقول بأني لا أعرفهم أو لم أعرفهم بعد كل هذه الدلائل والقرائن والبراهين

التي استوقفت عقولنا وسجنت قلوبنا للتعرف على تلك الحقيقة العظيمة التي من غيرها ما بلغ النبي دين.

فهذا لطف نبوي جارٍ في ساقية اللطف الإلهي لسائر الخليقة لاطلاعهم على سرائر عصمة النبي الخاتم وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وقد يقول قائل إذا كان للعترة الطاهرة عليهم السلام كل هذه الأهمية، بل بهم النجاة ومن دونهم الكفر والهلاك، فلماذا لم يسمهم الله جلّ وعلا بأسمائهم في القرآن الكريم؟!

إعلم هداك الله بهديه إنَّ واحدة من إعجاز القرآن الكريم هو عدم ذكر الأسماء التي قد يؤدي ذكرها إلى حذفها أو حذف الآيات التي جاءت بها للزمن الذي تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأن ذكر بعض الأسماء كأسماء آل البيت عليهم السلام قد يؤدي إل حذف الآيات أو السور التي جاءت تنص بأسمائهم أو إبدالها، أو تحريفها، وأكبر دليل على ذلك هو التغيير الكبير في الروايات المتواترة سنداً كتواتر القرآن الكريم التي جاءت تنص على فضائل آل البيت عليهم السلام وبالذات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فوضعت الساسة في قبالتها روايات نسبت تلك الفضائل إلى غير آل البيت عليهم السلام ومع كونها روايات ساقطة سنداً وممتناً في قبال الروايات القطعية الصدور عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، إلا إننا لا زلنا نسمع تلك الروايات ونقرؤها في الكثير من كتب العامة، وقد تناقلتها وسائل الإعلام المختلفة وساققتها مساق المسلمات. وهذه الآية الكريمة - أعني آية التطهير - وما جاء فيها أكبر دليل على ذلك، حيث صدق المبطل وكذب المحق فلو جاءت تلك الأسماء الشريفة في هذه الآية وغيرها التي نصّت على فضلهم عليهم السلام لغيروا الأسماء وأشهدوا عليها، بل وحذفها من القرآن كله ليس بمستبعد وخصوصاً مع وجود رواة أمثال عكرمة ومقاتل وأبو هريرة والعشرات من الرواة الذين باعوا آخرتهم بدنياهم، مع ما صنعه

عمر في زمان حكومته من حرقه للكتب والصحائف الناقلة لأحاديث النبي (صلوات الله وسلامه عليه) ومعاقبة الرواة بالجلد أمام الناس فجعل علي الراوي حداً يوازي الحد الذي فرضه الله تعالى على كباثر الذنوب والمعاصي في القرآن الكريم بذريعة أن الرجل كان يخشى على القرآن الكريم من أن يختلط بأحاديث النبي (صلوات الله وسلامه عليه) ثم تعاقبت الحكومات الظالمة بعد خلافة الإمام الحسن عليه السلام وخصوصاً ما جاء في عصر الفرية والأباطيل في زمان الحكومة الأموية التي كانت تنابذ آل البيت عليهم السلام العداً أشد المنابذة، ودونك ما كتبه كتب التاريخ عن أفضع الجرائم وأبشع أنواع الظلم والتعذيب لكل من انتسب إلى رسول الله ﷺ من ذرية علي وفاطمة بغضاً لهم وحسداً عليهم لما خصهم الله به من واسع فضله دون خلقه أجمعين، ثم تلتهم الحكومة العباسية ليقوم حكامها باستكمال ما شرعت به الحكومة الأموية ببناء اسطوانات قصورهم (لعنهم الله جميعاً) على الأجساد الطاهرة المطهرة من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام ولو قدر الله جلّ وعلا وضع تلك الأسماء الطاهرة المطهرة في قرآنه الكريم لألغيت الآن لكل طائفة قرآنها الخاص بها ولكل حكومة أدلتها في إبطال ما جاء عن قبلها، ثم إنك لو راجعت كتاب الله العزيز وقرنته إلى الروايات الدالة على مناسبة النزول، لوجدت أن هناك الكثير من الآيات التي قد ذكرت الوصف دون الاسم لمنافع كثيرة يطول ذكرها على هذا المختصر.

وبعد أن تمّ بيان بطلان شبهة تحصيل الحاصل في الدعاء وفي الإرادة التكوينية للباري ﷻ من اختيار النبي وآله الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) للعصمة المطلقة الكلية والانسجام التام بين الإرادة التكوينية الإلهية مع اختيارهم، فلا يبقى عذر لمعتذر في عدم الانصياع للأمر الإلهي.

أما بطلان دليلهم الأول في اعتبار أن لزمان الفعل المضارع ﴿لِيُذْهِبَ﴾

مدخلية في تفسير هذه الآية الكريم، فهو سهل المؤنة لوجود الكثير من آيات القرآن الكريم التي أفعالها تدل على زمان معين ولم يستعمل زمانها لبيان مراد الآيات الكريمة، بل إن اعتبار الزمن فيها قد يخل بمراد الكثير من تلك الآيات، وبالخصوص المورد الذي نحن بصدد بيانه فقد استعملت لفظة الإرادة في القرآن الكريم غالباً بصيغة المضارع ولم يكن للزمان فيها مدخلية، ومنها قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾^(٢)، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾^(٤)، وقوله: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^(٥)، وقال: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٦)، وقال: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(٧)، وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُثَبِّتَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾^(٨)، وقال: ﴿فَاعَلَّمْنَا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾^(٩)، وهكذا إلى العشرات من آيات القرآن الكريم، فعدم استخدام الزمان في تفسير وفهم آيات القرآن الكريم غير عزيز في القرآن الكريم، وهذا لا يختص بالفعل المضارع بل حتى في الفعل الماضي الذي يجب تجريده عن زمان الماضوية في الكثير من الموارد كما في قوله

(١) سورة البقرة الآية ١٨٥ .

(٢) سورة النساء الآية ٢٨ .

(٣) سورة الفتح الآية ١٥ .

(٤) سورة المائدة الآية ٩١ .

(٥) سورة النساء الآية ٦٠ .

(٦) سورة المائدة الآية ٦ .

(٧) سورة غافر الآية ٣١ .

(٨) سورة النساء الآية ٢٦ .

(٩) سورة المائدة الآية ٤٩ .

تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، وقوله: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾^(١) وهكذا.

أما أصحاب الاتجاه الثاني قالوا: أن المراد من الإذهاب هو الدفع، ولا يمكن أن يكون المراد به الرفع فيكون معنى الدفع هو الصرف، أي لنصرف عنهم الرجس، كقوله تعالى: ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾^(٢). والأدلة على ذلك كثيرة منها:

أولاً: لما ثبت بالدليل القاطع أن نزول آية التطهير كانت في أخريات البعثة الشريفة، أي في أخريات حياة النبي المصطفى ﷺ، فاستعمال الإذهاب بمعنى الرفع يعني ثبوت الرجس إلى النبي المصطفى ﷺ في الشطر الأعظم من حياته المقدسة، بل في الشطر الأعظم في بعثته المقدسة (والعياذ بالله تعالى من هذا الشطط). وإن تجويز بعض معاني الرجس دون البعض أو منع بعض المعاني دون البعض عن النبي ﷺ قول مخالف للدليل القطعي سنداً والتام برهاناً.

ثانياً: لما قام الدليل القاطع عند الشيعة، وأبناء العامة على شمول الآية الكريمة للإمامين الطاهرين الحسن والحسين ﷺ وهما في عمر دون الخمس سنوات وإثبات العصمة (المطلقة الكلية) لهما وفي أعلى درجاتها، فلو أخذ الإذهاب بمعنى الرفع لكان الحسن والحسين ﷺ أفضل من سيد رُسل الله محمد ﷺ، وهذا ما لا يقول به أحد من المسلمين. ﴿فَاتَّهَلَا نَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣)!!

(١) سورة البقرة الآية ١٨٤.

(٢) سورة يوسف الآية ٢٤.

(٣) سورة الحج الآية ٤٦.

ثالثاً: حمل الإذهاب على الرفع في الآية الكريمة مخالفاً بالتمام لجميع القرائن الداخلية، فهو مخالف لحصر الإرادة التكوينية بهم، ومخالفاً لما أتفق عليه في أن الآية دالة على وجود منقبة عظيمة.

رابعاً: لحن الخطاب في قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، ولم يقل جلّ وعلا ليذهبكم عن الرجس، فلو كان الرجس موجوداً أو يمكن أن يكون له وجود عندهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ثم ارتفع لقال تعالى ليذهبكم عن الرجس، وأما استعمال عبارة: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ معناه أنّ الرجس هو الذي انصرف أو اندفع عنهم لا هم انصرفوا عنه؛ وانصرافه عنهم لأن تكوينهم تكوين مضاد للرجس، والضدان لا يجتمعان، وهذا الخطاب فيه إشارة لطيفة على أن الأصل في الوجود هو الطهارة التي هم حقيقة معناها^(١). فالرجس لا يمكن أن يقترب منهم، فلذا هم لا يهتمون برجس لاستحالة اجتماع الرجس مع تكوينهم الطاهر المطهر، وهو الانسجام التام بين معنى الإذهاب وهو الدفع مع الإرادة التكوينية الواردة في أول الآية الكريمة مع آخرها.

وأما المعنى الذي افترضناه في عبارة ليذهبكم عن الرجس، والذي يعطي معنى الرفع لا الدفع فإنه لا يفيد معنى الصرف التكويني عن الرجس، بل هو يعطي معنى قابلية الانجذاب إلى الرجس، وهو مناقض للعصمة حتى عصمة التبليغ المجمع عليها لدى جميع المسلمين؛ فمعنى الرفع يجعل الآية ذات عبارات متفككة لا ارتباط بينها، بل يناقض أولها ووسطها ووسطها آخرها، فتكون للآية عبارة ينفي بعضها بعضاً، وهو محال على المتكلم الخبير جلّ شأنه، فشتان بين أن يكونوا هم المنصرفين عن الرجس وبين أن يكون الرجس هو المنصرف عنهم.

(١) ومبدؤها الإشارة في تقديم ذكرهم صلوات الله عليهم أجمعين على ذكر الرجس.

خامساً: وجود تنوين التعظيم في قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ تَطْهِيراً﴾، ومع تكرار ﴿وَيُطَهِّرُهُمْ﴾ يجعل حمل الإذهب على الرفع، حمل الآية على الجمع بين المتضادين. حيث أن التعظيم الذي دلّ عليه التنوين يضاد إثبات وجود الرجس، على الأقل في فترة النبوة وهو يضاد أيضاً مقام الطهارة الذاتية الثابتة للنبي المصطفى ﷺ في آية التطهير والتي لا يمكن تحديدها بوقت دون آخر لعدم انفكاك اللازم الذاتي عن ملزومه مطلقاً.

سادساً: ترجمة الإذهب بالرفع يعني نقض للعصمة المجمع عليها شيعياً وسنة، سواء كان على قول أبناء السنة (هداهم الله لسنة نبينا المختار) في إثبات عصمته في التبليغ فقط، أو على قول الشيعة (أعز الله رايهم) في ثبوت العصمة المطلقة الكلية التي لا نظير لها في خلق الله جلّ وعلا. حيث أن إثبات الرجس لفترة واقعة في زمن النبوة يُعدُّ نقضاً للعصمة بكل معانيها.

سابعاً: ترجمة الإذهب بالرفع مخالفاً لآيات الكتاب المجيد الدالة على عصمته ومخالف أيضاً للسنّة المتواترة والدليل العقلي الدال على ذلك. والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً.

المبحث الثالث: حول معنى الرجس

فبعد أن مرّت عليكم معاني الرجس المتعددة والتي يمكن وضعها تحت عنوان واحد مشترك وهو أنّ الرجس اسم جامع لكلّ خبيث مادي كان أو معنوي، والألف واللام في كلمة ﴿الرَّجْسِ﴾ قيل عنها بأنها عهدية ذكرية فحينها لا يمكن لهم صرفها إلى أحد المعاني دون غيرها، لأنّه ترجيح بلا راجح، فمن الأولى هو أن تُصرف إلى الاسم الجامع لكلّ خبيث مادي أو

معنوي، ولذا فالأقرب أن تكون الألف واللام جنسية إستغراقية التي تشمل كل جنسٍ داخل أو يدخل تحت عنوان كلمة (رجس)، ودفعُ الجنس يُفيد نفي جميع أفرادهِ فلا يبقى لقائل أن يقول أن قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾ لا يفيد العموم. فيكون المراد من الحصر الأول إنما أراد الله سبحانه وتعالى تكويناً أن يصرف كل رجسٍ عنكم آل البيت، ويقولٍ آخر إنما يريدُ الله ليُذهب عنكم الرجس الذي اعترى سواكم بعصمتكم عنه، بإرادة الله التكوينية في دفع كل رجسٍ عن آل البيت مقطع مقدم في الحصر، وهو بمفرده دالٌّ على العصمة المطلقة.

أما المراد من التطهير فذاك ما سنأتي على بيانه تباعاً إن شاء الله تعالى.

المبحث الرابع: {أهل البيت}

أجمعت الشيعة (أعزَّ الله رايتها) على أن المعني بآل البيت هم العترة الطاهرة آل بيت رسول الله المصطفى صلى الله عليه وآله وهم الإمام علي المرتضى وسيدة النساء فاطمة الزهراء والإمام الحسن السبط المجتبي والإمام الحسين السبط شهيد كربلاء والأئمة التسعة الميامين المعصومين الطاهرين المطهرين من ذرية الحسين عليهم جميعاً (صلوات الله ورحمته وسلامه)، وأما المعني بآية التطهير مع مناسبة نزول النص الشريف فهم أصحاب الكساء اليماني الخمسة وهم رسول الله المصطفى صلى الله عليه وآله وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبي والحسين شهيد كربلاء (صلوات الله وسلامه عليكم آل البيت).

أما عند أبناء السنة (هداهم الله لسنة نبينا المصطفى) فقد اختلفت أقوالهم

وإن أقرَّ معظمهم بشكل أو بآخر بأنها نازلة بالعترة الطاهرة عليها السلام ، ويمكن إجمال أقوالهم بالتالي:

القول الأول: إنها نازلة في نساء النبي صلى الله عليه وآله.

القول الثاني: إنها نازلة في أمة النبي صلى الله عليه وآله.

القول الثالث: إنها لا تشمل نساء النبي جزماً بل تشمل أقربائه وأعمامه.

القول الرابع: إنها جزماً في العترة عليها السلام وأضافوا إليهم النساء.

القول الخامس: إنها في العترة أصحاب الكساء الخمسة فقط، ولا تشمل النساء ولا باقي أقاربه وأعمامه.

وقفه لمناقشة أقوال أبناء العامة

قولهم الأول: إنها نازلة حصرأ في نساء النبي.

استدل أصحاب هذا الرأي بدليلين لا ثالث لهما.

دليلهم الأول: السنة.

دليلهم الثاني: وحدة السياق.

أما الأول: السنة، فلم يذكروا لها أبناء العامة إلا طريقتين نقلهما غالب مفسريهم ومنهم السيوطي في الدر المنثور والتي سندها عكرمة عن ابن عباس فهو كان يقول: " ليس بالذي تذهبون إليه إنها نازلة في نساء النبي ومن شاء باهلهته ". تم الخبر، بالله عليك هل هذه سنة رسول الله صلى الله عليه وآله أم

سنة عكرمة رسول الله ﷺ!!؟!! ومَن هو عكرمة!!؟

تحدثت عنه كتب الرجال السنية وعلى سبيل المثال ميزان الاعتدال، وكتاب وفيات الأعيان وغيرها الكثير الكثير لا أريد ذكرها فأطيل فما هو إلا كافر رذيل حقير.

وقد نصت كتبهم بأن عكرمة ومقاتل كانا من الخوارج المعاندين والمحاربين لأمير المؤمنين عليه السلام وقد اتفقت كلمة المسلمين على حديث روه عن الصادق الأمين قاله لعلي المرتضى مولى الموحدين (أنا سلم لمن سالمك وحرب لمن حربك)، فهذا معتقده. وزاد القوم على كونه محارباً لأمير المؤمنين عليه السلام بأنه كان مفتر كذاب ومعروفاً بالكذب والوضع^(١)، وقد اشتهر كذبه على ابن عباس فقام عبد الله بن عباس بربطه على الكنيف كي يردعه عن كذبه وافترائه وكان مضرباً للأمثال في الكذب والفرية، فعن ابن المسيب قال لمولى له: " لا تكذب عليّ كما كذب عكرمة على ابن عباس " ، وقال ابن عمر لمولاه نافع ذلك، فيالها من عقيدة ويالها من وثاقة جعلها القوم من السنة!!! رحم الله الصاحب بن عباد إذ قال:

بحبِ عليٍّ تزولُ الشكوك

وتزكى النفوسُ ويصفوا النجار

فمهما رأيتَ مُجْبأً له

فثمَّ الزكاءُ وثمَّ الفخار

ومهما رأيتَ عدواً له

ففي أصله نسبٌ مستعار

(١) راجع دلائل الصدق للشيخ المظفر في الجزء الأول في ترجمة عكرمة وكذلك الأصول

فلا تعدلوه على فعله

فحيطان دار أبيه قصار

فالرواية ساقطة سنداً، والمفتري أقرَّ على نفسه سلفاً بأن نزولها بآل بيت النبي قطعاً وحتماً وأبداً. فكيف مع روايتهم عن ابن عباس بطريق الثقات من أنها نازلة في أصحاب الكساء الخمسة عليهم السلام؟!!

لقد كذب الواشون فيما تخرصوا

وحاشى الضحى أن يعتريه ظلام

هذا مضافاً إلى أن قول عكرمة يدل على شهرة الحديث في الصدر الأول من الإسلام وإلا ما احتاج إلى أن يُباهل أحداً.

دليلهم الثاني: وحدة السياق، وهو وحدة الخطاب في سابق آية التطهير ولاحقها متوجه إلى نساء النبي عليهن السلام مع أن دليلهم بوحدة السياق ليس فقط اجتهاد عن غير نص، بل هو اجتهاد في قبال النصوص. ولكن نجيب عليه دفعاً للشبهة من أنها شبهة باطلة من عدة وجوه ومنها:

أولاً: أن لحن الخطاب في الآيات السابقة واللاحقة لآية التطهير فيها عتاب شديد قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّتْهَا فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرًا جَمِيلًا﴾^(١)، وقال: ﴿وَيُنْسَأَنَّ النَّبِيَّ مَن يَأْتِي مِنْكَنَّ بِفَلْحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضْعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢)، وقال: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(٣)، ولحن العتاب

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٨.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

الشديد هذا مع التهديد لا يمكن أن ينسجم مع ما جاء من تعظيم وتكريم لم يوصف به أحد من عصارة خلاصة خلق الله أجمعين، فكيف به لو ضم إليه ما جاء في سورة التحريم من تقرير شديد لبعض نساء النبي عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ. وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١).

وقال تعالى أيضاً: ﴿إِنْ نُبُؤًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾^(٢)، فالخطاب موجه إلى اثنين من زوجات النبي وهو واضح لا يحتاج إلى بيان، ثم قال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مَسْلَمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَيَبَّتْ عَيْدَاتٍ سَيَحِبَّنَّ تَيَبَّتْ وَأَبْكَارًا﴾^(٣)، فهل هناك تقرير وتهديد أشد من ذلك؟! ثم ضرب الله مثلاً لهاتين المرأتين، فقال جلّ وعلا: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَاتٍ نُوحٍ وَامْرَأَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾^(٤)، فإن كان عندك استعداد للسمع أكثر فابق معنا لتعرف الحق إن كنت من مُريديه وتوسل بالذي خلقك فسواك وعدلك أن لا يجعل النارَ موردك بل يجعل الجنة موعِدك.

ثانياً: اختلاف الضمائر، فإن الخطاب في الآيات السابقة واللاحقة بآية التطهير الضمير فيها هو ضمير التأنيث، وأما الضمير في آية التطهير فهو التذكير وأنه لا خلاف بين أهل العربية أن جمع المذكر بالميم وجمع المؤنث

-
- (١) سورة التحريم الآية ٣.
 (٢) سورة التحريم الآية ٤.
 (٣) سورة التحريم الآية ٥.
 (٤) سورة التحريم الآية ١٠.

بالنون وهما علامتي الفصل بينهما ولا يجوز في لغة العرب وضع علامة التذكير على التأنيث أو العكس لا حقيقةً ولا مجازاً، فدعواكم هذه لا تتم إلا في الكلام الملحون للأعاجم، فتغير اللفظ في هذه الآيات دليلاً كافياً على بطلان دعوى وحدة السياق.

ثالثاً: أن وحدة السياق تقتضي عدم إمكانية رفع آية أو مقطع منها لأن الرفع يؤدي إلى حدوث خلل بوحدة السياق ومع بطلان التالي فالمقدم مثله قال تعالى: ﴿ وَقُرْآنَ فِي بُيُوتِكُمْ فَلَا تَبْرَحْنَ فِيهَا فَجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ ﴾ (٣٣) وَأَذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٤٠﴾ ، فهذا كلام الله وقد حذف منه مقطع آية التطهير فإنك لا تجد إلا عبارة منتظمة مستوسقة فأين دعوى وحدة السياق!!؟

رابعاً: يُشترط أيضاً في وحدة السياق وحدة الموضوع والمحمول، ويقتضي ذلك وحدة النزول أيضاً، ودون المدعي إثبات ذلك خرط القتاد. فعدم وحدة الموضوع والمحمول صار واضحاً لديكم مما تقدم. وأما وحدة النزول، فللنزول ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: إنها نزلت نزولاً واحداً، وهو باطل قطعاً بشهادة عدم وجود رواية واحدة تدل على ذلك، بل على العكس تماماً فلقد كان النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ويستشهد بها لوحدتها على الدوام من دون أن يقرأ معها المقاطع التي قبلها والتي تليها.

الاحتمال الثاني: إنها نزلت مستقلة ووضعت في هذا الموضع وكم له نظير في القرآن الكريم من وجود آية مكية في وسط آيات مدنية أو العكس، وهذا ما اتفقت عليه كلمة المحققين في علوم القرآن، ولهذا الاحتمال

بلحاظ الواضع وجهان:

الوجه الأول: أن الواضع لها هو النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وقد وردت إلينا روايات كثيرة تقول أن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي كان يقول ضعوا هذه الآية في السورة الفلانية وفي المكان الفلاني وقرأ الآية التي قبلها والتي بعدها، وهو الرأي المحقق. فهذا الترتيب إذاً هو الترتيب الذي قال عنه تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾^(١)، فالواضع الحقيقي إذاً هو الله سبحانه، وإن لهذا الترتيب منافع عظيمة تؤازر ما دلت عليه عظمة آية التطهير.

الوجه الثاني: أن الواضع هو من جمع القرآن محاولة منه لصرف الآية عن العترة ونسبته إلى النساء هذا وإن ادعاه البعض إلا أنه ضعيف.

خامساً: أن وحدة السياق قد وافقت هوى القوم (وكم من عقل أسير عند هوى أمير)، فكيف ادعوا لنساء النبي صلى الله عليه وآله ما لم تدع النساء لأنفسهن ذلك، وفيهن من كانت بأمرس الحاجة لاستنقاذ موقفها ولو كان بأدنى حجة؟! فكيف مع تواتر الأخبار التي جاءت عن نساء النبي صلى الله عليه وآله بأن المعنى بنزول هذه الآية الكريمة العترة الطاهرة عليه السلام ولا سيما ذاك الذي نقل عن أم سلمة رضي الله عنها، فقد سجل عنها أكثر من مائة وعشرين طريقاً لكلا الفتيتين وكذلك قد روت العامة عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (أنه خرج وعليه مُرط مُرَّخَل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢)).

سادساً: دعوى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والحسن

(١) سورة النجم الآيات ٣ و٤.

(٢) البحار الشريف ج ٢٦ ص ٢٨٨ وهو ينقلها عن موارد سنية.

والحسين عليه السلام نزول الآية فيهم وفي عدة مواطن ولم ينكر أحد من الناس عليهم ذلك، بل أيدهم ووافقوهم وشهدوا لهم بذلك، وإن أدنى ما قيل في العترة الطاهرة هو ما جاء عن أبناء العامة ومنهم الألوسي إنهم في قمة الوثاقة فإن أدنى ما قالوه عنهم يلزمهم بتصديق ما ادعوه أم أنهم قد اعتادوا على الأخذ بأقوال الفجرة كمقاتل وعكرمة وترك أقوال العلماء البررة العترة الطاهرة عليه السلام!!؟

سابعاً: إتفقت كلمة المسلمين أن الآية دالة على العصمة في أعلى درجاتها وعلى وجود منقبة وفضيلة عظيمة لآل البيت عليهم السلام، ومما اتفقت عليه كلمة المسلمين شيعة وسنة أيضاً على عدم عصمة نساء النبي صلى الله عليه وآله بل أكثر من ذلك تعال معي لتتنقل في طيات الكتب وهوامش التاريخ. فإن كان عندك الاستعداد لإتمام البحث فافعل واستعن بالله، وإن لم يكن عندك ذاك الاستعداد فانصرف إلى بحثٍ آخر ثم عد متى شئت.

إستعن بالله ثم اسمع وانظر وفكر واترك عنك عصبية لا تجني من ورائها إلا الضرر.

هل أن عائشة أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وآله؟

ثم في من نزلت تلك الآيات من سورة الأحزاب وتلك الآيات في سورة التحريم!!؟

وأين الذكر لباقي نساء النبي صلى الله عليه وآله!!؟

ولماذا هذا الاقتصار على عائشة أولاً وحفصة ثانياً!!؟

ولماذا لم تُذكر سيدتنا خديجة وأم سلمة وزينب بنت جحش ومارية

القبطية والأخريات عليهن السلام!!؟

فهل ذكرُ عائشة حياً فيها أم بغضاً في علي بن أبي طالب عليه السلام؟!
ولماذا ذُكرت في كتب الشيعة مطاعن لعائشة أولاً ولحفصة ثانياً دون
زوجات النبي صلى الله عليه وآله؟!!

ولو كان عندهم غاية في التجاوز على نساء النبي صلى الله عليه وآله وأمهات المؤمنين
(عليهن السلام)، فلماذا هذا الاقتصار على عائشة ثم حفصة؟!!

وهل أن مقام القدسية مرتبط بألقاب نحن واضعوها كلقب الصاحب
أو التابع أو الزوجة؟!!

أم أن مقام القدسية مرتبط بالقرب الإلهي والطاعة إلى رب
الأرباب؟!!

أنا أحرك فيك فقط مجموعة من الأسئلة للإقبال على الحقائق بقلب
مستعدٍ لسماع ذلك ومن الله التوفيق.

أما جواب السؤال الأول: هل أن عائشة أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وآله؟ هذا
ما قاله الإعلام السني ونقلته بعض كتب العامة والحقيقة في كتبهم وعندنا
غير ذلك بل الحقيقة في القرآن غير ذلك.

وقفه مع الماضي على بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وتجديد نظر لمن اعتبر

إعلم هداك الله بهديه، أن مطاعن عائشة أولاً وحفصة ثانياً ليس أمراً
مقصوراً على الشيعة فحسب كما صوره الحاقدون والمعاندون النواصب
بل هو أمر تناقلته الكتب السنية أيضاً. نعم امتاز الشيعة عن أبناء العامة بأن
كلّ ما وقع من ظلم وضيم وضرر وافتراء وتجاوز بالضرب والطعن والركل
واللطم والجلد والحبس وباقي فنون التعذيب والقتل لم تكن تمثل عندهم
نظرة تاريخية عابرة، بل أنهم كانوا ولا زالوا والى يوم الدين جزءاً من ذلك

الظلم والحييف الذي قد وقع على المعصومين عليهم السلام ، فما أصابهم أصاب شيعتهم ، وما أصاب شيعتهم أصابهم ، فهم يمثلون حقيقة الحديث الشريف الوارد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لا والله لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكون لأخيه مثل الجسد إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه)^(١) ، وعن أبي جعفر عليه السلام انه قال: (المؤمنون في تبارهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائر بالسهل والحمى)^(٢).

فبكاء الشيعة وما يقومون به من مراسم عزاء على رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والحسن والحسين وباقي الأئمة المعصومين والذرية الطيبة الطاهرة من نسل أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) طوال أيام السنة ولياليها لم يكن ذلك لإثبات موقف هذه الطائفة العزيزة إزاء قضية تاريخية فحسب، بل القضية أعمق من ذلك بكثير فالعلاقة التكوينية بين الشيعي وسادته المعصومين لها دوافع روحية وتكوينية لا تضعف جذوتها ولا تزول حتى لو قُطِعَ أحدهم في حبه إرباً إرباً.

قال أمير المؤمنين عليه السلام لابن الكواء: (يا ابن الكواء إن محبيننا لو قطعناهم إرباً إرباً ما ازدادوا لنا إلا حبا وإن في أعدائنا من لو ألقناهم السمن والعسل ما ازدادوا لنا إلا بغضا)^(٣).

سمعتُ من أحد الأساتذة الأعلام من أهل العلم والإيمان والمروءة (دام الله عزّه وعافاه) في مدينة قم المقدسة في إيران وهو ينقل هذه الحادثة التي قد وقعت لأحد المؤمنين الثقات وقد كنتُ اطلعت على هذه الحادثة

(١) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٣، باب حقوق الإخوان. غرر الحكم ٢٣٤٣، الفصل الخامس

ح ٩٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٧١ ص ٢٣٤، باب حقوق الإخوان.

(٣) مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، ابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٥٩.

أيضاً عن طريق أحد الإخوة الذين كتب الله لهم النجاة من تلك الحادثة بأنهم قد أُلقيَ القبض عليهم في أيام حكومة الزعيم صدام المشؤومة في العراق وقد رُجَّح بهم في معتقل المديرية العامة في بغداد لسبل الاعترافات منهم بجرم سياسي كانوا بُراء منه، وقد عُدبوا بشتى أساليب التعذيب، وكان من بين تلك المجموعة المؤمنة التي ليس لها ذنب إلا حب أشرف الأنام وذريته الكرام عليهم آلاف التحية والسلام مؤمنٌ قد أكثر رجال الأمن في تعذيبه وإيذائه، ولكن ذاك المؤمن كان كلما يُعذب ويُضرب ويكوى بالنار كان يستجيرُ ويستغيثُ بالقائم من آل محمد عليهم السلام، كان الشباب كلما سمعوا استجارته واستغاثته بالإمام عليه السلام كانوا يزدادون صبراً وقوة وعزيمة واستمراً ذاك الشاب وهو يسحبُ من بين أقرانه وإخوانه ولا يرجعون به إلا وهم يجرونه مغمى عليه من شدة التعذيب والضرب وفي الأيام الأخيرة من سجنهم في ذلك المعتقل توقفَ ذلك الشاب عن الاستغاثة والاستجارة بالإمام عليه السلام رغم أن حاله في التعذيب لم يتغير فقرر أقرانه الذين يقومون بتمريره بعد أن يلقي إليهم به أن يسألوه عن سبب توقفه عن الاستجارة والاستغاثة بالإمام عليه السلام، وفي ذلك اليوم وبعد أن عاد به رجال الأمن وهو بتلك الحالة مغشياً عليه قام الشاب بتمريره حتى فتحَ عينيه فسأله أحدهم قائلاً: يا أخي أنت في كل يوم حينما كنت تعذب وتضرب كنت تستجير وتستغيث بالإمام الحجة عليه السلام وكان هذا يزيدُ في صبرنا وعزمنا وقوتنا وكان سلوةً لنا فيما نحن فيه، ولكن نراك هذه الأيام قد توقفت عن ذلك؟! بكى حينها ذاك الشاب وقال لا، لا فإنكم لن تسمعوا بعد هذا اليوم استغاثتي ولا استجارتي بالإمام عليه السلام ما دمتُ أعذب، ثم طال بكأوه فقالوا ولماذا؟ قال ودموعه جارية لقد رأيتُه عليه السلام في عشية ذاك اليوم الذي توقفتُ بعده عن الاستغاثة وقد قال لي يا فلان إنك ما استغثت ولا استجرت بي وأنت تعذب وتضرب إلا أثر في ذلك كما يؤثر فيك ثم زاد بكأوه وقال: ثم استدار

الإمام عليه السلام وإذا بثوبه ممزق وبظهره المقدس يسيل منه دمًا عبيطاً من شدة الضرب وما من جرح على ظهري إلا وهو على ظهره الشريف.

فعلاقة الشيعة بأئمتهم وبسيدة النساء فاطمة الزهراء وبالذرية الطيبة الطاهرة لا يمكن وصفها ولا يمكن حدها.

ما يعرف العشق سوى متيمٌ

لذ له قيل الهوى وقاله

ومن هذه الطلة تعرف الفارق بين نظرة الشيعة (أعزّ الله رايتهم) وبين نظرة السنة (هداهم الله لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله) فالشيعة تنظر بمنظار التكوين على أنهم جزءٌ من الحدث وما أطلقت عليه السنة ماضي فهو عند الشيعة حاضرٌ متجدد لا تبليه الدهور والأعوام مهما تطاولت الأزمان ف (كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء) فشتان بينهما.

إلى الله أشكو لوعة عند ذكرهم

سقتني بكأس الذل والفضعات^(١)

ولكنني أريد أن أطلعك على المسألة التاريخية فلعلك تتفهم ما تحس به الشيعة، وإن كنت شيعياً فاقراً واسمع وانظر في دينك وازدد يقيناً واحمد الله على أفضل نعم الله واحرص على أن يكون إيمانك إيماناً مستقراً لا يتزلزل عما عقدت عليه حتى لو تزلزلت الجبال الراسيات عن مراسيها. قال تعالى:

﴿مَسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾^(٢).

أما علاقة أبناء العامة بالعترة فهي لا تتجاوز عن كونها علاقة عادية يعاملوهم معاملة الرواة ليس لهم من الفضل سوى أنهم ثقات في أعلى

(١) بيت من الشعر مقتطف من قصيدة دعبل الخزاعي.

(٢) سورة الأنعام الآية ٩٨.

درجات الوثاقة وقد ألجأتهم الأدلة القطعية للإقرار بأدنى درجات الحق للحفاظ على ماء وجوهم وفراراً من القول بعصمتهم ودونك كتبهم فإنك تجد فيها العجب ولو قمت بمقارنة بسيطة بين رجل من أهل الصفة ستر عورته بخرقة، حامل الذكر وأسلم في السنوات الأخيرة من البعثة وقبل وفاة رسول الله ﷺ ببضع سنوات ينقل من الأحاديث عن رسول الله ﷺ في صحاحهم أكثر مما ينقل عندهم جميع العترة الطاهرة عليهم السلام بأضعاف فهل أن أبا هريرة كان أول من اخترع أجهزة التنصت والرادار ونحن لا نعلم؟!!

أم أن أصحاب الصحاح كانوا مستحقين لجائزة نوبل على اختراع أسماء أمثال أبو هريرة ومقاتل وعكرمة للوقوف أمام مدّ العصمة؟!!

غالبُ أبناء العامة لا تربطهم بآل البيت عليهم السلام رابطة؟!!

فنحن إذا تتبعنا كتبهم نجد فيها أن كل جريمة قد وقعت على آل البيت عليهم السلام قالوا عن المجرم اجتهد وأخطأ فعائشة في حربها ضد أمير المؤمنين عليه السلام اجتهدت المرأة فأخطأت وشنيع فعلها مع الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام وإيذائها لفاطمة الزهراء عليها السلام كان من ذاك الاجتهاد.

وتعال معي لتطلع على غيظ من فيض مما سؤد القوم صحائف التاريخ بسوادِ أفعالهم ولكن ماذا تقول للذي يرى القار حليباً؟!!

إعلم أيها العزيز أن مطاعن عائشة وحفصة نقلها البخاري ومسلم وباقي أصحاب صحاحهم وكتب التاريخ والأحاديث والتفاسير، وإن دفعها بعضهم بأعذار واهية أو علّقها على قاعدة (اجتهد فأخطأ فله حسنة) فما أكثر حسنات القوم؟! ولكن لنرى هل أن القوم قادرين على دفع ما جاء في القرآن الكريم أو ما وضعه رسول الله ﷺ فلنا في هذا المقام وقفة ولهذه الوقفة نظرات.

النظرة الأولى

غيرة عائشة من سيدة نساء العالمين خديجة عليها السلام بعد وفاتها، وإيذاء رسول الله ﷺ بالانتقاص منها.

١. أن عائشة قالت لرسول الله ﷺ حينما ذكرت السيدة خديجة أمامه وتجدد حُزنه عليها قالت عائشة له: ما تذكر من عجوز عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيراً منها، فقال رسول الله ﷺ: ما أبدلني الله بخيراً منها^(١).

٢. ذكر رسول الله ﷺ خديجة ذات يوم فتناولتها فقالت أعجوز كذا وكذا وقد أبدلك الله خيراً منها فقال: ما أبدلني الله خيراً منها، لقد آمنت بي حين كفر بي الناس، وصدقني حين كذبني الناس وأشركتني في مالها حين حرمني الناس ورزقني الله منها الولد وحرمني من غيرها^(٢).

٣. إن عائشة قالت: ما غرتُ على رسول الله ﷺ كما غرتُ على خديجة. ويذكر البخاري أنه عندما زارت هالة أخت خديجة رسول الله ﷺ لم تستطع عائشة أن تكتم غيرتها أمامهما وقالت ذلك الكلام في خديجة^(٣).

أما ابن حجر العسقلاني فنقل الرواية عن عائشة واسند الانتقاص من

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج ٧/١١١، ونقلاً عن أحمد والطبراني والأصبهاني.

(٢) ذكرها ابن أبي الحديد المتعزلي، ومن صحاح السنن المستفيضة فراجعها في أصول خديجة الكبرى في الاستيعاب وقد أخرجها البخاري ومسلم في صحيحهما بلفظ مقارب من ذلك عن عروة، وفي تاريخ دمشق لأبن عساكر.

(٣) البخاري باب أحاديث عائشة.

سيدتنا خديجة إلى أختها هالة أما كيف ولماذا؟ فهي لا تتجاوز عن كونها محاولة من ابن حجر للإصلاح (ولا يُصلح العطار ما أفسده الدهر)، فكيف إذا كان العطار هنا فاسداً!!

٤. عن عائشة أنها قالت: كان رسول الله ﷺ لا يكاد يخرج من البيت حتى يذكر خديجة فيحسن الثناء عليها. وقال في الاستيعاب ما فتى الرسول يذكرُ خديجة حتى أوغر صدرَ عائشة فأثر ذلك تأثيراً بليغاً في علاقتها مع فاطمة ابنة خديجة.

يالها من غيرة آذت رسول الله ﷺ ثم آذت ابنته فاطمة الزهراء المعصومة الطاهرة المطهرة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين فقط لأنها ابنة ضررتها التي ماتت قبل أن تتزوج عائشة بأبيها!! قال رسول الله ﷺ: (فاطمة بضعةٌ مني من أغضبها فقد أغضبني)^(١).

ولو قارنا فعل عائشة بفعل أم سلمة عليها السلام فقد جاء أيضاً في صحاحهم في باب زواج فاطمة عليها السلام أنه في زواج فاطمة الزهراء ذكرت بعض النسوة - ومنهن أم سلمة - خديجة بخير وعلى أنهن يقمن بما لو كانت خديجة حاضرة في زواج ابنتها، فسمع النبي ذلك فبكى وقال خديجة ومَن مثل خديجة صدقتني حين كذبتني الناس وآزرتني على دين الله وأعانتني عليه بمالها إن الله ﷻ أمرني أن أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد لا صخب فيه ولا نصب. قالت أم سلمة فدينك بأبائنا وأمهاتنا إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنها قد مضت إلى ربها فهناها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في جنته - إلى آخر الحديث الشريف.

فهذا قول أم سلمة وذاك قول عائشة فشتان ما بينهما.

(١) البخاري في صحيحه باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ.

وإن فضل سيدتنا خديجة على سائر النساء عدا ابنتها فاطمة الزهراء أمر قد تناقلته جميع كتب الأحاديث شيعة وسنة^(١)، وإن تغافلت عنها أبناء العامة.

النظرة الثانية: إيذاء عائشة لزوجات النبي ﷺ وتظاهرها مع حفصة عليهن

١. دخل رسول الله ﷺ على صفية وهي تبكي، فقال لها ما يبكيك؟ قالت بلغني أن عائشة وحفصة تنالان مني وتقولان نحن خيراً من صفية، قال ألا قلت لهن كيف تكن خيراً مني، وأبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد^(٢).

(١) نقل الطبري في تفسيره بسند متصل برسول الله ﷺ أنه قال: (خير نساء الجنة مريم بنت عمران، وخير نساء الجنة خديجة بنت خويلد) ج ٦ ص ٣٩٤ وص ٤٠٠، وقد وثقه في المسند، ورواه أحمد في مسنده عن عبد الله بن نمير ٦٤٠، وعن وكيع ١١٠٩، وعن محمد بن بشر ١٢١١ ثلاثتهم عن هشام بن عروة. ورواه ابنه عبد الله في المسند عن طريق أبي خيثمة، ووكيع، وأبي معاوية ثلاثتهم عن هشام بن عروة. ورواه البخاري ج ٦: ٣٣٩، ج ٧: ١٠٠-١١٠، ومسلم ج ٢: ٢٤٣، والترمذي ج ٤: ٣٦٥ وقال عنه بأنه صحيح في المناقب في باب فضل خديجة ج ١ ص ٣٨٩١-٣٩٠، ورواه الحاكم في المستدرک ج ٣: ١٨٤، وذكره ابن كثير في تفسيره ج ٢ ص ٤٠ وص ١٣٨، وفي التاريخ ج ٢: ٥٩ عن الصحيحين، والسيوطي ج ٢: ٢٣، والقرطبي في تفسيره ج ٤ ص ٨٣، وذكر عنه الترمذي بأنه صحيح في المناقب في فضل خديجة ج ٣٨٩١-٣٩٠ وصححه الحاكم أيضاً ج ٣/ ١٥٧ وأحمد بن حنبل: ١٣٥ / ٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩ / ١٥٧ وروى ابن كثير في تفسيره ج ٨ ص ١٦٦ بحديث صحيح عن رسول الله ﷺ: (إن الله يقرأ خديجة السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا نصب فيه ولا صخب، من لؤلؤة جوفاء... إلى آخر الحديث الشريف)، وقد نقل هذا الحديث الكثير من أبناء العامة.

(٢) أخرجه الترمذي من طريق كنانة مولى أم المؤمنين صفية، وأورده عبد البرقي ترجمة صفية في الاستيعاب، وابن حجر في ترجمتها في الإصابة، والشيخ رشيد رضا في ص ٥٨٩ من المجلد ١٢ من مناره، وغير واحد من نقلة الأثر.

٢. وقد مرَّ عليك خبر اتفاق عائشة وحفصة على زينب بنت جحش عليها السلام حينما أكل رسول الله ﷺ عسلاً عندها وقلن له: (نشمُّ منك رائحة المغافير).

٣. تظاهرهما في قضية مارية القبطية عليها السلام وخيانتها للأمانة وستأتي عليك حادثة الإفك.

٤. جاء عن الحسن البصري أن رسول الله ﷺ تزوج بامرأة من بني عامر بن صعصعة يقال لها سنى، وكانت من أجمل أهل زمانها فلما نظرت إليها عائشة وحفصة قالتا لتغلبنا هذه على رسول الله ﷺ بجمالها، فقالتا لها لا يرى فيك رسول الله ﷺ حرصاً وهو يحب أن تقولي له حينما يدخل (أعوذُ بالله) فلما دخلت على الرسول تناولها بيده فقالت (أعوذُ بالله) فانقبضت يده عنها فطلقها وألحقها إلى أهلها.

وقد ثبت عندهم وعندنا أن رسول الله ﷺ قال: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ متعمداً فليتبؤْ مقعده في النار).

المنظرة الثالثة: عائشة وعثمان

١. وقفت عائشة في وقت خلافة عثمان موقفاً شديداً ضده، وألبت الناس على قتله بعدما كانت من أشد المؤيدين له لكي لا يصل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الحكومة فجاء في تاريخ اليعقوبي: «أصبحت عائشة من أشد المعارضين لعثمان بعد أن كانت أقوى مؤيديه»^(١) وقد أخرجت نعل رسول الله ﷺ لتهيج القوم ضد

(١) تاريخ اليعقوبي، أنساب الأشراف ٤ / ١٧٥.

عثمان، عن الزهري قال: «خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد فقال:... لئن أصبحتُ لانكلنَّ بكم فاستجاروا بعائشة وأصبح عثمان فقال: أما يجدون مَرَّاق أهل العراق وفساقهم ملجأً إلا بيت عائشة؟ فسمعت به فرفعت نعلَ رسول الله ﷺ وقالت تركت سنة رسول الله ﷺ صاحب هذا النعل... فتسامع الناس فجاءوا... حتى تحاضروا وتضاربوا بالنعال... في رواية البلاذري عن الواقدي في باب اختلاف عائشة مع عثمان نقلاً عن أحاديث عائشة»^(١). قال: أن عثمان قام بضرب بعض اليهود أسواطاً (حداً على شهادتهم) لأنهم شهدوا على أخيه فأتوا اليهود وقصَّ الخبر^(٢).

وقالت عائشة حينما وَصَلَ لها خبرُ مقتلِ عثمان: أبعدَه اللهُ قتلَه ذنبه، وأقاده اللهُ بعمله^(٣). وهي التي نشرت الحديث (اشهدوا أن عثمان جيفة على الصراط)^(٤). وقالت: «إن عثمان سيشأم قومه كما شأم أبو سفيان قومه يوم بدر»^(٥)، فقد كانت عائشة تعتقد أن النصر الذي حَصَلَ المسلمون عليه يوم بدر من شؤم أبي سفيان لقومه وليس نصراً من الله.

٢. ولما علمت عائشة أن الناس ضجوا يتوسلون بأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كي يتولى شؤون الخلافة صار عثمان في نظر عائشة شهيداً.

قال أبو مخنف إن عائشة جاءت إلى أم سلمة تخادعها على الخروج

(١) أحاديث عائشة ص ١٢١.

(٢) رواه البلاذري عن الواقدي أيضاً.

(٣) البلاذري في انساب الأشراف ٥/ ٩١، كنز العمال ٣/ ١٦١.

(٤) أحاديث عائشة ص ١٦٦.

(٥) البلاذري في انساب الأشراف ٥/ ٩١، كنز العمال ٣/ ١٦١.

للطلب بدم عثمان فقالت لها يا بنت أبي أمية أنتِ أول مهاجرة من أزواج رسول الله ﷺ وأنت كبيرة أمهات المؤمنين وكان رسول الله ﷺ يقسم لنا من بيتك وكان جبرائيل أكثر ما يكون في منزلك... إلى آخر كلامها في مُخادعة أم سلمة للخروج معها، فلم ينطو هذا الخداع عليها ولما وجدتها قد قررت الخروج على جملها مخالفة لوصية رسول الله ﷺ قالت: يا عائشة إنك سدة بين رسول الله ﷺ وبين أمته، حجابك مضروب على حرمة، وقد جمع القرآن دينك... وسكن الله عقيرك، فلا تصحريها. فقالت عائشة ليس الأمر كما تقولين... أصلحتُ بين فئتين متناجرتين^(١).

قل بربك من أفضل أم سلمة عليها السلام أم عائشة!؟

واسمع جواب أم سلمة بتفصيل أدق ثم احكم: جاء احتجاج أم سلمة زوجة رسول الله ﷺ على عائشة في الإنكار عليها بخروجها على علي أمير المؤمنين عليه السلام. روى الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا عبد الله بن الزبير فقالا له: إن عثمان قتل مظلوماً، وإنا نخاف أمر أمة محمد أن يختل، فإن رأيت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا ويشعب بها صدعا. فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله بن الزبير في سترها وجلست على الباب فأبلغها ما أرسلا به إليها فقالت: سبحان الله ما أمرت بالخروج، وما تحضرني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة فإن خرجت، خرجت معها. فرجع إليهما فبلغهما ذلك فقالا: إرجع إليها فلتأتها فهي أثقل عليها منا، فرجع إليها فبلغها، فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة فقالت: أم سلمة مرحباً بعائشة، والله ما كنت لي بزواره فما بدالك؟ قالت: قدم طلحة والزبير فخبرا

(١) بلاغة النساء لابن طيفور ص ٨، الفائق للزنجشيري ١ / ٢٩٠، العقد الفريد ٣ / ٦٩، شرح نهج البلاغة ٢ / ٧٩.

أن أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما. فصرخت أم سلمة صرخة أسمعت من في الدار فقالت يا عائشة بالأمس أنت تشهدين عليه بالكفر، وهو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما! فما تريدين؟ قالت: تخرجين معنا فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد قالت: يا عائشة تخرجين وقد سمعت من رسول الله ﷺ ما سمعنا؟ نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقك إن صدقت أتذكرين يوماً كان نوبتك من رسول الله ﷺ، فصنعت حريرة في بيتي فأتيته بها وهو يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتباح كلاب ماء بالعراق يقال له: "الحوأب" امرأة من نسائي في فئة باغية، فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إلي وقال: ما بالك يا أم سلمة؟ فقلت: يا رسول الله ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول ما يؤمنني أن أكون هي أنا؟! فضحكت أنت فالتفت إليك فقال مم تضحكين يا حميراء الساقين؟ إني أحسبك هي. ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة أسرى بنا مع رسول الله من مكان كذا وكذا وهو بيني وبين علي بن أبي طالب عليه السلام يحدثنا، فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي فرفع مقرعة كانت معه يضرب بها وجه جملك قال: أما والله ما يومه منك بواحدة، أما أنه لا يبغضه إلا منافق كذاب. وأنشدك بالله أتذكرين مرض رسول الله ﷺ الذي قبض فيه، فأتاه أبوك يعوده ومعه عمر. وقد كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتعاهد ثوب رسول الله ﷺ ونعله وخفه ويصلح ما وهي منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله ﷺ وهي حضرمية فهو يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما، فقالا: يا رسول الله كيف أصبحت؟ قال أصبحت أحمد الله، قالا: لا بد من الموت، قال: أجل لا بد من الموت، قالا: يا رسول الله فهل استخلفت أحد قال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل فخرجا فمرا على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يخصف نعل رسول الله ﷺ، كل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه، ثم قالت أم سلمة يا عائشة أنا أخرج على علي بعد الذي سمعته من

رسول الله ﷺ؟! فرجعت عائشة إلى منزلها فقالت يا بن الزبير أبلغهما أنني لست بخارجة من بعد الذي سمعت من أم سلمة، فرجع فبلغهما قال: فما انتصف الليل حتى سمعت رغاء إبلهما ترتحل فارتحلت معهما^(١).

ثم اسمع ما أبطلته عائشة على نفسها.

قال النعمان بن بشير أن عائشة قالت لي: (يا بني ألا أحدثك بشيء سمعته من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى. قالت: فإني كنت وحفصة يوماً من ذلك عند رسول الله ﷺ فقال: لو كان عندنا رجل يُحدثنا. فقلت: يا رسول الله، ألا أبعث لك أبي بكر؟ فسكت ثم قال: لو كان عندنا رجل يُحدث فقالت حفصة: ألا أرسل لك عمر؟ فسكت ثم قال: لا. ثم دعا رجلاً فسارّه بشيء - هذا الذي قالت عنه عائشة رجلاً فسارّه هو أمير المؤمنين عليه السلام ولم تذكر اسمه المقدس من شدة بغضها له - فما كان إلا أقبل عثمان، فأقبل بوجهه وحديثه فسمعته يقول له: يا عثمان، إن الله ﷻ لعله أن يُقمصك قميصاً، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه، ثلاث مرار فقلت: يا أم المؤمنين: فأين كنتِ عن هذا الحديث؟! فقالت: يا بني، والله لقد أنسيته حتى ظننتُ أنني سمعته قال النعمان بن بشير: فأخبرته معاوية بن أبي سفيان. فلم يرضَ بالذي أخبرته، حتى كتب إلى أم المؤمنين أن أكتبني إلي به. فكتبت إليه به كتاباً^(٢).

فانظر كيف أيدت في تلك الأيام معاوية وكيف افتعلت تلك الإكذوبة التي أضعفت الإسلام والمسلمين وقاتلت بها أمير المؤمنين عليه السلام.

٣. خرجت عائشة إلى البصرة مطالبة بدم عثمان من أمير المؤمنين

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٧٧.

(٢) الإمامة للميلاني ص ٣٢١.

علي بن أبي طالب عليه السلام الذي هو بريء منه كبراءة الذئب من دم يوسف عليه السلام بل أشد، ولكنه البغض يعمي ويصم. وخطبت عائشة في البصرة وقالت: إن أمير المؤمنين عثمان كان قد غير وبدل... حتى قُتل مظلوماً تائباً... فقتلوه محرماً في الشهر الحرام ألا أن عثمان قتل مظلوماً فاطلبوا قتلته - سبحان مغير الأحوال أو لم تقولي اقتلوا نعثاً فقد غير سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!!؟ وقلت عثمان جيفة على الصراط وقلت، وقلت، فاسمع - فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان^(١).

ولرب سائل يسأل عن سبب وقوف عائشة ضد عثمان بعدما كانت من أشد مؤيديه وكانت تعمل ليلها ونهارها من أجل إيصال الخلافة إليه!!؟

إعلم أيها العزيز أن عائشة وجماعة من قريش الذين كان لهم ثأر الجاهلية من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وفيهم المنافقين والطامعين اجتمعوا على بغض الإمام علي عليه السلام بغضاً شديداً!! فلما توفي عمر ودار أمر الخلافة بين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وغيره من أصحاب الشورى المشؤومة نصرت عائشة وجمعها عثمان أشد المناصرة بغضاً لعلي عليه السلام مولى الثقلين وخشية توليه الخلافة، ولما آل الأمر إلى عثمان طالبت عائشة بما كانت تراه حقاً لها مع شريكها حفصة في العطاء الذي فرضه لهما أبو بكر وعمر من بيت مال المسلمين في زمان خلافتهما - جزاءاً لهما على...!! - وكان عطاءً خاصاً لعائشة وحفصة دون غيرهما من باقي النساء!! فلما آل الأمر إلى عثمان وتأخر عن إعطائهما ما رأتا أنه حق لهما، جاءت مع حفصة إلى عثمان للمطالبة بحقهما المزعوم فرفض

(١) الإمامة والسياسة ج ١/ ٦٠. وابن أبي الحديد ٢/ ٤٩٩.

عثمان ذلك. قالت عائشة لعثمان وهو على المنبر ومعها حفصة أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر بن الخطاب، وقالت حفصة مثل ذلك فقال عثمان: لم أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة، وإنما كان أبوك وعمر بن الخطاب يعطيانك بطيبة أنفسهما وأنا لا أفعل. فقالت له عائشة: فأعطني ميراثي من رسول الله ﷺ فقال لها: أولم تجيئي أنتِ ومالك بن أوس النصراني فشهدتما أن رسول الله ﷺ لا يورث حتى منعتما فاطمة ميراثها وأبطلتما حقها، فكيف تطلبين اليوم ميراثاً من النبي^(١)... ثم قالت له عائشة لقد شبهك رسول الله ﷺ بنعتل اليهودي.

فقال عثمان لها: إنك عدوة الله وقد ضرب الله مثلك ومثل صاحبك حفصة في الكتاب بامرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما... وقيل ادخلا النار مع الداخلين فلاعنته ولاعنها^(٢). ثم خرجت عائشة وهي تقول اقتلوا نعثلاً فلقد أبلى سنة رسول الله ﷺ، نقله ابن أعثم صاحب الفتوح ومن يومها صار دار عائشة مقراً للمعارضة التي تدعوا إلى الإطاحة بحكم عثمان وتأليب الناس وحشدهم على قتله حتى أنها طعنت بصحة القرآن الذي جمعه عثمان وقالت عنه بأنه قرآن ناقص وقد حذفت عنه بعض الآيات مثل (حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى وصلاة العصر) وآية عائشة التي أكلتها السخلة الملعونة. وقالت أن فيه زيادة وقد نقلت الكثير من كتب العامة تلك الأخبار التي تطعن بها الشيعة.

ولم تكتفِ عائشة بذلك حتى كانت تنادي في موسم الحج اقتلوا

(١) نقلها الشيخ المفيد في أماليه المجلس الخامس عشر ص ٦٧ طبعة النجف الأشرف، ونقله أبو هريرة عن شارحي صحيح البخاري ومسلم المجلد ٧، وأبو هريرة لشرف الدين الموسوي ج ١ ص ١٦٦.

(٢) كشف الغمة.

نعثلاً وتعني به عثمان، ولما قُتل عثمان واتجه الناس لمبايعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام خَرَجَتْ عائشة مطالبة بدم عثمان وأمرت بأن يؤخذ قميصه الذي قتل فيه من المدينة إلى الشام بيد النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي ليسلمه إلى معاوية بن أبي سفيان الذي كان يشارك عائشة بغضها لأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، وهو مع ذلك خائف على ملك الشام لعلمه بفساد حكمه ورجاسة باطنه، فأخذ معاوية ذاك القميص وعلّقه على منبر الشام فاتحد وتر معاوية مع وتر أمته عائشة.

الظرة الرابعة: بغض عائشة لأمير المؤمنين عليه السلام

١. قال ابن أبي الحديد كان بينها - أي عائشة - وبين علي عليه السلام في حياة الرسول أهوال وأقوال.

وفي كنز العمال قال: وأما عائشة وشيء كان فيها على علي يغلي كالمرجل وأم سلمة كانت على العكس من عائشة، لأنها كانت تثني على فاطمة وخديجة، وتحب علياً. ومن آثار ذلك البغض عدم ذكرها للإمام أمير المؤمنين عليه السلام بخير، روت عائشة أن النبي خرج يمشي بين رجلين من أهله أحدهما الفضل بن عباس ورجل آخر قال ابن عباس: هو عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع. وبغض عائشة للإمام علي عليه السلام أشهر من أن يخفى^(١).

٢. قال رسول الله ﷺ لعائشة وحفصة في احتضاره - أن يُرسلن في طلب الإمام علي عليه السلام - فأرسلت عائشة إلى أبيها وحفصة إلى عمر فقال لهن رسول الله ﷺ إنكن لصويحبات يوسف^(٢). وماذا صنعن

(١) راجع طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١٥، كنز العمال ج ٦ ص ٢٦٤.

(٢) راجع الأحاديث عند السنة في باب (عائشة مع ابنة خديجة وصهرها).

صويحبات يوسف؟!!

٣. خبر الطير (المشهور): جاء عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه: أنه جاء علي عليه السلام مرتين فردته عائشة فلما دخل في الثالثة وأخبر النبي قال النبي لها: أبيت إلا أن يكون الأمر هكذا يا حميراء ما حملك على هذا؟ قالت يا رسول الله اشتهيت أن يكون أبي أن يأكل من الطير فقال لها: ما هو إلا ضغنٌ بينك وبين علي وقفت على ما في قلبك لعلي، إن شاء الله تعالى لتقاتلينه - شاء الله إساءة تكوين لا إساءة أمرٍ ورضى؛ بقول آخر يعني عَلِمَ اللهُ أنك لتقاتلينه وهو مما أطلع الله رسوله عليه وكان كما قال - فقالت يا رسول الله وتكون النساء يُقاتلن الرجال؟ فقال لها يا عائشة إنك لتقاتلين علياً. وَيَصْحَبُكَ ويدعوك إلى هذا نفر من أهل بيتي وأصحابي فيحملونك عليه وليكوننَ في قتالك أمر يتحدث به الأولون والآخرون وعلامة ذلك إنك تركبين الشيطان ثم تبتلين قبل أن تبلغي الموضع الذي يقصدُ بك إليه فتنبُحُ عليك كلاب الحوَاب فتصيرين إلى بلد أهله أنصارك وهو أبعد بلاد في الأرض من السماء وأقربها إلى الماء ولترجعين وأنت صاغرة غير بالغة ما تُريدين ويكون هذا الذي يردك - وأشار إلى الإمام علي عليه السلام - مع مَنْ يثقُ به من أصحابه وإنه لك خير منك له ولينذرنا من يكون به الفراق بيني وبينك في الآخرة وكل مَنْ فَرَّقَ علي بيني وبينه بعد وفاتي ففراقه جائز - وهذه العبارة الأخيرة كافية في إثبات أن عائشة قد خرجت مع صويحبتها عن تلك النسوة اللواتي تشرفن بحمل لقب (أم المؤمنين) فمن يوم معركة الجمل بانَّت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينونة علي عليه السلام وبأمرٍ أوصى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إليه فافهم. - فقالت له يا رسول الله ليتني متُّ قبل

أن يكون ما تعدني. قال: فقال لها: هيهات هيهات والذي نفسي بيده ليكون ما قلت حتى كأني أراه^(١).

ولذا كانت تقول في أخريات حياتها (ليتني متُّ قبل يوم الجمل) وقالت عن الإمام علي عليه السلام: الصَّوَامُ القَوَامُ وأنه أحبُّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله.

فبغض عائشة لأمير المؤمنين عليه السلام أشهر من أن يخفى وكم له من الذكر في كتب العامة والخاصة ولكننا نكتفي بالإشارة خشية الإطالة، وروت العامة والخاصة في كتبها أيضاً عن أم سلمة قالت: أشهدُ أنني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَحْبَبَنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ^(٢).

ولكن مع كل ما سمعته عائشة عن فضائل علي عليه السلام وما شاهدته فيه من تجليات قدسية لم يكن ذلك كله رادعاً لها عن بغضه (صلوات الله عليه) فنادت على عثمان بالقتل وما أن قُتل حتى نشرت قميصه لتطالب بالقصاص وتسلط جام غضبها وحقدها على الإمام علي عليه السلام.

ونقل البخاري في صحيحه قال (لن يفلح قوم ولّو أمرهم امرأة).

وقد أمرها الله ورسوله أن تقرّ في بيتها وأمر المسلمين بالقتال فتركت ما أمرت به وهي التي كانت تنادي اقتلوا نعثلاً فقد كفر وقد حرّم الله وأحلّ حرامه ثم لما قُتل نادى قتل والله عثمان مظلوماً لأطلبن بدمه حتى

(١) البحار الشريف ج ٣٢ ص ٢٧٧. الاحتجاج ج ١ ص ٤٦٨، لوامع الحقائق للميرزا أحمد الاشتياني ج ١ ص ٩٠.

(٢) رواه الهيثمي في الزوائد ج ٩ ص ١٣٢. والحاكم النيسابوري في المستدرک ج ٣ ص ١٢١
طبعة حيدرآباد.

قال لها ابن أم كلاب^(١).

مِنْكَ الْبِدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ

وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ

وَأَنْتِ أَمْرٌ بِقَتْلِ الْإِمَامِ

وَقُلْتِ لَنَا أَنَّهُ قَدْ كَفَرَ

فَهَبْنَا أَطْعَمْنَاكَ فِي قَتْلِهِ

وَقَاتَلَهُ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرٍ

وَلَمْ يَسْقُطِ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِنَا

وَلَمْ يَنْكَسِفِ شَمْسُنَا وَالْقَمَرُ

وبقMISS عثمان خرجت عائشة على جملها لتحارب مولى الثقليين أمير المؤمنين علي عليه السلام فأرسل أمير المؤمنين عليه السلام إلى عائشة وطلحة والزبير كتاباً أثناء وقعة الجمل، لو أنها عقلته وتدبرته لاشتد ندمها ولاستغفرت الله مما أجمت وإن كان الظن أن الله لا يغفر لها: قال عليه السلام: وأنت عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبيريني ما للنساء وقود الجيش؟ والبروز للرجال؟ والوقوف بين أهل القبلة، وسفك الدماء المحترمة؟ ثم إنك على زعمك طلبت دم عثمان، وما أنت وذاك؟ وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تميم؟ إنك بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: اقتلوا نعثلاً فقد كفر! ثم تطلبين اليوم بدمه! فاتقي الله وارجعي إلى بيتك وأسبلي عليك سترك والسلام^(٢).

وقال الشاعر الكبير أحمد شوقي يُخاطب فيها الإمام علي بن أبي

(١) البخاري في صحيحه ح ٦٥٧٠.

(٢) عائشة بنت أبي بكر، آراء المعاصرين حول آثار الإمامية للرضوي ص ١١.

طالب عليه السلام، قائلاً:

يا جبلاً تأتي الجبال ما حمل

ماذا رمت عليك ربةً الجمل

أثار عثمان الذي شجاها

أم غصةً لم ينتزع شجاها

ذلك فتقُّ لم يكن في الجبال

كيدُ النساء موهنُ الجبال

وإنَّ أم المؤمنين لامرأة... الخ

رغم إن هذه الأبيات لا تسلم من المؤاخذة، وخصوصاً قوله: «كيدُ

النساء موهنُ الجبال».

ولذا قال الإمام علي عليه السلام في مقطع من إحدى خطبه الشريفة (وأما

عائشة فقد أدركها ضعف رأي النساء... ولو دُعيت لقتال غيري ما أتت..

إلى آخر كلامه الشريف).

وفعل عائشة في الجمل قد جرَّ الويلات على الإسلام والمسلمين وسمع

ما قاله الإمام علي عليه السلام في ذكر السائرين إلى البصرة ماذا فعلوا قال عليه السلام:

(فَقَدِمُوا عَلَى عُمَالِي وَخُرَّانِ بَيْتِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي، وَعَلَى أَهْلِ

مِصْرَ، كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ

جَمَاعَتَهُمْ، وَوَتَّبَعُوا عَلَيَّ شِيعَتِي، فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةً عَضُّوا

عَلَى أَسْيَافِهِمْ، فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ)^(١).

وجاء عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: (لما سار علي إلى البصرة

دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلْمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ يُودِعُهَا فَقَالَتْ سِرٌّ فِي حِفْظِ اللَّهِ وَفِي كَنْفِهِ فَو

(١) نهج البلاغة، تحقيق وتنسيق الدكتور صبحي الصالح، طبعة قم ص ٣٣٦ الخطبة ٢١٨.

الله إنك لعلى الحق والحق معك ولولا إني أكره أن أعصي الله ورسوله فانه أمرنا أن نقرّ في بيوتنا لسرتُ معك ولكن والله لأرسلن معك من هو أفضل عندي وأعز علي من نفسي ابني عمر^(١).

فانظر إلى علاقة أم سلمة بأمر المؤمنين عليه السلام كيف كانت؟ وكم هي حريصة على طاعة الله ورسوله وعدم خروجها من منزلها؟ وهذا حال جميع زوجات النبي صلى الله عليه وآله في حرصهن على تطبيق وصية الله ورسوله لهنّ وهنّ يعلمن أن الخارجة عن تلك الوصية إنما تخرج عن أمومة المؤمنين، فلذا جاء أن زينب وسودة زوجات النبي إنهن حتى لم يذهبنّ للحج بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله حتى ماتتا وقالتا يحركنا ظهر بعير، فقد شدّد النبي صلى الله عليه وآله على هذا الأمر في حياته المقدسة وبقين جميعهن على تلك الوصية إلا عائشة باعتبار أن حفصة مطلقة وثبت عند السنة إرجاعها وهو لم يثبت عندي، وهو أمرٌ قد أشارت له روايتنا الشريفة ولا تُريدُ إطالة البحث.

فقل لي بربك من الأفضل أم سلمة وزينب وسودة رضوان الله عليهن اللواتي حرصن على طاعة الله ورسوله أم عائشة التي جاءت بذلك الجرم العظيم والإفك المبين؟ وأي جرم وأفك ورجس أعظم من محاربة إمام زمانها؟ وأي فاحشة أعظم من فاحشة سفك دماء المؤمنين وهدر بيت مال المسلمين وهدم دورهم وإضعاف دولتهم ومحاربة إمام زمانهم عليه السلام وإشهار السيف في وجهه، قال تعالى: ﴿بِئْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٢)، وما أخبر الله تعالى في كتابه الكريم عن امرأة نوح وامرأة لوط إلا تعريضاً من الله بعائشة وحفصة

(١) روى الحاكم في المستدرک، وهو صحيح على شرط الشيخين، نقله في أعيان الشيعة للأمين

مجلد ١٠ ص ٢٧٢.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٠.

وأن رسول الله ﷺ لا يُغني عنهنَّ شيئاً لأن فعلهن ليس فعل متعلق بفروع الدين بل بأصل الدين، وهو محاربة إمام الزمان ﷺ وإشهار السيف في وجه الإمام علي ﷺ هو إشهار في وجه رسول الله ﷺ ولذا فإن أم سلمة قالت لميثم التماري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما قال علي سيدي فقالت له: إنه ليس سيدك وحدك بل هو سيدي وسيد المسلمين، وقد قال رسول الله ﷺ: يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وقال: يا علي لا يحبك إلا ابنُ رشده - أي حلال - ولا يبغضك إلا ابن زنا.

ثم لنسأل المسلمين جميعاً على اختلاف مذاهبهم ما هو حكم من استحلَّ شرب الخمر ولو جرعة واحدة منه؟ أجمع المسلمون على كفره، ولكن حينما يصل الأمر إلى استحلال دماء المسلمين واستحلال إشهار السيف في وجه أمير المؤمنين وهدم دور المسلمين وإضعاف دولتهم واستحلال سرقة بيت مال المسلمين كلها فيها نظر لأن الأمر ببساطة يتعلق بالإمام علي ﷺ. لأن ميزان السنة هو أسماء هم سموها وفرضوها أما ميزان الله تعالى وميزان رسوله هم آل البيت ﷺ والقرآن لا عائشة والقرآن. وقد أكدَّ النبي ﷺ على ذلك ومنه أيضاً (لما قدم رسول الله ﷺ من سفره ذلك نزل منزل أم سلمة زوجته فأقام به شهراً لا ينزل منزلاً سواه من منازل أزواجه كما كان يفعل قبل ذلك قال فشكت عائشة وحفصة ذلك إلى ابويهما فقالا لهما إنا لا نعلم لِمَ صنع ذلك ولأي شيء هو. امضيا إليه فلاطفاه في الكلام وخادعاه عن نفسه فإنكما تجدانه حياً كريماً فلعلكما تسلان ما في قلبه وتستخرجان سخيمته قال فمضت عائشة وحدها إليه فأصابته في منزل أم سلمة وعنده علي بن أبي طالب ﷺ فقال لها النبي ما جاء بك يا حميراء؟ قالت: يا رسول الله أنكرت تخلفك عن منزلك هذه المدة وأنا أعوذ بالله من سخطك يا رسول الله. فقال: لو كان الأمر كما تقولين لما أظهرت سرّاً

أوصيتك بكتمانه لقد هلكت وأهلكت أمة من الناس قال ثم أمر خادمة أم سلمة فقال إجمعي لي هؤلاء يعني نسائه فجمعتهن له في منزل أم سلمة فقال لهن إسمعن ما أقول لكن وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال لهن هذا أخي ووصي ووارثي والقائم فيكن وفي الأمة من بعدي فأطعنه فيما يأمركن ولا تعصينه فتهلكن بمعصيته ثم قال يا علي أوصيك بهن فأمسكهن ما أطعن الله وأطعنك وأنفق عليهن من مالك وأمرهن بأمرك وأنهنن عما يريبك وخل سبيلهن إن عصينك فقال علي عليه السلام يا رسول الله إنهن نساء وفيهن الوهن وضعف الرأي فقال أرفق بهن ما كان الرفق بهن أمثل فمن عصاك منهن فطلقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها قال وكانت نساء النبي قد صمتن فلم يقلن شيئاً وتكلمت عائشة فقالت يا رسول الله ما كنا لتأمرنا بالشيء فنخالفه إلى ما سواه فقال لها بلى يا حميراء قد خالفت أمري أشد الخلاف وأيم الله لتخالفين قولي هذا ولتعصينه بعدي ولتخرجين من البيت الذي أخلفك فيه متبرجة قد حف بك فئام من الناس فتخالفيه ظالمة عاصية لربك ولينبحنك في طريقك كلاب الحوآب ألا أن ذلك كائن ثم قال قمن فانصرفن إلى منازلكن فقمن وانصرفن قال ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله جمع أولئك النفر ومن مالأهم على علي عليه السلام وطابقهم على عداوته ومن كان من الطلقاء والمنافقين^(١).

وهل توقف عداً وبغض عائشة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام رغم تلك الدلائل والبيّنات؟! بالطبع لا. فلما قدم الإمام الحسن بن علي عليه السلام من الكوفة جاءت النسوة يُعزيّنه بأمر أمير المؤمنين عليه السلام ودخلت عليه أزواج النبي صلى الله عليه وآله فقالت عائشة يا أبا محمد ما فُقد جدك إلا يوم فُقد أبوك. فقال لها الإمام الحسن عليه السلام نسيت نبشك في بيتك ليلاً بغير قبس بحديدة حتى ضربت

الحديدة كفك فصارت جرحاً إلى الآن تبغين جراراً خضراً فيها ما جمعت
من خيانة حتى أخذت منها أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً تفرقيها
في مبغضي علي من تيم وعدي قد تشفيت بقتله. فقالت: قد كان ذلك^(١).

وقال ابن الأثير:

لما بلغ عائشة قتلُ علي قالت:

فألقت عصاها واستقرَّ بها النوى...

كما قرَّ بالإياب المسافر

ثم قالت مَنْ قتله فقيلَ رجل من مُراد فقالت:

فإن يكُ نائياً فلقد نعاها...

نعيّ ليس في فيه التراب

وروى أبو الفرج في مقاتل الطالبين وغيره من المؤرخين أنه لما جاء

عائشة نعي أمير المؤمنين عليه السلام فقالت:

فإن يكُ نائياً فلقد نعاها...

غلام ليس في فيه التراب^(٢).

فما أشدَّ بغض هذه المرأة لأمير المؤمنين عليه السلام!!؟

وما ورد من بعض كلمات الاعتذار منها وبالخصوص ما ورد في وقعة

الجمل لم يكن اعتذاراً مبنياً على قواعد التوبة والاستغفار بل كان مبنياً على

أسفها في أن تلك الوقعة البغيضة كانت سبباً لفضيحتها وفرقة أبدية فيما

بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) البحار ج ٣٢ ص ٢٧٦ نقلاً عن الحافظ رجب البرسي رحمته الله عن مشاركة ٣٢.

(٢) عن أعيان الشيعة للأمين ج ٣٣ ص ١٣٣.

ولرب سائل يسأل ما هو سبب بغضها لأمير المؤمنين عليه السلام !!؟

لو راجعنا كتب التاريخ والروايات لوجدنا أسباباً كثيرة ولكن مركز تلك الأسباب هو أنّ الباطل المتمثل بعائشة والحق القائم بأمر المؤمنين عليه السلام لا يجتمعان وإن حاول بعض سفلة هذه الأمة ممن ناصب العدا لآل البيت عليهم السلام أن يخلق الأعذار لعائشة ولكل من ناصب العدا لآل البيت عليهم السلام إنطلاقاً من قاعدة الضدان لا يجتمعان فالرجس لا يجتمع مع أمير المؤمنين عليه السلام ولكن الرجس يجتمع إلى رجس مثله و(الطيور على أشكالها تقع) فكان سهلاً عليه أن يرى الحق الذي هو ليس من جنسه باطلاً جاء في أعلام النساء: " إن ذلك الحب العظيم الذي كان يبيده النبي لخديجة أم المؤمنين قد أذكى الغيرة في أفئدة بعض أزواجه وأشدت لهيبها إلى ابنته فاطمة وزوجها علي^(١) ". رَحِمَ اللهُ عبد الله بن أبي طالب القمي إذ قال وأجاد:

ما شك في فضل آل فاطمة

إلا امرءٍ ما لأمه بعُلُّ

نغلُّ إذا الحُر طاب مولده

وكيف يهوى أولي الهدى نغلُّ

خدي لأقدام آل فاطمة

إذا تخطوا على الثرى نعلُّ

واعتذر الآخر عنها قائلاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يحب الحسن والحسين وهما لم يكونا ولداه وهي - أي عائشة - لم تلد له فكان يغيضها ذلك وهما ولدا علي ومما زاد في بغضها له يوم ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله ولده إبراهيم من مارية فازدادت غيضاً حتى حصلت تلك النكبة لمارية - يعني بها تلك الفرية التي أشاعتها عائشة وحفصة على أم إبراهيم وطعنت في عرض

رسول الله ﷺ وهذا ما سنتعرض له فيما بعد إن شاء الله تعالى - فبرّاهما علي منها وكل ذلك مما يوغرُّ صدرَ عائشة عليه ثم سد رسول الله ﷺ باب أبيها وترك باب علي فزادت حنقاً وغضباً وبغضاً له.

واعتذر ثالث بكلمتهم المشهورة إنها اجتهدت وأخطأت فلها أجرٌ واحد.

أبا حسن

إني لأعذُرُ حاسديك علي العلي

وعلاك عذري لو عذرتُ حسودا

فليحسد الحساد مثلك انه

شرفٌ يزيدُ علي المدى تجديدا

ما أنصفتك عصابة جهلتك إذ

جعلت لذاتك في الوجودِ نديدا

ثم ارتقت حتى أتاك رضى

بما لم يرضَ كعبك أن يراه صعيدا

باعتك وابتاعت بجوهر ذاتك

العلوي سفلى المبيع رديدا

ضلت أدلتهم تبدلُ بالعمى

رشدأ وبالعدم الحال وجردا

وبما أسرقت من قديم نعاقتها

وجرت عليه طارفا وتليدا^(١)

(١) أبيات مقتطفة من قصيدة الحاج هاشم الكعبي نقلًا عن أعيان الشيعة - السيد محسن

الأمين (قدس سره).

وقالت طائفة رابعة وهو قول البخاري في صحيحه ومن تبعه أن رسول الله ﷺ قال: إذا التقى المسلمان بالسيف فالقاتل والمقتول في النار فسأله أبو بكر: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال إنه كان حريصاً على قتل صاحبه^(١). وهو حديثٌ واضح البطلان عقلاً وقضاءً المبتني على السنة القطعية وباطل قرآناً واكتفي بقوله تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ بَنِي نَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢) ولا أعلم كيف توصل أصحاب هذه الأباطيل لهذه الأقاويل؟! وقد تناسوا ما اتفقت عليه كلمة المسلمين على قول سيد المرسلين لأمر المؤمنين عليه السلام (حربك يا عليّ حربي وسلمك سلبي) وهو حديث نقله حتى أصحاب هذه الأباطيل بسند صحيح وقد اتفقوا أيضاً على أن حكم المحارب للرسول الأمين كافر بلا خلاف وقد تواتر قول رسول الله ﷺ وبلا خلاف (اللهم والي من والاه وعاد من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من خذله).

النظرة الخامسة: بغض عائشة للإمام الحسن السبط المجتبي عليه السلام

قد تواتر قول رسول الله ﷺ: (الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا)، وقال في علي وفاطمة والحسن والحسين: (إني سلمٌ لم سالمتم وحربٌ لمن حاربتهم)^(٣).

وروى الترمذي أن النبي ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن عليهم السلام:

(١) صحيح البخاري، كتاب الديات.

(٢) سورة الحجرات الآية ٩.

(٣) إحقاق الحق للتستري ج ٢٦ ص ٢٥٩ عن الرسالة في نصيحة العامة ص ١٦، ومنهم العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد الخافي في (التبر المذاب) ص ٦١، والعلامة يحيى بن الحسن بن القاسم في (الطبقات الزهر في أعيان مصر) ص ٣، والعلامة شهاب الدين محمد بن أحمد الحنفي المصري في (تفسير آية المودة) ص ٣٧ وموارد أخرى كثيرة ينقلها صاحب إحقاق الحق رحمته.

(أنا حربٌ لمن حاربهم وسلّم لمن سالمهم^(١))؛ فانظر صنع عائشة بجنائز الإمام الحسن عليه السلام!!

قال الإمام الحسن عليه السلام في وصيته للإمام الحسين عليه السلام: (يا أخي إذا أنا مت فغسلني وحنطني وكفني واحملني إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تلحدني إلى جانبه، فإن منعت من ذلك فبحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيك أمير المؤمنين وأُمك فاطمة الزهراء أن لا تخاصم أحداً، واردد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفني مع أُمي عليها السلام. فلما فرغ - الإمام الحسين عليه السلام - من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله بغلته، وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين، إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وآله، والله إن دفن معه ليذهبن فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة. قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: إلحقي به وامنعيه من أن يدفن معه. قالت: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه. فنزل عن بغلته وركبتها، وكانت تؤز الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرضهم على منعه مما هم به، فلما قربت من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكان قد وصلت جنازة الحسن عليه السلام، فرمت بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أبداً أو تجز هذه - وأومات بيدها إلى شعرها وفي رواية أخرى قالت لا يدفن من أكره هاهنا أبداً - فأراد بنو هاشم المجادلة، فقال الحسين عليه السلام: (الله الله لا تضيعوا وصية أخي واعدلوا به إلى البقيع، فإنه أقسم عليّ إن أنا منعت من دفنه مع جده أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع مع أمه)، فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها. فقام ابن عباس وقال: يا حميراء ليس يومنا منك بواحد، يوم على الجمل ويوم على البغلة، أما كفاك أن يقال: يوم الجمل حتى يقال: يوم البغل؟ يوم على هذا ويوم على

هذا، بارزة عن حجاب رسول الله ﷺ تريدين إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره المشركون، إنا لله وإنا إليه راجعون. فقالت له: إليك عني وأف لك ولقومك^(١).

وجاء في دلائل الطبري: «... وقالت: والله لا يدفن الحسن هاهنا أو تحلق هذه وأخرجت ناصيتها بيدها. وكان مروان لما ركبت بغله جمع ما كان من كان من بني أمية وحثهم، فأقبل هو وأصحابه وهو يقول: يا رب هيجاهي خير من دعة^(٢). أيدفن عثمان في أقصى البقيع ويدفن الحسن مع رسول الله ﷺ؟ والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف. وكادت الفتنة أن تقع، وعائشة تقول: والله لا يدخل داري من أكره. فقال لها الحسين عليه السلام: هذه دار رسول الله ﷺ، وأنت حشية^(٣) من تسع حشيات خلفهن رسول الله ﷺ، وإنما نصيبك من الدار موضع قدميك. فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح، فقال الحسين عليه السلام: الله الله لا تفعلوا فتضيعوا وصية أخي^(٤).

وجاء أيضاً: أن مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومن حضرهم من ولد عثمان بن عفان - لعنهم الله - قالوا: أيدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظملاً بالبقيع بشر مكان ويدفن الحسن مع رسول الله! والله لا يكون ذلك أبداً حتى تكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفذ النبل فقال الحسين عليه السلام: أما والله الذي حرم مكة، للحسن بن علي ابن فاطمة أحق برسول الله ﷺ وبيته وممن أدخل بيته بغير إذنه، وهو والله أحق به من حمال الخطايا مسير

(١) بعض ما ورد في عبد الله بن عباس كلمات الإمام الحسين عليه السلام ص ٢٢٠.

(٢) الهيجاء: الحرب، الدعة: السكون والراحة. مجمع الأمثال ٢: ٤٢١ / ٤٧١١.

(٣) الحشية: الفراش، فكنى الإمام عليه السلام عن الزوجة بالحشية أي يحشى بها فهي دخيلة عليه وليست من آل البيت.

(٤) دلائل الطبري ص ١٦٠.

أبي ذر^(١)، الفاعل بعمار ما فعله^(٢)، وبعبد الله ما صنع.

وقد جاء في كتب العامة فضلاً عن كتب الخاصة ماذا يعني موقف عائشة وبني أمية من آل بيت رسول الله ﷺ هذا، وعلى سبيل المثال ما نقله العلامة الشيخ أبو عبد الله محمد بن المدني جنون المغربي الفاسي المالكي المتوفى بعد سنة ١٢٧٨، قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحبني، ولا يحبني حتى يحب ذوي، أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم، ألا ومن آذى قرابتي فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى)^(٣). فكيف بالذي صرح بكره الإمام الحسن عليه السلام ويرمي جنازته المقدسة بالنبال والسهام حتى تصيب جثمانه الشريف ويُمنع من الدفن في ملكه ويجوار جده رسول الله ﷺ؟!!

روى الشيخ المفيد أن فضال بن الحسن بن فضال الكوفي مرَّ بأبي حنيفة وهو في جمع كثير يملي عليهم شيئاً من فقهه وحديثه، فقال لصاحب كان معه: والله لا أبرح أو أخجل أبا حنيفة، فقال صاحبه: إن أبا حنيفة ممن قد علمت حاله ومنزلته وظهرت حجته فقال: مه هل رأيت حجة كافر علت على مؤمن؟! ثم دنا منه فسلم عليه فرد ورد القوم بأجمعهم السلام فقال: يا أبا حنيفة رحمك الله إن لي أخا يقول: إن خير الناس بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأنا أقول: أن أبا بكر خير الناس بعد رسول الله ﷺ وبعده عمر فما تقول أنت - رحمك الله - ؟ فأطرق ملياً ثم رفع رأسه فقال:

(١) الدرر المكنونة في النسبة الشريفة المصونة ص ١٩ المطبعة الفاسية. راجع إحقاق الحق للتستري ج ٢٦ ص ٢٥٩.

(٢) الإيضاح للنيسابوري ص ٢٥٦ نقلاً عن علم الهدى عليه السلام في الفصول المختارة ص ٤٧ الجزء الأول.

(٣) الدرر المكنونة في النسبة الشريفة المصونة ص ١٩ المطبعة الفاسية. راجع إحقاق الحق للتستري ج ٢٦ ص ٢٥٩.

كفى بمكانهما من رسول الله ﷺ كرمًا وفخرًا أما علمت أنهما ضجيعاه في قبره؟! فأبي حجة أوضح لك من هذه؟! فقال له فضال: أني قد قلت ذلك لأخي فقال: والله لئن كان الموضع لرسول الله ﷺ دونهما فقد ظلما بدفنهما في موضع ليس لهما فيه حق، وإن كان الموضع لهما فوهباه لرسول الله ﷺ لقد أساء وما أحسنا إليه إذ رجعا في هبتهما ونكثا عهدهما، فأطرق أبو حنيفة ساعة ثم قال: قل له: لم يكن لهما ولا له خاصة ولكنهما نظرا في حق عائشة وحفصة فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما فقال له فضال: قد قلت له ذلك فقال: أنت تعلم أن النبي مات عن تسع حشايا فنظرنا فإذا لكل واحدة منهن تسع الثمن ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ وبعد فما بال عائشة وحفصة ترثان رسول الله ﷺ وفاطمة ابنته تمنع الميراث؟! فقال أبو حنيفة: يا قوم نحوه عني فإنه والله رافضي خبيث^(١)، أعلم أن كل من نطق بالحق يسمونه أئمتهم "رافضي خبيث" ألا فلعنة الله على القوم الكافرين.

النظرة السادسة: إيذاء عائشة لسيدة النساء فاطمة الزهراء عليها افضل الصلاة والسلام.

إن لسيدة النساء فاطمة الزهراء الأنسية الحوراء (عليها افضل الصلاة والسلام) من المقامات العلية والشؤونات القدسية التي تعجز عن إدراكها جميع عقول بني البشر وافهامهم عدا النبي المصطفى وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) فإن لمولاتنا فاطمة الزهراء في خلقتها المقدسة شأن خاص وأسراّرٌ وغيوب ميزها الله ﷻ فيها عن جميع خلق الله فهي من أشرف أبوين نجيبين لجميع خلاصة عالم الإمكان، وانعقدت نطفتها المقدسة من ثمرة شجرة

(١) الإيضاح للنيسابوري ص ٢٥٦ نقلاً عن علم الهدى عليه السلام في الفصول المختارة ص ٤٧ الجزء الأول.

هي أفضل أشجار الجنة التي جعلها الباري عز وجل أصل نعيم أهل الجنان من شجرة طوبى من طاب وطهر فأخذت تلك الثمرة بيد القدرة الإلهية ليطعم فيها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وهو في مقام الغيب والستر الإلهي، وهو مقام قاب قوسين أو أدنى ذلك المقام المعظم الذي قال عنه الأمين جبرائيل عليه السلام لو اقتربت أنملة لاحتقرت في ليلة إسراء ومعراج النبي صلى الله عليه وآله، وفي ذلك السفر الشريف المقدس انعقدت النطفة المقدسة الطاهرة لسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين عليها السلام، وقبل قيام النبي المصطفى صلى الله عليه وآله بأداء صلاة المغرب يأتيه الأمر الإلهي باستيداع تلك النطفة الطاهرة المطهرة عند مولاتنا سيدة النساء خديجة بنت خويلد عليها السلام لكي يستقبل هذا العالم بضعة سيد المرسلين ومشكاة أنوار أئمة الدين وزوجة أشرف الوصيين البتول العذراء الإنسية الحوراء فاطمة الزهراء عليها السلام التي ارتبطت ولايتها بولاية سيد الأنام وجاء في زيارتها المقدسة (ومن آذاك فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله)^(١)؛ وقد قال سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني من آذاها فقد آذاني ومن غاضها فقد غاضني ومن سرها فقد سرنني)^(٢)، وقال أيضاً: (فاطمة بضعة

(١) مفاتيح الجنان ص ٣١٧-٣١٨.

(٢) المقنع للشيخ الصدوق رحمته الله، وقد تناقلتها الكثير من كتب الشيعة (أعز الله رايتهم) وما عند أبناء السنة أيضاً كثير منها على سبيل المثال: تفسير ابن كثير ج ٥ ص ٤٩٥ وح ٣ ص ٣٤٣، نقله عن أحمد بن حنبل ما لفظه عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها، ويبسطني ما يبسطها... الخ)، وقال عنه «إن لهذا الحديث أصل في الصحيحين». الألويسي في تفسيره ج ١٩ ص ٢٩٣ وح ٢٦ ص ١٦٤، ونقله الرازي في تفسيره ج ٥ ص ٣٤، ٧٨، ١٣٣، ج ١٣ ص ٤٣٢، ج ١٧ ص ٢٥٧ قال فيه: (فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها)، ونقله في تفسير اللباب لابن عادل ج ٥ ص ١٠٤، ج ١٠ ص ٢٧١، تفسير النيسابوري ج ٢ ص ٤٢٥، ج ٦ ص ٤٦٧ و ٤٧٧، تفسير الثعالبي ج ٤ ص ٣، ٢١٩ وقال فيها لفظه: (فاطمة بضعة مني يربيني ما رابها)، وفي المحرر الوجيز ج ٦ ص ٢١٧، وذكره الثعالبي أيضاً في الكشف والبيان ج ١٤ ص ٢٤٥، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ج ٢ ص ٤٩٢، وفي ابن تيمية لم يكن ناصياً ج ١ ص ٥١ و ٥٢ و ٥٧، وفي منهاج

مني وهي روعي التي بين جنبي يسوؤني ما ساءها ويسرني ما سرها^(١).

وتعال معي الآن لتتنظر إلى بعض ما جرى على هذا السر الإلهي ووديدة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله في أمته ومن بعض ما صنعه عائشة بها لتعلم معنى ما جاء في زيارتها (ولعن الله من ظلمك وأعتك وغصصك بريقك وادخل الذل بيتك ولعن الله من رضي بذلك وشايع فيه واختاره)^(٢) فأبي ظلامة هذه التي جعلت سيدة النساء مولاتنا الزهراء تغص بريقها!!!

١. ما صنعه في زمان الرسول صلى الله عليه وآله مع الزهراء عليها السلام حتى نقلته كتب الأخبار من العامة والخاصة فجاء في الاستيعاب: «ما فتى الرسول

السنة النبوية ج ٤ ص: ١٠٥ و ١١٣ و ١١٧ و ١٤٧، وج ٦ ص ١٣١، وج ٨ ص ١٢٣. وذكرها في شرح السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (فاطمة بضعة مني، فمن أغضبها أغضبني)، وقال انه حديث صحيح ج ١١ ص ٢١١، وذكره التبصير في الدين ج ١ ص ١٧٩، الصواعق المحرقة ج ٢ ص: ٦٦٢، ٥٥٨، ٥٤٨، ٥٢٤، وفي معراج القبول ج ٣ ص ١١٩٩، مختصر منهاج السنة ج ١ ص: ٢٠٥، ٢١٢، ٢٢٧، ٤٦٢، ج ٤ ص: ١٢٠، ١٣٠، ١٣٤، ١٦٩، ١٦٣، و ١٦٧، وفي شبهات الرافضة حول الصحابة ج ١ ص: ٢٦٥، ٢٧١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٣٠٥، ج ٢ ص ١١٢، مصنف ابن شيبه ج ٧ ص: ٥٢٦ و ٥٢٧، مصنف عبد الرزاق ج ٧ ص ٣٠١، السنن الكبرى للنسائي ج ٥ ص ٩٧، الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ج ٨ ص: ٣٠٨ و ٣١١، المستدرک على الصحيحين للحاكم ج ١/١ ص ٥٩، وقال أنه حديث صحيح وغالبهم قد صرح بذلك، المعجم الكبير للطبراني ج ١/٤ ص ٤٠٧، ج ١٦ ص ٢٥٨، ج ١٨ ص ٣٧٩، صحيح ابن حبان ج ٢٨ ص ٤٥٥، ج ٢٩ ص ١٥٧، مشكل الآثار للطحاوي ج ١١ ص ١٤٨، السنن الصغرى ج ٣ ص ٢٩٤، جامع الأحاديث ج ١٠ ص ٤ ح ٨٩٤١ قال أخرجه ابن أبي شيبه (٦/ ٥٣٨٨ رقم ٣٢٢٦٩)، وعن البخاري (٣/ ١٣٦١ رقم ٣٥١٠)، جمع الجوامع أو الجامع الكبير للسيوطي ج ١ ص ٩٢٦٤ ح ٣٠٤٩، ص ٩٢٦٥ أخرجه عن أحمد والترمذي والطبراني والحاكم وقال الترمذي عنه بأنه حسن صحيح وكذا الطبراني والحاكم. وغيره الكثير الكثير ولضيق الوقت لذكرت عشرات المصادر غيرها.

(١) المصدر السابق.

(٢) المقنعة ص ٤٥٩ باب مختصر في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٩٨ باب زيارة فاطمة.

يذكر خديجة حتى أوغر صدر عائشة فأثر ذلك تأثيراً بليغاً في علاقتها مع فاطمة بنت خديجة». فنظر صاحب الاستيعاب إذاً أن الذنب ليس ذنب عائشة في حقدتها على سيدة النساء فاطمة الزهراء، بل هو ذنب رسول الله ﷺ لأنها كانت ابنته من خديجة!! فهل بربك سمعت ذنباً كهذا الذنب!! أو رأيت عيناك تبريراً لحقد عائشة كهذا التبرير!! إن ظلامه صاحب الاستيعاب لسيدة النساء لا تقل عن ظلامه عائشة لها.

جاء عن ابن الوليد، عن الصفار، عن البرقي، عن أبي علي الواسطي، عن عبد الله بن عصمة، عن يحيى بن عبد الله، عن عمرو بن أبي المقدم، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ منزله، فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تصايحها وهي تقول: والله يا بنت خديجة ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟ ما هي إلا كبعضنا، فسمع مقالتها لفاطمة فلما رأت فاطمة رسول الله ﷺ بكيت، فقال: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرت أُمِّي فانتقصتها فبكيك، فغضب رسول الله ﷺ ثم قال: مه يا حميراء، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الودود الولود، وإن خديجة ولدت مني طاهراً وهو عبد الله وهو المطهر، وولدت مني القاسم وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئاً^(١).

٢. أما الذي صنعه عائشة بعد رسول الله ﷺ من إيذاء لفاطمة الزهراء فهو كثير ومنها شهادتها مع حفصة على منعها من الإرث فاختلقتا الحديث إن النبي لا يورث ديناراً ولا درهماً وسُلبَ منها حقها في فدك. رغم إن قضية فدك لا تدخل بالإرث لأنها عطاء رسول الله ﷺ للزهراء في حياته المقدسة، ولا يوجد من يلتزم القول بإرجاع عطاء

رسول الله ﷺ في حياته بعد وفاته وجعله في بيت مال المسلمين ولكنها قضية شهدت عليها هاتان المرأتان وقبضتا الثمن^(١) عليه مع باقي السوابق التي قد أشرنا إليها في محاججتها مع عثمان على قبض العطاء. ثم تقويتها لحكومة أبو بكر وعمر وعثمان وصرف الناس عن آل بيت رسول الله ﷺ واختلاق الأحاديث عليه. ثم تأليب الناس وحشدهم وإعانة الظالمين على جمع الحطب لإحراق دار فاطمة وعلي والحسن والحسين عليهم السلام الذي سنطرحه بشكل أوسع إن شاء الله تعالى في مقام الولاية والبراءة من مباحث الإمامة.

فتعساً لهذه الأمة التي تقدم عائشة على آل بيت رسول الله ﷺ وكأن القرآن نزل بها وعليها!!! وقد قال تعالى على لسان نبيه الأكرم ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)، قالوا لرسول الله ﷺ من قرابتنا هؤلاء الذي وجبت علينا مودتهم؟ قال: عليّ وفاطمة الزهراء وابناهما^(٣). وهذا ما نقلته كتب العامة بأسانيد صحيحة عندهم ولكنهم يَمرون عليها مرور الكرام وإذا جاءهم حديث موضوع في فضائل أحد ظلام آل البيت وقفوا عليه وصدقوا به!! ولم تقف عائشة عند هذا الحد، بل إنها آذت الزهراء حتى بعد موتها فبعد ما منعتها عن ارثها وحاربتها في حياتها تقوم بهبة ذاك الإرث المغصوب والمسلوب إلى أعداء آل البيت فجاء فيما أخرجه البخاري في قصة البيعة قال عمر: يا ابن عمر... انطلق إلى عائشة أم المؤمنين. فقل:

(١) أحاديث عائشة ص ١٠٣ (إن إبراز عائشة كان في زمان الخليفين بالرجوع إليها في الفتيا وتفضيلها بالعطاء). واويلاه على هذا الدين حينما تصدر امرأة للفتيا لها هذا التاريخ الأسود!!، فانخذ الخليفان أقاويل عائشة سترأ سياسياً لإبعاد الناس عن مولى الثقلين ﷺ!!.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ج ٣/ ٣٩ ح ٢٦٤١. وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٩/ ٢٦٥) ح ٩٤٠٦.

يقرأ عليك عمر السلام وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يُدفن مع صاحبه، فقالت كنت أريده لنفسي ولأوثرن به على نفسي....^(١)

وكانه لا وارث لرسول الله ﷺ إلا عائشة!!! وتمنع ابن رسول الله ﷺ أن يدفن معه.

المنظرة السابعة: عائشة وحفصة مع أبيهما في مصيبة الطعن بعرض رسول الله ﷺ

روى البخاري بإسناده عن ابن عباس قال: أردت أن أسأل عمر فقلت يا أمير المؤمنين: المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله ﷺ، فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة^(٢). وهذا أمرٌ في غاية الوضوح ولا يمكن لأحد أن ينكره.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَوْبًا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾^(٣) أي مالت وزاغت إلى الإثم واستوجبتهما التوبة ﴿وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ تعاوننا يعني عائشة وحفصة تظاهرتا على رسول الله ﷺ في إيذائه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَانُ﴾ ناصره ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ ناصره ﴿وَصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي خيار المؤمنين وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ قيل: يُحَسِّنُ العشرة والخدمة وطاعة الرسول ﴿مُسَلِّمَاتٍ﴾ أي مطيعات منقادات ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ أي مصدقات الله ورسوله ﴿قَانِتَاتٍ﴾ خاضعات لله تعالى^(٤).

(١) البخاري في صحيحه ج ٢ ص ١٠١.

(٢) البخاري في صحيحه - كتاب تفسير القرآن سورة التحريم ٢٠٤/٣. راجع أسباب النزول للسيوطي ج ١ ص ٣٩ من قصة مارية القبطية. فتح القدير ج ٧ ص ٢٥٥، بحر العلوم للسمرقندي ج ٤ ص ٣٠٣.

(٣) سورة التحريم الآية ٤.

(٤) إحقاق الحق للتستري ج ٣٠ ص ٧٣.

وجاء في دلائل الطبري قال: وبلغ الخبر الرضا علي بن موسى وما صنع بابنه محمد عليه السلام، فقال: الحمد لله. ثم التفت إلي بعض من بحضرته من شيعة فقال: هل علمتم ما قد رميت به مارية القبطية، وما ادعى عليها في ولادتها إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا: لا ياسيدنا،... فخبّرنا لنعلم. قال: إن مارية لما أُهديت إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أُهديت مع جوارٍ قسّمهن رسول الله صلى الله عليه وآله على أصحابه، وظن بمارية دونهن، وكان معها خادم يُقال له (جريح) يؤدبها بأداب الملوك، وأسلمت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأسلم جريح معها، وحسن إيمانها وإسلامهما، فملك مارية قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فحسدها بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، فأقبلت زوجتان من أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبيهما تشكوان رسول الله صلى الله عليه وآله فعله وميله إلى مارية، وإيثاره إياها عليهما، حتى سولت لهما أنفسهما أن يقولوا: إن مارية إنما حملت بإبراهيم من جريح، وكانوا لا يظنون جريحاً خادماً زمناً. فأقبل أبواهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في مسجده - أي في المسجد النبوي الشريف والناس حوله - فجلسا بين يديه، وقالوا: يا رسول الله، ما يحل لنا ولا يسعنا أن نكتمك ما ظهرنا عليه من خيانة واقعة بك. قال: ماذا تقولان؟! قالوا: يا رسول الله، إن جريحاً يأتي من مارية الفاحشة العظمى، وإن حملها من جريح، وليس هو منك يا رسول الله، فأربد وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وتلون لعظم ما تلقياه به، ثم قال: ويحكما ما تقولان؟! فقالوا يا رسول الله، إننا خلفنا جريحاً ومارية في مشربة، وهو يفاكهها ويلاعبها، ويروم منها ما تروم الرجال من النساء، فابعث إلى جريح فإنك تجده على هذه الحال، فأنفذ فيه حكمتك وحكم الله تعالى. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن، خذ معك سيفك ذا الفقار، حتى تمضي إلى مشربة مارية، فإن صادفتها وجريحاً كما يصفان فأخمدهما ضرباً. فقام علي واتشح بسيفه، وأخذته تحت ثوبه، فلما ولّى ومر من بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله أتى إليه راجعاً، فقال له: يا رسول الله، أكون

فيما أمرتني كالسكة المحممة في النار، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فقال النبي ﷺ: فديتك يا علي، بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. قال: فأقبل علي ﷺ وسيفه بيده حتى تسور من فوق مشربة مارية، وهي جالسة وجريح معها، يؤدبها بأداب الملوك، ويقول لها: أعظمي رسول الله ﷺ، وكنيه وأكرميه. ونحو من هذا الكلام. حتى نظر جريح إلى أمير المؤمنين وسيفه مشهر بيده، ففزع منه جريح، وأتى إلى نخلة في دار المشربة فصعد إلى رأسها، فنزل أمير المؤمنين إلى المشربة، وكشف الريح عن أثواب جريح، فانكشف ممسوحاً. فقال: انزل يا جريح. فقال: يا أمير المؤمنين، آمن على نفسي؟ قال آمن على نفسك. قال: فنزل جريح، وأخذ بيده أمير المؤمنين، وجاء به إلى رسول الله ﷺ فأوقفه بين يديه، وقال له: يا رسول الله، إن جريحاً خادم ممسوح. فولى النبي بوجهه إلى الجدار، وقال: حل لهما - يا جريح - واكشف عن نفسك حتى يتبين كذبهما، ويحكما ما أجرأهما على الله وعلى رسوله. فكشف جريح عن أثوابه، فإذا هو خادم ممسوح كما وصف. فسقطا بين يدي رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله التوبة، استغفر لنا فلن نعود. فقال رسول الله ﷺ: لا تاب الله عليكما، فما ينفعكما استغفاري ومعكما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟! قالوا يا رسول الله، فإن استغفرت لنا ربنا، وأنزل الله الآية التي فيها: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾^(١) قال الرضا ﷺ: الحمد لله الذي جعل في وفي ابني محمد أسوة برسول الله ﷺ وابنه إبراهيم^(٢).

وجاء أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكَ فَاسِقُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(٣)، ذكر علي بن

(١) سورة التوبة الآية ٨٠.

(٢) دلائل الإمامة للطبري ص ٣٨٤.

(٣) سورة الحجرات الآية ٦.

إبراهيم في تفسيره صورة لفظه قال: سألته عن هذه الآية فقال: إن عائشة قالت للنبي صلى الله عليه وآله: إن إبراهيم بن مارية ليس هو منك وإنما هو من جريح القبطي فإنه يدخل إليها [في] كل يوم فغضب النبي صلى الله عليه وآله وقال لعلي عليه السلام: خذ السيف وأتني برأس جريح القبطي. فأخذ السيف ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله إنك إذا بعثتني في أمر أكون فيه كالسفود المحمى في الوبر فكيف تأمرني فيه أثبت فيه أم أمضي؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: بل تثبت، فجاء علي عليه السلام إلى مشربة أم إبراهيم فتسلق عليها... وساق الخبر حتى قال فأنزل الله تعالى الآية. قال زرارة لأبي جعفر عليه السلام إن العامة يقولون: نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين جاء إلى النبي فأخبره عن بني خزيمة أنهم كفروا بعد إسلامهم. فقال عليه السلام: يا زرارة أو ما علمت أنه ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن؟ فهذا الذي في أيدي الناس ظهرها والذي حدثك به بطنها. ولما نهاهم الله سبحانه عن إتباع قول الفاسق وأمرهم بالتثبت في الأمر نبههم على أن فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأن أخبار الأرض والسماء عنده فخذوا عنه ودعوا قول الفاسق^(١).

هذا بعض ما ورد في مصيبة الطعن بعرض رسول الله صلى الله عليه وآله

فقضى الله ورسوله أمرا على خلقه في وجوب الطاعة لعلي عليه السلام وقد شدد في ذلك الأمر المقدس على نساء النبي لما حضين به من شرف أمومة المؤمنين وقد سمعن قول رسول الله صلى الله عليه وآله مراراً وتكراراً وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (يا علي نسائي بيدك من بعدي) ومنه ذلك الذي سمعته عائشة فبكت حتى سمعوا بكائها فقال علي عليه السلام: لقد أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله نبأ فقال: إن الله تعالى يمدك يا علي يوم الجمل بخمسة آلاف من

(١) تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج ٢ ص ٦٠٣.

الملائكة مسومين...^(١).

وقد شدّد الله تعالى عليهن الأمر في القرآن الكريم فبعد العتاب والتهديد والوعيد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُبِينًا﴾^(٢)، فهذا الأمر الإلهي هو سنة إلهية قال تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٣).

وإنّ هذه الأفعال المشينة لعائشة وحفصة ليست بمستبعدة فإن ما في الجنان يظهر على فلتات اللسان فكيف بمن استبطن الكفر والنفاق وقد قال تعالى عنهما: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾^(٤)، وإن خيانة زوجات الأنبياء ليست من جنس الزنا والعياذ بالله تعالى، بل هي من جنس عدم التصديق بنبواتهم وعدم الإذعان والطاعة لهم في الأوامر المفصلية التي يقوم عليها الدين، وهذا الذي أثبتته القرآن الكريم ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ، وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ، قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٥)، فماذا يعني أن تقول مسلمة لرسول الله ﷺ من أنبأك بهذا؟!!

جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: (إن السر الذي كان من رسول الله ﷺ إلى

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ٣٧٧.

(٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٦٢.

(٤) سورة التحريم الآية ١٠.

(٥) سورة التحريم الآية ٣.

بعض أزواجه إخبار عائشة إن الله أوحى إليه أن يستخلف أمير المؤمنين عليه السلام وقد ضاق ذرعاً بذلك لعلمه في قلوب قريش له من البغضاء والحسد والسنان وأنه خائف منهم فتنة عاجلة تضر بالدين، وعاهدها أن تكتم ذلك ولا تبديه وتستره وتخفيه فنقضت عهد الله سبحانه عليها في ذلك، وأذاعت سره إلى حفصة، وأمرتها أن تعلم أباهما ليعلمه صاحبه فيأخذ القوم لأنفسهم ويحتالوا في بعض ما يثبت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمر المؤمنين عليه السلام في حديث طويل له أسباب مذكورة، ففعلت ذلك حفصة واتفق القوم على عقد بينهم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يورثوا أحداً من أهل بيته ولا يؤتوهم مقامه، واجتهدوا في تأخيرهم والتقدم عليهم. فأوحى الله إلى نبيه بذلك، وأعلمه ما صنع القوم وتعاهدوا عليه، وأن الأمر يتم لهم محنة من الله تعالى للخلق بهم، فوقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعرفها ما كان منها من إذاعة السر، وطوى عنها الخبر بما علمه من تمام الأمر لهم، لئلا تتعجل إلى المسرة به وتلقيه إلى أبيها، فيتأكد طمع القوم فيما عزموا عليه وهو قوله تعالى: ﴿عَرَفَ بَعْضُهُمْ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ فالبعض الذي عرفه ما كان منها من إذاعة سره، والبعض الذي أعرض عنه ذكر تمام الأمر لهم. وكان في الآية مما يؤذن بشك المرأة في نبوته بقولها عند إخباره إياها بصنيعها^(١).

فهذه سبع نظرات بعدد رقم العزة كل نظرة منها تثبت عدم أهلية بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخطاب آية التطهير أو شمول الآية لهن لأن خروج بعضهن كافياً لخروجهن جميعاً.

بعد هذا العرض السريع يتبين لكم منه أن اجتماع القرائن الخارجية والداخلية كلها تدل على عدم وحدة السياق بل استحالته في هذا المورد بالذات.

(١) المسائل البكرية للشيخ المفيد رحمته الله ج ٦ ص ٧٦.

القول الثاني: أنها في أمة النبي ﷺ.

وهو احتمال صادر عن جاهل بقواعد التفسير أو معاندٍ ناصب لأنه واضح البطلان فمن أنكر على الشيعة قولهم بوجود أربعة عَشَرَ معصوماً مع توافر الأدلة المتواترة سنداً والتامة برهاناً كيف له أن يذهب إلى عصمة تمام الأمة التي فيها الفاسق والفاجر ومَنْ قَتَلَ بعضهم بعضاً ومن كَفَّرَ بعضهم بعضاً ومَنْ تَفَلَّ بعضهم في وجوه بعض؟!!

وليس من المعقول أن يكون الطرف المُعتدي والمُعتدى عليه على حق!! وأترك لكم باقي الجواب.

القول الثالث: إنها لا تشمل نساء النبي ﷺ جزماً بل تشمل أقارب النبي وهم آل علي وآل جعفر وآل عباس.

أخرج مسلم عن زيد بن أرقم: أن رسول الله ﷺ قال أذكركم الله في أهل بيتي فقيل لزيد ومَنْ أهلُ بيته؟ أليس نسائه من أهل بيته؟ فقال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته هم من حرم الصدقة عليه بعده وهم آل علي وآل جعفر وآل عباس ولم يذكر المعنى إلا رواية أو روايتين مع اضطراب في نفس المتن والواضح لكم أن المجيب هو زيد لا النبي ﷺ كما أقر بذلك علماؤهم كالشوكاني^(١) وذكرها أحمد بن عبدالله الطبري^(٢) لو صحت الرواية جدلاً وهي معارضة للروايات الأخرى الكثيرة المتواترة والواردة في تحديد آل البيت بالعترة ﷺ^(٣).

(١) نيل الأوطار للشوكاني: ج ٢ ص ٣٢٧.

(٢) ذخائر العقبى للطبري: ص ١٦.

(٣) راجع دلائل الصدق للمظفر المجلد الثاني ص ١١٥.

(٤) صحيح مسلم: ج ٧ باب فضائلهم عليهم السلام ص ١٢٢.

أما القول الرابع والخامس فسيتضحان لك في الفقرة التالية.

وقفه أولى للاعتبار

نقل الألويسي في روح المعاني^(١) ما لا يزيد عن روايتين في تحديد نزول آية التطهير في نساء النبي وقد تم بطلانها في قولهم الأول ولكنه ينقل أيضاً عن أم سلمة فقط مائة وعشرين طريقاً وينقل بحسن تتبعه عن خمسين صحابياً وعن التابعين ثلاثة عشر طريقاً كلها تنص على أن المعني والمقصود بآل البيت هم العترة الطاهرة وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها وقال هو عنهم بأنهم " أتم حالاً من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة وأحسن أخلاقاً وأزكى نفساً وإليه تنتهي الطرائق كما لا يخفى على سالكيها في التخلية والتحلية، ولا يوجد أحد من المدرسة السنية إلا وهو يقول عنهم بأنهم في أعلى درجات الوثاقة إلا المعاند الناصب " ، فهو مع كل ما رواه وما أقرَّ به من الفضل لهم إلا أنه فرَّ من النتيجة لأن فيها الأسد الضرغام حيدرة الكرار فارتعدت أوصاله وتشتت أفكاره فاضطربت أقواله فهو مرة قال: " إن الألف واللام في البيت هي للعهد وهي إشارة إلى بيت الطين والخشب لا بيت القرابة " ، فشمّل بقوله حتى الخدم والإماء ثم زاد الطين بلة فقال: «والنسبة المقصودة هو نساء المطهرات فهو بصدد بيان الحكم التشريعي والإرادة إرادة تشريعية»^(٢) ، ثم قال: «إنها النساء والعترة» ثم اسمع ما قال: «إن القطبية لا تكون إلا لأهل البيت المشهورين - يعني العترة - وإنها صارت بعدها لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى انتهت النوبة إلى الشيخ عبد القادر الغيلاني!!

ولا ريب أن أصدق بدعواه حيث أن دماغه قد أُصيب بضربة من إعجاز

(١) ج ٢٢ ص ١٤-١٥ .

(٢) تفسير روح المعاني للألويسي ج ٢٢ ص ١٣ .

قبقاب عبد القادر.

أبا حسن

لا أعتبُ قلبُ الغافل عنكَ

فليس على الأعمى حرجُ

ما الناس سوى قومٌ عرفوك

وغيرهم همجُ همجُ همجُ

فهو المعنى فهُم المعنى

فذكر الله لهم لهجُ

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(١) مِمَّ خُلِقَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فلينظر الإنسان إلى علمه عَمَنَ يأخذه)^(٢). أما السيد قطب فإنه يذكر في ذيل هذه الآية الكريمة تعليقا فقال: «كأنما هذا البيت هو البيت الواحد في هذا العالم المستحق لهذه الصفة». يا سيد (كأنما) تستخدم للتشبيه فمن أين أتيت بهذا التشبيه الذي لا وجود له في الآية والمخالف للحصر؟! ثم قال إن المراد من الخطاب هو: "يا نساء النبي إن إنقيتنَّ الله فانتن ممن أذهب الله عنكنَّ الرجس وطهركم"، (جبت الأكرع اعلمني طَلَعُ غِرْعَتَهُ وَخَرَّعَنِي)، يا سيد معنى كلامك أنه خطاب تشريعي فأراد الله من نساء النبي أن يتقين الله فهل خطاب طلب التقوى مختص بهن أم الأداة ﴿إِنَّمَا﴾ عندك من أدوات العموم؟! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣). ثم قال: " والمعنى حسب ما ينساق إليه الذهن وقوع الجملة موقع التعليل في النهي والأمر نهاكم الله عَزَّ وَجَلَّ وأمركم لأنه يُريد بنهيكم وأمركم إذهاب الرجس

(١) سورة عبس الآية ٢٤.

(٢) تفسير البرهان ج ٥ ص ٤٢٩.

(٣) - سورة الحج الآية ٤٦.

أما القول الرابع والخامس فسيتضحان لك في الفقرة التالية.

وقفه أولى للاعتبار

نقل الألويسي في روح المعاني^(١) ما لا يزيد عن روايتين في تحديد نزول آية التطهير في نساء النبي وقد تم بطلانها في قولهم الأول ولكنه ينقل أيضاً عن أم سلمة فقط مائة وعشرين طريقاً وينقل بحسن تتبعه عن خمسين صحابياً وعن التابعين ثلاثة عشر طريقاً كلها تنص على أن المعني والمقصود بآل البيت هم العترة الطاهرة وهم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها وقال هو عنهم بأنهم " أتم حالاً من سائر العباد المشاركين لهم في العبادة وأحسن أخلاقاً وأزكى نفساً وإليهم تنتهي الطرائق كما لا يخفى على سالكيها في التخلية والتحلية، ولا يوجد أحد من المدرسة السنية إلا وهو يقول عنهم بأنهم في أعلى درجات الوثاقة إلا المعاند الناصب"، فهو مع كل ما رواه وما أقرَّ به من الفضل لهم إلا أنه فرَّ من النتيجة لأن فيها الأسد الضرغام حيدرة الكرار فارتعدت أوصاله وتشتت أفكاره فاضطربت أقواله فهو مرة قال: " إن الألف واللام في البيت هي للعهد وهي إشارة إلى بيت الطين والخشب لا بيت القراية"، فشمّل بقوله حتى الخدم والإماء ثم زاد الطين بلة فقال: «والنسبة المقصودة هو نساءه المطهرات فهو بصدد بيان الحكم التشريعي والإرادة إرادة تشريعية»^(٢)، ثم قال: «إنها النساء والعترة» ثم اسمع ما قال: «إن القطبية لا تكون إلا لأهل البيت المشهورين - يعني العترة - وإنما صارت بعدها لغيرهم على سبيل النيابة عنهم حتى انتهت النبوة إلى الشيخ عبد القادر الغيلاني!!»

ولا ريب أنا أصدقه بدعواه حيث أن دماغه قد أصيب بضربة من إعجاز

(١) ج ٢٢ ص ١٤-١٥.

(٢) تفسير روح المعاني للألويسي ج ٢٢ ص ١٣.

قبقاب عبد القادر.

أبا حسن

لا أعتبُ قلبُ الغافلِ عنكَ

فليس على الأعمى حرجُ

ما الناس سوى قومٌ عرفوك

وغيرهم همجُ همجُ همجُ

فهو المعنى فهُم المعنى

فذكر الله لهم لهجُ

قال تعالى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾^(١) مِمَّ خُلِقَ قَالَ عَنِ السَّلَامِيِّ: (فليُنظر الإنسان إلى علمه عَمَّنَ يأخذه)^(٢). أما السيد قطب فإنه يذكر في ذيل هذه الآية الكريمة تعليقا فقال: «كأنما هذا البيت هو البيت الواحد في هذا العالم المستحق لهذه الصفة». يا سيد (كأنما) تستخدم للتشبيه فمن أين أتيت بهذا التشبيه الذي لا وجود له في الآية والمخالف للحصر؟! ثم قال إن المراد من الخطاب هو: "يا نساء النبي إن إتقين الله فانتن ممن أذهب الله عنكنَّ الرجس وطهركم"، (جبت الأكرع اعلمني طَلَعُ كَرَعَتِهِ وَخَرَّ عَنِّي)، يا سيد معنى كلامك أنه خطاب تشريعي فأراد الله من نساء النبي أن يتقين الله فهل خطاب طلب التقوى مختص بهن أم الأداة ﴿إِنَّمَا﴾ عندك من أدوات العموم؟! ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٣). ثم قال: "والمعنى حسب ما ينساق إليه الذهن وقوع الجملة موقع التعليل في النهي والأمر نهاكم الله عَلَّاهُ وأمركم لأنه يُريد بنهيكم وأمركم إذهاب الرجس

(١) سورة عبس الآية ٢٤.

(٢) تفسير البرهان ج ٥ ص ٤٢٩.

(٣) - سورة الحج الآية ٤٦.

عنكم وتطهيركم وفي ذلك غاية المصلحة لكم" - (اللهم سبحانه ما أضيقت الطرق على من لم تكن دليله) - يا سيد قطب لو كانت الآية للتعليل ل جاءت في آخر السورة ووافقتها في اللحن ولكنها جاءت متوسطة بين تلك الأوامر والنواهي مع اختلاف لحن الخطاب فحملها على التعليل محتاج إلى تعليل!!!

ثم قال: «﴿نَمَّا يُرِيدُ﴾» في العبارة تطف يشعروهم بأنه بذاته العالية يتولى تطهيرهم»، ففي المقطع الأول من كلامه حمل الإرادة على التشريع وفي العبارة الأخيرة حملها على الإرادة التكوينية، ثم قال: "إنها فعل الله فقط"، فما الذي قلبها من تشريعية إلى تكوينية؟! فالإرادة واحدة والخطاب واضح إلا (إنك لن تعرف الحق حتى تعرف أهله).

الغريب أن هذه التفاسير تعدُّ من التفاسير ذات المنهاج العلمي لدى السنة (هداهم الله لسنة نبينا المختار).

أما السيوطي فقد أورد عشرين طريقاً كلها تحدد النزول بالعترة الطاهرة عليهم السلام^(١).

وأما الشافعي فإنه قال: «والذي قام به جماهير العلماء وقطع به أكابر الأئمة وقامت به البراهين وتضافرت به الأدلة أنّ المراد من أهل البيت هم سيدنا علي وفاطمة وأبيها وولديها».

وأنا لا أطيل البحث في هذا فما كتب عنه أعلامنا (رضوان الله تعالى عليهم) أكثر من الكثير. ومن طلب المزيد فليراجع إحقاق الحق بتعليقة السيد المرعشي قدس سره^(٢)، ويمكنك أيضاً مراجعة كتاب الإمام الصادق عليه السلام

(١) تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٦ ص ٦٠٣-٦٠٥.

(٢) - ج ٢ ص ٥٠٢-٥٧٣، ينقل فيها مئات المصادر السنية التي ذكرت أن أية التطهير مختصة

تجد فيه تفصيلاً وافياً. ودلائل الصدق للمظفر رحمه الله^(١).

بالعترة عليهم السلام، وينقل أكثر من ٧٠ صفحة عن الموارد السنية فقط. فجزأهم الله عن الإسلام
والمسلمين خير الجزاء.
(١) المجلد الثاني ص ١١٥.

قبس من نور الولاية: في إجمال الأدلة

أولاً: الروايات الواردة في العترة الطاهرة عليهم السلام أكثر من الكثير وكل المصادر الرئيسية الشيعية نقلت الأحاديث في هذا الباب الشريف، بل حتى كُتِب الاحتجاج والكلام والتفسير للقرآن الكريم فإنك تجد فيها ما يُغنيك عن الطلب والبحث.

ثانياً: التواتر الوارد بنقل الشيعة والسنة من فعل النبي المصطفى صلى الله عليه وآله بوضعهم تحت الكساء اليماني ومنع أم سلمة من الدخول وقوله لها إنك إلى خير يدل على الحصر الشديد في فعله المقدس مضافاً إلى الحصر الشديد الوارد في الآية الكريمة ثم دعائه الشريف زيادة في التأكيد، ووقوفه على باب دار علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهو يمسك بعضادتي الباب ويتلوا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ في أوقات الصلاة لِيُسمعَ تمام المسلمين حيث أن المسجد النبوي الشريف هو مركز الحكومة ومركز العبادة والدعاء وفعله المقدس ذاك في أوقات الصلاة وبمدةٍ أختلف الرواة في نقلها فبعضهم قال ستة أشهر وبعضهم قال تسعة أشهر وبعضهم قال سنة وبعضهم قال ثلاثة عشر شهراً وآخر بثمانية عشر شهراً، فاختلاف الأقوال ناتج عن الاختلاف في

الاطلاع على هذا الفعل الشريف الذي يدل على الحرص الشديد للنبي ﷺ في تبليغ هذا الأمر العظيم الذي دلّ عليه مضمون آية التطهير المقدسة.

ثالثاً: حديث الثقلين الشريف المتواتر سنداً والتام متناً.

رابعاً: الروايات الواردة في كيفية الصلاة على النبي محمد ﷺ شيعة وسنة منها على سبيل المثال ما ورد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيني ابن كعب قال ألا أهديك هدية سمعتها من النبي - ص - قلت بلى فأهدها لي. قال سألتنا رسول الله ﷺ يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ قال: قولوا اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم.

خامساً: الروايات الواردة شيعة وسنة في باب أول من يلحق من الناس برسول الله ﷺ أو باب (أول من يلحق به من أهل بيته) وهو قوله: (أول من يلحق بي من أهل بيتي ابنتي فاطمة وأول من يلحقني من أزواجي زينب). وهو حديث أورده حتى صاحب كنز العمال وتمييزه لنساء النبي ﷺ عن العترة ﷺ في غاية الوضوح.

سادساً: آية المباهلة والروايات الدالة عليها^(١).

سابعاً: إدعاء أمير المؤمنين ﷺ في خطبته أمام الناس وفي محاججاته مع من ظلمه وأذاه في موارد كثيرة ولم ينكروا عليه ذلك بل أيده بدعواه ومنها قول أمير المؤمنين ﷺ: (نشدتكم بالله هل فيكم أحداً أنزل الله فيه آية التطهير على رسول الله ﷺ) ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ فأخذ رسول الله ﷺ كساء خبيرياً فضمني فيه وفاطمة والحسن والحسين ثم قال يا رب هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم

(١) البحار ج ٢٥ ص ٢٢٣ ص ٢٢٥، علل الشرائع.

الرجس وطرهم تطهيراً).

وقال أيضاً في خطبة له أخرى: (أيها الناس أنصتوا لما أقول رحمكم الله. أيها الناس بايعتم أبا بكر وعمر وأنا والله أولى منهما وأحق منهم بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله فأمسكت. وأنتم اليوم تريدون أن تبايعوا عثمان، فإن فعلتم، وسكت. والله ما تجهلون فضلي ولا جهله من كان قبلكم، ولولا ذلك قلت مالا تطيقون دفعه واستشهد بآية التطهير).

فأنا هنا لست في مقام التفصيل، بل أكتفي بهذا القدر اليسير وأقل من القليل في تحديد المراد من آل البيت عليهم السلام.

تذكير وتفصيل

بالذي قد تمّ ذكره مسبقاً بحمده تعالى في المقطع الأول الذي اشتملت عليه آية التطهير وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ إنه بمفرده دال على العصمة، فإن الله عزَّ وجلَّ حصر إرادته التكوينية في دفع الرجس عن آل البيت ودفع الرجس مادي كان أو معنوي عنهم يعني أن آل البيت عليهم السلام سنخ موجود ليس للرجس فيه وإليه سبيلاً، وإن الانقطاع الدفعي لسبيل الرجس عنهم هو العصمة المطلقة من حين النشوء.

وأما المقطع الثاني من آية التطهير الشريفة وهو قوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرَكُمُ تَطْهِيراً﴾ يعني إن الله سبحانه وتعالى يخبر أن لآل البيت عليهم السلام مقامين:

المقام الأول: هو مقام التنزيه، الذي نزه به الله تعالى آل البيت عليهم السلام عن كل نواقص البشرية بل عن كل نواقص الخلق، فهم سنخ مخلوق منزّه عن كل نقص اعترى سواهم. وحينما يصل الكلام بحدود المقطع الأول تُثار في نفس المُعرِّف له آثار الحب والإعجاب والعجز عن إدراك المُعرِّف وهم أهل

البيت ﷺ ، فجاء المقطع الثاني ليدل على تعريف آل البيت ﷺ بمقام الإيجاب والثبوت ، فقال تعالى : ﴿ وَيُطَهِّرُكُمُ تَطْهِيراً ﴾ ليعني بها سبحانه أن تلك الذوات القدسية التي تعلقت بها إرادة الله التكوينية في تنزيههم من كل نقص اعترى سواهم قد تعلقت بتطهيرهم بعين تلك الإرادة التكوينية لا بإرادة أخرى ليدل على ثبوت جميع مقامات الطهارة لهم ، فالمقام الأول إذاً هو مقام تنزيههم التكويني الذي لا يعترىهم فيه أي شك أو ريب اعترى سواهم .

المقام الثاني: هو مقام إثبات جميع صفات الكمال المطلقة لهم (صلوات الله عليهم) ، حيث أن صفات الكمال في المخلوق تشتد وتضعف تبعاً لاشتداد وضعف الطهارة فيه ، وبما أن الطهارة فيهم (صلوات الله عليهم) بإرادة تكوينية إلهية طهارة مطلقة وغير متناهية شاملة لجميع خصوصياتهم ومتحدة معهم ، وهذين المقامين اللذين ذكرناهما هنا غير ما ذكرهما جملة من الأعلام في نكتة تقدم إذهاب الرجس على التطهير بتقدم مقام التخلية على التحلية وأعتقد أن ما ذكره الأعلام في هذه النكتة بالذات أجنبي عن هذه الآية الكريمة ، حيث أن مورد التخلية والتحلية لا ينسجم إلا مع أهل السير والسلوك لعوام المؤمنين وإن رقى فلا يتجاوز عن مقام العصمة الكسبية لأن التحلية فرع وجود الرجس ، ومع حمله على هذه الآية الكريمة يعني صرف معنى الإذهاب فيها إلى الرفع لا الدفع الذي قد تم بطلانه مسبقاً وذكرنا هناك بأن الإذهاب في الآية الكريمة لا يقبل إلا معنى الدفع ولا يمكن حملها على معنى الرفع وهذا ينسجم مع مقام التنزيه الذي ذكرناه لهذه الآية الكريمة ، والذي يختلف اختلافاً كبيراً عن مقام التخلية فمقام التنزيه يتناسب مع مقام العصمة الدفاعية والتخلية تتناسب مع مقام أهل السير والسلوك وأصحاب العصمة الكسبية التي يكون الإذهاب بمعنى الرفع ، وبعد رفع الرجس يأتي

مقام التحلية لهم بكسب الصفات الجمالية وهذا ما لا يمكن نسبته إلى آل البيت عليهم السلام لخلو ذواتهم المقدسة عن كل الصفات السلبية وملازمة جميع صفات الكمال المطلقة الكلية لهم صلوات الله وسلامه عليهم.

وهنا في المقام نكتة لطيفة وهي أن الله سبحانه وتعالى جعل الإرادة واحدة في إذهاب الرجس والتطهير وعدم تأخر إرادة التطهير عن إرادة إذهاب الرجس مع عدم تغاير الإرادتين بل جعلها سبحانه بإرادة تكوينية واحدة وهذا الإسلوب البلاغي الرائع الذي صيغت به هذه الآية الكريمة وما فيها من قرينة المقابلة بين إذهاب جنس الرجس بتنزيههم عنه وإثبات جنس الطهارة لذواتهم العلية وتكرار الطهارة للمبالغة في تشديدها فيهم لإثبات هذا المطلب الرفيع الذي يدور بين هذين المقامين الذين قد مر ذكرهما، ثم انحصار هذين المقامين بآل البيت عليهم السلام دون الخلق أجمعين ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾، فمقام الطهارة الذي ذكرته هذه الآية الكريمة هو مقام قد انفرد به النبي محمد وآله (صلوات الله عليهم أجمعين)، مقام لا يشاركهم به أحد، وهو مقام أكمل الكمال الذي لا كمال فوقه إلا كمال الله تعالى وبه أفاض سبحانه الكمال على خلقه كل بحسبه قال تعالى: ﴿كُلُّ يَعْملُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾^(١).

بيان لقوله تعالى: { وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً } ﴿١﴾

يمكن بيان الطهارة الواردة في هذه الآية الشريفة بثلاثة مقامات:

المقام الأول: هو مقام طهارة الذات

فذواتهم الشريفة ذوات طاهرة مقدسة بطهارة الله عَزَّ وَجَلَّ من دون توسط مفيض آخر لاستقبال تلك الطهارة، وهم الذين جعلهم الله عَزَّ وَجَلَّ المفيض بالطهارة على عباده الصالحين فهم الفيض الإلهي النازل من عنده والظاهر بنفسه والمطهر لغيره، عنصر الطهارة ومعدنها، جاء في زيارة الإمامين العسكريين في سُرِّ من رأى (السلام عليك يا أبا الحسن علي بن محمد الزكي... السلام عليك يا عنصر الأطهار)^(١)، فما من طهارة إلا وهم أصلها. ومنه يفتح لك باب من أبواب فهم أحاديث الطينة الشريفة ومنها ما جاء عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حمد بن عيسى عن ربعي ابن عبد الله عن رجل عن علي بن الحسين قال: (إن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق النبيين من طينة عليين: قلوبهم وأبدانهم وخلق قلوب المؤمنين من تلك الطينة و[جعل] خلق أبدان المؤمنين من دون ذلك وخلق الكفار من طينة سجين قلوبهم وأبدانهم، فخلط الله بين الطينتين، فمن هذا يلد المؤمن الكافر ويلد الكافر المؤمن ومن هنا يصيب المؤمن السيئة ومن هنا يصيب الكافر الحسنة، فقلوب المؤمنين تحنُّ إلى ما خلقوا منه وقلوب الكافرين تحنُّ إلى ما خلقوا منه)^(٢). ومنه جاء سلمان منا أهل البيت.

قام رجل إلى أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال له: (والله يا أمير المؤمنين إني لأدين لله بولايتك، وإني لأحبك في السر كما أظهر لك في العلانية. فقال له الإمام علي عَلَيْهِ السَّلَامُ: كذبت فوالله لا أعرف اسمك في الأسماء ولا وجهك في الوجوه، وإن طينتك لمن غير تلك الطينة)^(٣).

(١) مفاتيح الجنان (الكليات) ص ٥١١ ط. قم.

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ٢.

(٣) الاختصاص للشيخ المفيد ص ٣١٠.

جاء عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سمعتة يقول إن الله خلقنا من نور عظمتة، ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش، فأسكن ذلك النور فيه، فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً، وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم في طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا الأنبياء، ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همج للنار وإلى النار)^(١).

ولايتي لأمير النحل تكفيني

عند الممات وتغسيلي وتكفيني

وطينتي عجت من قبل تكويني

في حُبِّ حيدر كيف النار تكويني

وأحاديث الطينة هذه ليست من مختصات الطائفة الشيعية (أعزَّ الله رايته) كما صورها بعض أبناء العامة واتخذوها وسيلة من وسائل تشنيعهم بدون وجه حق فنسبوهم إلى الديصانية أشد الزنادقة قولاً وما ذاك إلا من سوء توفيقهم وضعف عقولهم عن فهم هذه الإشارات اللطيفة والحقائق الطاهرة التي لا يمسه إلا من كان من جنسها وقد قال تعالى مثبتاً لهذه الحقيقة قبل الروايات الشريفة فقال: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾^(٣)، وقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾^(٤)،

(١) موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام: ج ٦ ص ٣٣٤.

(٢) سورة الأنعام الآية ٢.

(٣) سورة المؤمنون الآية ١٢.

(٤) سورة الصافات الآية ١١.

وقال: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِن طِينٍ﴾^(١)، وقال: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مَوْلَاهَا﴾^(٢)، وقال: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا﴾^(٣).

وجاء ذكر خبر الطينة في معتقدات أبناء العامة ولكنهم أساءوا في استعمالها كما أساءوا في إدراكها وعدم فهمها كما جاء في تعليقة ابن أبي الحديد المعتزلي على كلام شيخه في اختلاق الأعذار لعمر بن الخطاب فقال: "واعلم أن هذه اللفظة من عمر مناسبة للفظات كثيرة كان يقولها بمقتضى ما جاءه الله تعالى من غلظة الطينة، وجفاء الطبيعة، ولا حيلة له فيها لأنه مجبول عليها لا يستطيع تغييرها، ولا ريب عندنا أنه كان يتعاط أن يتلطف، وأن يخرج ألفاظه مخارج حسنة لطيفة، فينزع به الطبع الجاسي، والغريزة الغليظة إلى أمثال هذه اللفظات، ولا يقصد بها سوء، ولا يُريد بها ذمًا، ولا تخطئة كما قدمنا من قبل في اللفظة التي قالها في مرض النبي، وكالالفاظ التي قالها عام الحديدية وغير ذلك ولا يُجازي المكلف إلا ما نواه، ولقد كانت نيته من أظهر النيات"^(٤).

ورحم الله القائل:

أرأيت أحقق من جهول يدعي

ماليس فيه ويعقدُ الايمانَا

ينهي ويأمر وهو يحسب غيه

رشدا وسيء فعله إحسانَا

(١) سورة السجدة الآية ٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٤٨.

(٣) سورة الحديد الآية ٢٢.

(٤) شرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧ لابن أبي الحديد.

لم يرضَ قول نبيه فيما قضى
 أشياخه حكما ولا القرآنا
 يسعى بغير بصيرة فيزيده
 طلب المزيد بسعيه نقصانا
 ركب الأتبان وظنَّ أن أتانه
 يوم الرهان تسابق الفرسانا
 يلي على أسماع زمرة باقل
 هذرا فيعتقدونه عرفانا
 وإذا امرؤ لا عقل يرشده ولا
 أدب فكيف نعهه إنسانا

كان هذا تعرضاً لمقام طهارة الذات.

المقام الثاني: هو مقام طهارة الصفات

فصفات آل البيت عليهم السلام كلها طهارة، وكلما كان الإنسان أكثر طهارة كلما كان أقرب إلى الله سبحانه وتعالى وكانت مرآته أصفى لتجلى بها صفات الله الجلالية والجمالية، ولا يوجد في الوجود موجود قط أتم حالاً وأكمل صفاتاً وأصفى مرآة من النبي محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فهم المظهر الأتم والأكمل لتجلي جميع صفات الله وَجَلَّ الْجَلَالِيَّةُ والجمالية، وكلما كان العبد من باقي الخلق أكثر طهارة كلما كان أقرب لتلك الذوات المقدسة والأنوار العلوية فيكون أقدر على إظهار صفات الجلال والجمال التي ظهرت في تلك الذوات المقدسة الطاهرة، فسلطان المحمدي كان أقدر أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام على تجلي الصفات الإلهية التي فاضت عن المولى أمير المؤمنين عليه السلام لأنه كان أطهرهم.

وطهارة المؤمنين إنما هي رشحات فاضت عن المولى أمير المؤمنين عليه السلام، ومقام العبودية حكر على الأطهار الذين خلقت أرواحهم من ماء ولاية النبي محمد وآله الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

فالطهارة وعاء العبودية، والعبودية مرآة الربوبية، قال صادق العترة: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية). ولا يدخل الجنة مخلوق قط حتى يكون عبداً لله، ولا يكون عبداً لله حتى يكون طاهراً ولا يكون طاهراً حتى يجلي مرآته بالبراءة من أعداء آل البيت لتجلى ولايتهم (صلوات الله عليهم) فيه.

المقام الثالث: مقام طهارة الأفعال.

فإن من كانت ذاته طاهرة وصفته طاهرة كانت أفعاله طاهرة لا يشوبها شكٌ أو ريب.

جاء في زيارة الإمام الرضا عليه السلام: (اللهم صل على فاطمة بنت نبيك وزوجة وليك وأم السبطين الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة الطهر الطاهرة المطهرة التقية النقية الرضية الزكية...)^(١).

وجاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: (أشهد أنك طهرٌ طاهرٌ مُطَهَّرٌ من طُهرٍ طاهرٍ مُطَهَّرٍ طُهْرَتَ وَطُهْرَتِ بَكَ الْبِلَادِ وَطُهْرَتِ أَرْضِ أَنْتِ بِهَا وَطُهْرَ حَرَمِكَ...)^(٢).

ومن مقام جمع الجمع للنبي وآله (صلوات الله عليهم) نعرف المراد من قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾، أي لا يمسُّ معاني القرآن الكريم

(١) كليات مفاتيح الجنان الشريف ص ٤٩٩.

(٢) كليات مفاتيح الجنان الشريف ص ٤٣٩.

وحقائقه الشريفة إلا النبي وآله (صلوات الله عليهم) لأنهم هم المطهرون ذاتاً وصفاتاً وأفعالا، وأما باقي الخلق فلا يمسون إلا بقدر طهارتهم المحدودة، قال تعالى: ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾، وطهارتهم قائمة على التخلي عن أعداء آل البيت والتحلي بولايتهم، فإن الله سبحانه وتعالى حَصَرَ مس حقائق القرآن الكريم على المطهرين، وأما المعنى الفقهي الشائع فما هو إلا مقدمة لاستحضار تلك المنة الإلهية وتجديد الميثاق مع الحضرة الأحدية بولاية سادة البرية.

إعلم أنني قد تركت تفصيل البحث في هذا المقام لتناسب إتيانه مع مقام توحيد الأفعال الذي سيأتي تباعاً إن شاء الله تعالى.

ومما تقدم تبين لنا أن آية التطهير الشريفة تحدثت عن مقامين اختص الله بهما آل البيت عليهم السلام عن الخلق أجمعين:

المقام الأول: هو ما تعلق بمقطع الإخبار عن الإرادة التكوينية الإلهية بمطلق تنزيه آل البيت عليهم السلام عن كل نقص اعترى سواهم.

ومطلق التنزيه الإلهي معناه العصمة في أعلى درجاتها، فهذا المقام مقام التنزيه.

المقام الثاني: هو ما تعلق بمقطع الإخبار عن الإرادة التكوينية الإلهية بتطهير آل البيت عليهم السلام على كل المستويات فهم الدين وحقيقة القرآن الكريم والصراط المستقيم، فالمقطع الثاني إذاً هو للإخبار عن إرادة إثبات مقام الولاية المطلقة الإلهية الكلية على الأولين والآخرين من الخلق أجمعين وإلى قيام يوم الدين، فهذا المقام مقام إثبات.

المقصد الثاني

قوله تعالى: ((إنما وليكم الله ورسوله...))

سنطرق الآن بحوله تعالى باب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا
وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١). صدق الله العلي العظيم

تصدّرت هذه الآية الكريمة بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ التي قد مرّ ذكرها عليك
مسبقاً، لتقوم هنا بحصر الولاية على الخلق بالله تبارك وتعالى ورسوله
المصطفى وبالذين آمنوا.

قبل البدء لا بد من معرفة أمرين:

الأمر الأول: معنى الولي، فالولي لغة بمعنى الأولى والأحق، قال
المبرد: الولي والأولى والأحق بمعنى واحد، ويقول المسلمون فلان ولي أمر
المسلمين، أي المستخلف عليهم فيكون أولى بهم وبأموالهم من أنفسهم،
وأبناء العامة يوافقونا في هذا ولكنهم يصرفونه عن آل البيت عليهم السلام بشتى
الوسائل حسداً عليهم وعصبية لمذاهب فاسدة ابتدعوها، رغم أن الأدلة قد
أطبقت على حصر ولاية الأمر فيهم، وجاء أيضاً أن فلان أولى بالأمر لأنه

(١) سورة المائدة الآية ٥٥.

أولى بمقام من قبله من غيره. وهذه الأولوية واضحة في كتاب الله المجيد ومنه قوله تعالى: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾^(٢)، يعني من يكون أولى بحيازة ميراثي من بني عمومتي، وأما في الروايات فكثيرة جداً ومنها قول رسول الله ﷺ: (أَيُّ امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيهَا فَنَكَحَهَا بَاطِلٌ) فالولي هنا الأولى بمباشرة تولي العقد عليها فحمل الولي على الأولى والأحق أمر ظاهر لا يحتاج إلى كثرة الكلام.

الأمر الثاني: متعلق في معرفة سنخ هذه الولاية، فهل هي ولاية الحاكمية فقط؟ أم التشريعية فقط؟ أم هي أعم من ذلك؟

إن الولاية المقصودة في الآية الكريمة هي الولاية المطلقة الكلية التامة، فإن الآية الكريمة تَصَدَّرَتْ بأداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ ليثبت بهذا الحصر أن هذه الولاية سنخ ولاية محفوظة في ثلاث مراتب لا غير، بالله جلّ وعلا، وبرسوله المصطفى ﷺ وبالذين آمنوا الذين صفتهم مؤضحة في الآية الكريمة، وبعين كون أداة الحصر ﴿إِنَّمَا﴾ تثبت انحصار الولاية في هذه المراتب الثلاث فقط فإنها تقوم بنفي ولاية ما زاد عن هذه المراتب فلا ولاية مطلقة كلية تامة لغيرهم. وأما ثبوت ما هو أدنى من ذلك لغيرهم فذاك محتاج إلى دليل آخر نتعرض له إن شاء الله تعالى في مبحث الولاية التكوينية. فالآية الكريمة في الإثبات والنفي على حد قول أحدنا:

إنما لك عليّ درهم فأثبت لك درهم في ذمتي ونفيت بهذا الحصر ما زاد عن الدرهم فكأنني قلت ليس لك عليّ ما زاد عن درهم. هذا لوجود الحصر، ومع عدم تكرار ﴿وَلِيكُمُ﴾ في الآية الكريمة فهي تفيد:

(١) سورة الأحزاب الآية ٦.

(٢) سورة مريم الآيات ٥ و٦.

أولاً: أن ولاية الذين آمنوا بالصفة المذكورة هي عين ولاية رسول الله المصطفى ﷺ وهما عين ولاية الله ﷻ على الخليقة مع حفظ المقامات، وهو أن ولاية الله ﷻ بالذات وولاية النبي المصطفى وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) بإذن الله، وهي ولاية مطلقة غير متناهية كاملة تامة غير منقوصة.

ثانياً: إن هذه الولاية دائمة منذ نشوء الخليقة ومستمرة ما دام الضمير «كُم» من ﴿وَلِيكُم﴾ موجود، فهي دائمة مستمرة بديمومة الجنة والنار، وهو ما نعتقده في الإمامة وهي أن للإمام ولاية مطلقة كلية تامة دائمة غير منقطعة.

ثالثاً: إن هذه الولاية سنخ ولاية لا يستطيع باقي الخلق أن يجردوا أنفسهم عنها، لأنهم فقراء بالذات إليها، وأما بالنسبة إلى الله ورسوله وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فهم الأغنياء عنها بالذات وبالعرض مع مراعاة المقامات.

ومن هذه المقدمة صار معلوماً لديك الآن أن الذي قرن الله تعالى ولايته بولايته وطاعته بطاعته وسهمه بسهمه لا تكون إرادته ومشيئته إلا إرادة ومشية قد فنت بإرادة الله ومشية والذي يكون كذلك لا يكون إلا معصوماً بعصمة مطلقة كلية تامة دائمة كولايته التي أمر بها الله تعالى مطلقاً على سبيل الجزم والقطع، فلا يجوز عليه الخطأ، أو السهو، أو النسيان. لأنه على تقدير إتيانه الخطأ عمداً أو سهواً أو نسياناً مع أن الله ﷻ قد أمرنا بولايته وطاعته مطلقاً يكون قد أمرنا بطاعته وإتباعه في الخطأ المقدر، وهذا لا يجوز على الحكيم الذي تعالى عن ذلك علواً كبيراً مع استحالة اجتماع الأمر والنهي على فعل واحد كما لو أن المعصوم دخل دار رجل ليس من أهل بيته وعن

غير استئذان فوجد زوجة الرجل تستحم فنظر إليها بإعجاب وقد مرَّ عليك ذكر هذه الفرية على رسول الله ﷺ في باب التنزيه، فعلى تقدير صدور هذا عن المعصوم عمداً أو سهواً أو نسياناً يكون تقدير فعله ذاك دليل على جوازه وقد أمرنا الله تعالى بالافتداء به واتباعه والأخذ منه وهو يناقض قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ^(١)﴾، وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ...^(٢)﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ^(٣)﴾، ولو أضيف إلى هذا حرمة النظر إلى المرأة الأجنبية على تقدير صدورها عنه لوجدنا تناقض في الشريعة الإلهية، فالشارع المقدس يأمرنا بفعل شيء بعين أمره لنا بتركه، أو يأمرنا بتركه ويتوعدنا بالعذاب على فعله بعين أمره لنا بفعله ووعده لنا بالثواب والإحسان عليه، وهو اجتماع الأمر والنهي على فعل واحد في وقت واحد وهو محال. إضافة إلى استحالة أن يتصف الفعل بالحسن والقبح في آن واحد، هذا فقط في مقام التشريع فكيف يكون الأمر في مقام التكوين فالمعضلة تكون أكبر وأعظم.

فعنوان العصمة في أعلى درجاتها الاستفادة من هذه الآية الكريمة لا يمكن أن يتجاهلها مدعي العقل إلا أن يكون كافراً لا يقر بالله وبكتابه الكريم، أو ناصب مخادع يؤمن ببعض ويكفر ببعض. ومن توافر الأدلة القطعية أجمع أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام بالعصمة المطلقة لهم، وهذه الآية الكريمة إحدى الأدلة التي اعتمدها. وأما أبناء العامة فقد نصَّ غالبهم

(١) سورة النور الآية ٢٧.

(٢) سورة النور الآية ٥٨.

(٣) سورة النور الآية ٥٩.

على عصمة النبي ﷺ والذين آمنوا المستفاد من هذه الآية الكريمة وإن اختلفت أقوالهم في تحديد المراد من الذين آمنوا رغم استفاضة الأخبار عندهم بأنها نازلة في أمير المؤمنين عليه السلام بل إجماع الطائفتين سنة وشيعة على أن الذي تصدق بخاتمه وهو راعع ثم نزلت فيه هذه الآية الكريمة هو أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ولكن غالب أبناء العامة لما انتهى علمهم إلى عظمة المطالب التي تثبت هذه الآية الكريمة حاولوا تشتيت المطالب عمّن كان للحق طالب وكان الآية تنتهي على ذكر الذين آمنوا من غير وصف، فابتدعوا لها من عظيم مكرهم أقوالاً دافوا بها الحق بالباطل كما يداف السُّم بالعسل، فجاءت أقوالهم متباينة وبعضها في غاية الغرابة والأغرب صدورها عمّن يعدّه الناس مفكراً.

ذكر الفخر الرازي في تفسيره لهذه الآية الكريمة قال: «أن المراد من الذين آمنوا هم أهل الحل والعقد»، ثم قال: «أن هذه الآية تدل على أن إجماع هذه الأمة حجة والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم»، فهناك فسر الذين آمنوا بأهل الحل والعقد وجعل ولايتهم عين ولاية رسول الله ﷺ، وهنا فسر أولي الأمر من قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(١) بالإجماع كل ذلك من أجل إيهام المسلمين بشرعية السقيفة المشؤومة.

وأما قول الحسن والجبائي فهو أشد غرابة حيث قالوا: «إنها نزلت في جميع المؤمنين»، وكأنهما يفسران جملة (وليكم الذين آمنوا) فقط وليس الآية الكريمة التي هم بصدد تفسيرها!! وحملهم للآية على جميع المؤمنين يعني:

أولاً: إلغاء وجود أداة الحصر **﴿إِنَّمَا﴾**.

ثانياً: أن حمل الولي على جميع المؤمنين يعني حمل الولي على معنى ولاية المعاشرة أو الموالاة في الدين أو المناصرة كما في قوله تعالى: **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾**^(١)!! وهذه المعاني باطلة جزماً في هذه الآية الكريمة لعله كون (الولي) الواردة في الآية الكريمة واحدة وليست متعددة بقريظة العطف ثم إنها ولاية خاصة وليست عامة ومن جنس قوله تعالى: **﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾**.

ثالثاً: أن (الولي) الواردة هنا بمعنى الأحق والأولى وهي من سنخ ولاية الله وَجَلَّ جَلَلُهُ وهذه الولاية المقدسة الجامعة والشاملة على كل مخلوق لا يمكن أن يحض بها إلا المعصوم الذي هو في أعلى درجات العصمة ولا يوجد من فرق المسلمين من يلتزم بعصمة تمام المسلمين.

وقد يقول القائل أن عبارة: **﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** جاءت بصيغة الجمع فكيف يتم حملها على الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقط؟

إعلم أيها العزيز أنه قد أجمعت تمام الأمة شيعة وسنة على عدم إتيان أحد للزكاة بحالة الركوع في زمان رسول الله ﷺ إلا أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

أما علة ورود **﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** بصيغة الجمع. فنعزيها لثلاثة أسباب:

الأول: قد اشتهر في اللغة ذكر الواحد بلفظ الجمع على سبيل التعظيم وبيان علو ذكره وعظمة منزلته، وهذا الاستخدام شائع كثيراً في اللغة وموارده في القرآن الكريم غير عزيزة ومنها على سبيل المثال قوله تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) ، وقال: ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ، وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى ﴾^(٢) ، وقال: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾^(٣) ، ولا خلاف أن المراد به واحد وهو نعيم بن مسعود الأشجعي ، وقال: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾^(٤) ، والمراد به رسول الله ﷺ ، وقال: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾^(٥) ، إنها نزلت في عبد الله بن أبي سلول.

الثاني: أنه جيء به بصيغة الجمع " ليرغب الناس في مثل فعله ولينبه على أن سجية المؤمن يجب أن تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والإحسان "^(٦).

الثالث: أنه جيء بها بصيغة الجمع للإشارة إلى نكتة لطيفة فيه وهي ديمومة صدور هذا الفعل من الأئمة إمام بعد آخر وقد بينت رواياتنا الشريفة ذلك ومنها ذاك الذي وردنا من الكافي الشريف عن صادق العترة عليه السلام في تفسير هذه الآية قال عليه السلام: (يعني أولى بكم أي أحق بكم وبأموركم من أنفسكم وأموالكم الله ورسوله ، والذين آمنوا يعني علياً وأولاده الأئمة عليهم السلام إلى يوم القيامة ثم وصفهم فقال: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ وكان أمير المؤمنين عليه السلام في صلاة الظهر وقد صلى ركعتين وهو راكع وعليه حلة قيمتها ألف دينار وكان النبي أعطاه إياه وكان النجاشي أهداها له فجاء سائل فقال السلام عليك يا ولي الله وأولى بالمؤمنين من

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

(٢) سورة السجدة الآية ١٣ .

(٣) سورة ال عمران الآية ١٧٣ .

(٤) سورة البقرة الآية ١٩٩ .

(٥) سورة ال عمران الآية ١٦٨ .

(٦) جوامع الجمع الجزء الأول ص ٣٣٧ .

أنفسهم تصدق على مسكين، فطرح إليه وأومى بيده إليه أن احملها، فأنزل الله وَجَلَّ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ وَصَيَّرَ نِعْمَةَ أَوْلَادِهِ بِنِعْمَتِهِ فَكُلُّ مَنْ بَلَغَ مِنْ أَوْلَادِهِ مَبْلَغَ الْإِمَامَةِ يَكُونُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ مِثْلَهُ يَتَصَدَّقُونَ وَهُمْ رَاكِعُونَ، وَالسَّائِلُ الَّذِي سَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالَّذِينَ يَسْأَلُونَ الْأُئِمَّةَ مِنْ أَوْلَادِهِ يَكُونُونَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ^(١).

وهذا الخبر لا يتناقض مع ما استفاضت به الأخبار من نزول هذه الآية الكريمة بعد أن تصدق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالخاتم، والجمع بينهما يكون بجعل خبر تصدق الإمام عليه السلام بالخاتم بعد تصدقه عليه السلام بالحلة ولذا اشتهر الثاني عند جميع الأمة دون الأول.

وقد حاول بعض المفسرين من أبناء العامة أن يصرف الآية الكريمة إلى محل آخر غير الذي وضعت فيه و﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ فقال: "إن معنى الركوع الوارد في الآية: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، المراد منه إتيان الزكاة في حالة الخضوع والتذلل فمن كان من المؤمنين يأتي زكاته وهو خاضع متذلل يكون مصداقاً للآية الكريمة". فأصدر ذلك البعيد أمره في تعميم تلك الولاية الإلهية المقدسة ليكون مخالفاً لكل ناموس ومن عدة وجوه:

أولاً: إن الولاية الواردة في هذه الآية الكريمة هي ولاية مطلقة جامعة شاملة على كل مخلوق ودائمة مستمرة كما بينها مسبقاً فهذه الولاية إذا سنخ ولاية لا يمكن نسبتها إلا لأولي العصمة في أعلى درجاتها التي لا تثبت إلا بالنص والإعجاز، وليس كل من أعطى زكاته بخضوع وتذلل صار معصوماً.

ثانياً: إنه اجتهاد في قبال النصوص.

(١) تفسير الصافي الجزء الثاني ص ٤٤، البرهان الشريف الجزء الثاني ص ٣١٥.

ثالثاً: إنه مخالف لأقوال أهل اللغة في معنى الركوع، قال ابن دريد: «الراكع الذي يكبوا على وجهه، ومنه الركوع في الصلاة»، وقال صاحب العين: «كل شيء ينكب لوجهه فتمس ركبتيه الأرض أو لا تمس بعد أن يطأطئ رأسه فهو راع»، فحمل الركوع على التواضع والخضوع يكون مجازاً وتشبيهاً، ومفردات اللغة تأخذ على الحقيقة لا على المجاز والتشبيه إلا إذا قام دليل قطعي على خلاف الحقيقة، وهو معدوم هنا، بل قام الدليل القطعي على تأكيد وتشبيت تلك الحقيقة.

رابعاً: إن حمل الركوع على الخضوع والتذلل مخالف للحصر الوارد في بداية الآية الكريمة.

خامساً: مخالفاً لما أجمعت عليه الأمة شيعة وسنة على أنه لم يأت الزكاة وهو راع غير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

وأما قول الكلبي من أنها نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه لما أسلموا فقاطعتهم اليهود لإسلامهم. إنها دعوى مبغض لآل البيت وهي باطلة جزماً من عدة وجوه:

أولاً: إن عبد الله بن سلام وأصحابه ليسوا أول من دخلوا الإسلام وقوطعوا.

ثانياً: ما علاقة ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ بعبد الله بن سلام وأصحابه؟ فهل دفعوا الزكاة وهم راعون؟!!

ثالثاً: إن الولاية التي نصت عليها الآية الكريمة لا تنسجم إلا مع المعصوم عليه السلام.

رابعاً: مخالفاً للإجماع ولما دلت عليه النصوص.

خامساً: شهادة عبد الله بن سلام بأنها نزلت في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فلقد جاء في رواية عطاء قال عبد الله بن سلام: يا رسول الله ، أنا رأيتُ علياً تصدق بخاتمه وهو راعٍ فنحن نتولاه. فشهادته وعدم ادعاء هذه المنقبة العظيمة غير أمير المؤمنين عليه السلام دليلاً كافياً لمن طلب النجاة ، ولكن ماذا نقول.

عن سلام بن سعيد المخزومي عن يونس بن خباب عن علي بن الحسين قال: (قام رسول الله صلى الله عليه وآله فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام إذا ذكر عندهم آل إبراهيم وآل عمران فرحوا واستبشروا وإذا ذكر عندهم آل محمدٍ اشمأزت قلوبُهُم والذي نفس محمدٍ بيده لو أن عبداً جاء يوم القيامة بعمل سبعين نبياً ما قبلَ الله ذلك منه حتى يلقى الله بولايتي وولاية أهل بيتي) ^(١). ورواه الشيخ الطوسي في أماليه عن أبيه عن المفيد عن علي بن خالد المرادي عن الحسن بن علي الكوفي عن إسماعيل بن محمد المزني عن سلام بن أبي عمرة عن سعد بن سعيد مثله.

بحث في أسباب النزول

١. عن الأعمش بن غياث بن ربعي قال: بينما عبد الله بن عباس جالس على شفير زمزم وهو يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله. إذ أقبل رجل معمم بعمامة، فجعل ابن عباس لا يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله إلا قال ذلك الرجل قال: رسول الله صلى الله عليه وآله فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: أيها الناس، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البصري أبو ذر الغفاري سمعتُ

رسول الله ﷺ بهاتين وإلا صمتا، ورأيته بهاتين وإلا عميتا يقول: علي قائد البررة، قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله. أما إني صليتُ مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم إني سألتُ في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحد شيئاً. وكان علياً عليه السلام راعياً فأومأ بخنصره اليمنى وكان مختتماً فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ﷺ فلما فرغ النبي من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألك فقال: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وأجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري. قال أبو ذر: فو الله ما استتم الكلام حتى نزل عليه جبرائيل عليه السلام من عند الله تعالى فقال: يا محمد اقرأ. قال: وما أقرأ؟ قال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١).

٢. جاء في الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده في قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوهَا﴾ قال عليه السلام: لما نزلت ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآية، اجتمع نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في مسجد المدينة، فقال بعضهم إن كفرنا بهذه الآية نكفر بسائرهما وإن آمنا فإن هذا ذل حين يسلط علينا علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا قد علمنا وإن محمد صادق فيما يقول ولكننا نتولاه ولا نطيع علياً فيما أمرنا قال عليه السلام: فنزلت هذه الآية: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوهَا﴾ يعني ولاية علي، وأكثرهم

(١) تفسير كنز الدقائق ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ الآية.

الكافرون بالولاية^(١). ولذا حاول بعض الصحابة من حسده على الإمام علي عليه السلام أن ينزل فيه ربيع آية كما نزل في الإمام علي عليه السلام ليستخدمها في غرضه فما نزل. فقد روي عن عمر بن الخطاب إنه قال: والله لقد تصدقتُ بأربعين خاتماً وأنا راعع، لينزل في ما نزل في علي بن أبي طالب فما نزل.

٣. عن الكلبي قال: روى لنا السيد أبو الحمد، عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح، عن ابن عباس وذكر نفس الرواية الواردة عن الإمام أبي جعفر عليه السلام وأذكرها هنا تبركاً باسمه الشريف قال عليه السلام: (إِنَّ رَهْطاً مِنَ الْيَهُودِ أَسْلَمُوا، مِنْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، وَأَسَدٌ، وَثَعْلَبَةٌ، وَابْنُ يَامِينَ، وَابْنُ صُورِيَا، فَأَتُوا النَّبِيَّ فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ مُوسَى عليه السلام أَوْصَى إِلَى يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ، فَمَنْ وَصِيكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَمَنْ وَلِينَا بَعْدَكَ؟ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. ثم قال رسول الله ﷺ: قوموا، فقاموا وأتوا المسجد، فإذا سائل خارج، فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟ قال: نعم هذا الخاتم. قال: من أعطاكه؟ قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي. قال: على أي حال أعطاك؟ قال: كان راععاً فكبر النبي وكبر أهل المسجد. فقال النبي ﷺ: علي بن أبي طالب وليكم بعدي. قالوا: رضينا بالله ربنا وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وبعلي بن أبي طالب ولياً.

فأنزل الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

(١) تفسير الصافي الجزء الثاني ص ٤٤، تفسير البرهان الشريف الجزء الثاني ص ٣١٥.

الْعَلْبُونَ ﴿١﴾ (٣).

ونقل في المجمع عن جمهور المفسرين إنها نزلت في علي عليه السلام خاصة وذكرها هذه الرواية.

٤. عن زرارة رضي الله عنه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن قول الله وَعَلَىٰ : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ قال عليه السلام : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ وَأَعَزُّ وَآمَنُ مِنْ أَنْ يَظْلَمَ ، وَلَكِنَّهُ خَلَطَنَا بِنَفْسِهِ ، فَجَعَلَ ظَلَمْنَا ظَلَمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَوَلَايَتَهُ ، حَيْثُ قَالَ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني الأئمة منا ، ثم قال في موضع آخر : ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (٣).

٥. روى أبو بكر الرازي في كتابه أحكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه ، والطبري ، والرماني ، ومجاهد ، والسدي : «إنها نزلت في علي عليه السلام حين تصدق بخاتمه وهو راع» (٤).

٦. ورد في كتاب كمال الدين وتمام النعمة بإسناده إلى سليم بن قيس عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في أثناء كلام له في جمع من المهاجرين والأنصار في المسجد أيام خلافة عثمان : فأنشدكم الله وَعَلَىٰ أتعلمون حيث نزلت : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ ، وحيث نزلت : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ ، وحيث نزلت : ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا

(١) سورة المائدة الآية ٥٦.

(٢) البرهان الشريف ج ٢ ص ٣١٥ ، وفي تفسير القمي ج ١ ص ١٧٠ عن أبي حمزة الثمالي ،

تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢٧ السطر ٤.

(٣) البرهان الشريف ج ٢ ص ٣١٥.

(٤) التبيان ج ٣ ص ٥٥٨ السطر ١٩.

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ ﴿١﴾ دونهم. قال الناس: يا رسول الله هذه خاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأمر الله وَجَلَّ نَبِيَهُ أن يعلمهم ولاية أمرهم، وأن يفسر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وصومهم وحجهم، فنصبتني للناس بغدير خم...^(١).

٧. وجاء في احتجاج الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على أبي بكر قال: (فأنشدك بالله ألي الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم أم لك؟ قال أبو بكر بل لك^(٢)).

وجاء أيضاً في مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وتعدادها قال: (وأما الخامسة والستون فإني كنت أصلي في المسجد فجاء سائل وأنا راع فناولته خاتمي من إصبعي فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية)^(٣).

(١) كنز الدقائق آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية.

(٢) الخصال آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الآية.

(٣) الخصال آية ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ الآية.

المقصد الثالث

قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ..))

سنطرق باب قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١). صدق الله العلي العظيم.

إن الخطاب في هذه الآية الكريمة في غاية الوضوح لا يصم عنها إلا أصم، ولا يعمى عنها إلا أعمى. فإن الله سبحانه وتعالى أمر عباده المؤمنين وهم العنصر الأشرف في خلقه بعد النبي وآله المعصومين المطهرين (صلوات الله عليهم أجمعين). والمعصومين عليهم السلام من باقي خلقه بأن يلتزموا بطاعة الله عز وجل وطاعة رسوله المصطفى صلى الله عليه وآله وأولي الأمر عليهم السلام من بعده. ونلاحظ في المقام بأن الله سبحانه وتعالى كرر أمر الطاعة فقال سبحانه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وإن المتيقن منه والمجمع عليه بما لا يُدخله أدنى شك أوريب بأن طاعة الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ هي طاعة الحاكمية المطلقة الكلية وبالذات، فأمر الله عز وجل في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ باشراكهم في مقام الحاكمية المطلقة الكلية وجعل ذلك المقام المقدس المفروض خاص بهم من بين خلقه عموماً. ولم يتشرف

بذلك المقام المقدس على إطلاقه إلا النبي وأولي الأمر (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) مع حفظ المقامات، فمقام طاعة الله عجل الله فرجه تكون بالذات، ومقام طاعة النبي صلى الله عليه وآله وأولي الأمر عليهم السلام تكون بإذن من عند الله عجل الله فرجه، ولوجود أداة العطف بين الرسول صلى الله عليه وآله و﴿أُولِي الْأَمْرِ﴾ عليهم السلام ثبت لهم مقام الحاكمية المطلقة الكلية كما ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآله، والتكرار لكلمة (اطيعوا) ليس لغاية التأكيد كما قاله البعض، فليس كل تكرار يفيد التأكيد فلو كانت للتأكيد لصيغت بصورة أطيعوا الله والرسول وأولي الأمر منكم، ولكن غاية هذا التكرار لإفادة المطلب المتقدم (والله اعلم).

وقد يقول القائل: إنكم قلتم في بيانكم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ الآية أن ولاية الذين آمنوا بصفاتهم تلك عليهم السلام هي عين ولاية رسول الله صلى الله عليه وآله وأن ولايتهما عين ولاية الله عجل الله فرجه مع حفظ المقامات فولاية الله تبارك وتعالى تكون بالذات وولاية الرسول وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) تكون بإذن من عند الله عجل الله فرجه فلماذا لم تتكرر كلمة الولاية هناك كما تكررت كلمة (اطيعوا) هنا للتمييز بين هذين المقامين؟

اعلم هداك الله أن الجواب له عدة وجوه أهمها:

أولاً: للحصر الوارد في الآية من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١) فلو كررت لفظة ﴿وَلِيُّكُم﴾ في الآية الكريمة لأعطت معنى مختلفاً بالتمام عما توصلنا إليه من عدم التكرار بلحاظ أن لفظة (ولي) لها عدة معان، فمع التكرار يكون المعنى في ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ هو الولاية المطلقة الكلية التامة وبالذات، وحينما نأتي إلى المقطع الثاني الذي انشأه القوم

اعتقاداً أي ووليكم رسوله والذين آمنوا فالولاية هنا هو غير مقام الولاية هناك لا من جهة الاختلاف بأن هنا بإذن من عند الله وهناك بالذات فقط. بل أن الولاية هنا يمكن حملها على المناصرة والمعاشرة وأين هذا من ذلك، فإن هذا الأسلوب البلاغي والاعجازي الرائع في القرآن الكريم قد قطع الطريق على من دام التقول عليه في الموارد الأساسية التي بها قوام الدين وبقاء شريعة سيد المرسلين ﷺ. وأما في مقام الطاعة فإن الطاعة ليس لها إلا معنى واحد وهو وجوب الانقياد والخضوع والتسليم إلى الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر ﷺ ولذا ساغ التكرار هنا ولم يسغ هناك.

ثانياً: إن مقام الولاية ليس كمقام الطاعة، فمقام الولاية هو مقام البسط التام على تمام الخليقة من الذرة ومادونها وإلى المجرة وما فوقها. وهذا المقام يكون فيه النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) أقرب إلى الذات المتعالية فيكون فيها هو هي، وهي هو مع كونه هو هو، وهي هي (لا فرق بينك وبينهم إلا أنهم عبادك وخلقتك)، وقال ﷺ: (نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم)^(١) فهو مقام يطفأ فيه سراج العقل وينقطع لعلوه الكلام. وقال الإمام الصادق ﷺ لمالك الجهني وخالد: (يا مالك ويا خالد قولوا فينا ما شئتم واجعلونا مخلوقين)^(٢). وأما مقام الطاعة المطلقة الكلية التامة فهو نتيجة منبعثة عن مقام الولاية المذكور وهو مقام تدركه العقول لا كالمقام المستور، لأنه مقام الحشيات والتكثرات الذي تستأنس العقول به وهو مقام هو هو وهي هي الذي هو مرآة للمقام المستور ولا يدرك المستور إلا بامتلاك مفاتيح المعقول.

(١) ورد في إرشاد القلوب ج ٢ ص ٤٢٧ قال ورد عنهم ﷺ: انفوا عنا الربوبية وقولوا فينا

ما شئتم.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٤٨ باب ٥.

وإن المتفق عليه أن الذي تثبت له الطاعة المطلقة لا بد أن يكون معصوماً بعصمة مطلقة تتناسب مع مَنْ عنده مقام الولاية المطلقة الكلية التامة وهو متناسب بدوره مع مقام الاطلاق الوارد في الآية الكريمة، وقد أجمعت مدرسة آل البيت عليهم السلام قاطبة على أن مفاد الآية هو العصمة المطلقة للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأولي الامر عليهم السلام من بعده، فهي حصراً بالنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهو أمرٌ في غاية الوضوح فإن الله سبحانه وتعالى قرّن طاعة أولي الامر عليهم السلام بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وطاعتها بطاعة الله وهو أمر بالطاعة المطلقة للكلية على سبيل الجزم والقطع. فلا يجوز عليهم الخطأ مطلقاً عمداً كان أو سهواً أم نسياناً لأنه مع أمره لنا بالطاعة المطلقة لهم عليهم السلام يكون ذلك الأمر لا يتناسب إلا مع مقام العصمة المطلقة، ومع فرض عدم الاطلاق بالعصمة، وتجويز الخطأ عليهم تحت أي عنوان يعني أن الله تعالى قد أمرنا بإتباعهم في الخطأ المقدر وهذا مالا يجوز نسبته إلى الحكيم تعالى الله ربنا عن ذلك علواً كبيراً، هذا إضافة إلى وجود محاذير أخرى تجعل ذلك الفرض مستحيل. ومن هذه المحاذير إستحالة إجتماع الأمر والنهي على فعلٍ واحد في وقت واحد. وإستحالة أن يتصف نفس الفعل بالحسن والقبح في آن واحد، وإستحالة إجتماع الثواب مع العقاب على فعل واحد في آن واحد كإستحالة إجتماع الليل مع النهار لأنه من باب (إجتماع النقيضين)، ومن هنا نقول أنه لا يسع العاقل إلا الاقرار بعصمة أولي الامر عليهم السلام كعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وهي عصمة مطلقة كلية والتي تجب فيها الطاعة على العباد مطلقاً.

وهذا الفهم أعني إطلاق وجوب الطاعة لإطلاق العصمة لهم عليهم السلام ليس محصوراً على أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام بل أقر بفهم العصمة من هذه الآية حتى أكابر علماء السنة وفلاسفتهم ومفسريهم مع غض النظر عن

تفسيرهم لأولي الأمر، ومنهم الفخر الرازي الذي قال:

«إعلم إن قوله (أولي الأمر) يدلُّ عندنا على أن إجماع الأمة حجة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمرٌ بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لا بد أن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ، كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمرَ بمتابعتة، فيكون ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلى اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وإنه محال، فثبت أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته على سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكورين في الآية لا بد أن يكونوا معصومين»^(١).

وهذا الفهم لم يتوقف على الفخر الرازي بل أن كل من فسَّرَ أولي الأمر تجده قد أمر لهم بالطاعة والحجة ما ليس لغيرهم، وإن اختلفت أقوالهم وتباينت في تحديد المصداق من أولي الأمر إلا أنهم إتفقوا في وجوب الطاعة وثبوت الحجة لهم الناتجة عن عصمتهم

فَمَنْ هُمْ أُولِي الْأَمْرِ؟

هم الذين ثبت لهم من العصمة ما ثبت لرسول الله ﷺ ولهم من الطاعة ما لرسول الله ﷺ فهم حجة الله على خلقه، فلا بد من وجود دليل يدلُّ عليهم ونص يُرشد إليهم. ولذا سلك المسلمون مسلكين لتحديد المراد من أولي الأمر ﷺ:

المسلك الأول: هو مسلك مدرسة آل البيت ﷺ المعتمد على تحديد

أولي الأمر وهم الأئمة الاطهار عليهم السلام على النص ومن كان منصوباً لازمه الاعجاز لأنه من لوازم الولاية المطلقة الكلية المختصة بهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ولذا قد أجمعت الطائفة الشيعية (اعز الله رايتها) على أن أولي الأمر المعنيين في هذه الآية هم الأئمة المعصومين المطهرين الحجج الميامين (صلوات الله عليهم أجمعين).

المسلك الثاني: وهو مسلك غالب أبناء العامة المعتمد في تحديده لأولي الأمر عليهم السلام على أساس الاستحسان والذوق، اللذين هما من هوى النفس، وهما يختلفان من شخص لآخر، ولذا تجد لأصحاب هذا المسلك أقوال متباينة ومختلفة في تحديد المراد من (أولي الامر) ويمكن حصر أقوالهم بالتالي.

قولهم الاول: إنها في الخلفاء الأربعة. وهي واضحة البطلان وقد قام إجماع الأمة على عدم عصمة أبو بكر وعمر وعثمان هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحكم على هذه الأمة بالتنازع المستمر لانقطاع الخلافة ثم انه قول بلا نص، بل انه مخالف للنصوص وحكم العقل، وإختلاف السيرة وإمتياز المعصوم عليه السلام عن أهل الظلم والعصيان كافيًا في دفع ذلك.

قولهم الثاني: هم الأمراء والحكام في كل زمان. وأصحاب هذا الرأي إنقسموا إلى قسمين قسم أوجب الطاعة لهم مطلقاً حتى لو كان فاسقاً فاجراً أخذ الحكم والإمامة بقوة السيف وسلطان الظلم والجور. والقسم الثاني قيد وجوب الطاعة لهم كما صنع الشوكاني في تفسيره لهذه الآية فقال: أولي الامر هم الأئمة والسلاطين والقضاة وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية. إلا أن الشوكاني ومن شاكلة من أصحاب هذه السفاسف حينما يأتون إلى مقام التطبيق فإنهم يعنون به حتى الفاسق الفاجر أضراب معاوية

ويزيد. ولا يخفى عليك كم لهذا الرأي من تأثير على هدم المجتمعات الإسلامية وتخدير شعوبها وكبت طاقاتها عن المطالبة بحقوقها حتى صارت دولة الإسلام دويلات متناحرة عرضة للطامعين منقادة للكافرين بما مكنوهم من قياد المسلمين وأسموهم بولاية أمر المسلمين ولو تتبعت أخبارهم لوليت منهم فرارا، فلم يبق في كنانة شهواتهم سهماً إلا ورموه حتى تحطمت أقواس أعمارهم. بشرب الخمر وضرب الطبول وإرتكاب الزنا حتى بالمحارم، واللواط ولعب القمار، وتقريب الفجرة والكفرة، وقتل الاخيار البررة من الذرية الطاهرة فشيّدوا إمبراطورياتهم الظالمة على الاجساد المطهرة من ذرية علي وفاطمة عليهما السلام. دماءً مسفوكة وأعراض مهتوكة واموال منهوبة فطلب الولاية لقبيح أفعالهم سترأ، فذاع لهذا التفسير صيتاً، وازداد علماء القوم منه ثراءً فقد أظهروا الباطل بلباس الحق، وأظهروا الوهم والخرافة بلباس الحقيقة، فدع عنك قول الشعبي والزهري والبخاري والعسقلاني والترمذي، وقل القول مني ما قاله آل محمد عليهم السلام تفلح في الدنيا والآخرة.

قولهم الثالث: أنهم أهل الحل والعقد وهم: العلماء ورؤساء الجيش، والمصالح العامة كالتجارة والصناعة والزراعة وكذا رؤساء العمل، وأولياء الدولة، وسراة القوم ورؤساء الاحزاب، ومديروا الجرائد المحترمة، ورؤساء تحريرها... إلى آخر كلامهم.

فيا لها من نسبة قد عصمت نصف هذه الأمة!! قال السيد الطباطبائي رحمته الله في ميزانه الشريف في تفسيره لهذه الآية الكريمة:

«فهو جمع ينحلُّ إلى أحكام متعددة بتعدد آحاده وبانحلال ذلك الجمع يكون كل واحدٍ من المذكورين معصوماً لأنها صفة حقيقية قائمة بتلك الهيئة قيام الصفة بموصوفها وإن كانت الأجزاء والأفراد غير معصومين بل يجوز عليهم الشرك والمعصية ما يجوز على سائر أفراد الناس فالرأي الذي

يراه الفرد يجوز فيه الخطأ وأن يكون داعياً إلى الضلال والمعصية بخلاف ما إذا رآته الهيئة المذكورة لعصمتها؟ وهذا أيضاً محال وكيف يتصور إتصاف موضوع اعتباري بصفة حقيقية أعني إتصاف الهيئة الاجتماعية بالعصمة، أو أن عصمة هذه الهيئة ليست وصفاً لأفرادها ولا لنفس الهيئة بل حقيقتها»^(١).

ولم يرض القوم من أتباع آل البيت عليهم السلام ان يأتوا باثني عشر معصوماً قد شهد القرآن والرسول والახبار على عصمتهم ويرضون بخرافة عصمة نصف الأمة فحمل أولي الأمر على أهل الحل والعقد ما هي إلا خرافة أشد من سابقتها لانه توسيع لدائرة الطاعة المطلقة من الحكام والأمراء والقضاة إلى جميع عمالهم^(٢) ورحم الله القائل:

مخالفاً للحق دين الصادق

تابعت ديناً ليس دين الخالق

بل دين كل أحـمـق

مـنـافـق

قولهم الرابع: الاجماع، واستدلوا بقولهم: «إنما أوجب الله الرد إلى الكتاب والسنة بشرط وجود التنازع، فدل على أنه إذا لم يوجد التنازع، لا يجب الرد، ولا يكون كذلك إلا وهو حجة» وأنت ترى أن أصحاب هذه المقولة استحسنوا الاجماع ليس إلا، من غير دليل ولا حجة بل قام الدليل على خلافها، ولكن القوم اخترعوا هذه المقولة من أجل إضفاء الشرعية على اغتصاب أبو بكر الخلافة في السقيفة المشؤومة بدعوى أنه استلمها

(١) الكشاف ج ٢ ص ٣٤٥.

(٢) والآيات تبطل ذلك منها قوله تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) الأعراف ١٩٦. وقوله: (واكثرهم لا يعقلون) المائدة ١٠٦، وقوله (ولكن أكثركم للحق كارهون) التوبة ٣٤.

بالاجماع الذي انعقد بعد رسول الله ﷺ ، وهي محاولة من القوم كالذي أراد أن يحجب نور الشمس بكفه وكأنه لم تنقل كتب التاريخ والاخبار والتفاسير والاحتجاج أن أكابر هذه الأمة لم تحضر تلك السقيفة المشؤومة وقاطعتها ووقفت ضدها فما الاجماع في الحقيقة إلا وسيلة للتغطية على جريمة السقيفة المشؤومة (لعن الله مؤسسيها والراضين بها ومن لم يرض بلعنهم) وتوسلوا بصلاة أبي بكر وتوليه الإمامة في حياة رسول الله ﷺ رغم أن الإمامة المزعومة تلك حجة مردودة عليهم وتثبت لهم بانحصار حق الامامة والخلافة بالامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وهذه القضية التي استدلووا بها فإن كتب الاخبار ذكرت هذا الخبر مفصلاً وأن عائشه أرسلت لأبيها أن يتولى إمامة الجماعة في مرض رسول الله ﷺ فلما وصل الخبر إلى النبي ﷺ خرج إلى الجماعة فنحى أبو بكر عن إمامة الجماعة في أثناء الصلاة وأعاد الصلاة بإمامته ﷺ ولا يخفى عليك ما لهذا الفعل من معنى فإن الذي لا يصلح لإمامة الناس ببعض الصلاة ولا يجترأ بها هل يصلح لخلافة رسول الله ﷺ بعد حياته؟! فالذي لا يصلح لإمامة الجماعة في بعض الصلاة لا يمكن أن يصلح لقيادة الأمة. وإن الذي لم يصلح لتبليغ سورة براءة إلى المشركين وقام رسول الله ﷺ برده وإرسال الامام أمير المؤمنين عليه السلام بالتبليغ عنه وقوله ﷺ (لا يبلغ عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي) لا يصلح لأن يتولى الخلافة بعده والحر تكفيه الاشارة وقد كتب علماء الشيعة رسائل وكتب مفصلة على بطلان الاجماع^(١). والتفصيل خارج عن الموضوع.

قولهم الخامس: إنهم العلماء. ولم يقصدوا بهم آل البيت عليه السلام والكلام هنا هو الكلام هناك.

(١) راجع بطلان الاجماع في (العدة).

قولهم السادس: إنهم الصحابة وهذا واضح البطلان لما تواتر عندهم من أخبار عدم توافقهم وقد حارب وقتل بعضهم بعضاً وإجماع الأمة على عدم عصمتهم كافياً لاثبات عدم توجه الخطاب لهم.

القول السابع: هو قول المنصفين من أبناء العامة في أنها نازلة في حق علي عليه السلام وأهل بيته، جاء في تفسير البحر المحيط للمفسر الاسلامي المعروف أبو حيان الاندلسي المغربي المتوفي عام (٧٥٦) هـ أن هذه الآية نزلت في حق علي عليه السلام وأهل بيته^(١).

وروى أبو بكر بن مؤمن الشيرازي في رسالة الاعتقاد حسب نقل الكشي في المناقب عن ابن عباس: أن الآية الحاضرة نزلت في علي عليه السلام عندما خلفه رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة في غزوة تبوك فقال له علي عليه السلام يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال اخلفني في قومي وأصلح فقال عجل ﴿وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

وروى الشيخ سلمان الحنفي القندوزي وهو من أعلام السنة المشهورين قال في كتابه ينابيع المودة نقلاً عن المناقب عن سليم بن قيس الهلالي إنها نزلت في علي عليه السلام^(٣).

وما هذا إلا غييضٌ من فيض مما أقرَّ به من ولاية آل البيت عليهم السلام ليعلم القارئ أن تفسير أولي الامر بآل البيت عليهم السلام ليس من مختصات مدرسة آل البيت عليهم السلام، نعم وحدة الكلمة والاجماع عندهم على أنها نازلة في الامام

(١) نقلاً عن تفسير الامثال ج ٣ ص ٢٥٤.

(٢) نقلاً عن تفسير الامثال ج ٣ ص ٢٥٤.

(٣) نقلاً عن تفسير الامثال ج ٣ ص ٢٥٤.

علي والائمة الاطهار عليهم السلام من بعده فهذه من مختصاتهم لأن جُلَّ اعتمادهم على النصوص ويحرمون الاستحسان والذوق والقياس لأنها من هوى النفس والنصوص المتواترة قد حرّمت ذلك وما اختلفت السنة إلا بسبب تركهم لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومن إستعراض الاقوال هذا يجعلنا نتوقف قليلاً لنعود إلى السؤال:

من هم أولي الأمر؟

هم الذين قرّن الله طاعتهم بطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قرّن طاعتها بطاعته جُلَّ وعلا فهي طاعة مطلقة غير مقيدة بقيد ولا معلقة بشرط فهي طاعة مطلقة كلية لا تثبت إلا لمن كان من جنس رسول الله صلى الله عليه وآله معصوماً طاهراً مطهراً. ولكونه معصوماً فيجب أن يكون منصوصاً عليه، وإنّ عدم النص عليه يكون إغراءً بالمعصية وإنتفاض للحجة البالغة على خلقه التي قد ثبتت له بالدليل التام برهاناً ونقلاً.

وقد يقول القائل: ينعدم الاغراء بالمعصية لانعدام المسألة؟!!

رغم أن هذا الاشكال يعد طعنًا بجميع الصحابة على عدم مبالاتهم بما به صلاح دينهم ودنياهم وقد ورد عنهم أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله حتى عما لا يعينهم، فسألوا عن الاقدار، وماذا ينفقون، وعن الأهل، والأنفال فقال تعالى: ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْآهْلِ﴾ وقال: ﴿وَسَتَلُونَكُمْ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾، وقال: ﴿سَتَلُونَكُمْ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾، فليس من المعقول أنهم تركوا السؤال عما يعينهم السؤال عنه في الدنيا والآخرة!! ثم هل يوجد عاقل يصدق أن نبي هذه الأمة وسيدُ الخلق جميعاً صلى الله عليه وآله الذي حدّث أصحابه عن آداب الطعام وآداب الاستئذان والسلام وتقليم الاظافر ومستحبات النكاح ومكروهاته ومستحبات الاغسال والايام والساعات والصيام وفوائد الاطعمة بأنواعها

ومضارها ولم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا وله حديث فيها وحينما تصل النوبة إلى مسألة يستحكم بها أساس المجتمع الاسلامي ويقوم بها نظمهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة فلا يخبرهم بها، ويتركها للاستحسان والذوق وكلُّ يُفتي بهواه، فوالله لا يصدق بهذا إلا مجنون أو ابن زنا مأبون ناصبي ملعون!! وقد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله لدى هذه الأمة جميعاً أنه قال: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). فأساس الطاعة هي المعرفة، فلا طاعة إلا بمعرفة، فالذي لم يعرف أولي الأمر الذين فرض الله طاعتهم على العباد وقرن طاعتهم بطاعته وطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله لم يستطع أن يطيعهم، ومن لم يطعهم فقد عصى الله ورسوله صلى الله عليه وآله بالمعصية الكبرى التي لا حدَّ ولا حصر لها كما أن طاعتهم المفترضة لا حدَّ ولا حصر لها.

ثم لناخذ المقطع الثاني من الآية الكريمة أعني قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْتَرَعَمُّ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(١).

هذا المقطع الشريف يحدد لنا المرجع الذي ترجع إليه الامة عند التنازع، فالمرجع هو الله والرسول صلى الله عليه وآله، وفي هذا المقطع الشريف لم يُذكر أولي الأمر عليهم السلام في الرد إليهم مع أن الاقوال قد تسالمت عليه فالشيعة قالت بالرد الى الائمة الاطهار عليهم السلام.

والسنة ذهب كل فريق منهم برده الى من نصبوه ولي أمر عليهم بل ذهب جمع منهم إلى الزيادة في الطنبور نغمة فقالوا: إن معنى هذا المقطع هو قيسوا ما لا نص فيهِ على نظيره الذي فيه نص من الكتاب والسنة. وهو قول باطل ليس لانه بلا دليل فقط بل أن الدليل قائم على خلافه وحرمة القياس. وأن أول من قاس إبليس فقال: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾^(٢).

(١) سورة النساء الآية ٥٩.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٢.

فقاس النار بالطين ولم يقس النار بالنور المودع فيه، وجاء عن بشر بن يحيى العامري عن ابن أبي ليلى قال دخلتُ أنا والنعمان أبو حنيفة على جعفر بن محمد عليه السلام إلى أن قال: (يانعمان إياك والقياس فإن أبي حدثني عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ قال: (من قاس شيئاً من الدين برأيه قرنه الله تبارك وتعالى مع إبليس في النار فإنه أول من قاس حيث قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ فدعوا الرأي والقياس فان دين الله لم يوضع على القياس)^(١) وقال أيضاً عليه السلام: (يا أبا حنيفة أياً أفضل الصلاة أم الصوم؟ قال: الصلاة: فقال عليه السلام: فما بال الحائض تقضي صومها ولا تقضي صلاتها؟ فسكت)^(٢). والأخبار مع الأدلة الواردة على بطلان القياس كثيرة جداً وهي خارجة عن موضوعنا، خلاصة القول أن هذا التسالم بالرد في حال التنازع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأولي الأمر عليهم السلام هو تسالم ناتج عن المقطع الأول من الآية الكريمة في وجوب الطاعة المطلقة التامة لأولي الأمر عليهم السلام التي طاعتهم كطاعة رسول الله ﷺ وطاعتهم كطاعة الله ﻋَظَمَاءُ، فهي طاعة المعصوم المطلق عليهم السلام، ولكننا نريد أن نقف في هذا البحث على سبب عدم ذكر أولي الأمر عليهم السلام في المقطع الثاني. مع أن طاعتهم المطلقة التامة المفترضة صار مفروغاً منها في المقطع الأول فلماذا عند تنازع المؤمنين في شيء أمر بالرد إلى كتاب الله وسنة الرسول ﷺ إن كانوا يؤمنون بالله ورسوله من دون ذكر أولي الأمر مع أن طاعة أولي الأمر عليهم السلام كطاعة رسوله ﷺ وطاعتهم كطاعة الله ﻋَظَمَاءُ؟!

نجدُ في طيات كلمات العلماء (رضوان الله عليهم) الذين فسروا هذه

(١) نقلاً عن الاصول الأصلية والقواعد الشرعية سيد عبد الله شبر رحمته ط. قم ص ٢٢٠.
نقلها عن الاحتجاج ورواه الصدوق في العلل عن أبيه عن سعد عن البرقي عن معاذ بن عبد الله عن بشر بن يحيى العامري عن ابن أبي ليلى مثله.
(٢) المصدر السابق ص ٢٢٢ نقلاً عن العلل.

الآية الكريمة إنهم فهموا الجواب بوجوب رجوع أولي الأمر عليه السلام إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فليس لهم أن يقولوا أو يفكوا النزاع من عند أنفسهم، وهو فهم أجنبي عن الآية الكريمة حيث أن المقطع الأول من الآية الكريمة وبقرينة الواو العاطفة فإن الله سبحانه وتعالى أشرك أولي الأمر عليه السلام لرسول الله ﷺ بحكم الطاعة المطلقة التامة. وهذا يعني أن أفعالهم وأقوالهم حجة على حد حجية كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، ولا يحق لاحد كائناً من يكون أن يعترض عليهم فإن الراد عليهم على حد الرد على الله ورسوله ﷺ. فالمقام الذي أثبتته المقطع الأول من الآية الكريمة، هو مقام الطاعة المطلقة التامة الذي هو أعم من التنازع أو عدمه، فهو مقام فرض بسط الطاعة التامة الذي يستحكم به أساس الدين والدنيا. وأما المقطع الثاني فمفاده: يا أمة النبي (إذا تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ومع وجود هذه القضية الشرطية يعني الخطاب: إذا تنازعتم في شيء ولم تردوه إلى الله والرسول فإنكم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر.

ولكي نجيب على السؤال المتقدم أعني قول السائل:

لماذا لم يذكر أولي الأمر عليه السلام في المقطع الثاني؟!

للإجابة على هذا السؤال لابد من مقدمة.

لكي تعلم - هداك الله بهديه - نسأل بدءاً عن الشيء المقصود في الآية الكريمة الذي تتنازع به أفراد هذه الأمة وجماعتها واقع مطلقاً، أم هو شيء خاص بعينه؟ إن المتبادر إلى الأذهان أن الشيء الوارد في الآية هو مطلق التنازع صغيراً كان أم كبيراً فيجب على الأمة رده إلى الله والرسول ﷺ. وهو وإن كان فهماً صحيحاً بوجوب إرجاع الحكم في الشيء المتنازع فيه

صغيراً كان أم كبيراً إلى الله ورسوله ﷺ وأولي الأمر ﷺ. ولكن هل هذا هو المراد من الآية الكريمة؟!.

الجواب: كلا.

ليس كل تنازع مع عدم رده إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ يستلزم الكفر وعدم الإيمان بالله واليوم الآخر، بل انه تنازع في شيء من جنس خاص يستلزم ذلك التنازع فيه محق الدين فذاك الشيء ليس كالأشياء، شيء اقترن بالله ورسوله ﷺ. وهنا في المقطع الثاني من الآية الكريمة توجد إشارة لطيفة وإخبار بمستقبل الحوادث من أن هذه الامة ستتفق بالرجوع إلى الله تعالى أي لكتابه الكريم وستتفق برجوعها إلى الرسول ﷺ أي إلى السنة الشريفة ولكنها ستتنازع في شيء ثالث ذلك الشيء جعلت طاعته كطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فذلك الشيء هو أولي الأمر ﷺ.

فيكون المعنى يا أمة النبي ﷺ اذا تنازعتم في معرفة أولي الأمر فعليكم معرفتهم عن طريق القرآن الكريم والسنة الشريفة وهو ما نعبر عنه بالنص ولا يمكن الاحتكام إليهم - أي أولي الأمر - في فك هذا النزاع لانه يلزم الدور. فقول الفصل الذي ترجع إليه الامة في تحديد أولي الأمر هو القرآن والسنة، وهذا هو الذي قام به آل البيت ﷺ في إثبات أحقيتهم على خصومهم وقامت شيعتهم من بعدهم عليه، وبمعرفتهم يتوجب على الناس طاعتهم بالطاعة التامة المطلقة على حد طاعة الله ورسوله ﷺ وجزء طاعتهم مبايعة الناس لهم ولا يحق لأحد أن يرد عليهم أمراً أو حكماً، والراد عليهم على حد الراد على الله ورسوله ﷺ، وبمعرفة المصداق الأوحد لأولي الأمر وهم الائمة الاطهار ﷺ، ومبايعتهم يكون السالك قد وضع أول قدم له في طريق طاعة الله ورسوله ﷺ، وأذن له بسلوك طريق معرفة

آل البيت عليهم السلام بالنورانية.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١). التأويل هو المآل والعاقبة من آل يؤول إذا رجع^(٢)، أي أن عملكم بالذي تقدم عليكم ذكره هو خير لكم وأحسن عاقبة.

إذا إن المراد من أولي الأمر عليهم السلام هم جنس من جنس رسول الله صلى الله عليه وآله معصوماً بعصمة مطلقة. له من الطاعة على الناس ما لرسول الله صلى الله عليه وآله عليهم، ولكونه معصوماً بعصمة مطلقة كعصمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فيجب أن يكون منصوباً عليه لأن العصمة ليست بالأمر الذي يظهر على الناس حتى يمكن انتخابه أو اختياره، فمن دلّ النصّ على عصمته المخصوصة تلك، وجب على الناس طاعته ومبايعته ومودته ونصرته وقد دلّ القرآن الكريم من هم أولي الأمر. وقد مرّ عليكم في آية التطهير في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٥)، وقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٦)، في اليوم الذي نصب فيه الإمام علي بن أبي طالب مولياً للمؤمنين والمؤمنات جميعاً وحديث الغدير الشريف الذي هو فوق حد التواتر، وحديث المنزلة، وحديث الطائر، وأحاديث أخرى

(١) سورة الإسراء الآية ٣٥.

(٢) تفسير الكاشف ج ٢ ص ٣٥٤.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٥٥.

(٥) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٦) سورة المائدة الآية ٣.

بالمئات تثبت ذلك ومن لم يكتف بما مر فليستل أمه عن أبيه.
يا أيها المولى المولى ومن له
الشرف العليّ ومن به أنا واثق
لا أبتغي مولاً سواك ولا أرى
إلا ولاك ومن عداك فطالق^(١)

بحث روائي

عن فرات قال: (حدثني عبيد بن كثير معنعناً: عن سلمان الفارسي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي من برئ من ولايتك فقد برئ من ولايتي، ومن برئ من ولايتي فقد برئ من ولاية الله، يا علي طاعتك طاعتي، وطاعتي طاعة الله، فمن أطاعك أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله، والذي بعثني بالحق نبياً لحبنا أهل البيت أعز من الجوهر ومن الياقوت الأحمر ومن الزمرد، وقد أخذ الله ميثاق محبينا أهل البيت في أم الكتاب لا يزيد فيها رجل ولا ينقص منهم رجل الى يوم القيامة وهو قول الله ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢)، فهو علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٣).

في الاكمال عن جابر بن عبد الله الانصاري (رضوان الله تعالى عليه) قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرّن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال: هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي (صلوات الله عليهم أجمعين) المعروف بالتوراة بالباقر، وستدركه يا جابر فإذا لقيته فأقرئه عني

(١) عن مشارق أنوار اليقين ص ١٩٤.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

(٣) كنز الدقائق ج ٣ ص ٤٥٠.

السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمبي محمد وكني حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي (صلوات الله عليهم)، ذاك الذي يفتح الله على يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بامامته إلا من امتحن الله قلبه للايمان. قال جابر: فقلتُ له يا رسول الله فهل لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال: إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره ويتنفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن تجلاها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علم الله فاكتمه إلا عن أهله^(١).

قال رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)^(٢). وهو حديث متواتر بين الفريقين. وفيه دلالة على أن الزمان لا يخلو من عالم من أهل البيت عليهم السلام، كما لا يخلو من القرآن الى يوم القيامة.. (وسنأتي على بيان هذا الحديث الشريف إن شاء الله تعالى).

قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن عصى علياً فقد عصاني) رواه الحاكم في المستدرک وقال: هذا حديث صحيح، وصححه أيضاً الذهبي في تلخيص المستدرک، وفي الكتاب المذكور قال النبي ﷺ: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا، حتى يردا علي الحوض) وروى الترمذي في

(١) عن الصافي الجزء ١ ص ٤٢٧ والأخبار في هذا المعنى الشريف في الكتب المتداولة والمعتبرة لا تحصى.

(٢) رواه احمد بن حنبل والترمذي والحاكم وابن حجر في صواعقه وكتب أبناء العامة المعتمدة عندهم.

مسنده والحاكم في مستدركه وابن حجر في صواعقه عن رسول الله ﷺ انه قال: (اللهم أدر الحق مع علي كيف دار)^(١).

قال رسول الله ﷺ: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا)^(٢).

(١) وقد كثر رواية هذا الحديث الشريف في كتب أبناء العامة ومصادرهم ومنها مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ج ٩ ص ٣٤ وفي ج ٧ ص ١٦٥ ونقله بصورة النص المتقدم مع نص: (علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقا حتى يردا علي الحوض)، وقال رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه صالح بن أبي الأسود وهو ضعيف وكرره في ج ٣ ص ٣٨٨ عن أم سلمه وعن معاوية.

ونقله في شرح زاد المستنقع للشنقيطي ج ٣ ص ٣٧٢ فقال: «ومذهب أهل السنة والجماعة أن الحق مع علي ﷺ فأرضاه».

ورواه صيد الخاطر ج ١ ص ١٧٠ وج ١ ص ٤٢٩، وفي المعتمد أقرب به بعد إرتبائه في الفهم في ج ٢ ص ٣٦٩.

ورواه المحصول للرازي ج ٦ ص ١٨١، وفي أعيان النصر وأعوان النصر ج ٢ ص ٤٧ فقال (الحق مع علي يدور كيف دار)، ورواه في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٦١ وص ٣٩٨ ورواه عن أبي سعيد وأم سلمه ﷺ. ورواه في محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٣٩ قاله: (الحق مع علي وعلي مع الحق لن يزولا حتى يردا علي الحوض)، وذكره الهيثمي وقال: رواه البزار وفيه سعيد بن شعيب ولم أعرفه وبقيته رجاله رجال الصحيح ج ٣ ص ٣٥٨، رواه الخطيب في تاريخه في ترجمة يوسف بن محمد المؤدب ج ٤ ص ٣٥٩. ونقل الاميني ﷺ في غديره في ترجمة سعيد بن شعيب في ترجمة تهذيب التهذيب أنه ثقة على مبانيهم، وروى فخرهم الرازي في تفسيره عند بحثه للجهر بالتسمية فقال: الحجة الخامسة: وأما أن علي بن أبي طالب ﷺ كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر، ومن إقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله ﷺ: اللهم أدر الحق مع علي حيث دار (تفسير الرازي ج ١ ص ١٨٥ ورواه صاحب خيرة الأمة ج ١ ص ٢٢ وأما ما ذكره ابن تيمية لعنه الله من أن هذا الحديث لم يروه أحد لا بإسناد صحيح ولا ضعيف لأن سبب استنكاره في أن هذا الحديث يفيد العصمة فقال: «ولو دار الحق مع علي حيثما دار لوجب أن يكون معصوماً كالنبي ﷺ». نقلاً عن دعاوى المناوئين لشيخ الاسلام ابن تيمية ج ١ ص ٤٢٤. ولا يخفى عليك ناصبية الرجل فهو شيخ النواصب حقاً أخزاه الله.

(٢) الشافعي للشريف المرتضى، وتلخيصه (للشيخ الطوسي)، ونهج الحق للعلامة الحلبي. ومن

عن أبي جعفر عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: (أولي الفقه والعلم، قلنا: أخاص أم عام؟ قال عليه السلام: بل خاص لنا)^(١).

قال فرات حدثني احمد بن القاسم معنعناً: عن أبي مريم قال: (سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) كانت طاعة علي عليه السلام، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٣) وكانت طاعة علي بن أبي طالب عليه السلام طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم).

قيل لأبي جعفر عليه السلام: (ولماذا لم يسمهم في القرآن قال أبو جعفر عليه السلام: فتقولون لهم إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثاً وأربعاً حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي فسر ذلك لهم، وأنزل الحج فلم ينزل طوفوا أسبوعاً [سبعاً]، ففسر لهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنزل الله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤) قال نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام فقال فيه: من كنت مولاه فعلي مولاه، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوصيكم بكتاب الله وأهل بيتي، إني سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك، فلا تعلموهم هم أعلم منكم، إنهم لم يخرجوكم من باب هدى ولن يدخلونكم في باب ضلالة، ولو سكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يبين أهلها لادعائها آل عباس وآل عقيل وآل فلان وآل

الحديث المجلد ٣ من أعيان الشيعة للأمين، ودلائل الصدق للمظفر، والمراجعات لشرف الدين الموسوي (رضوان الله تعالى عليهم جميعاً).

(١) تفسير فرات ج ١ ص ١٠٨.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

(٣) سورة النساء الآية ٨٠.

(٤) سورة النساء الآية ٥٩.

فلان ولكن الله أنزل في كتابه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١).

وفي الكافي الشريف عن الامام الصادق عليه السلام قال: (قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٢) إيانا عنى خاصة أمر جميع المؤمنين الى يوم القيامة بطاعتنا)^(٣).

وفي المعاني عن سليم بن قيس الهلالي عن أمير المؤمنين عليه السلام إنه سُئِلَ ما أدنى ما يكون به الرجل ضالاً فقال: (أن لا يعرف من أمر الله بطاعته وفرض ولايته وجعله حجته في أرضه وشاهده على خلقه قال: فمن هم يا أمير المؤمنين؟ قال: الذين قرنهم الله بنفسه فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٤). قال: فقبلت رأسه وقلتُ أوضحت لي وفرجت عني وأذهبت كل شكٍ كان في قلبي)^(٥).

[الكافي] عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن خالد عن أبيه عمَّن ذكره عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا ولا تعرفوا حتى تصدقوا ولا تُصدقوا حتى تسلموا أبواباً أربعة لا يصلحُ أولها إلا بآخرها ضل أصحابُ الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً إن الله تبارك وتعالى لا يقبلُ إلا العمل الصالح ولا يقبلُ الله إلا الوفاء بالشروط والعهود فمن وفى لله تعالى بشرطه واستعمل ما

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٢) تفسير للعايشي ج ١ ص ٢٤٩، تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ١٠٨.

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

(٤) نقلاً عن تفسير الصافي ج ١ ص ٤٢٧.

(٥) سورة النساء الآية ٥٩.

(٦) تفسير الصافي ج ١ ص ٤٢٧، تفسير الفيض الكاشاني ج ١ ص ٤٦٣ ص ٤٦٤.

وصى في عهده نال ما عنده واستكمل ما وعده إن الله تبارك وتعالى أخبر العباد بطرق الهدى وشرع لهم فيها المنار وأخبرهم كيف يسلكون فقال: ﴿وَأِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾^(١). وقال: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢). فمن اتقى الله فيما أمره لقي الله مؤمنا بما جاء به محمد عليه السلام هيهات هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا أنهم آمنوا وهم أشركوا من حيث لا يعلمون إنه من أتى البيوت من أبوابها اهتدى ومن أخذ في غيرها سلك طريق الردى وصل الله طاعة ولي أمره بطاعة رسوله وطاعة رسوله بطاعته فمن ترك طاعة ولاية الأمر لم يطع الله ولا رسوله وهو الاقرار بما أنزل من عند الله عز وجل خذوا زينتكم عند كل مسجد والتمسوا البيوت التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فإن أخبركم أنهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار إن الله قد استخلص الرسل لأمر ثم استخلصهم مصدقين بذلك في نذره فقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣). تاه من جهل واهتدى من أبصر وعقل،

إِنَّ اللَّهَ عز وجل يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤). وكيف يهتدي من لم يبصر وكيف يبصر من لم يتدبر، إتبعوا رسول الله عليه السلام وأهل بيته وأقروا بما نزل من عند الله واتبعوا آثار الهدى فإنهم علامات الأمانة والتقى واعلموا أنه لو أنكر رجل عيسى بن مريم عليه السلام وأقر بمن سواه من الرسل لم يؤمن، إقتصوا الطريق بالتماس المنار والتمسوا من

(١) سورة طه الآية ٨٢.

(٢) سورة المائدة الآية ٢٧.

(٣) سورة فاطر الآية ٢٤.

(٤) سورة الحج الآية ٤٦.

وراء الحُجب الآثار تستكملوا أمر دينكم وتؤمنوا بالله ربكم^(١).

[الكافي] عن علي عن محمد بن عيسى عن يونس عن محمد بن الفضيل قال: (سألته عن أفضل ما يتقربُ به العبادُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ قال أفضل ما يتقربُ به العبادُ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر قال: أبو جعفر عليه السلام حينا إيمان وبغضنا كفر)^(٢).

[الكافي] محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى عن محمد ابن خالد البرقي عن القاسم بن محمد الجوهري عن الحسين بن أبي العلاء قال: (قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام الأوصياء طاعتهم مفترضة؟! قال: نعم هم الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣) وهم الذين قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^{(٤)(٥)}.

[الكافي] أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن محمد بن خالد عن فضالة بن أيوب عن عبد الله بن أبي يعفور قال قال أبو عبد الله عليه السلام: (يا ابن أبي يعفور إن الله واحدٌ متوحدٌ بالوحدانية متفردٌ بأمره فخلق خلقاً فقدَرهم لذلك الأمر فنحن هم يا ابن أبي يعفور فنحن حجج الله في عباده وخزائنه على علمه والقائمون بذلك)^(٦).

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٨١-١٨٢ حديث ٦ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٨٢ حديث ١٢ باب فرض طاعة الأئمة عليهم السلام.

(٣) سورة النساء الآية ٥٩.

(٤) سورة المائدة الآية ٥٥.

(٥) الكافي الشريف ج ١ ص ١٨٢ حديث ١٦ باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة الأمر.

(٦) الكافي الشريف ج ١ ص ١٨١-١٨٢ حديث ٥ باب أن الأئمة ولاة أمر الله.

المقصد الرابع

قوله تعالى: ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك....))

سنطرق باب قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١).

بيان

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ﴾: قال السيد الطباطبائي قدس سره: «الفاء للتفريع، وهو تفريع المباهلة على التعليم الالهي بالبيان البالغ في أمر عيسى بن مريم عليها السلام. وفي الآية إيجاز لطيف أي قل تعالوا ندعوا أبناءنا ونساءنا وأنفسنا وادعوا أبناءكم ونساءكم وأنفسكم»^(٢).

وهو يوضح بطلان قول بعض المفسرين بقولهم: نحن ندعوا أبناءكم ونساءكم وأنفسكم، وأنتم تدعون أبناءنا ونساءنا وأنفسنا وبطلانها في غاية الوضوح لا لانقطاع الولاية بينهما فقط بل لاستحالة أن يقوم النبي صلى الله عليه وآله

(١) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٢) الميزان الشريف ج ٣ ص ٢٤٣.

بتسليط النصارى على المؤمنين فكيف يسלטهم على آل بيته عليه السلام!! ثم إن هذه الدعوى المذكورة هي دعوى ملاءنة وطلب كل طرف نزول العذاب من عند الله على الطرف الآخر فهي ليست دعوى تعارف وزفاف أو مخالطة وانسجام حتى يصدق أن يقوم كل طرف بدعوى ذوي الطرف الآخر.

نزول الآية

كان نزول هذه الآية الكريمة في السنة التاسعة من الهجرة المباركة لنبينا المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي السنة المعروفة بعام الوفود، وسُميت بذلك لأن الناس فيه توافدت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم من شتى بقاع الجزيرة العربية يستعلمون عن الدين الجديد، وكان من بين الوفود جمع من نصارى نجران اليمن الذي ضمَّ أكابر علمائهم وساداتهم وكان كبيرهم إسمه العاقب، ومشيرهم وصاحب رأيهم إسمه الأيهب أو (الاهتم) ويلقب بالسيد، والثالث حبرهم وأسقفهم وإسمه عبد المسيح ويُعرف بأبي حارثة، وهو زعيمهم الديني، وكان في شرف كبير، وخطر عظيم وقد بنى له ملك الروم الكنائس والمدارس، وخصه بالاموال والمراتب الجسام وكان يُلازمه أخوه الذي إسمه كرز وهو حامل أسرارهم، فرحب بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدخلهم في وفادته، ولما جاء وقت صلاتهم قدموا من منزل وفادتهم الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم يضربون ناقوسهم ودخلوا المسجد وتوجهوا في صلاتهم الى المشرق، فأراد المسلمون منعهم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: دعوهم... وبعد أن أنهوا طقوسهم وصلواتهم جاءوا الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: إلى مَ تدعوا؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإني رسول الله وأن عيسى عبد مخلوق يأكل ويشرب ويحدث، فقالوا: يا محمد فلم تشتم صاحبنا عيسى؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: وما أقول؟ قالوا: تقول إنه عبد. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: أجل هو عبد الله ورسوله وكلمته التي ألقاها إلى العذراء البتول.

فغضبوا وقالوا: فمن أبوه؟ فنزل الوحي على رسول الله ﷺ فقال: وما تقولون في آدم عليه السلام كان عبداً مخلوقاً يأكل ويشرب ويحدث وينكح؟ فقالوا: نعم. فقال ﷺ: فمن أبوه وأمه؟ فبهتوا فقال ﷺ: قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

فالنبي ﷺ استدل بما هو أقطع لحجتهم، فقدم ما هو أحرق للعادة في خلق البشر، وهذه الحجة مع كونها مبتنية على نص من القرآن الكريم فهي حجة عقلية قطعية أقامها الله تبارك وتعالى وأجراها على لسان نبيه ﷺ، وبإقامة هذه الحجة إنهدمت الركيزة الأساسية التي اعتمد عليها النصارى في إقامة عقيدتهم الباطلة المبنية على مغالطة مركبة ساقوها سياق البرهان، فكبرى المغالطة الأولى تقول: (كلُّ بشر له أب) والصغرى تقول: (عيسى ليس له أب) فالنتيجة تكون (عيسى ليس بشر) فنتيجة القياس خطأ، لأن كبرى القياس خطأ والنتائج تتبع أحسن المقدمات، وقام النبي ﷺ ببيان بطلان كبرى قياسهم التي اعتمدت عليه مغالطتهم المركبة فهم أخذوا نتيجة المغالطة الأولى وصنعوا منها المغالطة الثانية كبراهها (من ليس بشر فهو الله أو ابنه) وصغراها (عيسى ليس بشر)، فخرجوا بنتيجة أن (عيسى هو الله أو ابنه)، وبطلان كبرى المغالطة الثانية واضح، فإن الملائكة، والجان، والنجوم والكواكب والليل والنهار والحيوانات والحشرات والنباتات و... وليست ببشر فهل يجب على النصارى عبادتها؟! فانهدمت حصون الشرك والضلال التي بنيت عليه عقيدة النصارى بأية واحدة وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢). فبهت القوم وكأن على رؤوسهم الطير فقال النبي ﷺ: لكبيرهم وقسهم ولآخر

(١) سورة آل عمران الآية ٥٩.

(٢) سورة آل عمران الآية ٥٩.

كان معه لتوليها المحاججة دون باقي النصارى: أسلما. فقالا: أسلمنا قبلك فقال ﷺ: كذبتما، يمنعكما عن الاسلام ثلاث: عبادتكم الصليب، وأكلكم الخنزير، وزعمكم أن الله ولد لـ hW. وقوله ﷺ يمنعكم عن الاسلام ثلاث لا للحصر بل لبيان منشأ ترك النصارى لدين الله فامتنعوا واستكبروا عن قبول الحق ونداء حجة العقل. فأمر الله سبحانه وتعالى نبيه الأكرم ﷺ أن يستخدم حجة الفعل، وهي المباهلة - فقال تعالى: قل يا محمد ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلُ فَتَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١). فقال تعالى: ﴿تَعَالَوْا﴾ من العلو إذ يقال تعاليت تعالى أي المجيء الى إرتفاع إلا أنه كثر في الاستعمال حتى صار بمعنى هلم بإرادة وعزم، فأمر الله ﷺ نبيه الأكرم ﷺ أن يحضر معه شركاءه في دعوته الى الله ﷻ لمباهلة نصارى نجران ليحضر كل طرف من كان عزيزاً عند الله محمود الفعال كريم الطباع مستجاب الدعاء، ويجعلون الله حكماً بينهما فقال تعالى: ﴿ثُمَّ نَبْتَهَلُ﴾ وللابتهال فيه قولان الاول: بمعنى الالتعان أي أن يقوم كل طرف بإدعاء الطرد من رحمة الله للطرف الآخر لكذبه على الله. والقول الثاني: بمعنى الدعاء بتضرع والتماس لا مطلق الدعاء كما ذكره البعض، فيتضرع ويتوسل كل طرف الى الله ﷻ ان يُنزل نقمته وغضبه على الطرف الآخر، وللجامع بين القولين أن المباهلة هو طلب نزول العذاب من عند الله ليبين المحق من المبطل بين طرفي النزاع. فالحكم حكم الله ﷻ والذي طلب الاحتكام الى الله ﷻ هو النبي المصطفى ﷺ بالأمر الالهي فلذا كان لهذا الطلب وقعاً عظيماً عليهم لا يصدر إلا ممن كان متيقناً بنتائج مباهلته واستحالة تخلف النتائج عنه لأن تخلف النتائج يعني إبطال تمام دعوته ولم يخف هذا الأمر على كبار وفد بني النضير فاستمهلوا النبي ﷺ حتى صباح الغد لاجراء المباهلة، ولما سمع أبو حارثة ما سمع أسر الى أخيه

(كرز) أن محمد هو النبي الذي كنا ننتظره فقال له أخوه: ما يمنعك منه ما دمت على يقين من صدقه؟ قال أبو حارثة: إن الملوك أعطونا أموالاً كثيرة، وأكرمونا فلو آمننا بمحمد لأخذوا منا كل شيء فوق ذلك في قلب كرز وأضمره في نفسه، ثم أعلن إسلامه وحدث بما جرى من أخيه ولما رجع الوفد الى منزل وفادتهم قال رؤسائهم: إن باهلاً بقومه فإنه ليس نبياً، وإن باهلاً بأهل بيته خاصة فلا نباهله فإنه لا يُقدّم أهل بيته إلا وهو صادق فلما أصبحوا جاؤا وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحمل الحسين عليه السلام ويمسك باليد الأخرى الامام الحسن عليه السلام وتسير خلفه سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام ويسير خلفهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ولم يحضر معهم أحد غيرهم وقد اتفقت كلمة المسلمين على ذلك فقال النصارى من هؤلاء؟ فقيل لهم إن هذا ابن عمه وختنه علي بن أبي طالب وهذه ابنته فاطمة وهذان إبناه الحسن والحسين، ثم رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد جثى على ركبتيه فقال لهم عبد المسيح والله إن هذا لفعل الانبياء ثم قال: يا معشر النصارى إنني لأرى وجوهاً لو دعت الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا فإن دعا علينا لا يبقى أحدٌ منا، فطلب أبو حارثة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يعفيهم عن المباهلة فعفى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهم وصالحهم على دفع الجزية له (صلوات الله عليه) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: والذي أنزل التوراة على موسى والفرقان على محمد لو باهلونا لمسخهم قردة وخنازير.

تعقيب

بعد أن أطبقت كلمة الرواة، وأهل الحديث والمؤرخين، والمفسرين للقرآن الكريم، والمحققين في علم الدراية والحديث على أن آية المباهلة جاءت مختصة بالنبي وآل بيته (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لاتفاقهم

على عدم إحضار النبي ﷺ غيرهم لمباهلة نصارى نجران^(١). فهذه الآية الكريمة تبين إحدى المناقب العظيمة التي خص بها الله سبحانه وتعالى آل البيت ﷺ وما لهم من الفضل على هذه الأمة، وقد جاء ذيلُ هذه الآية الكريمة أعني قوله تعالى: ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٢). للتأكيد على ذلك المطلب العزيز حيث أن تحقيق الكذب في أحد طرفي المباهلة لا يتم إلا إذا كان كلا الطرفين جماعة، وكلاهما صاحبُ دعوى، فالذين أتى بهم النبي ﷺ هم شركائه في الدعوة إلى الله ﷻ، ولا يعني ذلك اشتراكهم معه في منصب النبوة، نعم الدعوة إلى الله ﷻ من ملازمات

(١) أخرجه عبد الرزاق والبخاري والترمذي والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل والحاكم والبيهقي في سننه عن سعد بن أبي وقاص وأخرجه ابن جرير عن غلباء بن أحمد اليشكري، وأخرجه الحاكم وصححه البيهقي راجع الدر المشور ج ٢ ص ٣٥٣ ص ٢٣٢ و ٢٣٣. والصواعق المحرقة ج ٢ ص ٤٢٨، سنن الترمذي ج ١٣ ص ٣٣١، ج ٥ ص ٦٣٨، الشريعة للأجري ج ٣ ص ٣٣٥، تحفة الأحوذى ج ٩ ص ١٣٧ ونقلها عن مسلم قال فيها (هذا حديث حسن غريب صحيح) ونقله في ج ١٠ ص ١٥٧. وذخائر العقبى ج ١ ص ٢٥ تفسير الطبري ج ٦ ص ٤٨٠ و ٤٨٢، تفسير البغوي ج ٢ ص ٤٨، تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٢٦٣، فتح القدير ج ١ ص ٤٧٥، زاد المسير ج ١ ص ٣٥٣ تفسير الرازي ج ٤ ص ٢٣٨، أسباب النزول ج ١ ص ٦٨، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ج ٣ ص ١٧٧، تفسير ابن أبي حاتم ج ١٣ ص ١٢٩، الشريعة للأجري ج ٤ ص ٣٧٤. وقد يجد المتبع ما يشير السخرية في كتب القوم كالذي نقله صاحب جامع الاحاديث عن ابن عساكر في كنز العمال فقال: عن جعفر بن محمد عن أبيه في هذه الآية: ﴿فَقُلْ مَا لَوْ أَنبَأْنَا وَأَبْنَاكُمْ وَفَسَاْنَا وَنَسَاْنَا كُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهَلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ قال فجاء بأبي بكر وولده وبعمير وولده وبعثان وولده وبعلي وولده وظاهراً أن الرجل نسي أن يضيف بعائشة وحفصة ولكن الظاهر أنه وقف في وجهه أن عثمانهم ليس عنده بنت اقترنت برسول الله ﷺ. ج ٤٠ ص ٣٨٣. السيرة النبوية لابن كثير ج ٤ ص ١٠٣، زاد المعاد ج ٣ ص ٥٤٩، أسد الغابة ج ١ ص ٧٩٧، الاصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٥٦٩، تاريخ يعقوب ج ١ ص ١٣٨، البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٧٦. وهذا على سبيل المثال فقط.

(٢) سورة آل عمران الآية ٦١.

النبوة لا من مختصاتها، كما أنها من ملازمات الإمامة لا من مختصاتها فهي من ملازمات كل عبد صادق في عبوديته الى الله وَجَلَّ بل إنها من الملازمات التكوينية لكل مخلوق فكل مخلوق يدعو بوجوده الى الله وَجَلَّ ، ولكن كل مخلوق يدعو بحسبه فدعوة النبي وآله (صلوات الله عليهم أجمعين) تكون على أتم أحوالها وأشرفها وأقدسها، وطريقهم يكون أقرب الطرق الموصلة الى الله وَجَلَّ وأكملها على الاطلاق فعلاً وتكويناً، وأما باقي الخلق فدعوتهم الى الله بلحاظ التكوين كاملة، وأما بلحاظ الفعل فقد تكون صالحة وقد تكون فاسدة، وصلاحها أو فسادها مرتبط بمبدأ الدعوة ومنتهاها فإن تعلق المبدأ والمنتهى بالنبي محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) كانت تلك الدعوة صادقة لاقتران ولايتهم بولاية الله وَجَلَّ وطاعتهم بطاعته ومحبتهم بمحبته وسهمهم بسهمه فمن لم يأخذ عنهم عليهم السلام كذبت دعوته وساءت عاقبته (نستجير بالله تعالى وبالنبي وآله عليهم السلام من سوء العاقبة)، ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله، لأنهم التامين في مرضات الله.

ومن قوله تعالى: (أبناءنا) ثبت أن الحسن والحسين عليهما السلام أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حقاً وهذا الذي اعتقدت به الشيعة (أعزهم الله) واستدللت عليه بالنصوص وهذه الآية الكريمة إحداهما، وأما السنة (هداهم الله لسنة نبينا المصطفى وآله عليهم السلام) فقد صرَّح القسم الأكبر منهم بأنهما إنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفق هذه الآية الكريمة والقسم الآخر امتنع عن التصريح حسداً عليهم واستدل جمعُ السنة ببيت من الشعر يزعمون أن العرب قالت ومفاده أن أبناء البنت ليسوا أبناء الجد من طرف الام وبيتُ الجاهلية المزعوم هو:

بنونا بنو أبنائنا وبنائنا

بنوهن أبناء الرجال الأباعد

فهذا اللون من التفكير هو من بقايا الجاهلية التي تنظرُ الى المرأة على

أنها مجرد لعبة وسلعة في بيت الرجل ووعاء تستودع فيه نطفة الآباء لحفظ الانساب لا غير، فأثارت عصبية الجاهلية فيهم الاستغراب من النص القرآني وطمسُ معناه وغلبَ هوس الجاهلية على نفوسهم حتى ساقهم إلى إنكار صريح القرآن الكريم وصار بيتُ الشعر هذا المجهول قائله محلاً لاستشهاد أكابر علمائهم وتربت عليه أجيالهم (وكل إناء بالذي فيه ينضح)، ومما يؤسف له أن يتبنى تلك الأفكار الهدامة التي قام الاسلام بنسخها وتحريمها رجالٌ يُحسبون من أكابر علمائهم، فقال بعضهم: كيف يمكن ان نعتبر أن القصد من (أبناءنا) هو الحسن والحسين عليهما السلام مع أن (أبناء) جمع والجمع لا يطلق على الاثنين؟ وكذلك نساءنا جمع فكيف تطلق على سيدة الاسلام فاطمة عليها السلام وحدها؟ وإذا كان القصد من أنفسنا علياً عليه السلام وحده فلماذا جاء بصيغة الجمع؟^(١). وهذا الاعتراض نقله جمع من أكابر أبناء العامة ومفكريهم فكيف بعوامهم؟! وهذه الشكوك باطلة من عدة وجوه:

أولاً: إنها شكوك وإشكالات ليس لها أدنى قيمة لأنها في قبال الدليل القطعي.

فقد أجمعت المذاهب الاسلامية على أن النبي ﷺ لم يحضر معه في آية المباهلة إلا علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، ولو كان الغرض يتحقق بغير آل البيت عليهم السلام لأحضر معهم ما يدل على نفي هذا الحصر.

ثانياً: إطلاق الجمع على المفرد والمثنى في اللغة العربية كثيرة جداً ولها جهات بلاغية. وهي في القرآن الكريم ليست بعريضة وقد مرَّ عليك ذكرها في الباب الثاني.

(١) نقلاً عن تفسير الامثال لقوله تعالى: ﴿فَقُلْ مَا لَوْ نَدَعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاتَنَا وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ تَبَتَّلْ فَنَجْعَل لَمَنْ نَشَاءُ اللَّهُ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

ثالثاً: وجود النصوص الكثيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة التي ترفع هذا الاستغراب والشكوك. ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾﴾.

فقد عدَّ الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم عليه السلام ابناً لإبراهيم الخليل عليه السلام من طرف مريم عليها السلام فيكون الحسن والحسين عليهما السلام أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله من سيدة النساء عليها السلام أقرب وأولى، وأما في الروايات الشريفة فكثيرة جداً ودونك محتاجة الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون العباسي (لعنه الله) التي فيها الكفاية.

وأخيراً: قد اتفقت كلمة المسلمين على حرمة الزواج بالحفيدة من طرف الابن أو البنت على حدٍ سواء.

وأما قوله (وأنفسنا) والمراد به الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) لانحصار مصداق أنفسنا به، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وآله أنه سأله بعض أصحابه فقال له قائل: فعلي، فقال صلى الله عليه وآله: إنما سألتني عن الناس ولم تسألني عن نفسي، وقوله صلى الله عليه وآله لبريدة الأسلمي: يا بريدة لا تبغض علياً فإنه مني وأنا منه وإن الناس خلقوا من شجر شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة، ونفس الأمر جرى في معركة أحد حيث كان النبي صلى الله عليه وآله يقى علياً والإمام علي يدافع عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال جبريل: إن هذه هي المواساة فقال صلى الله عليه وآله: يا جبرائيل إنه مني وأنا منه فقال جبرائيل عليه السلام: وأنا منكما^(١). وقال صلى الله عليه وآله: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي

(١) سورة الأنعام الآيات ٨٤-٨٥.

(٢) نقلاً عن مقتنيات الدرر ج ٢ ص ٢٠٩.

يعني علياً عليه السلام^(١). (فلعن الله من غمط فضلك وجحد حَقك أو عدل بك من جعلك الله أولى به من نفسه وصلوات الله عليك ورحمة الله وبركاته)^(٢). وقال النبي ﷺ في حديث طويل منه: يا علي من قتلك فقد قتلني ومن أبغضك فقد أبغضني ومن سبك فقد سبني لأنك مني كنفسي وروحك روحي وطينتك طينتي^(٣).

يا بن عم النبي انت يدُ الله
التي عم كل شيء نداها
انت قرأته القديم واوصا
فك آياته التي أوحاها
خصك الله في مآثر شتى
هي مثل الأعداد لاتتناهى
ليت عيناً بغير روضك ترعى
قذيت واستمر فيها قذاها
انت بعد النبي خير البرايا
والسما خير ما بها قمرها
لك ذات كذاتيه حيث
لولا أنها مثلها لما آخاها
قد تراضعتما بثدي وصال
كان من جوهري التجلي غذاها
يا أبا المصطفى لدي ذنوب
هي عين القذا وانت جلاها

(١) نقلاً عن نور الثقلين ج ١ ص ٣٤٨.

(٢) مقطع من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير ص ٣٧١ من مفاتيح الجنان ط بيروت.

(٣) نقلاً عن نور الثقلين ج ١ ص ٣٤٨.

لَكَ فِي مُرْتَقَى الْعُلَى وَالْمَعَالِي
 دَرَجَاتٌ لَا يُرْتَقَى ادْنَاهَا
 لَكَ نَفْسٌ مِنْ مَعْدِنِ اللَّطِيفِ
 صِيغَتْ جَعَلَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ فِدَاهَا

فلما ثبت أن الامام علي عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثبت له ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم مطلقاً إلا ما خَرَجَ بالدليل ولم يخرج بالدليل إلا النبوة وقد اتفقت كلمة المسلمين جميعاً على أن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل خلق الله طراً بما فيهم أولي العزم من الرسل فالإمام علي عليه السلام هو أفضل من سائر الانبياء عدا الخاتم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وقد أيد جمع كبير من علماء أبناء العامة ما تستدل عليه الشيعة في أفضلية الامام علي ابن أبي طالب عليه السلام على سائر الانبياء عليهم السلام واستدلوا بهذه الآية، وقال الفخر الرازي:

«ويؤيد الاستدلال بهذه الآية، الحديث المقبول عند الموافق والمخالف، وهو قوله عليه السلام: (من أراد أن يرى آدم في علمه، ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في خلته، وموسى في هيبته، وعيسى في صفوته، فليتنظر إلى علي بن أبي طالب عليه السلام) فالحديث دل على أنه اجتمع فيه ما كان متفرقاً فيهم، وذلك يدل على أن علياً عليه السلام أفضل من جميع الأنبياء سوى محمد صلى الله عليه وسلم. ثم توقف بعد كل ذلك في أفضليته على باقي الصحابة كما قال^(١) بعد أن نقل إجماع المفسرين على أن المعنى بأنفسنا هو الامام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

عن محمد بن سنان عن ابن عباس قال: (كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل

(١) تفسير البحر المحيط ج ٣ ص ٢٦٢. تفسير الرازي ج ٤ ص ٢٤١، الشريعة للأجري ج ٣ ص ٣٣٥.

(٢) وقد نقل ذلك الاجماع جملة من علمائهم كما في تفسير اللباب لابن عادل ج ٤ ص ١٣١، بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة ج ٢ ص ٧ الباب الثاني.

علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي ﷺ: مرحباً بمن خلقه الله قبل أبيه آدم بأربعين الف سنة. قال: فقلنا يا رسول الله كان الابن قبل الاب؟ فقال: نعم إن الله خلقني وعلياً من نور واحد قبل خلق آدم بهذه المدة ثم قسمه نصفين، ثم خلق الاشياء من نوري ونور علي، ثم جعلنا عن يمين العرش فسبحنا، فسبحت الملائكة وهللنا فهللوا وكبرنا فكبروا، فكل من سبح الله وكبره فإن ذلك من تعليمي وتعليم علي^(١).

وقال رسول الله ﷺ: (أنت مني وأنا منك سري وعلانيتي، وأنت روحي التي بين جنبي، لحمك لحمي، ودمك دمي، وما أفرغ جبرائيل في صدري حرفاً إلا وقد أفرغته في جوفك)^(٢). ومن كان كذلك - وهو كذلك - كانت طهارتهم وولايتهم وطاعتهم وحقهم وحبهم من جنس واحد لأنهما (صلوات الله وسلامه عليهما) من نفس واحدة، فوجوب مبايعتهم ونصرتهم والبراءة من أعدائهم واحدة فقال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٣). ففرض الله مودتهم ما لم يفرض لباقي الانبياء ذلك فقال تعالى في قصة نوح عليه السلام وعن هود عليه السلام: ﴿يَنْقُومِ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي﴾^(٤). ولما كان الكلام مع نبينا الاكرم ﷺ قال له: قل يا محمد لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى وما ذاك إلا لأنهم سفينة النجاة ومحال معرفة الله، ومساكن ذكر الله، ومُظهري أمر الله ونهيه، الدعاة الى الله والمستقرين في مرضات الله، والأدلاء على الله (الذين من الالههم فقد والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله ومن عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله ومن اعتصم بهم فقد اعتصم بالله ومن تخلى عنهم فقد

(١) نقلاً عن مشارق انوار اليقين ص ٤٠ ط تهران.

(٢) نقلاً عن مشارق انوار اليقين ص ١٤١ ط تهران.

(٣) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٤) سورة هود الآية ٥١.

تخلى عن الله وَعَلَىٰ (١). وأما الكلام في قوله تعالى (نساءنا) فهو الكلام هناك وإتيانها بصيغة الجمع تعظيماً لها وإكراماً لمقامها الذي إنفردت به من بين نساء العالم، ومع إتيانه جلاً وعلا بلفظة (نساءنا) لا بلفظة (بناتنا) تنطوي على إشارات لطيفة فلو إستعملت لفظة بناتنا مع إنحصار فعل النبي ﷺ في عدم إحضار غيرها معهم لتكون شريكتهم في الدعوة المطلقة التامة الى الله وَعَلَىٰ المختصة بالمعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَام لا مطلق الدعوة فيدلُّ ذلك الاستعمال على أحد أمرين إما أن يكون ذلك الاستعمال دليلاً على عدم إنجاب رسول الله ﷺ من البنات غيرها، أو أن يكون له غيرها ولكن لا يوجد لها قرين من باقي بنات رسول الله ﷺ في مقام الدعوة المطلقة التامة فيكون على أحسن الاحوال من إستعمال كلمة (بناتنا) هو أفضلية الزهراء عليها السلام على باقي بنات رسول الله ﷺ لا غير، وأما مع استخدام الجليل الخبير كلمة (نساءنا) فقد دلَّ على أنه لا يوجد لرسول الله ﷺ قرين وشريك في الدعوة المطلقة التامة الى الله وَعَلَىٰ من جميع نساء العالم غير مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فهي أفضل من جميع النساء بما فيهن أمهات المؤمنين وباقي بنات رسول الله ﷺ على فرضية صحة مقولة أن لرسول الله ﷺ بنات غير فاطمة الزهراء عليها السلام. فاختيار فاطمة الزهراء عليها السلام لهذا المقام هو إختيار الهبي:

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ نِسَاءَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧﴾ وَفَاطِمَةَ عليها السلام﴾
هي سيدهُ نساء العالمين من الاولين والآخرين كما جاء في الحديث الشريف
عن النبي ﷺ.

(١) مقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة.

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٢.

البحث الروائي

حدثنا علي بن محمد، قال: (حدثني الحبري، قال: حدثني اسماعيل ابن ابان، قال: حدثنا اسحاق بن ابراهيم، عن ابي هارون، عن ابي سعيد الخدري، قال لما نزلت هذه الآية: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(١). قال: فخرج رسول الله ﷺ بعلي وفاطمة والحسن والحسين)^(٢).

قال فرات رضي الله عنه: حدثني جعفر بن محمد بن سعيد الأحمسي معنعناً: عن أبي رافع قال: قدم صهيب مع أهل نجران فذكر لرسول الله ﷺ ما خصموه به من أمر عيسى بن مريم عليها السلام وإنهم دعوه ولد الله فدعاهم رسول الله ﷺ فخاصمهم وخصموه فقال: ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^(٣). فدعا رسول الله ﷺ علياً عليه السلام فأخذ بيده فتوكأ عليه ومعه ابناه الحسن والحسين وفاطمة عليها السلام خلفهم فلما رأى النصارى (ذلك) أشار عليهم رجل منهم فقال: ما أرى لكم (أن) تلاعنوه فإن كان نبياً هلكتم ولكن صالحوه، قال رسول الله ﷺ: لو لاعنوني ما وجد لهم أهل ولا ولد ولا مال^(٤)، (وذكر قريباً عليه عن أحمد بن يحيى معنعناً عن الشعبي) ونقله فرات أيضاً عن علي بن الحسين القرشي معنعناً عن ابي هارون (ونقل الحديث) ونقله أيضاً عن ابن عباس.

نقلاً عن الشيخ في أماليه قال: (أخبرني جماعة، عن أبي المفضل قال:

- (١) سورة آل عمران الآية ٦١.
- (٢) تفسير الحبري ج ١ ص ٢٤٧.
- (٣) سورة آل عمران الآية ٦١.
- (٤) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ٨٧.

حدثني أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمن الهمداني بالكوفة، قال: حدثني محمد بن المفضل بن إبراهيم بن قيس الأشعري، قال حدثني علي بن حسان الواسطي، قال: حدثني عبد الرحمن بن كثير، عن جعفر بن محمد، عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليه السلام. عن عمه الحسن عليه السلام قال: قال الله تعالى لمحمد عليه السلام حين جحدته كفره الكتاب وحاجوه: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهُلٌ فَتَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾^(١). فأخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنفس معه أبي، ومن البنين أنا وأخي، ومن النساء فاطمة أمي من الناس جميعاً فنحن أهلنا ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا^(٢).

عن فرات الكوفي عليه السلام قال: (حدثني الحسين بن سعيد معنعناً عن أبي جعفر عليه السلام في قوله (أبناءنا وأبناءكم) الحسن والحسين عليه السلام و﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام و﴿وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ فاطمة الزهراء عليها السلام^(٣).

وأما عن طرق السنة فكثيرة أيضاً ومنها:

مارواه موفق بن أحمد وهو من عظماء علمائهم قال: أخبرنا قتيبة، قال: (حدثنا حاتم بن اسماعيل، عن بكير بن مسمار، عن عامر ابن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: مامنك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله لأن تكون لي واحدة أحب الي من حمر النعم: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي وقد خلفه في بعض مغازيه: تكون أنت في بيتي الى أن أعود، فقال له علي: يارسول

(١) سورة آل عمران الآية ٦١ .

(٢) تفسير البرهان الشريف ج ١ ص ٦٣٠ .

(٣) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ٨٥ .

الله، تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدي وسمعته يوم خيبر يقول: لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال: إدعوا لي علياً. قال: فأتى علي عليه السلام وبه رمد فبصق في عينيه، ودفع الراية إليه، ففتح الله عليه، وأنزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ﴾^(١). ودعا رسول الله ﷺ في المباهلة علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً عليه السلام، ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب صحيح، وأخرجهما الشيخان في صحيحهما بطرق كثيرة^(٢). ورواه الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) في سند سعد بن أبي وقاص، وفي الحديث الثالث من أفراد مسلم.

وقال ابن طائوس عليه السلام في كتاب سعد السعود: رأيت في كتاب تفسير ما نزل من القرآن في النبي وأهل بيته تأليف محمد بن العباس بن مروان: إنه روى خبر المباهلة من أحد وخمسين طريقاً عن سماه من الصحابة وغيرهم وعد منهم الامام الحسن بن علي عليه السلام، وعثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وبكر بن سمالك، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف، وعبد الله بن عباس، وأبا رافع مولى النبي ﷺ، وجابر بن عبد الله الانصاري، وبرار بن عازب، وأنس بن مالك وروى في المناقب أيضاً عدة من الرواة والمفسرين منهم السيوطي في الدر المنثور^(٣).

(١) سورة آل عمران الآية ٦١.

(٢) نقلاً عن تفسير البرهان الشريف ج ١ ص ٦٣.

(٣) الميزان الشريف ج ٣ ص ٢٤٣. ومن مصادر السنة أيضاً التي نقلها صاحب تفسير الامثال: القاضي نور الله الشوشتري في المجلد ٣ من كتابه النفيس إحقاق الحق الطبعة الجديدة ص ٤٦ وهو يتحدث عن إتفاق المفسرين في (أبناءنا) في الآية على الحسن والحسين عليه السلام.

وبعد كل ما أقرت به العامة وثبتت هذه الحقيقة عندهم حتى صارت من المسلمات يتبجح أحدهم بقوله: «إنها روايات جاءت من الشيعة إلى السنة»، فهو مصداق لقوله تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(١).

(ونسأنا) إشارة الى فاطمة الزهراء عليها السلام (وأنفسنا) إشارة إلى علي عليه السلام ثم يشير في هامش كتابه الى نحو ستين من كبار أهل السنة الذين قالوا إنها نازلة في الحسن والحسين وعلي وفاطمة وهو يذكر بالتفصيل من ص ٤٦ حتى ص ٧٦ ومن المشاهير الذين نقل عنهم صراحة نقلاً عن كتاب الامثال وذكر منهم: ١- مسلم بن الحجاج النيسابوري صاحب أحد الصحاح الستة المعروفة التي يعتمد عليها أهل السنة المجلد ٧ ص ١٢٠ (طبعة محمد علي صبيح مصر).
٢- أحمد بن حنبل في (المسند) ج ١ ص ١٨٥ (ط مصر). ٣- الطبري في تفسيره ج ٣ ص ١٩٢ ط مصر. ٤- الحاكم في المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ (ط حيدر آباد). ٥- الحافظ أبو نعيم الاصفهاني في (دلائل النبوة) ص ٢٩٧ (ط حيدر آباد) ٦- الواحدي النيسابوري في (أسباب النزول) ص ٧٤ (المطبعة الهندية مصر). ٧- الفخر الرازي في تفسيره ج ٨ ص ٨٥ (المطبعة البهية مصر).

٨- ابن الأثير في (جامع الاصول) ج ٩ ص ٤٧٠ (مطبعة السنة المحمدية مصر). ٩- ابن الجوزي (تذكرة الخواص) ص ١٧ (طبعة النجف) ١٠- القاضي البيضاوي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢ (مطبعة مصطفى محمد مصر). ١١- الآلوسي في تفسيره روح المعاني ج ٢ ص ١٦٧ (المطبعة المنيرية مصر). ١٢- الطنطاوي في تفسيره الجوهر ج ٢ ص ١٢٠ (مطبعة الحلبي مصر). ١٣- الزمخشري في تفسيره الكاشف ج ١ ص ١٩٣ (مطبعة مصطفى محمد). ١٤- الحافظ ابن حجر العسقلاني في الاصابة ج ٢ ص ٥٠٣ (مطبعة مصطفى محمد) ١٥- ابن الصباغ في الفصول المهمة ص ١٠٨ (طبعة النجف). ١٦- العلامة القرطبي في جامع الأحكام القرآن ج ٣ ص ١٠٤ (ط مصر من ١٩٣٦).

المقصد الخامس

مدينة عيد الغدير التي تفتح على ثلاث قلاع

سنطرق الآن بعونه تعالى باب مدينة عيد الغدير التي تفتح على ثلاث قلاع:

القلعة الاولى: قلعة أمره تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ^ط وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ

القلعة الثانية: قلعة التبليغ بحديث الغدير الشريف.

القلعة الثالثة: قلعة البشارة في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ^(١)

مدخل قلعة الأمر

إنَّ الأمر الوارد في هذه الآية الكريمة المتوجه الى النبي المصطفى عليه السلام لانظير له في القرآن الكريم لاحتواء الامر فيه على التهديد والوعيد وتعلق تمام الرسالة عليه ولكي نفهم ماهية ذلك الأمر لابد أن نجيب على ثلاثة أسئلة:

متى نزلت هذه الآية الكريمة؟

وماهي صفات الحكم المأمور به النبي عليه السلام للتبليغ به؟

وماهي مناسبة نزول النص؟

أما جواب السؤال الاول: فاعلم أنه قد ورد في تحديد نزول هذه الآية الكريمة ثلاثة أقوال، قولٌ قد أجمعت عليه أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام، وسارت عليه طائفة من السنة وقولان آخران لجماعة أخرى من أبناء السنة (هداهم الله لسنة نبينا المصطفى عليه السلام) وهذه الاقوال هي:

القول الأول: في أنها مكية نزلت بعد هجرة النبي عليه السلام وفي السنة الأخيرة من البعثة الشريفة بعد إتمام مراسم حجة الوداع، وهو القول الذي ذهب إليه إجماع مدرسة آل البيت عليهم السلام وقال به الكثير من أبناء العامة عملاً بالخبر المتواتر الشريف عن النبي المصطفى عليه السلام المعروف بحديث الغدير.

القول الثاني: في أنها مكية أيضاً ولكنها نزلت في أول البعثة الشريفة لنبينا المصطفى ﷺ، ثم وضعت هذه الآية في سورة المائدة المدنية التي نزلت في أخريات حياة النبي ﷺ. وأصحاب هذا الرأي هم جماعة من أبناء العامة فقط.

القول الثالث: في أنها مدنية كباقي سورة المائدة، وهو قول القلة من أبناء العامة. وللاختلاف في تحديد وقت النزول إختلفت النتائج، فأتباع مدرسة آل البيت ﷺ وهم الشيعة (أعز الله رايهم) فطريقهم واضح بيّن وسهل يسير إتبعوا السنة، فاتحدت عقيدتهم، وأما أبناء العامة، فقد اختلفت آرائهم، فتباينت أقوالهم، بل عمّد جلهم على عزل سبب النزول عن تفسير الآية الكريمة رغم إقرارهم بسبب النزول في باب آخر، وهذا يدينهم في كل آية فيها فضيلة من فضائل آل البيت ﷺ، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(١).

ولو سألوا أنفسهم لهدوا الى طيب القول، فليس من المعقول أن ينزل الله تعالى على سيد خلقه حبيبه المصطفى ﷺ أمراً فيه هذا التهديد والوعيد المنقطع النظير من دون مناسبة! وليس من المعقول أيضاً أن يمتنع النبي ﷺ عن التبليغ بلا إشهار وتشديد، ويتركه لعقول الناس وآرائهم!! إلا إذا قلنا أن أبناء العامة قد صرحوا بتبنيهم فكرة أن الأوامر والأحكام الالهية بالانتخاب والشورى أيضاً عندهم!! ثم أليس ترك التبليغ بذلك الأمر العظيم الذي توقفت عليه تمام الرسالة الالهية يعد طعناً بجميع الرسالة، ومخالفاً لما أجمعت عليه الأمة في عصمته ﷺ في التبليغ على الأقل!!.

فلا بد من وجود النص إذاً، ولا مناص عن ذلك أبداً فإذا كانت السنة الشريفة نقلت لنا صغائر الامور وحرّصَ الجميع على حفظها ونقلها من دعاء رؤية الهلال ومستحبات النكاح وإزالة الشعر من البدن وأوقاتها والحجامة وأوقاتها ومنافعها وأيام تقليص الاضافر وقص الشعر وغيرها الى المئات بل الالاف من هذا القبيل ثم نأتي الى أمر عظيم وخطير تتوقف عليه شريعة سيد المرسلين (صلى عليه واله) ثم نقول المعذرة فالنص غير موجود، أو موجود ولكنه لا يتلائم مع مذاقي واستحساني فلا أبينه!! كما صنع سيد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) ومحمد رشيد في تفسيره المنار فمروا على هذه الآية مروراً عابراً، مرور لثام من غير ذكر لنص حديث الغدير مع أن هذه الآية الكريمة يعدها أهل العلم والتحقيق واحدة من نجوم الآيات البارزة واللامعة المهمة في سماء القرآن الكريم، فالنص موجود ولكنهم لم يأخذوا به وتجاهلوا وجوده، وقام البعض من مفسريهم بإبتداع آراء من عند أنفسهم والطامة الكبرى أن يقوم شخص مثل الرازي بذكر عشرة أقوال فيها، والطامة الاكبر منها أن يذكر النص المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيجعله واحداً من تلك الآراء بل وآخرها، والمصيبة الاكبر من الجميع أن يقدم رأياً ابتدعه على قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فالنص موجود ولكنهم تركوه ثم خالفوه، وأما القسم الثالث من السنة الذين قالوا بنزول الآية الكريمة في مكة وفي آخر البعثة الشريفة والتزموا بنص حديث الغدير من حيث الصدور، ولكنهم نظروا إلى المعنى بعين واحدة، ففتحوا عيناً وأغمضوا الأخرى فهم عوران الحقيقة فإما أن يعموا وإما أن يبصروا.

ومن هنا كان علينا أن نقف وقفة قصيرة على أهم ما قالته أبناء العامة في أسباب النزول المبتدعة، والمخالفة في وقت نزولها للحق المتواتر ومنها: قولهم الأول: الذي استحسنته الفخر الرازي في تفسيره وقدمه على قول

رسول الله ﷺ الذي جعله في الرتبة الاخيرة من أقواله العشر فقال: «العاشرة نزلت الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام ولما نزلت هذه الآية أخذ ﷺ بيد علي وقال: (من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعادي من عاداه) ثم قال: واعلم إن هذه الروايات وإن كثرت إلا أن الأولى حملها على أنه تعالى آمنه من مكر اليهود والنصارى، وأمره بإظهار التبليغ من غير مبالاة منه بهم، وذلك لأن ما قبل هذه الآية بكثير لما كان كلاماً مع اليهود والنصارى امتنع عن إلقاء هذه الآية الواحدة في الدين على وجه تكون أجنبية عما قبلها وما بعدها»^(١). وهذا يعني أن الرازي يدعي أن هذه الآية الكريمة مدنية كباقي سورة المائدة عن غير دليل يدل عليه سوى إستحسانه لهذا الرأي فترك النصوص الكثيرة المتواترة الدالة على نزولها في الامام علي عليه السلام، بل وخالفها عملاً برأيه المبتدع وجعله مقدماً على قول رسول الله ﷺ.

وقولهم الثاني: أن هذه الآية مكية ولكنها نزلت في أول البعثة، حينما كان النبي ﷺ يخشى مشركي قريش فامتنع عن التبليغ خوفاً على نفسه من القتل، فيذهب الاسلام بقتله حتى أنزل الله تعالى عليه هذه الآية ليعده بأنه عاصم له من مشركي قريش. ونحن نرى بأنه لا علاقة بين ترك التبليغ مخافة القتل أو مخافة عدم إتمامه بالقتل فالنتيجة واحدة وكلاهما باطلٌ جزماً لأن ترك التبليغ برسالة الله مخافة على نفسه من القتل تعدُّ من أكبر الكبائر التي قد تنزه الانبياء عنها وهي على حدِّ الفرار من الزحف التي قد نُزه عنها عوام المؤمنين، لأنها من الكبائر وما عدَّ فعله على عوام المسلمين من الكبائر إستحالة على الانبياء فعله، واستحالة الثاني لأنه لو كان خائفاً على الدين من أن يُقتل دون إتمامه فقد أساء الظن بالله فإن الله لا يعجزه إتمام الرسالة بأي وسيلة شاء، وإضافة لما تقدم يمكن بيان أوجه البطلان

لهذين القولين بالتالي:

أولاً: كلا القولين باطل، لقيامهما على الاستحسان، وهو من هوى النفس وقد قام الدليل القطعي على نقضه، وإن استخدمه في الدين مورث لصاحبه دخول النار.

ثانياً: مخالفتها للسيرة النبوية الشريفة القطعية التي أكدت جميعها على عظمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، واجتماع صفات الكمال فيه التي تؤكد عزم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإصراره اللامتناهي على التبليغ بهذا الدين القويم، وتنزيهه عن كل عيب أو نقص أو بخل بمهجته، وبأعز ما عنده من أجل قيام شريعة الله في خلقه رغم محاربة الكفار والمشركين وتكالبهم على ظلمه، والاساءة إليه واجتماعهم على إطفاء نور الله: ﴿وَيَأْتِكُ اللَّهُ الْآنَ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(١)، ولم تثنِ كل تلك الضغوط النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عزمه، وبقيت كلمته الخالدة تصمُّ أسماع المشركين، وترفع عزيمة المؤمنين وترد كيد المتقولين بقوله الشريف: (يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو اهلك فيه ما تركته)^(٢). وما قامت السيرة الشريفة على نقضه كون نزول الآية الكريمة أول البعثة قامت أيضاً على نقض المقولة الثانية بكونها مدنية وأن خشية النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت من اليهود والنصارى فمن لم يخشاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أول البعثة وهم في أوج قوتهم ومنعتهم والمسلمين في أوج ضعفهم وقتلتهم أيخشاهم في آخر البعثة وقد تهدمت حصونهم وقتل صناديدهم وأخزيت راياتهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وصار المسلمون في أوج قوتهم وعزهم!!؟
لعمري إنها لمناورة فاشلة لا تليق بمن يدعي الفهم.

(١) سورة التوبة الآية ٣٢.

(٢) إمتاع الاسماع للمقرئ ج ٤ ص ٣٨١.

ثالثاً: إن القرآن الكريم يُعارض هذه الدعوى ويكذبها، فقد نقل لنا كتاب الله المجيد جانباً من معاناة رسول الله ﷺ ومأنسب إليه من أباطيل يهتز لها العرش من أول البعثة إلى آخرها بل وإلى يومنا هذا فقال تعالى مخبراً عنهم أقوليلهم: ﴿سَجِرًا وَمَجْنُونًا﴾^(١)، وقولهم: ﴿شَاعِرٌ نَزَّيْبُ بِهِ رَبِّبَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، وقولهم: ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾^(٣)، وقولهم: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ يُؤْتِيهِ النَّاسُ مَالًا يَمْشُونَ عَلَى آبَعٍ﴾^(٤)، وقولهم: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٥)، وقولهم: ﴿مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾^(٦)، حتى آل الأمر إلى أن يفتري عليه من يدعي الاسلام وأنهم من أصحابه فطعنوه في عرضه في قضية ولده ابراهيم من مارية القبطية عليها السلام، أو ماجرى في زواجه من زينب بنت جحش، أو في تلقي الوحي من الشيطان في قصة الغرانيق، والتي مر ذكرها عليك والعشرات غيرها التي لم نذكرها ولم تغير من عزم رسول الله ﷺ ولم تشنه عن التبليغ بالرسالة.

لقد حاول أصحاب مقولة نزول الآية في أول البعثة الاستدلال بروايتين أو ثلاث للتملص مما ثبت عليهم من تفسير القرآن بالرأي والابتداع في الدين فتوسلوا بهذه الروايات المقطوعة السند والمتضاربة داخلياً وتركوا العمل بالروايات المتواترة عند الشيعة والسنة وأنقل لك جانباً عما نقلته من أبناء العامة من ضلال!

الرواية الاولى: عن الحسن، أن رسول الله ﷺ قال: إن الله بعثني برسالته فضقت بها ذرعاً وعرفتُ أن الناس مكذبي فوعدني لأبلغن أو ليعذبني فأنزل:

- (١) سورة الذاريات الآية ٣٩.
- (٢) سورة الطور الآية ٣٠.
- (٣) سورة الاسراء الآية ٤٧.
- (٤) سورة المدثر الآية ٢٤.
- (٥) سورة الفرقان الآية ٥.
- (٦) سورة الدخان الآية ١٤.

﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١)، وأنت ترى بأنه لا دلالة في الرواية على كونها في أول البعثة فقد تكون في آخر البعثة وفي تنصيب الامام علي عليه السلام وبما أن القدر المتيقن هو الثاني دون الاول حمل المعنى عليه، ومع فرض تساوي الطرفين صار الاستدلال بهذه الرواية باطلاً.

الرواية الثانية: عن الدر المنثور وفتح القدير إخراج عبد حميد وابن جرير وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٢)، قال: يا رب إنما أنا واحد وكيف أصنع؟ يجتمع علي الناس فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٣)، والنبي صلى الله عليه وآله يجعل عن هذه الفرية التي لا تليق بساحته المقدسة.

الرواية الثالثة: أيضاً في الدر المنثور وفتح القدير وغيرهما عن ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله سُئِلَ: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ فقال: كنت بمنى أيام موسم الحج فاجتمع مشركوا العرب وأفناء الناس في الموسم فأنزل جبرائيل فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(٤)، قال: فقامت عند العقبة فناديت يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي وله الجنة؟ أيها الناس قولوا لا إله إلا الله وأنا رسول الله إليكم تفلحوا وتنجحوا ولكم الجنة، قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون بالتراب والحجارة ويبزق في وجهي ويقولون: كذاب صابئ فعرض علي عارض فقال: يا محمد إن كنت رسول الله صلى الله عليه وآله فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك فقال النبي صلى الله عليه وآله:

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة الآية ٦٧.

اللهم إهد قومي فإنهم لا يعلمون. فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وجردهم عنه^(١).

والغريب أن أصحاب هذا الرأي قالوا أن النبي ﷺ كان يخاف على نفسه من التبليغ فوعده الله أن يعصمه من الناس وعليه يكون معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢)، عندهم هو «أن يمنعهم أن ينالوك بسوء من فعل أو شر أو قهر، «وأصله عصام القربة، وهو وكاؤها الذي يشد به من سير أو خيط»^(٣). والرواية الأخيرة ذكرت أن كل من حَضَرَ الموسم من رجال ونساء وصبيان ضربوه بالحجارة، وبصقوا عليه فأبي عصمة هذه التي يتحدثون عنها، والأغرب هو أن يعتمد بعض مفسري السنة هذه الأباطيل ويؤسس عليه بنياناً آخر لفرية أخرى فقالوا: «أن النبي ﷺ من شدة خشيته على نفسه أو على الدين إمتنع عن التبليغ ووضع عليه الحراس لحمايته حتى نزلت هذه الآية فصرف النبي ﷺ الحراس وقال: قد عصمني الله»^(٤) جاء في «تفسير المنار: روى أهل التفسير المأثور والترمذي وأبو الشيخ والحاكم وأبو نعيم البيهقي والطبراني بصفة رجال من الصحابة: أن النبي ﷺ كان يُحرس في مكة قبل نزول هذه الآية فلما نزلت ترك الحرس، وكان أبو طالب ﷺ أول الناس اهتماماً بحراسته، وحرسه العباس أيضاً. وفيه: ومما روي في ذلك جابر وابن عباس أن النبي ﷺ كان يُحرس، وكان يُرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجلاً من بني هاشم حتى نزلت الآية فقال: يا عم إن

(١) تفسير الميزان: ج ٦ ص ٥، فتح القدير للشوكاني: ج ٢ ص ٦٠.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٣) نقلاً عن التبيان ج ٣ ص ٥٨٧.

(٤) كما رواه الطبراني في الأوسط بسند واه وتعليق فاسد وقد رَدَّ عليه الصالحى الشامي في

سبيل الهدى والرشاد: ج ١ ص ٤٠٧.

الله قد عصمني لا حاجة الي الي من يبعث»^(١).

ونعم ما قاله صاحب الميزان الشريف تعليقاً على هاتين الروايتين قائلاً:
«والروايتان كما ترى تدلان على أن الآية نزلت في أواسط إقامة النبي عليه السلام
بمكة وأنه عليه السلام بلغ رسالته زماناً واشتدَّ عليه أمر إيذاء الناس وتكذيبهم حتى
خاف على نفسه منهم فترك التبليغ والدعوة فأمره ثانياً بالتبليغ وهدد من
جانب الله سبحانه، ووعد بالعصمة، فاشتغل ثانياً بما كان يشتغل به أولاً
وهذا شيء يجمل عن ساحة النبي عليه السلام»^(٢)، تم كلامه عليه السلام. أقول: إن حراسة
أبو طالب عليه السلام إلى النبي عليه السلام بحد ذاتها أمرٌ منطقي وطبيعي، فلقد كان
أبو طالب عليه السلام يحبُّ النبي عليه السلام حباً شديداً لا يحبُّ أولاده مثله بل ويقدمه
عليهم ويُفديهم جميعهم له، وكان لا ينام إلا إلى جنبه، ويخرجه معه حيث
يخرج وكان ينشد قائلاً:

منعنا الرسول رسول المليك

أبيض كالألمع البروق

أدور واحمي رسول المليك

حماية حام عليه شفيق

فحماية أبو طالب عليه السلام وحراسته للنبي عليه السلام أمر مقبول ونحن نعتقد
به، ولكن ما نرفضه رفضاً قاطعاً هو ربط هذه الحماية والحراسة بنزول هذه
الآية الكريمة، ووجود بعض الشواهد الروائية التي تؤكد على هذه الحماية
والحراسة من دون ذكر لهذه الآية الكريمة، كافياً لدفع الباطل الذي زينوه
بالحق وأن ما ذكره القوم في نفس هذه الكتب كافٍ لتحقيق المعارضة
والسقوط مع غض النظر عن السند المنقطع في الجانبين وتخلل الكذابين

(١) تفسير الميزان: ج ٦ ص ٥

(٢) تفسير الميزان ج ٦ ص ٤٢.

كمجاهد.

وذكر في الدر المنثور، وفتح القدير: خرج عبد بن حميد والترمذي وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يحرس حتى نزلت: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١)، فأخرج رأسه من القبة، فقال أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله^(٢). فهذه الرواية نصت على أن نزول الآية في المدينة وتلك نصت على أن النزول في مكة أول البعثة فهذا تعارض ثابت والقاعدة تقتضي طرحهما ويجب عليهم في كل الاحوال الرجوع الى الحق المتواتر في أنها في الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. وأما بطلان مقولة الرازي بالقرآن الكريم فهي أوضح وبالاخص في تلك الآيات الكريمة التي نصت على عدا وبعض أهل الكتاب للاسلام والمسلمين ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾^(٣)، وقال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيُّ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٤)، وقال: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) نقلاً عن الميزان الشريف في تفسيره لهذه الآية الكريمة. ج ٦ ص ٤٢.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٤) سورة المائدة الآية ٨٢.

(٥) سورة البقرة الآية ١٠٥.

اللَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^(١) ، وقال: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ»^(٢) ، فإذا كان المؤمن من عوام المؤمنين لا ينصاع لتأثيراتهم وتهديداتهم وسعيهم لعزله عما عقد عليه من الإيمان ، وما وجب عليه من فروض ، فهل يكن ذلك رادعاً لصاحب مقام قاب قوسين أو أدنى أكمل مخلوقات الله طراً فيتوقف عن التبليغ برسالة الله الى خلقه خوفاً من الكفار والمشركين!!؟

مخالف الحق دين الصادق

تابعت ديناً ليس دين الخالق

بل دين كل أحمرق

_____ من افريقي

رابعاً: إن سور القرآن الكريم التي نزلت في أول البعثة الشريفة كقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»^(٣) ، وقوله: ﴿بِتَأْيِيدِ الْمَدِينِ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ»^(٤) ، وقوله: ﴿فَأَسْتَقِيمُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ»^(٥) ، إلى غير ذلك من الآيات والسور المكية التي لم تشر ولا إشارة واحدة إلى هذا الخوف المزعوم بل دلت على خلاف ذلك ، فقال تعالى: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ،

(١) سورة البقرة الآية ١٠٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٦٩ .

(٣) سورة العلق الآية ١ .

(٤) سورة المدثر الآيات ١-٢ .

(٥) سورة فصلت الآية ٦ .

(٦) سورة الأحزاب الآيات ٣٨-٣٩ .

وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١)، وقال تعالى مخاطباً للنبيه ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ الْمَكْرِينَ﴾^(٢). ومدح الله طائفة من عباده فقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَّ جَبَعُوا لَكُمْ فَأَخْشَوْهُمْ فَرَّادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾^(٣). فلا يمكن حمل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٤)، على ما لا يليق بخاتم الانبياء (صلوات الله وسلامه عليه) كما لا يمكن حملها على أول البعثة أيضاً.

بعد بيان بطلان المقولة الاولى والثانية صار بطلان بقية المقولات الأقل أهمية سهلاً ولا تحتاج إلى أدنى عناء ونمر على بعضها المتبقي مُرور الكرام:

منها المقولة المبتنية على رواية عائشة التي قالت فيها: «إن المراد إزالة التوهم أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي للتحية»^(٥). فعائشة روت هناك أن النزول كان لا بطل الحراسة على النبي ﷺ وهنا قالت حتى لا يتوهم أن النبي ﷺ كتم شيئاً.

ومقولة أخرى نقلاً عن محمد بن كعب القرظي، وغيره: أن إعرابياً هم بقتل النبي ﷺ فسقط السيف من يده وجعل يضرب برأسه الشجرة حتى انتثر دماغه.

وقول آخر: إنها نزلت في آية التخيير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

(١) سورة آل عمران الآية ١٧٥.

(٢) سورة الانفال الآية ٣٠.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٧٣.

(٤) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٥) تفسير التبيان ج ٣ ص ٥٨٧.

تُرِدَّتْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْتَ أُمْتِعَكَ وَأَسْرِحَكَ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾، فلم يعرض النبي ﷺ هذه الآيات عليهن خوفاً من إختيارهن الدنيا فيطلبن الطلاق. ولا أعلم هل أن القوم لم يطلعوا على هذه الحوادث وتفصيلها فزاغت الابصار عنها؟! أم إنهم قد إطلعوا فزاغت قلوبهم وقلوب من حولهم عنها؟!!

وإذا امرؤ لا عقل يرشده

ولا أدب فكيف تعده انسانا

إنها اقاويل يَمَلُّ قارئها وتزكم العقول منها، فلا يبقى الا الحق المتواتر بكون نزول هذه الآية الكريمة في آخر البعثة الشريفة في حجة الوداع فهي مكية بحق تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين ومولى على الخلائق أجمعين، ومن رفض فقد كفر.

وليتبين لك نتيجة ما توصلنا إليه من بحث وقت النزول وأسبابه أكثر نجيبُ على السؤال الثالث المتقدم أول البحث، والمتعلق بصفات الحكم المأمور به النبي ﷺ من خلال نفس الآية الكريمة:

الصفة الأولى: إنَّ الحكم الذي قد أمر النبي ﷺ ليقوم على التبليغ به كان في غاية من الأهمية بحيث هُدد النبي ﷺ على عدم تبليغه فقال: وإن لم تفعل فما بلغت رسالة ربك.

الصفة الثانية: إن الحكم المأمور به النبي ﷺ جنسٌ حكم يختلف عن كل الاحكام السابقة، حكم يكثرُ الاعتراض عليه، وتكذيبهم له، ولذا فإن النبي ﷺ قد طلب الاعتصام من الله تعالى بتبليغه بالمعنى الذي ينسجم مع مقام النبي الخاتم ﷺ. وإنك لن تجدَ حكماً عورض النبي ﷺ عليه

كحكم ولاية أمير المؤمنين والائمة من بعده (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

الصفة الثالثة: إن لهذا الحكم خصوصية ما ليس لغيره لتعليق أداء الرسالة عليه ولكي نفهم هذه الخصوصية لا بد أن نعرف جنس الحكم المأمور به النبي ﷺ فهل هو حكم مختص بالفروع كالصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها من أحكام الحلال والحرام في العبادات أو المعاملات؟ أم هو حكم في الاصول؟ فلو كانت الآية متعلقة بفروع الدين لكان البحث فقهيًا فوجب بحثه في باب، ولا محل له هنا، وإن كان البحث في أصل من أصول الدين أو ضرورة من ضرورياته لكان البحث كلامياً فجاز لنا ذكره هنا، فما هو المراد هنا؟ من خلال نفس الآية الكريمة نجد وبوضوح أن الله ﷻ قام بتعليق أداء الرسالة على أداء الحكم المرموز له فقال: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١)، فإقتران هذا الحكم بلحن الخطاب هذا دون غيره من الاحكام، وتعليق تبليغ جميع الرسالة بفروعها وأصولها على تبليغ هذا الحكم يدل على تعلق قبول أعمال العباد عليه والحكم الذي يثبت له ذلك لا يكون إلا أصلاً من أصول الدين، أو ضرورة من ضرورياته التي إنكار أحدها يؤدي إلى إنكار جميع الرسالة، وهو عين الكفر، فالحكم المذكور في الآية الكريمة هو من جنس الاقرار بالتوحيد والنبوة والانكار له على حد إنكار التوحيد والنبوة، والتي يلزم منها بطلان جميع الاعمال مهما كان حجمها، وقد أكدت السنة الشريفة والقرآن الكريم على ذلك منه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَمَنْ يَرْتَدَّ ذِمَّتْكُمْ عَنْ دِينِهِ، فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٥.

الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١﴾، وقال: ﴿فَأُولَئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢﴾، وقال: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهْتُولَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَسِرِينَ ﴿٣﴾، وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤﴾، فإن الاعمال بلغت ما بلغت تكون لا قيمة لها وينتفي الثواب عليها مع الكفر، ويكون الامر على العكس تماماً مع الايمان، فإن المؤمن كلما أزداد إيماناً أزداد ثواباً على أعماله، وكفر عنه سيئاته أي سترها له وعفى عنه فقال جلّ وعلا: ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً ﴿٥﴾، وقال: ﴿ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَنْقُ اللَّهُ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ، وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴿٦﴾، فخصوصية هذا الحكم أن عدم الاقرار به محبط للأعمال ولذا قال تعالى في ذيل هذه الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾، فالحكم متعلق بأصل من أصول الدين لا بالفروع.

الصفة الرابعة: إن الحكم الذي يشدد عليه بالتبليغ، ويتوقف عليه أداء الرسالة الخاتمة لا بد أن يكون التبليغ به يتناسب مع ما عليه من أهمية وكونه أصلاً مكتملاً ومتمماً لباقي أصول الدين، فيجب أن ينتشر حكمه في

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٢) سورة آل عمران الآية ٢٢.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٣.

(٤) سورة الاعراف الآية ١٤٧.

(٥) سورة الفتح الآية ٥.

(٦) سورة الطلاق الآية ٥.

(٧) سورة المائدة الآية ٦٧.

الآفاق ويبلغ خبره أقصى أرض المسلمين لتوقف قبول أعمال العباد عليه ،
ويجب أن يكون التبليغ به بدرجة لا يبقى لهذه الأمة عذر في عدم قبوله
والانصياع إليه حتى لا يبقى لهم عذر بعدم إتباعه وتكون الحجّة البالغة لله
ولرسوله عليهم.

وإن الأوصاف المتقدمة هذه لا تتحقق بمجموعها في حكم قط إلا في
الإمامة المتمثل بحديث الغدير الشريف الذي سنأتي على ذكره في البحث
الروائي بعونه تعالى.

قلعة البشارة

لاستكمال صفات الحكم المأمور به النبي ﷺ لتبليغ الناس به من قوله
تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١).

من هذه الآية الكريمة نستفيد جملة من صفات الحكم الذي أمر به
النبي ﷺ والذي قام بالتبليغ به في ذلك اليوم العظيم، وهو يوم التبليغ
المذكور في الآية الكريمة، وقد اتفقت جميع الفرق الاسلامية بما لا يُداخلها
أدنى شك أو ريب بأن جميع سورة المائدة مدنية واستثنوا منها آية الامر
أعني قوله تعالى: ﴿يَلِغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ
يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢) فذهب أتباع مدرسة آل
البيت ﷺ بأجمعهم إلى أنها مكية في أخريات حياة النبي ﷺ ووافقهم
عليها جملة كثيرة من أبناء العامة وقد بينت لكم إختلاف أقوال أبناء العامة

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

في النزول ومنشأها وأما حال أبناء العامة في هذه الآية أعني: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). فهو أفضل من سابقتها فقد أجمع معظمهم على أنها مكية فوافق رأيهم لما تسالم عليه أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام وغالب المفسرين والمؤرخين نصوا على أن نزول هذه الآية كان قبل التحاق الحبيب المصطفى عليه السلام بالرفيق الاعلى بواحد وثمانين يوماً وعليه يكون نزول هذه الآية الكريمة مقارب لنزول المقطع المتقدم، ولنتناول بالذكر الآن صفات الحكم الذي قام النبي عليه السلام بالتبليغ به:

أولاً: إن الحكم المبلغ فيه كان في أخريات حياة النبي عليه السلام كان في مكة أو ضواحيها في فترة حجة الوداع.

ثانياً: إن اليوم الذي ذكرته الآية الشريفة في قمة الشرافة وهو يوم بعينه، قد أخذ شرافته من الحكم الذي بلغ فيه، فالحكم الصادر فيه في أعلى درجات الشرافة، وهو ما استفدناه من صفات الحكم المأمور به عليه السلام من آية الامر.

ثالثاً: إنه حكم تحقق به يأس الكافرين أي إنقطاع رجائهم وأطماعهم في القضاء على هذا الدين فقال جلّ وعلا: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾^(٢)، والسؤال هنا بأي حكم ينقطع رجاء الكفار عموماً من القضاء على هذا الدين؟ لشمول كلمة الكفار أهل الكتاب والمنافقين فقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾^(٣).

وقال: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) سورة المائدة الآية ٨٢.

أَبَتْ اللَّهُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مِنْ قَبْلُ قَالَهُمْ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنَّ يَوْمَكُمُ ﴿١﴾

ولكي نجيب على هذا السؤال نحتاج إلى التعرف على نوعية طمع الكفار، فقد قال تعالى ناقلاً عن كفار قريش قولهم: ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبَّ الْعَمُونَ﴾^(١) وكان طمعهم منصباً على وفاة حافظ الدين النبي المصطفى ﷺ فظنوا أن بوفاته يُفتقد الحافظ لهذا الدين وتتحقق أهدافهم في رد الناس إلى الجاهلية قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ بِلْتِمِهِمْ﴾^(٢). وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ﴾^(٣) ومن هنا يتبين بأن إنقطاع طمع الكفار من تغيير هذا الدين ورد الناس إلى الجاهلية لا يتحقق إلا بأحد فرضين لا ثالث لهما، فاما أن يكتب بهذا الحكم بقاء النبي ﷺ حياً بين ظهرانيهم إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وهذا باطلٌ جزماً، وإما أن يكون هذا الحكم متعلق بإقامة حفظة لهذا الدين رجلاً بعد آخر يتعاقبون على صيانته وحفظه، ولا تخلوا الأرض منهم أبداً إلى أن يرث الله الأرض وما عليها، وصفة هؤلاء الرجال يجب أن تتوفر فيهم جميع خصال رسول الله ﷺ فيتحول هذا الدين من تعلقه بالحامل الشخصي المتمثل بالنبي المصطفى ﷺ إلى مرحلة البقاء والديمومة ما دامت الدنيا قائمة وهي مرحلة القيام بالحامل النوعي المتمثلة بالامامة، وبقول آخر تحول هذا الدين من مرحلة اللطف الخاص إلى مرحلة اللطف العام الذي لا يحكم البقاء لهذا الدين إلا به، أما لماذا الامامة دون غيرها؟ وذلك لأن طمع الكفار لا ينقطع إلا بإقامة

(١) سورة التوبة الآية ٣٠.

(٢) سورة الطور الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٠.

(٤) سورة البقرة الآية ١٠٩.

الحافظ لهذا الدين الذي له ما لرسول الله ﷺ وعنده جميع ما عند رسول الله ﷺ إلا ما خرج بالدليل ولم يخرج بالدليل إلا النبوة وقد بينت آيات القرآن الكريم ذلك واثبت سمو عنصرهم على جميع خلق الله بآية التطهير وإقتران ولايتهم بولايته في (آية الولاية) وطاعتهم بطاعته في (آية اولي الأمر) ومعصيتهم بمعصيته وسهمهم بسهمه فهم لا يحتاجون الى أحد من خلق الله والخلق كلهم يحتاجون إليهم وبكلمة مختصرة وجامعة عندهم جميع مقومات النبي المصطفى ﷺ عدا النبوة لخروجها بالدليل، فالامام واحد دهره لا يُدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد له بدل ولا له مثل ولا نظير، مخصوص بالفضل كله من غير طلب ولا إكتساب بل إختصاص من المفضل الوهاب، واصطفاء وانتخاب واختيار من عند الله الواحد القهار، وليس من خلقه له إختيار فيه.

ثالثاً: من صفات هذا الحكم أن يتحقق به كمال الدين قال الراغب: كمال الشيء حصول ما هو الغرض منه فهو حكم يحصل غرض الدين به وتتحقق به الغاية، إن الغاية من الدين وشريعة سيد المرسلين لا تكون إلا به وهو نفس المعنى الذي توصلنا اليه في آية الأمر بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١). فعدم التبليغ به يعني عدم تحقق الرسالة، وهو نفس المعنى هنا أن الغاية من الرسالة لا تتحقق إلا به ويقول آخر أكثر وضوحاً: أن الرسالة لا تتحقق إلا ببلوغ غايتها، وغاية الرسالة هو التبليغ بحكم الولاية، لأن بها قوام الدين، روى في الكافي الشريف عن أبي محمد القاسم بن العلاء رضي الله عنه رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال الامام رضا عليه السلام: إن الإمام زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين إن الإمامة أمن الإسلام النامي وفرعه السامي وبالامام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج

والجهاد وتوفير الفيء والصدقات وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الشغور والأطراف..^(١).

ولكي تصل إلى الغاية من هذه الصفة وما بعدها لا بد من الدخول في بحث معنى الكمال والتمام.

إعلم أيها العزيز انه قد اختلف علماء التفسير واللغة في المراد من معنى الكمال والتمام فمنهم من قال: أن لهما معنيان مترادفان وذهب إلى ذلك أصحاب الصحاح وغيرهم كما ذكره الزبيري في شرح القاموس وقال آخرون أن لهما معنيان متقاربان ولم يحدد هذا التقارب ففهم البعض منه الترادف، وفهم آخرون منه الاختلاف البسيط لا على نحو التضاد فقال الراغب إتمام الشيء انتهاؤه الى حد لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، وكمال الشيء حصول ما هو الغرض منه.

وقال ابن الكمال: كمال الشيء حصول ما فيه الغرض منه، وقال الحراني: الكمال الانتهاء إلى غاية ليس وراءها مزيد من كل وجه، وقال جماعة: التمام الإتيان بما نقص من الناقص والكمال الزيادة على التمام. وقال العيني: إن بينهما فرقا ظاهرا ولم يفصح عن هذا الفرق ومقداره. وأما القول الأول وهو الترادف فبطلانه ناتج من عدم تحقق شرطه، وهو جواز استخدام أحدهما محل الأخرى، وهو الذي أشار إليه السيد الطباطبائي رحمته الله في تفسير الميزان الشريف فقال: (تم لفلان أمره وكمل عقله، ولا يقال تم عقله وكمل أمره).

إنتهى كلامه رحمته الله فلو كان لهما معنيان مترادفان لجاز استخدام أحدهما محل الأخرى وهناك شواهد أخرى كثيرة منها قول القائل بحق النجباء أن

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٩٨ باب نادر في جمع فضل الامام وصفاته عليه السلام.

فلان أكرمهم أباً وأكرمهم أمماً ولا يُقال أتمهم أباً وأتمهم أمماً، ويُقال الصلاة قصر أم تمام، ولا يُقال صلاة قصر أو كمال ومنها الآيات التي ذكرت النعمة فقد قرنتها بالتمام ولم يقرنها بالكمال وهذه الآية إحداهما، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تِمَّ نِعْمِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(١).

وقال: ﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٢). وقال: ﴿وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾^(٣). وغيرها فهذه الشواهد كلها تدل على عدم الترادف ولكن هذا الاختلاف في المعنى مطلقاً أم لا؟ والجواب بحسب إستقرائي في إستخدام هاتين الكلمتين وجدت مورداً واحداً فقط يعطي للكلمتين معنى مترادفاً وهو مورد الاقتران بالعدد فيقال أكملتُ صيام ثلاثين يوماً، أو أتممت صيام ثلاثين يوماً فالمعنى واحد، وهو استيفاء الصيام بالعدد المذكور، وبلوغ الصائم غايته باستيفاء هذا العدد، وأما سائر الموارد الأخرى فإنها تفيد إختلاف الكلمتين، والسؤال هنا ما هو مدى هذا الاختلاف؟ أقول أن المراد من الكمال هو صفة بلوغ الشيء الذي اقترن به إلى غايته ومراده مع حيثية القبول والرضى، وإذا جاءت بصيغة أكمل فإنها تدلُّ على الدفع وإذا جاءت بصيغة تكميل فإنها تدل على التدرج وكذلك في تم وتتميم.

أما التمام: فهو صفة استوفى بها الشيء الذي اقترن بها أجزاءه فلا يحتاج إلى جزء آخر يسدُّ نقصه، فهو استيفاء وبلوغ الغاية من حيث الأجزاء جمعاً ولا يعني بلوغ كل جزء غايته إفراداً، مع غض النظر عن القبول والرضا.

(١) سورة البقرة الآية ١٥٠.

(٢) سورة المائدة الآية ٦.

(٣) سورة الفتح الآية ٢.

قال تعالى: ﴿أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(١)، فهو أمر يُراعى فيه الاتيان بالصيام تدريجياً مع استيفاء أجزاء اليوم إلى الليل مع غض النظر عن حيثية القبول والرضا. فإتمام الصيام شيء وقبوله والرضا به شيء آخر، وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾^(٢)، وقال: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ نَا وَأَغْفِرْ لَنَا﴾^(٣)، وقال: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ﴾^(٤)، إلى غيرها من الأمثلة فليس كل تام مقبول ومرضي أما الكامل فهو مستبطن لحيثية القبول والرضا ويخرج عن هذه القاعدة حالة الترادف في إقتران الكمال أو التمام بالعدد لتفيد معنى استيفاء الأجزاء مع غض النظر عن القبول أو الرضا ما لم تُستتبع الجملة باحدهما فإن إستتبع اعطت معنى القبول والرضا أيضاً. فيقال: (أَتَمَّ الرضيع عشرَ رضعات كاملات) ومعناها أن الرضيع إستوفى العشر رضعات مع الاشباع المتحقق بالقبول والرضا، ويمكن أن يقال أيضاً (أكمل الرضيع عشر رضعات) أي استوفاهها بالعدد ومع إضافة (تامات) أعطت معنى القبول والرضا^(٥). ومما تقدم يتبين لك الاختلاف بين الكلمتين في أنه واقع في جهتين:

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

(٣) سورة التحريم الآية ٨.

(٤) سورة الاعراف الآية ١٤٢.

(٥) أخذت هذه الحيثية من إستقراء الحالات التي استعملت به هذه الكلمة في جميع الابواب عدا ما إستثنيناه مسبقاً، ومثالها قول رسول الله ﷺ: (ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الايمان... الخ). وقال: (من لم يأس على الماضي ولم يفرح بالآتي فقد إستكمل الزهد بطرفيه)، وقال: (كمال الصلاة بالنوافل) وقال الامام أمير المؤمنين ﷺ: (ثم ذكر أصحاب الميمنة وهم المؤمنون حقاً بأعيانهم، جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الايمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الارواح) ومعنى قوله ﷺ يستكمل الارواح: أي يطلب كمالها وتامها أو يتصف بها كامله حتى يقبل ويرضى.

الجهة الأولى: في المعنى فإن معنى الكمال هو وصول الشيء إلى استيفاء غرضه، والغاية منه بحيث لا يحتاج إلى شيء خارج عنه، فهو ناظرٌ إلى نفس الشيء.

وأما معنى التمام فهو وصول الشيء لغايته عن طريق استيفاء أجزاءه بحيث لا يحتاج إلى جزء آخر، فهو ناظرٌ إلى مجموع الأجزاء بما هو مجموع.

الوجه الثاني: أن الكمال يلازمها حيثية القبول والرضا، وأما التمام فهي ساكنة عن ذلك، وحينما تأتي كلمة كمل وتمّ على صيغة أفعل أي أكمل وأتم فإنها تدل على التحقق الدفعي وإذا جاءت على صيغة تكميل وتتميم فإنها تدل على التدريج.

وخلاصة الكلام في الصفة الثالثة: أن هذا الحكم يتحقق به كمال الدين ولكون الكمال جاء بصيغة أفعل التي تفيد الدفع لا التدريج فهذا الحكم ليس كالأحكام بل هو الدين الذي أوجبه الله تعالى على خلقه لتدين به العباد إليه ولذا علق الرسالة على التبليغ بحكم الولاية قال تعالى: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(١) وقال في هذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢) وجعل الله سبحانه وتعالى قبوله ورضاه بالولاية ولذا قال صادق العترة عليه السلام: (من لم يأت بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فسيان عند الله صلى أم زنا) وقال: (حبُّ علي بن أبي طالب حسنة لا تمحوها سيئة)، فيجب على المسلم أن يعتقد بدين الله وهو الشهادة بالولاية بأن علياً أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين بالحق حجج الله وكلُّ عمل مهما كَبُرَ أو صغُر إن لم يرافقه إعتقادٌ بالولاية فهو باطل جزماً، وقد عقد في الوسائل باباً في أن العبادة بدون ولاية الأئمة

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

والاعتقاد بإمامتهم باطلة، وقال السيد الخميني رحمته الله: (ولو أراد أحد أن يطوي هذا الطريق بقدوم أنانية نفسه من دون التمسك بولايتهم فسلكه إلى الشيطان والهاوية)^(١).

وهو غير ما قصده علمائنا الاعلام (رضوان الله تعالى عليهم) أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام في فتوى إستحباب الشهادة الثالثة المقدسة في الأذان والاقامة على ما هو مشهور عندهم وعدم الافتاء بالجزئية بحسب النظرة الفقهية التشريعية لا بالنظرة العقائدية فهذا السيد روح الله الموسوي الخميني (قدس الله روحه الزاكية) أفتى باستحباب الشهادة الثالثة المقدسة في الأذان والاقامة عملاً بالشهرة الفتوائية في رسالته العملية وأما في كتابه الاداب المعنوية للصلاة قال: «ويقول الكاتب: إن الشهادتين منظويتان جميعاً في الشهادة بالالوهية وفي الشهادة بالرسالة أيضاً الشهادتان الاخرتان منظويتان، كما أن في الشهادة بالولاية الشهادتان الاخرتان منظويتان والحمد لله أولاً وآخراً»^(٢). تم كلامه رحمته الله وقال المولى الشيخ أحمد النراقي رحمته الله: «أقول: أما القول بالتحريم مطلقاً فهو مما لا وجه له أصلاً والأصل ينفيه وعمومات الحث على الشهادة بها يرده... الى أن قال: ولو سلم تحقق الإعتقاد وحرمته فلا يوجب حرمة القول، ولا يكون ذلك القول تشريعاً وبدعة كما حققناه في موضعه»^(٣).

وقال المحقق المدقق السيد عبد الرزاق الموسوي المكرم رحمته الله: (ولكنه إرجاء هذا الحكم الإلهي إلى الوقت الذي يسع الخلفاء من أبنائه عليهم السلام على

(١) الاداب المعنوية للصلاة طبعة مؤسسة دار الكتاب الإسلامي قم إيران الفصل الرابع ص ٢٥٩ السطر ٧ و ٨.

(٢) الاداب المعنوية للصلاة تعريب السيد أحمد الفهري الدار الاسلاميه ص ٢٦٥ آخر الصفحة.

(٣) الشهادة الثالثة المقدسة ط قم ص ٣١٣ نقلاً عن مستند الشيعة ج ١ ص ٣١٤.

التظاهر به، غير أن التقية شددت وطأتها على تنفيذ هذا القانون، إلى أن إستنشق الشيعة روح الأمن، فجهروا بما دعاهم المولى عز شأنه من الولاية المكملة للشهادتين^(١).

قال الإمام الباقر عليه السلام: (ذكرنا من ذكر الله، وذكر عدونا من ذكر الشيطان).

وروى الصدوق قده بسنده عن أبي حمزة الثمالي عليه السلام قال: قال لنا علي ابن الحسين زين العابدين عليه السلام: (أي البقاع أفضل؟ فقلتُ الله ورسوله أعلم، فقال: إن أفضل البقاع ما بين الركن والمقام ولو أن رجلاً ما عمّر ما عمّر نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصوم النهار ويقوم الليل في ذلك الموضع ثم لقي الله بغير ولايتنا لم ينفعه ذلك شيئاً)^(٢).

وليس لي بسط الكلام في هذا البحث الشريف بهذه الرسالة.

الصفة الرابعة: إن هذا الحكم يحصلُ به تمام النعمة.

وقد مرَّ عليك معنى التمام من أنه صفة إستوفى بها الشيء الذي إقترن بها أجزاءه فلا يحتاج إلى جزء آخر يسدُّ نقصه، ونظراً لوجودها بصيغة (أتممت) التي تفيّد الدفع لا التدرّيج فهذا يعني أن النعمة الحاصلة من التبليغ بهذا الحكم تختلف عن كل النعم الالهية التي قال عنها عجلّ: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا»^(٣) فهذا الحكم هو النعمة التي تستوفي بها كل النعم الالهية ولا توجد نعمة بعدها تسدُّ نقصها بل النعم تفاض بها وهذا لا يتحقق إلا بنعمة الولاية فهي النعمة العظمى فمن كفرَ بها فقد كفرَ بجميع

(١) المصدر السابق ص ٣١٤ عن سير الايمان ص ٢٩.

(٢) عن كتاب الاداب المعنوية للصلاة ص ٢٦١.

(٣) سورة النحل الآية ١٨.

نعم الله.

هذا اعتقادي فالزموه تفلحوا

هذا طريقي فاسلكوه تهتدوا^(١)

الصفة الخامسة: إن هذا الحكم يتحقق به الاسلام ديناً فيقبله الله منهم به، ومن لم يقر بذلك فقد يسمى عند الناس مسلماً أما عند الله فلا، لأنه دين شَرَطَ الله قبوله بهذا الحكم فمن أخذ به فقد رضي الله له الاسلام ديناً ومن تركه فقد كفر ولا يكون هذا الحكم إلا أصلاً من أصول الدين مساوياً للتوحيد والنبوة في الأهمية وهو الولاية ولذا روي عن الامام الصادق عليه السلام عن عيد الغدير قال: (يوماً شيد به الاسلام فأظهر به منار الدين وجعله عيداً لنا ولموالينا وشيعتنا)^(٢). ومن هذا العرض يتبين لك أن صفات الحكم في آية الأمر هي نفس صفات الحكم في آية التبشير بالتبليغ فالحكم واحد، ولا ينطبق هذا الحكم إلا على أصل الامامة، وقد جاء في الحديث المتواتر شيعة وسنة قال عليه السلام: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). لنا بعد إستعراض الصفات السابقة وقفتان:

الوقفه الاولى: في معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣)

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(٤)، والوقفه الثانية في ردّ أباطيل أبناء العامة.

(١) سر الايمان ص ٣٢.

(٢) عن محمد بن علي الطرازي في كتابه بإسناده إلى عبد الله بن جعفر الحميري قال حدثنا هارون بن مسلم عن أبي الحسن الليثي عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام. رواه في إقبال الاعمال ص ٤٧٥.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) سورة البقرة الآية ١٥٠.

الوقفَةُ الأولى

على معنى قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١) وقوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾^(٢).

حمل معظم المفسرين شيعة وسنة معنى كلمة الناس في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٣) على الكفار والحقيقة أن كلمة الناس في هذه الآية لم يُرد منها إلا المسلمين فالخطاب متوجه إلى النبي عليه السلام ليلبغ الحكم إلى المسلمين في أخريات حياته الشريفة، وهذا ما دلت عليه الروايات المتواترة الشريفة، كما لا يمكن حمل خوف النبي عليه السلام على ما لا يليق بمقامه المعظم كأن يكون الخوف على حياته وقد نفى الله تعالى ذلك فقال: ﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(٤) الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا^(٥). فالانبياء لا يخشون أحداً إلا الله وهذه سنته فيهم، وهو القائل: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٦)، وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾^(٧)، ثم أي حياة يخاف عليها؟! وهو القائل عليه السلام: (إني أوشك أن أدعى فأجيب...)، بل أن خوفه كان على الرسالة في أن يجتمع السواد الاعظم من المسلمين على تكذيبه، وعدم قبول الحكم الصادر إليهم، فيتفرق قومه بوقیعة أهل النفاق والشقاق ويرجعوا جاهلية ويقولون حابي ابن عمه، وتحولت الرسالة إلى ملوكية، وكان النبي عليه السلام أعلم بأحوال الناس

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٠.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) سورة الأحزاب الآيات ٣٨-٣٩.

(٥) سورة فاطر الآية ٤٣.

(٦) سورة آل عمران الآية ١٧٥.

الذين اتبعوه، وكان غالبهم من ضعيفي الايمان وحديثي عهد بالاسلام، وقد ذكرت الروايات تكذيب بعض المسلمين للنبي ﷺ ومنهم الحارث بن النعمان الفهري بعد انتشار خبر تنصيب الامام علي عليه السلام في الافاق ووصوله الى مسامعه أتى إلى النبي ﷺ على ناقته وكان بالابطح فنزل وعقل ناقته، وقال للنبي ﷺ: وهو في ملاء من أصحابه يا محمد أمرتنا من الله أن نشهد أن لا إله إلا الله وانك رسول الله ﷺ فقبلنا منك ثم ذكر سائر أركان الاسلام مع قبولهم ثم قال: ثم لم ترض بهذا حتى مددت بضبعي ابن عمك وفضلته علينا. وقلت: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فهذا منك أم من الله؟ فقال ﷺ: والله الذي لا إله إلا هو هو أمر من الله. فولى الحارث وهو يقول: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم). فما وصل إلى راحلته حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره، وأنزل الله تعالى فيه: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾﴾. واعلم أن لفي تذييل الآية الكريمة أعني قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾﴾، بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾﴾، إشارة لطيفة لما تقدم وأن الذي لم يطع الله ورسوله في أمر تنصيب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إماما للمسلمين وخليفة لرسول رب العالمين فهو كافر وأن سنة الله في الذين كفروا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٤﴾﴾.

(١) سورة المعارج الآيات ١-٢. هذه الرواية نقلها صاحب تفسير المنار الثعلبي وقال بعده ما لفظه: (وهذه الرواية موضوعة) وقد ناقشه السيد الطباطبائي في الميزان على صحة هذه الرواية وذكر جميع الأدلة الدالة على ذلك في الجزء السادس.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) سورة المائدة الآية ٦٧.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾^(١).

فعندما قام النبي ﷺ بالتبليغ بالأمر الالهي في غدير خم أنزل عليه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾^(٢). فطلب الله ﻋَﻠَﻴْهِمُ من عباده الذين آمنوا بما أمر الله ﻋَﻠَﻴْهِمُ به في ولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ألا يخشوا بعد يومهم هذا على دينهم من الكفار ويقصد بـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من الآية الكريمة السابقة مطلق الكفار بما فيهم المسلم في الدنيا الكافر في الآخرة فهي بشارة بإنقطاع رجاء الكفار، من أن يردّوهم الى الجاهلية الأولى ماداموا متمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده ﻋَﻠَﻴْهِمُ، فإذا غيروا ما بأنفسهم بجحود نعمة الله العظمى التي منّ بها عليهم وأكمل بها دينهم، ورضي بها الاسلام ديناً لهم، فنقضوا ميثاقهم قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾^(٣). جزاء لمن كفر بنعمة الله، قال تعالى: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^(٤). وبتغيرهم ما بأنفسهم غير الله نعمته عليهم فأحالتها عليهم نقمة قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥). ويزدقهم لباس الخوف والجوع ونقص في النفس والشرات، والبشرى لمن آمن وصبر وصان نعمة الله عليه فقال: ﴿وَاخْشَوْنَ﴾ ولم يحذر الله نفسه إلا في باب الولاية فقال فيها مرة بعد أخرى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ

(١) سورة البقرة الآية ١٥٠.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) سورة المائدة الآية ١٣.

(٤) سورة النمل الآية ٤٠.

(٥) سورة الرعد الآية ١١.

اللَّهُ نَفْسَهُ»^(١). أي كونوا على حذر وحيطة من أمركم أن يزلكم الشيطان عما عقدتم عليه الايمان فتغيروا ما بأنفسكم فيبدل نعمته عليكم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

قال الإمام الصادق عليه السلام: (نحن والله نعمة الله التي أنعم بها على عباده وينا يفوز من فاز)^(٣).

وروى القمي قده في تفسيره: (واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به) قال لما أخذ رسول الله ﷺ الميثاق عليهم بالولاية قالوا سمعنا وأطعنا ثم نقضوا ميثاقه)^(٤).

وعنه رحمه الله: ﴿تُرَلُّسْتُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ أي عن الولاية والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾^(٥). قال عن الولاية)^(٦). وعنه أيضاً قال: (قال أبي عن الاصفهاني عن المنقري عن شريك عن جابر قال: قال رجل عند أبي جعفر: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ قال أما النعمة الظاهرة فهو النبي ﷺ وما جاء به من معرفة الله ﻋَظَمَ وتوحيده وأما النعمة الباطنة فولايته أهل البيت وعقد مودتنا فاعتقد والله قوم هذه النعمة الظاهرة والباطنة واعتقدها قوم ظاهرة ولم يعتقدوها باطنة فأنزل الله: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ

(١) سورة آل عمران الآيات ٢٨-٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١١.

(٣) بحار الأنوار ج ٩ ص ١١٢، ورواها القمي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ٢٦٦ ح ٤٦.

(٥) سورة الصافات الآية ٢٤.

(٦) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٥٢ ح ٦.

تَوَمَّنْ قُلُوبَهُمْ ﴿١١﴾ ففرح رسول الله ﷺ عند نزولها إذ لم يقبل الله تبارك وتعالى إيمانهم إلا بعقد ولايتنا ومحبتنا^(١).

الوقف الثانية: تحديد المراد من اليوم في الآية الكريمة:

إعلم أيها العزيز أن أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام قد إتفقت كلمتهم على أن المراد من اليوم هو يوم تنصيب الامام علي بن أبي طالب والائمة من بعده عليه السلام أئمة وسادة وقادة وقد أيد النزول في الإمام علي عليه السلام جملة من أبناء العامة لاعتمادهم على الدليل المتواتر شيعة وسنة على حديث الغدير الشريف، وأما المتبقي من أبناء العامة فقد اختلفت أقوالهم كعادتهم حينما يتعلق الامر بفضيلة من فضائلهم أو كرامة من كراماتهم تجدهم يبتدعون من زخرف أقوالهم ألف مبرر ومبرر من أجل الفرار من النصوص المتواترة بحقهم، أو على أقل التقادير العمل على التقليل من شأن تلك الفضائل عن طريق إحاطة الحق بجملة من الشبهات لا يهتدي فيها إلا من هداه الله، وإنك لتجدهم في باب آخر يكتفون برواية واحدة مقطوعة السند، ولا يكتفون بمائة رواية جاءت لتفسير آية واحدة لأنها في فضل العترة الطاهرة عليهم السلام. ويقول أبو زهره: «إن أبا حنيفة في ميوله وآرائه في حكام عصره أي أنه يرى الخلافة في أولاد علي من فاطمة... قال يوماً لأصحابه: أتعلمون لم يبغضنا أهل الشام؟ لأننا لو شهدنا عسكر علي بن أبي طالب ومعاوية لكننا مع علي عليه السلام.. أتدرون لم يبغضنا أهل الحديث لأننا نحب أهل البيت.. لأننا نثبت خلافة علي عليه السلام».

وهم لا يثبتونها ونحن نأخذ بإقرارهم ونضرب بعرض الحائط

(١) سورة المائدة الآية ٤١.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٥٢-ص ٥٣ ح ٧.

آرائهم ولناخذ الآن أقوالهم التي تبناها مشاهيرهم وزعمائهم لتدلنا على معتقداتهم:

قولهم الاول: إن المراد من ذلك اليوم هو يوم حجة الوداع في نزول بقايا المحرمات في سورة المائدة، وختمت الاحكام بها فهذه الآية كانت خاتمة لكل حلال وحرام في شرع الله، ومضى النبي ﷺ بعد تبليغه بهذه الآية بإحدى وثمانين ليلة واستدلوا عليه بوحدة السياق لا غير وقد اختاره الجبائي والبلخي ومن سار في ركابهما^(١)، علماً أن غالب مفسري أبناء العامة قد رفضوا هذا الرأي وأهم أسباب بطلانه كالاتي:

اولاً: أن المحرمات المذكورة في آية سورة المائدة ليست من المحرمات التي انفردت هذه الآية بذكرها، وقد بين ذلك جناب السيد الطباطبائي قدس سره في كتابه الميزان فقال قوله تعالى:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾^(٢).

هذه الأربعة المذكورة فيما نزل من القرآن قبل سورة المائدة كسورتي الانعام والنحل وهما مكيتان، وسورة البقرة وهي أول سورة مفصلة نزلت بالمدينة، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ

(١) كصاحب تفسير المنار في المجلد السادس ص ١٥٣ الذي فسرها بالمحرمات المذكورة واعتبرها من التدريج في أحكام الاسلام حتى لا ينفر الناس عن الاسلام للخرج المترتب عليها وهو يتكلم عن المسلمين والصحابة الاوائل الذين حاربوا بين يدي رسول الله ﷺ ونهضوا بالاسلام انهم يخشى عليهم من أربع محرّمات من خبائث الاطعمة التي تنفر الطباع منها.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

بِهِ فَمَنْ أَضْطَرََّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرََّ غَيْرَ بَاعٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٦﴾. والآيات جميعاً كما ترى هذه الأربعة المذكورة في صدر هذه الآية وتمائل الآية أيضاً من الاستثناء الواقع في ذيلها بقوله:

﴿فَمَنْ أَضْطَرََّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾﴾^(١)
 فآية المائة بالنسبة إلى هذه المعاني المشتركة بينها وبين تلك مؤكدة لتلك الآيات بل النهي عنها وخاصة عن الثلاثة الأولى أعني الميتة والدم ولحم الخنزير أسبقُ تشريعاً من نزول سورتي الأنعام والنحل المكييتين... الخ^(٢)».

ثانياً: لا يمكن استخدام وحدة السياق كدليل على وحدة الموضوع حتى يتحقق في الآية مجموعة من الشرائط يدل عليها وإلا كان الاستخدام عبثاً فيها كمورد الشاهد فاستخدام وحدة السياق فيها من العبث لانعدام وحدة اللحن والخطاب والموضوع مع عدم ترابط مقاطع هذه الآية بعضها مع بعض الآخر، فلو حذف المقطع المذكور بتمامه لما أخل بوحدة السياق، بل أن وجوده لا يشكل إلا جملة معترضة في الكلام قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ، وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِمَا لَا تَزْلَمُونَ ذَلِكُمْ فَسَقٌ فَمَنْ أَضْطَرََّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٧﴾﴾^(٣)، فهذه الآية وقد حُذِفَ منها المقطع المذكور فما

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٧٣.

(٣) سورة المائة الآية ٣.

(٤) تفسير الميزان ج ٥ ص ١٧٣.

(٥) سورة المائة الآية ٣.

هي إلا عبارة منتظمة ومستوسقة من دون أن يؤثر حذف المقطع على الآية لا في اللحن ولا في الموضوع ولا في الخطاب فأين وحدة السياق هذه التي يتحدث عنها القوم؟!!!

ثالثاً: إن معظم الروايات الواردة عن النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التي فسّرت هذا المقطع الشريف من الآية أخذته بمعزل عن تمام الآية في سبب النزول وقالت إنها في تنصيب الإمام علي عليه السلام.

رابعاً: إن تفسير اليوم المذكور بهذه المحرمات الأربع من الاطعمة تخالف جميع القرائن الداخلية التي ذكرناها في باب صفات الحكم المأمور به النبي صلى الله عليه وآله للتبليغ به.

خامساً: إن هذه المحرمات لا تمثل آخر تشريع صدّر عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله كما يزعمون بل جاء عندهم ويكتبهم المعتمده نزول محرمات بعدها كما في آية الصيف، وآيات الربا حتى جاء عندهم أن عمر قال في خطبة خطبها «من آخر القرآن نزولاً آيات الربا: أو أنه مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يبينه لنا، فدعوا ما يريبيكم الى ما لا يُريبيكم» وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال «آخر آية نزلت على النبي صلى الله عليه وآله آية الربا»^(١).

هذه الاسباب الخمسة هي مجمل مبطلات الرأي الاول قد تمت بحمده تعالى.

القول الثاني: إنه يوم فتح مكة حيث كُسرَت شوكة مشركي قريش فينسوا من هذا الدين وتحطمت أصنامهم فانقطع رجاؤهم، ويتبين بطلان أصحاب هذا الرأي في وجوه أهمها:

أولاً: إن فتح مكة كان في السنة الثامنة للهجرة، وما عليه جمع المفسرين والمؤرخين ورواة الأحاديث أن نزول هذه الآية وبالذات هذا المقطع الشريف المعترض في الآية الكريمة كان في السنة الأخيرة من حياة النبي صلى الله عليه وآله أي في السنة العاشرة من الهجرة.

ثانياً: إن من المسلم به أيضاً أن فتح مكة ليس بآخر تشريع، بل أن هناك الكثير من الأحكام التي صدرت بعد فتح مكة.

ثالثاً: إن فتح مكة لم يسبب انكسار شوكة جميع الكفار، بل سبب إنكسار شوكة كفار قريش فقط، ومراد ظاهر الآية الأولى لا الثاني ولا دليل على التقييد.

رابعاً: «بقاء العهود والمواثيق التي قد أبرمها المشركون مع المسلمين معتبرة إلى ما بعد فتح مكة، وقد كان المشركون يحجون حج الجاهلية والنساء عاريات مكشوفات العورة إلى ما بعد فتح مكة حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام علي عليه السلام للتبليغ بسورة براءة، وتحريم دخول مكة عليهم»^(١).

خامساً: لو كان تمام الدين يتحقق بواحدة من الفتوحات أو بغزوة من الغزوات الثماني عشرة التي غزاها النبي صلى الله عليه وآله لكان فتح مكة آخرها ولتحقق كمال الدين وتمام النعمة وإنقطاع طمع الكافرين ورضا الرب الجليل الإسلام ديناً لعباده المسلمين، ولما اضطروا المسلمون لفتح جديد أو تبشيرهم بغلبة الروم، ودك حصون فارس، وقد مرَّ عليك أن معنى الكمال والتمام بعدم إتيان الزيادة ولو سعى المسلمون لطلب الزيادة بعدها لكان فضولاً ودليلاً على عدم القناعة والانصياع لامره جلَّ وعلا التي قسمها لعباده، فلا يصحُّ لنا أن نقول إلا أنه حكمٌ لا كالأحكام وفتح لا كباقي الفتوحات بل إنه حكم

وفتح يحصل به ومنه المزيد وهو فتحُ غدير خم لتنصيب المولى علي بن أبي طالب عليه السلام وهو المتواتر سنة وشيعة والذي رواه جمع غفير من الصحابة، ومن قال غير هذا فليسأل أمه عن أبيه.

أبا حسن

أبا حسن سيدي أنت أنت

صراط المهيمن ما أنصفوكا

وأنت جعلت قريشاً عبيداً

ولولا حسامك كانوا ملوكا

وأنت المقدمُ في النائبات

وعند الخلافة لم أخروكا

ولكنهم أخروا حظهم ولو

قدموا حظهم قدموكا^(١)

ثم بحمده تعالى إجمال مبطلات القول الثاني.

القول الثالث: إنه يوم نزول سورة براءة، والتي كان في السنة التاسعة من الهجرة حيث إنبسط الاسلام على جزيرة العرب وعفت آثار الشرك، وماتت سنن الجاهلية. والكلام في بطلان هذا الكلام هناك.

القول الرابع: إنه يوم عرفة من حجة الوداع وهو يوم التاسع من ذي الحجة سنة عشرة من الهجرة المباركة، وبه قد وردت بعضُ الروايات فقليل فيه أن المراد إكمال فريضة الحج بحضور النبي ﷺ بنفسه وتعليم الناس مناسك الحج لا بالقول فقط بل بالفعل أيضاً^(٢).

(١) كتاب الكشكول للشيخ يوسف البحراني رحمته الله ج ٣ ص ١٨٧ (ط قم).

(٢) ذهب إليه مجاهد، وابن جريح، وابن زيد، وقال الحاكم وسعيد بن جبير وقتاده معناه أكملت حججكم وأفردتكم بالبلد الحرام تحجون دون المشركين، ولا يخالطكم مشرك وهو

وَيُرَدُّ عَلَيْهِ بِعِبَارَةٍ مَخْتَصِرَةٍ أَنْ مَنْسَكَ الْحَجَّ لَا يَحْقُقُ صِفَاتِ الْحَكْمِ الْمَأْمُورِ بِهِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْتَفَادِ مِنْ نَفْسِ الْآيَتَيْنِ الشَّرِيفَتَيْنِ فَلَا يَسْتَلْزَمُ مِنْهُ انْقِطَاعُ طَمَعِ الطَّامِعِينَ وَيَأْسُ الْكَافِرِينَ مِنْ تَغْيِيرِ هَذَا الدِّينِ الْحَنِيفِ، وَبِالذَّاتِ فَرِيضَةُ الْحَجِّ لَمَّا حَوَتْ هَذِهِ الْفَرِيضَةُ مِنْ أَعْمَالِ تَعْبُدِيهِ تَحْمَلُ عَقُولَ غَالِبِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ فَهْمِ مَغْزَاهَا وَهِيَ لَيْسَتْ كَالصَّلَاةِ فِي تَوْقُفِ بَاقِيِ أَعْمَالِ فُرُوعِ الدِّينِ عَلَيْهَا كَمَا أَنَّ وَجُوبَهَا لَيْسَ دَائِمًا لِارْتِبَاظِهِ بِالِاسْتِطَاعَةِ وَلَوْ كَانَ الْحَجُّ بِهَذَا الْمَسْتَوَى مِنَ الْإِهْمِيَّةِ وَكَوْنِهِ حَافِظًا لِلدِّينِ لَكَانَ حَافِظًا لِنَفْسِهِ أَوْلَى وَقَدْ شَهِدَ مَوْلَاهُمْ عَمْرٌ فِي زَمَنِ خِلَافَتِهِ عَلَيَّ أَنَّهُ قَدْ هَدَّ رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِهِ، وَهُوَ حَجُّ التَّمَتُّعِ فَلَمْ يَلْبِثْ دُونَ أَنْ صَارَ أَمْرُ اللَّهِ مَهْجُورًا، وَالْقَائِمُ بِهِ مَلْعُونًا، وَالْعِقَابُ عَلَيْهِ سَنَةُ الْمَأْبُونِ فَلَوْ كَانَ هَذَا الْفَرِيضُ يُقُومُ بِهِ فَرَعٌ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ لَمَّا كَانَ الْحَجُّ بِأَوْلَى مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِأَوْلَى مِنْ فَرَضِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي تَقُومُ بِهِ السُّنَنُ لِتَحْقِيقِ الْغَرَضِ الْمَذْكُورِ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ. فَأَيُّ فَرَعٍ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ بَلَغَ مَا بَلَغَ لَا يَنْهَضُ بِتَحْقِيقِ صِفَاتِ الْحَكْمِ الْمَأْمُورِ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَارَةَ بِالذِّكْرِ عَلَيْكَ.

وَمِنْ مَحَاكِمَةِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ تَرَى أَنَّ الْأَعْمَ الْأَغْلَبَ مِنْهُمْ أَقْرَأُ ضَمْنًا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ يَبِيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا نَخْشَوْهُمْ وَأَخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١) هِيَ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مَعْتَرِضَةٌ لَا عِلَاقَةَ لَهَا بِالْمَحْرَمَاتِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ الْمَشْهُورُ، وَفِي قِبَالِ الْمَشْهُورِ، النَّادِرُ الَّذِي لَا قِيَمَةَ لَهُ، وَيُؤَيِّدُ الْمَشْهُورَ تَوَاتُرُ الْعَدَدِ الضَّخْمِ مِنَ الرِّوَايَاتِ الْمَتَّفِقِ عَلَيْهَا سَنَةً وَشِيعَةً، وَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ فَلِمَاذَا وَضَعَ هَذَا الْمَقْطَعُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ بِالذَّاتِ؟ وَلِلْإِجَابَةِ عَلَيَّ هَذَا السُّؤَالِ

الَّذِي اخْتَارَهُ الطَّبْرِيُّ ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلَهُ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلْبَةِ﴾ التِّيَابَانِ ج ٣ ص ٤٢٨.

(١) سُورَةُ النُّجُومِ الْآيَاتِ ٣-٤.

هناك ثلاث نظريات أو احتمالات لا يخلو الواقع عن أحدها:

النظرية الأولى: تقول إن الذين جمعوا القرآن الكريم هم الذين قاموا بذلك لكي يضيع الحق على طالبيه، وهو رأي مرفوض وغير منطقي فالذي قام بتغيير موقع هذه الآية ووضعها في هذا المحل تخلصاً من معناها كان أقدر على حذفها أو جعلها آية تتخلل آيات أخرى ذات موضوع واحد ولحن واحد، ليكون احتمال تضييع المعنى أكبر. أما جعلها مقطعاً معترضاً في وسط هذه الآية، ينطوي على حكمة عظيمة، ومنافع جليلة فقد شكل هذا الوضع جزءاً من إعجاز القرآن الكريم.

النظرية الثانية: تقول إن تركيب الآيات هذا هو تركيب رباني أوحى الله ﷻ به إلى النبي المصطفى ﷺ ليكون بهذه الصورة وهو جزء من التدبير الالهي والحكمة الالهية وهو قول منطقي وتأييده الروايات الشريفة.

النظرية الثالثة: تقول إن النبي المصطفى ﷺ هو الذي رتبها بهذا الترتيب من عند نفسه، فلقد نقلت لنا الروايات أن النبي ﷺ هو الذي كان يقول ضعوا هذه الآية المدنية في وسط آيات مكية، أو آيات مكية في وسط سورة مدنية، ويردُّ على أصحاب هذه النظرية أن الروايات التي نقلت لنا أمر النبي ﷺ بهذا الترتيب كان مجرداً من دون أن تشير إلى أن هذا الوضع من عند رسول الله ﷺ أو من الله جلُّ وعلا ولو قمنا بعرض هذه الفكرة على القرآن الكريم لحكم فيها قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾^(١)، وقال: ﴿ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقْوَابِلِ (١١) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴾^(٢)، أفلا يعدُّ التغيير في ترتيب الآيات تقولاً على الله؟! كيف لا يعدُّ تقول فيما يتوقف عليه صلاح الأمة وسؤددِها ويتوقف

(١) سورة النجم الآيات ٣ و٤.

(٢) سورة الحاقة الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦.

عليه دوام الدين.

فلا بد أذن أن يكون هذا الترتيب بالأمر الإلهي ، ولكن يبقى السؤال قائماً لماذا هذا الترتيب؟ إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد وَعَدَ بحفظ القرآن الكريم من التحريف ، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١) ، وهذا الحفظ وإن كان قد ينطوي على جنبه تكوينية من عند الله عَزَّ وَجَلَّ ، ولكن لا يعني ذلك عدم وجود آلية ونظام دقيق في نفس القرآن الكريم يمنع من التحريف مع ملازمة القرين الحافظ للقرآن الكريم الذي يتولاه ويتعاهده على كر الليالي والأيام ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وهم العترة الطاهرة عليهم السلام ، وواحدة من أساليب حفظ القرآن هو ذلك النظم الدقيق في ترتيب آيات كتاب الله المجيد ، وجعل الباري عَزَّ وَجَلَّ الآيات التي يتوقف عليها الدين ، والتي قد تتعارض مع أهواء الطامعين والمنافقين في خزائن آيات القرآن الكريم لحفظها من السرقة أو التغيير بفعل الحاسدين والحاquدين وتوالي الساسة الملاعين الذين قتلوا العترة الطاهرة واحداً بعد واحد وصالحاً بعد صالح ، فلو وضعت هذه الآيات منفردة أو مجموعة في سورة واحدة لحذفوها من القرآن الكريم وجريمة الحذف لا تحتاج إلى جرأة تزيد على جرأة جريمة قتل العترة الطاهرة عليهم السلام ، وسبي ذراري رسول الله صلى الله عليه وآله . والتأريخ الأسود لبني أمية وحكومات بني العباس والحكومات الظالمة التي توالى بعدها (عليهم لعائن الله جميعاً) ، والذي قد كتب بدماء الشهداء الأطهار عليهم السلام تؤيد ذلك وقد نقل لنا التأريخ صوراً يشيب لها الطفل الصغير ووقائع قد إهتز لها العرش والكرسي وبكت عليها الوحوش والسباع في البراري ، والحيتان في أعماق البحار والطيور في الهواء ، وكل شجر وحجر ومدبر ، وكادت السماء أن تنطبق على الأرض من شدة هولها فكسرت أضلاع سيدة النساء فاطمة

الزهراء (عليها السلام) ولطمها على خدها حتى إنفطر قرطُ أذنها وعصرها ما بين الباب والجدار حتى ثبت المسمارُ في صدرها وانكسر ضلعين من أضلاعها، واسقط جنينها ثم لفحها اللعين بسوطه حتى اسودَّ عضدها وكأنه الدمليج المحترق. فقد إمتدت مصائب آل البيت عليهم السلام من ساعة احتضار النبي صلى الله عليه وآله وإلى يومنا هذا وجاءت مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لتكون تاج المصائب وعلماً يرفعه آل البيت عليهم السلام وشيعتهم يهزُّ رايات الظلم والضلال في كل العالم. فما جرى من ظلم وتعدي في تلك الواقعة الأليمة حطمت كل النواميس فصورة واقعة كربلاء فاقت التصور وذهلت لوقعتها العقول، تنسي الأم الثاكل ثكلها وصارَ اسمها مضرِباً للأمثال وتقرحت لذكراه عيون آل البيت عليهم السلام حتى بكوا بدل الدموع دماً.

(فعلى الأطائب من أهل بيت محمد وعلي صلى الله عليهما وآلهما فليبكِ الباكون وإياهم فليتنذبِ النادبون ولمثلهم فلتندرفِ الدموع وليصرخ الصارخون ويضج الضاجون ويعجَّ العاجون أين الحسن أين الحسين أين أبناء الحسين صالح بعد صالح وصادق بعد صادق...) (١). ولما سكتت غالب هذه الأمة على هذه الجريمة والجريرة العظيمة كان سيسكتُ غالبهم أيضاً فيما لو حذف مقطع من آية من القرآن الكريم، وخصوصاً مع انخفاض عدد الحفاظ لتلاوة القرآن الكريم وتوالي الحكومات الظالمة وأصحاب النفوس الضعيفة والحاسدين والحاقدين ووعاظ السلاطين، كان لا بد من وجود نظم دقيق لنفس آيات القرآن الكريم ولتمام كلماته وحروفه، بل حتى الشدة والفتحة والضمة والسكون ولجميع الحركات الإعرابية والوصل والقطع ونحوها من أمور، جعلت القرآن الكريم محفوظاً في كل نواحيه، وكان على القراء والحفاظ للقرآن الكريم مراعات دقائق الأمور في القراءة فكان لوجود

(١) فقره من دعاء الندبه الشريف نقلاً عن مفاتيح الجنان ص ٥٣٥ ط بيروت لبنان.

آية ذات لحن مختلف وموضوع مختلف، وخطاب مختلف، وأهمية بالغة تتوقف عليها عاقبة الانسان في آيات أخرى تتحدث عن مسائل عادية في الإطار العام للمسلمين تكون جالبة للانتباه ولا تغيب عن الأذهان، وشمساً مضيئة في سماء القرآن الكريم لا يستطيع أحد تغييبها بل أن وجودها في هذا المحل العجيب يسترعي انتباه اللبيب فتجعله للمعنى طالب، وفي أسباب النزول راغب، فهذا اللون من التركيب هو جزء من إعجاز القرآن الكريم، ولولا ذلك لألفيت لكل جماعة قرآنها، واعلم أن هذا الوضع جزء من سنة الإفتتان. قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾^(١)، وختاماً لهذا البحث أقول بعونه تعالى ومنته.

بعد أن أحطنا علماً بصفات الحكم المأمور به من خلال نفس الآيتين الكريمتين وجدنا بأن هذه الصفات لا يمكن أن تنطبق إلا على أصل الإمامة وهذا هو الذي قد وافق آيات كتاب الله الكريم والتي منها آية التطهير، وآية الولاية، وآية أولي الأمر، وآية المباهلة المارة بالذكر عليك، وكما وافق أيضاً الأحاديث النبوية الشريفة المتواترة والمتفق عليها سنة وشيعة كما سيتضح ذلك أكثر في البحث الروائي لحديث الغدير الشريف، وقد ثبت من هذه الصفات أيضاً بطلان الآراء التي تبنتها جماعات من أبناء العامة والتي إعتمدوا فيها على استحساناتهم الباطلة ومزاجاتهم السقيمة، وبالنهاية لا يحق إلا الحق، ولا حق إلا مع النبي المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهو الذي نادى به الكتاب الكريم وَصَدَّعَ بِهِ النَّبِيُّ الْأَمِينَ عليه السلام، وهذا ما اتفقت عليه كلمة مدرسة آل البيت عليهم السلام في أن أصل الإمامة على حد أصل التوحيد وأصل النبوة وأصل المعاد وأصل العدل والتي تعرف

بأصول الدين. نعم قد وقع الاختلاف بين علمائنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) في أصل الإمامة في كونه أصلاً من أصول الدين، أم هو أصلاً من أصول المذهب؟ والفارق بينهما كبير فإن عُدَّ أصلاً من أصول الدين كان المنكرُ له على حد إنكار التوحيد والنبوة والمعاد والعدل ويحكم على منكره بالكفر وهذا يعني الحكم على باقي المسلمين غير الشيعة وكل من لا يعتقد بالإمامة بالكفر وفراراً من هذه النتيجة اعتبر جمعٌ من علمائنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) أصل الإمامة أصل من أصول المذهب وليس من أصول الدين، وأنت تلاحظ أن الاختلاف في الآثار الفقهية وليس الاختلاف في الدليل هي التي جعلت أصل الإمامة في نظرهم من أصول المذهب لا الدين فإن المنكر لأصل من أصول المذهب لا يحكم عليه بالكفر إلا لمن كان من نفس المذهب، وهذا الرأي غريب واقعاً لأن من المسلم به والذي قام عليه الدليل أن المباني العقائدية هي التي تؤثر على المباني الفقهية لا العكس ولكن لهم العذر في ذلك لقيام الأدلة القطعية عندنا على عدم الحكم بالكفر على من أسلم ولم يقر بالولاية، في حين أن الأدلة القطعية عند الجميع قد قامت على الحكم بالكفر لمن أنكر التوحيد والنبوة والمعاد واختلاف الآثار الفقهية جعلتهم يتبنون فكرة أصول المذهب!!!

ولرفع هذا الاشكال نقول: هل أن الأدلة القطعية هذه التي تحكم بعدم كفر من لم يؤمن بالإمامة جاءت لتنصب في مجرى واحد؟ أم أن هناك إتجاهات أخرى لهذه الأدلة القطعية؟!

فمن الواضح جداً ومن خلال نفس الآيات المتقدمة عليك وغيرها الكثير مضافاً إلى الروايات المتواترة والكثيرة جداً عند الشيعة على أن أصل الإمامة على حد باقي أصول الدين بلا فرق وأن المنكر له على حد إنكار أصل التوحيد والنبوة والمعاد، فالكافر بالولاية كفره محبط لجميع أعماله مهما

بلغت وقد مرَّ عليك ذلك، وحينما تطلع على الروايات التي جاءت تنصُّ على كفر منكر الإمامة، فمعظمها يشير إلى أن هذا الحكم وهو الكفر يكون مطلقاً يوم القيامة على من أنكر ولاية الأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على حدِّ إنكار أصل التوحيد والنبوة ولذا قد تقرأ في كلمات بعض علمائنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) وبالذات المحققين منهم مصطلح (المسلم الكافر) وهو المسلم في الدنيا والكافر في الآخرة وبقول آخر هو الذي يُحكم بحكم المسلمين في الدنيا ويحكم بحكم الكفار بالآخرة وهو حكم من أنكر أصل الإمامة أو العدل من المسلمين.

وخلاصة الكلام: أن حكم العلماء الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) على منكر الولاية بالكفر مطلقاً أو مختصاً بالمنكر من أهل نفس المذهب ناتج عن إختلاف مراتب إطلاعهم ووقوفهم على الروايات الدالة عليها وهي على ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: وهي الروايات التي استفادوا منها الحكم على منكر الإمامة بالإسلام في حدود عالم الدنيا من دون النظر إلى حكم الآخرة، ومنها قول رسول الله ﷺ: (من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله كان له ما للمسلمين وعليه ما عليهم).

فقد فهموا من هذا النمط من الروايات الشريفة أن الإنسان يحكم بالإسلام من خلال الإقرار بالشهادتين أي شهادة التوحيد وشهادة الإقرار بالنبوة، وعدم ذكر الإقرار بشهادة الأئمة الأطهار عليهم السلام اعتبروه دليلاً على عدم توقف الحكم بالإسلام عليه فلذا اعتبروا الإقرار بشهادة التوحيد وشهادة النبوة من أصول الدين والإقرار بالإمامة من أصول المذهب أما لماذا اعتبروها من أصول المذهب؟ فهذا ما سيتضح لك في البحوث التالية وقد إتجه أصحاب هذه النظرة إلى تبني مقولة ترتب الثواب على أعمال مطلق المسلمين، وإن لم

يقروا بأصلي الإمامة والعدل.

المرتبة الثانية: وهي الروايات التي ميّزت ما بين الإسلام والإيمان كقولهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين): (الإسلام ما يُحقن به الدم، وتؤدي به الأمانة وتستحل به الفروج، والثواب على الإيمان)^(١)، وهو موافق لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾^(٢)، ومثله ما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام: (الإيمان ما وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَالْإِسْلَامُ مَا عَلَيْهِ الْمَنَاحِحُ وَالْمَوَارِيثُ، وَحَقَنَ الدَّمَاءُ)^(٣). فإن الإسلام الإصطلاحي والذي هو مبين في هذا اللون من الروايات تترتب عليه آثار فقهية بحدود عالم الدنيا ولا تمتد منفعتها الى عالم الآخرة للثواب عليها. فقال عليه السلام: (الإسلام ما يحقن به الدم وتؤدي به الأمانة وتُستحلُّ به الفروج)، فهذه الثلاثة آثار فقهية بحدود عالم الدنيا ولا يمتد أثرها إلى عالم الآخرة، إلا إذا صار المسلم مؤمناً أي موالياً للأئمة الاطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام) فلذا قال عليه السلام: (والثواب على الإيمان).

وروى القمي رحمته الله في تفسيره عن محمد بن جعفر عن يحيى ابن زكريا عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام: في قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) قال: (هي للمسلمين عامة والحسنة الولاية فمن عمل من حسنة كتبت له عشرًا فإن لم يكن ولاية دفع عنه بما عمل من حسنته في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق)^(٤).

(١) الكافي ج ٢ ص ٢٥ ح ٥ عن احمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن حكيم بن أيمن عن

قاسم بن شريك المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام.

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤.

(٣) الكافي الشريف ج ٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٦٨ باب أنه لا تقبل الاعمال إلا بالولاية.

وعن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن أبي يحيى الواسطي عن هشام بن سالم ودرست بن أبي منصور عنه قال قال أبو عبد الله عليه السلام: (إن الإسلام قبل الإيمان وعليه يتوارثون ويتناكحون والإيمان عليه يثابون)^(١).

فهذا اللون من الروايات الشريفة قد ميزت الإسلام عن الإيمان وبينت الفرق بينهما فللإسلام منافع دنيوية متمثلة بآثاره الفقهية المحصورة بحدود عالم الدنيا وعدم ترتب الثواب عليها في الآخرة، أما الإيمان فإنه نعمة دنيوية مرتبطة بنعيم الآخرة لقيام الثواب عليه، وقد صرّحت آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة بضلال من لم يؤمن بأصل الإمامة، وأن مصيره النار.

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سفيان بن السمط قال: (سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما فلم يجبه ثم التقيا في الطريق وقد أزيّف من الرجل الرحيل فقال له أبو عبد الله عليه السلام كأنه قد أزيّف منك رحيلٌ فقال: نعم. فقال: فلاقيني في البيت، فلقية فسأله عن الإسلام والإيمان ما الفرق بينهما، فقال الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام، وقال الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقرّ بها ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان ضالاً)^(٢). وأنت كل يوم في جميع الصلوات تقول: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣).

عن شيخنا المفيد رحمته الله قال: (حدثنا أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين قال حدثني أبي قال حدثنا سعد بن عبد الله عن محمد بن الحسين بن أبي

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٣ باب الإضطرار للحجة عليه السلام.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٢٤ ص ٢٥ ح ٤.

(٣) سورة الفاتحة الآية ٧.

الخطاب عن محمد بن سنان عن المفضل بن عمر الجعفي عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام يا علي أنا وأنت وإبنك الحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين أركان الدين ودعائم الإسلام من تبعنا نجا ومن تخلف عنا فإلى النار^(١).

أما المرتبة الثالثة من الروايات الشريفة: فهي ليست كالروايات في المرتبة الأولى المجملة، وكذلك ليست كروايات المرتبة الثانية التي هي مفصلة من جهة وعامة من جهة أخرى، بل إنها مفصلة ومقيدة لذلك العموم، وهي روايات كثيرة تخصصها بالذكر كتب الغيبة الشريفة والتي مضمونها قائم على تقيد العموم هناك، فإن الآثار الفقهية المترتبة على الإسلام والمحدودة بالعالم الدنيوي ليس حكمها حكماً دائماً، بل إنما هو حكم اضطراري فرضته ظروف التقية الممتدة من زمن الأئمة الأطهار عليهم السلام وإلى زمان ظهور إمامنا الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام حيث ترتفع التقية، ويذهب الإضطرار بلا رجعة فلا يُقبل لأهل الأرض ديناً إلا بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله وشهادة أن علياً أمير المؤمنين وأبناء المعصومين بالحق حجج الله، ومن قال غير هذا فقد كفر وضربُ السيفُ حده.

ومن تعدد المراتب، وإختلاف مستوى الناظر إنقسم قول الطائفة الواحدة الى قولين فالذي نظر إلى الروايات المجملة والعامة وهي كثيرة من غير أن يقف على باقي التفاصيل إختار مقولة أن الإمامة أصل من أصول المذهب وبعض أصحاب هذه المقولة ماقدروا الإمامة حق قدرها بل بخسوها حقها لعدم وقوفهم على الحد الأدنى من الروايات التي هي في المرتبة الثانية. لذا حكموا بإمتداد الآثار الفقهية إلى العالم الأخرى وترتيب الثواب على من

(١) الأمالي للشيخ المفيد رحمته الله ص ٢١٧ ح ٤.

أحسن رغم عدم إقراره بالإمامة، ولو وقفوا على معنى الروايات في المرتبة الثانية على الأقل والنبي ﷺ يعيد مراراً وتكراراً (والثواب على الإيمان) لما وصلوا إلى هذه النتائج التي لا تليق بمقام الموالي، ولو ناقشوا الروايات المجملة والعامّة في المرتبة الأولى، وأعطوها حقها من البحث والتنقيب لما كانت هذه النتائج، ولكن كثرة المشاغل والاختلاط بأصحاب المذاهب الأخرى تحت عنوان التقارب والوحدة ورص الصفوف تُضَيِّعُ على السالك سبيله، والمرونة في العقائد تورّد المهالك^(١) فحجتهم عدم ذكر أصل الإمامة مع أصل التوحيد والنبوة اللذين ذكرا في الروايات حداً للإسلام على كونه أصلاً من أصول المذهب لا الدين ونحن نقول لهم ها هو أصل المعاد لم يذكر في هذه الروايات ومع ذلك جعلتموه أصلاً من أصول الدين وقد اتفقت كلمة المسلمين على أن منكر المعاد كافر. ثم إن هذه الروايات المجملة ما تحدثت عن مقام الآخرة، وترتب الثواب على الأعمال بل تحدثت عن الآثار الفقهية المترتبة على الإسلام في عالم الدنيا فقط وبحدود قوله ﷺ: له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين فمن أين أخذتم معنى الإثابة الأخروية لمن لم يأت بالولاية مع توقف قبول الإسلام عليها كما دلت عليه آيات كتاب الله الكريم.

ثم ألم يكن تبليغ النبي ﷺ بمنصب الإمامة أمام الملأ في أخريات حياته الشريفة كافياً؟! وهذا يعني إندرج معظم هذه الأحاديث المجملة إن لم نقل كلها في باب تهيئة الناس وإعدادهم لإستقبال أصول الدين فهو من باب تدرج النبي ﷺ بالخطاب حتى بلغ حكم أصول الدين تمامه وكمالها

(١) وهذا لا يعني أني أقف في وجه الوحدة ولكن الوحدة السياسية هي المقصودة وليست الوحدة العقائدية مع المذاهب الأخرى أو الوحدة التي أطلقت في أيامنا هذه مع عدم ذكر مضامينها أو حدودها مع الطوائف الأخرى والتي أحدثت ضياعاً في عقائد الناس وحطمت أديانهم.

بإنزال حكم الإمامة حداً ينطبق على حد التوحيد والنبوة والمعاد بالأمر الإلهي الواضح في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وهذا هو القدر المتيقن من إجمال هذه الروايات وإن ما ذكره الأصحاب لا تحتمل هذه الروايات معناه، ومن خلال هذا المبنى الركيك الذي تبنته جماعة من الأصحاب خرج البعض في إسفافه ممن سمته العوام عالماً وهم أشباه بعض المستشرقين إلى القول بأن أصول الدين ما قام عليه الدليل القطعي، وأصول المذهب هو ما كان دليلاً نظرياً يجوز الإجتهد فيه وهو كلام أبعد ما يكون عن الحق، فإن الأصول جميعاً ثبتت بدرجة واحدة من اليقين والقطع، فالأصل لا يكون أصلاً، والضرورة لا تكون ضرورة حتى تثبت بالأدلة القطعية، نعم قد تكون الأصول مختلفة في درجة البحث والتنقيب، وتوارد الأدلة عليها سعةً وضيقاً تبعاً للمباحث الموجودة في كل أصل كما أن لكل أصل له ضرورياته الخاصة به، والشيء المسلم به أن أصول ديننا وضرورياته قامت بالأدلة القطعية التي لا يشوبها أدنى شك أو ريب، وقد تتوافر أدلة عقلية كثيرة لتجتمع مع أدلة نقلية كثيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة لا يسع للباحث حصرها، أو عدها، كما هو الحال في أصل الإمامة بدرجة لا نظير لها في جميع المباحث العقلية والنقلية، حتى وَرَدَ بحقها الكلمة المعروفة (مانودي على شيء كما نودي على الإمامة) التي لم ترد إعتباطاً، بل قامت على يقين ثابت بهذا الأصل المقدس الذي لا يستقيم الدين وشريعة سيد المرسلين وإنقطاع طمع الكافرين وتمام النعمة على الخلق أجمعين إلا به، فمن فَرَطَ بهذا الأصل المقدس

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

فقد فرط بتمام الدين وذلك الخسران المبين.

وأما الجماعة الثانية من الأعلام (رضوان الله عليهم) التي نظرت إلى الروايات في الرتبة الأولى والثانية فوجدت أن الطائفة الأولى من الروايات المجملة والعامّة تحكم على من نطق بالشهادتين فقط بالاسلام، والروايات في الرتبة الثانية المفصلة والعامّة تحكم على من نطق بالشهادتين فقط بحكم الاسلام في الدنيا، وأما في الآخرة فلا يقبل الله منهم عدلاً ولا صَرفاً إلا بولاية الأئمة الاطهار عليهم السلام، وبذلك جعلت الاصول المتفق عليها المذاهب الاسلامية أصولاً للدين وهي أصل التوحيد وأصل النبوة وأصل المعاد، وأما أصل الامامة والعدل جعلتهما أصولاً للمذهب، وهذا التقسيم فضلاً عن إنه لم يوجد دليل يدل عليه بل قد قام الدليل القطعي على خلافه وعلى أن دين الله واحد وشريعته واحدة وهو ما ذكره القرآن الكريم وصدّع به النبي الامين صلى الله عليه وآله، وهو دين آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ومن اتخذ غيره ديناً فقد كفر، وإن جعل المتفق عليه أصلاً للدين والمختلف فيه أصلاً للمذهب تضييعاً للدين وجعله مذهباً في قبال ما ابتدعه القوم واتخذوه ديناً، ثم من قال إننا نختلف في أصل الإمامة والعدل فقط؟! بل إننا نختلف حتى في أصل التوحيد والنبوة!! ومن قال إنه لا يوجد إتفاق على الإمامة؟! فالامامة تتفق عليها جميع المذاهب الاسلامية، ولكنها تختلف بعضها مع البعض الآخر في محتواها، فأبناء العامة قالت إنها بالشورى، أو الانتخاب، أو بيسط اليد ولو بقوة السيف، وأن الامام عندهم ممكن أن يكون من عوام الناس واستحسن بعضهم مقولة ولو كان فاسقاً فاجراً فلذا الإمامة عندهم يبحثونها في فروع الدين، أما الإمامة عندنا فهي نصّ الهي، وعصمة الهية، وطاعة ربانية، فرضها الله على خلقه أجمعين، فهم الاسوة الحسنة، والقدوة الصالحة، أصحاب الولاية المطلقة الكلية، والخلافة

الالهية، فالإمامة أصل على حدّ أصل التوحيد والنبوة، فلذا بحثها علماؤنا في الاصول، ومن هذا يتبين لك ان الملاك الذي اختاره القوم ليكون الشيء أصل للدين، أو أصل للمذهب ملاك غير صائب لأن الاتفاق والأختلاف مسألة نسبية واقعة في تمام الاصول وضرورياته، وهذا الاختلاف لا يضر بالاصل ولا الضرورة ولا يُنقص من أقدارهن شيئا.

وأما القسم الآخر من علمائنا الاعلام (رضوان الله تعالى عليهم)، وهم الذين إعتقدوا أن أصل الإمامة أصل من أصول الدين، وهم ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿ فقد أحاطوا علماً بجميع مراتب الروايات السابقة، ووجدوها جارية في ساقية عذب ماء القرآن الكريم، وأن الآثار الفقهية، والنتائج الاخروية المترتبة على إنكار أي أصل من أصول الدين واحدة، سواءً كان هذا الاصل هو التوحيد، أو النبوة، أو الإمامة، أو المعاد، أو العدل بلا فرق، غاية ما في الأمر أن الأثر الفقهي، وهو الحكم بالكفر على من أنكر أصل الإمامة في زمان الأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بما فيهم زمان الغيبة الشريفة للمولى صاحب العصر والزمان ﷺ. هو حكم إضطراري، قد فرضته سنة الإمهال وظروف التقية من قتل وقهر وضرب وإبعاد وسجن وغيرها من أساليب وفنون التعذيب والخوف، فما أن تنقشع غمامة الظلم هذه ويزول الإضطراب ويأوي المؤمنون إلى ركن الله الشديد الحجّة بن الحسن العسكري ﷺ (وجعلنا الله من خدام خدامه) حتى يعود الحكم إلى سابق عهده الذي ذكره الله في كتابه الشريف، وأوضحه النبي ﷺ بمستفيض أخباره، أن منكر الإمامة كافر في الدنيا والآخرة ولا يقبل المولى ﷺ منهم جزية ولا فدية حتى يؤمنوا بما رضي الله به الاسلام ديناً.

وأنت تعلم أن الأحكام الإضطرارية مهما طالّت مُدتها ما هي إلا تجويز

للمضطر للخروج عن الحكم الواقعي الثابت في نفس الأمر، وهو أمر قابل التحقق في كل الفروع والأصول، وهو لا يغير من حقيقة نفس الأمر شيء، فلو حَدَثَ إضطرار لشخص ما أو مجموعة ما لشرب الخمر، أو الدم، أو لأكل الميتة، ونحوها وحليته عليهم بالاضطرار لا يعني حليته دائماً عليهم كما أن حلية الإضطرار هذه لا تعني عدم ترتب الآثار التكوينية على تناولها، بل غاية ما فيه أن المضطر لا يَعْذُره الله عاصياً، وأما أن يشبهه الله ﷻ على خروجه عن الاضطرار بذلك الفعل، فهذا ما لم تنهض به أدلة الاضطرار غالباً، ونهضت به أدلة التقية دائماً، وزيادة البيان تخرجنا عن أصل الكلام فنحن ما دمنا في زمان الغيبة الكبرى للمولى ﷺ علينا أن نتعامل مع باقي الفرق الاسلامية المنكرة للإمامة على كونها منكراً لأصل من أصول الدين ولكنها محكومة بحكم الاسلام والطهارة حتى ينقضي عهدهم، وتنتكس رايه ضلالهم بظهور الحجة بن الحسن العسكري ﷺ، فيظهر الحق ويبان، ويمتاز الأخيار عن الأشرار، فيعود الحكم بالكفر مطلقاً على منكر أي أصل كان بدليل القرآن ومتواتر حديث سادات الأنام(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وأما ذاك الذي جاء به البعض في إقامة شبهة عدم وجود شيء في الأذهان إسمه مقدس، فلأنه لم يفهم معنى القدسية ما هي، فإن كل ما له أدنى علاقة من الدين وهو من الدين واقعاً في الفروع، والأصول فهو مقدس، لارتباطه بالله ﷻ. وأما البحث في أدلة الثبوت أو النفي ورد الشبهات، فذاك جزء من القدسية التي لا يستطيعون إدراكها، لأن فهمهم من القدسية فهم كهنوتي قائم على الثالوث المقدس الأعمى، وأن اللباس الذي تستروا به وكل ما وصلوا إليه إنما هو ببركة تلك المقدسات التي أساؤا فهمها وتجاوزوا على قدسيتها، ولكن بتجاوزهم الأعمى ذاك إنما بان حقيقتهم وظهرت

مقاصدهم وعَجَّل من فضيحتهم.

وأما الشبهة التي ذكرها بعض المفكرين في تحديد ملاك الضروري، والغير ضروري بجعلهم للمسألة الغير محتاجة الى بحث ودليل ضرورية، والمسألة المحتاجة الى بحث ودليل غير ضرورية، فهذا ملاك قائم على الاستحسان والذوق، وقد قام الدليل القطعي على نقضهما، فليس البحث العلمي دائماً يدل على أن المسألة ليست ضرورية. وأنت تعلم أن مسألة عدم اجتماع النقيضين ضرورة علمية لا يختلف فيها إثنان اليوم، ولكن في زمان الماركسية أنكروا هذه الحقيقة وكانوا سدس العالم، وما أثر إنكارهم في الحقيقة شيء، وها نحن نبحت في كل الضروريات، ونردُّ على الشبهات الواردة عليها حتى في التوحيد، فهل أخرجتها تلك البحوث عن كونها ضرورة أو أصلاً؟! لا أبداً بل كثرة البحث والتفكير تزيد من إرتباطنا بها وتوثق إرتباطنا باصول ديننا. ثم أن هناك فرق بين الضروريات في فروع الدين، وضروريات أصول الدين، رغم أن البعض نظر إلى هذه الضروريات بعين واحدة، ولم يفرق بينهما لعله إنحصار نظره على الآثار الفقهية المترتبة على إنكار هاتين الضرورتين وهو الكفر، فإن من أنكر وجوب الصلاة، أو الزكاة مثلاً، فهو كافر كما أن من أنكر ضرورة من ضرورات أصول الدين فهو كافر، كالذي ينكر الحد الأدنى من عصمة النبي ﷺ، وهي عصمته في التبليغ، فهو كافر أو أنكر أن صفاته تعالى عين ذاته، وهكذا.

فوحدة النتائج أوجدت عند البعض شبهة عدم وجود فرق بين الضروريات في الفروع، عن الضروريات في الاصول، والفرق بينهما كبير فالحكم بالكفر على من أنكر ضرورة من ضروريات أصول الدين لذاته، أما الحكم بالكفر على من أنكر ضرورة من ضروريات فروع الدين فلغيره، فالشخص الذي يترك الصلاة وهو مقر بوجوبها وبكونه عاصٍ لأمر الله فهو بحكم الله

فاسق، ولا يحكم بالكفر، وإنما يحكم بكونه مرتكب لكبيرة من الكبائر، فهو عاصياً، وفاسقاً. وأما إذا ترك فعل الصلاة، وهو منكرٌ لوجوبها، فذاك الذي يكون كافراً وخارجاً عن الإسلام. وكذا لو إستحل المسلم شرب قطرة من الخمر فلا يعود مسلماً بل هو كافر. فالحكم عليه هنا بالكفر ليس متعلقاً بذات الفعل وهو ترك الصلاة، وشرب الخمر، بل هو متعلق بغيره وذاك الغير هو ضرورة من ضروريات أصول الدين فإنكار تشريع الصلاة وإستحلال شرب قطرة من الخمر يؤدي إلى إنكار نبوة النبي المصطفى عليه السلام وإنكار للقرآن الكريم، فحكم الكفر على من أنكر ضرورة من ضروريات فروع الدين متوقف على إنكار أصل من أصول الدين، وأما حكم الكفر على من أنكر ضرورة من ضرورات أصول الدين فلذاته، ولا يتوقف الحكم على وجود شيء آخر، والحمد لله رب العالمين.

البحث الروائي

عن فرات بن إبراهيم الكوفي رحمته الله معنعناً: عن زيد بن أرقم قال: (لما نزلت هذه الآية في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(١). قال: فأخذ رسول الله عليه السلام بيد علي بن أبي طالب عليه السلام في يوم غدیر خم ثم رفعها وقال: (اللهم من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله)^(٢)، والرواية مفصلة في تفسير القمي رحمته الله.

عن أبي صالح عن ابن عباس وجابر بن عبد الله الانصاري قال: (أمر الله

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ١٢٩.

تعالى نبيه محمداً ﷺ أن ينصب علياً عليه السلام علماً للناس ليخبرهم بولايته فتخوف رسول الله ﷺ أن يقول: حامى ابن عمه وأن تطغوا في ذلك عليه فأوحى الله إليه ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(١). فقام رسول الله ﷺ بولايته يوم غدیر خم^(٢).

عن سدير عن ابيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لما نزل جبرائيل عليه السلام على رسول الله ﷺ في حجة الوداع باعلان أمر علي بن أبي طالب عليه السلام: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣). قال: فمكث النبي ﷺ ثلاثاً حتى أتى الجحفة فلم يأخذ بيده فرقاً من الناس، فلما نزل الجحفة يوم الغدير في مكان يُقال له مهيعة، فنادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ: مَنْ أَوْلَى بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ؟ فقالوا: الله ورسوله، فأخذ بيد علي عليه السلام فقال: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ وَعَادِ مِنْ عَادَاهُ، وَانصِرْ مِنْ نَصْرِهِ وَاخْذَلْ مِنْ خِذْلِهِ، فَإِنَّهُ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي)^(٤).

عن عمر بن يزيد قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام إبتداءً منه العجب: يا أبا حفص لما لقي علي بن أبي طالب عليه السلام إنه كان له عشرة الاف شاهد لم يقدر علي أخذ حقه، والرجل يأخذ حقه بشاهدين)^(٥).

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢١.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢١.

(٥) تفسير العياشي ج ١ ص ٣٢١.

قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام: (إن الله تعالى لما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وآله أن يستخلف علياً كان يخاف أن يشق ذلك على جماعة من أصحابه، فأنزل الله تعالى هذه الآية تشجيعاً له على القيام بما أمره بأدائه)^(١).

وقد روى ذلك الكثير من أبناء العامة منها في المجمع عن الثعلبي والحسكاني وغيرهما من العامة فقالوا عنه عليه السلام: (إنهم كانوا حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم في ابن عمي يقول قائل.... الخ)^(٢). قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنهم كانوا حديثوا عهد بالجاهلية ومتى أخبرتهم في ابن عمي يقول قائل ويقول قائل، فقلتُ في نفسي، من غير أن ينطق به لساني، فأتتني عزيمة من الله وَجَلَّ أوعدني إن لم ابلغ أن يعذبني - أي أن أمنية النبي التي لم ينطق بها بشفة هو أن يهدده جلّ وعلا في شأن التبليغ بولاية أمير المؤمنين عليه السلام ليكون أقطع لحجته عليهم فكان له ما أراد - فنزلت: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣)^(٤).

وعن الفصول المهمة للمالكي: قال: (روى الإمام أبو الحسن الواحدي في كتابه المسمى أسباب النزول رفعه بسنده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: نزلت في هذه الآية: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٥). يوم غدير خم في علي بن أبي طالب عليه السلام). أقول: ورواه في فتح القدير

(١) تفسير البيان ج ٣ ص ٥٨٧.

(٢) الصافي ج ٢ ص ٥١.

(٣) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٤) تفسير البرهان الجزء الثاني ص ٣٣٤ والتعليق بين الشارحتين للمؤلف.

(٥) سورة المائدة الآية ٦٧.

عن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر عن أبي سعيد الخدري وكذلك في الدر المنثور. وقوله: «بغدير خم» هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم مع التنوين اسم لغوطة على ثلاثة أميال من الجحفة عندها غدير مشهور يضاف إلى الغوطة، هكذا ذكره الشيخ محي الدين النووي، وفي فتح القدير أخرجه ابن مردويه عن ابن مسعود، وحديث (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فهو مروى عن طريق الشيعة والسنة بما يزيد على مائة طريق، كما نقل العلامة الاميني (قدس سره الشريف) في غديره الشريف عن مائة وعشرة من صحابة رسول الله ﷺ مع إسنادها، وعن أربعة وثمانين تابعياً، وعن ثلاثمائة وستين من العلماء، والأدباء، والمسلمين المعروفين بما لا يدع أدنى مجال للشك، ومن شك بعد هذا فليسأل أمه عن أبيه فإن نسبه مستعار والله على ما أقول شهيد.

وقد روي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وبسند متصل: (إنه إنما نزل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً﴾^(١). بعد أن نصب النبي ﷺ علياً عليهما السلام علماً للأنام يوم غدير خم عند منصرفه من حجة الوداع وهي آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة)^(٢).

وروى صاحب مجمع البيان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما نزلت هذه الآية قال: (الله أكبر على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضى الرب برسالتي وولاية علي بن أبي طالب من بعدي، وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) تفسير جوامع الجامع للشيخ الطبرسي رحمه الله ج ١ ص ٤٧٤، نقلاً عن أمالي الشيخ الصدوق

رحمه الله ص ١٠٩ حديث ٨ والبيان ج ٣ ص ٤٣٥ ورواها القرطبي في تفسيره ج ٦ ص ٦١.

من خذله^(١).

عن فرات الكوفي (رضي الله تعالى عنه) قال: (حدثني جعفر بن محمد الأزدي قال حدثني محمد يعني ابن الحسين الصائغ قال: حدثني الحسن بن علي الصيرفي عن محمد البزاز عن فرات بن أخنف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلتُ له: جعلتُ فداك للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة؟ قال: فقال لي: نعم أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة، وهو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين وأنزل على نبيه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢). قال: قلتُ: وأي يوم؟ قال: فقال لي إن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة للوصي من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً وإنه اليوم الذي نصّب فيه رسول الله ﷺ علياً للناس علماً وأنزل فيه ما أنزل، وأكمل فيه الدين وتمت فيه النعمة على المؤمنين قال: قلتُ: وأي يوم هو في السنة؟ قال: فقال لي: إن الأيام تتقدم وتتأخر فربما كان يوم السبت والاحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة. قال: قلتُ: فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم؟ قال: هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله تعالى وحمد وسرور لما من الله به عليكم من ولايتنا وإني أحبُّ لكم أن تصوموه)^(٣).

عن جعفر بن محمد الخزاعي عن أبيه قال: (سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول لما نزل رسول الله ﷺ عرفات يوم الجمعة أتاه جبرائيل عليه السلام فقال له: يا محمد إن الله يقرؤك السلام ويقول لك: قل لامتك: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ

(١) المسترشد للطبري الشيعي عليه السلام ص ٤٦٥، مناقب آل أبي طالب عليه السلام ج ٢ ص ٢٢٢ كتاب سليم بن قيس ص ٣٥٥، ورواه التطنزي في الخصائص.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي (رضوان الله تعالى عليه) ج ١ ص ١١٧.

﴿دِينَكُمْ﴾^(١). بولاية علي بن أبي طالب: ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢). ولست أنزل عليكم بعد هذا، وقد أنزلت عليكم الصلاة والزكاة والصوم والحج وهي الخامسة ولست أقبل هذه الأربعة إلا بها^(٣).

إبن بابويه قال: (حدثنا أبو العباس محمد بن ابراهيم عليه السلام). قال: حدثنا أبو أحمد القاسم بن محمد بن علي الهاروني، قال: حدثني أبو حامد عمران بن موسى بن إبراهيم، عن الحسن بن القاسم الرقام، قال: حدثني القاسم بن مسلم، عن أخيه عبد العزيز بن مسلم، قال: كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأدار الناس أمر الإمامة، وذكروا كثرة إختلاف الناس فيها، فدخلت على سيدي ومولاي الرضا عليه السلام، فأعلمته خوضان الناس في ذلك فتبسم عليه السلام ثم قال: يا عبد العزيز، جهل القوم وخدعوا عن أديانهم، إن الله عز وجل لم يقبض نبيه عليه السلام حتى أكمل لهم الدين، وأنزل عليهم القرآن فيه تفصيل كل شيء، وبين فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كاملاً، فقال عليه السلام: ﴿مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾^(٤). وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره عليه السلام: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٥). فأمر الإمامة من تمام الدين، ولم يمض عليه السلام حتى بين لأمته معالم دينهم، وأوضح لهم سبيلهم، وتركهم على قصد الحق، وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً، وما ترك شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه، فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة المائدة الآية ٣.

(٣) تفسير العياشي ج ١ ص ٢٩١ ورواه القمي عليه السلام في تفسير ج ١ ص ١٦١ عن زرارة عليه السلام.

(٤) سورة الأنعام الآية ٣٨.

(٥) سورة المائدة الآية ٣.

فقد رد كتاب الله عز وجل ، ومن ردّ كتاب الله تعالى فهو كافر^(١).

عن الشيخ رحمته الله في أماليه قال: (أخبرنا أبو عبد الله محمد بن محمد ابن النعمان (قدس الله روحه الزاكية). قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن الحسن بن الوليد رحمته الله ، قال: حدثني أبي ، قال حدثنا محمد ابن الحسن الصفار رحمته الله: عن أحمد بن أبي عبد البرقي عن أبيه (رحمهما الله) عن محمد بن أبي عمير رحمته الله ، عن المفضل بن عمر رحمته الله ، عن الامام الصادق جعفر بن محمد عليه السلام. قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أعطيتُ سبعا لم يعطها أحدٌ قبلي سوى النبي صلى الله عليه وآله لقد فتحت لي السبل ، وعلمتُ المنايا ، والبلايا ، والانساب ، وفصل الخطاب ، ولقد نظرتُ في الملكوت بإذن ربي ، فما غابَ عني ما كان قبلي ولا ما يأتي بعدي ، وإن بولايتي أكمل الله لهذه الأمة دينهم ، وأتم عليهم النعمة ، ورضي لهم إسلامهم ، إذ يقول يوم الولاية لمحمد صلى الله عليه وآله: يا محمد أخبرهم إنني أكملتُ لهم اليوم دينهم ، وأتممتُ عليهم النعم ، ورضيتُ لهم إسلامهم ، كل ذلك من الله به علي فله الحمد)^(٢).

وعنه أيضاً قال: أخبرنا الحسين بن عبيد الله ، عن علي بن محمد العلوي ، قال: حدثنا الحسن بن علي بن صالح بن شعيب الجوهري قال: (حدثنا محمد بن يعقوب الكليني قده ، عن علي بن محمد ، عن اسحاق ابن اسماعيل النيسابوري ، عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام ، عن أبيه الباقر عليه السلام ، عن أبيه السجاد عليه السلام ، قال حدثنا الحسن بن علي عليه السلام: إن الله عز وجل بمنه وبرحمته لما قرَضَ عليكم الفرائض لم يفرض ذلك عليكم

(١) البرهان الشريف ج ٢ ص ٢١٩ ورواه أيضاً شيخنا الكليني (رضوان الله تعالى عليه) في الكافي الشريف عن أبي محمد القاسم بن العلاء رحمته الله رفعه عن عبد العزيز بن مسلم قال: كنا مع الرضا عليه السلام وساق الحديث الشريف.

(٢) نقلاً عن تفسير البرهان الشريف ج ٢ ص ٢١٩.

لحاجة منه إليه بل رحمة منه لا إله إلا هو ليميز الخبيث من الطيب، وليبتلي ما في صدوركم، وليمحص ما في قلوبكم، وتسابقوا إلى رحمته، وتتفاضل منازلكم في جنته، ففرض عليكم الحج والعمرة، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم والولاية، وجعل لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض مفتاحاً إلى سبيله ولولا محمد ﷺ والأوصياء من ولده ﷺ كنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض، وهل تدخل قرية إلا من بابها؟ فلما منَّ عليكم بإقامة الأولياء بعد نبيكم ﷺ، قال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). ففرض عليكم لأوليائه حقوق، وأمركم بأدائها إليهم، ليحل لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم وما كلكم ومشاربكم، ويعرفكم بذلك البركة والنماء، والثروة ليعلم من يطيعه منكم بالغيب ثم قال ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢). فاعلموا أن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، إن الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، فاعلموا من بعد ما شئتم ﴿فَسِيرَىٰ إِلَهُكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾^(٣) ثم تردون ﴿إِلَىٰ عَلِيمٍ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين وقال: سمعتُ جدي رسول الله ﷺ يقول: خلقتُ من نور الله ﷺ، وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبوهم من نورهم، وسائر الناس في النار^(٤).

وأنقلُ هذه الرواية القيمة التي رواها الشيخ الفاضل الفقيه العالم الزاهد الورع أبو علي محمد بن أحمد بن علي الفثال المعروف بابن الفارسي وهو من أجلاء قدماء الإمامية من علمائها ومتكلميها، روى في كتابه المعروف

(١) سورة المائدة الآية ٣.

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٤) البرهان الشريف ج ٢ ص ٢١٩.

(روضة الواعظين) عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (حج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة، وقد بلغ جميع الشرائع قومه ما خلا الحج والولاية، فأتاه جبرائيل عليه السلام: فقال له: يا محمد، إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: إنني لم أقبض نبياً من أنبيائي ورسلي إلا بعد إكمال ديني وتأكيد حجتي، وقد بقي عليك من ذلك فريضتان مما يحتاج أن تبلغهما قومك، فريضة الحج وفريضة الولاية والخلافة من بعدك، فإني لم أدخل الأرض من حجة، ولن أخليها أبداً، وإن الله يأمرك أن تبلغ قومك الحج: تحج ويحج معك كل من استطاع السبيل من أهل الحضر وأهل الأطراف والأعراب، وتعلمهم من حجهم مثل ما علمتهم من صلاتهم وزكاتهم وصيامهم، وتوقفهم من ذلك مثل الذي علمكم من شرائع دينكم ويوقفكم من ذلك على من أوقفكم عليه وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وخرج معه الناس، وأصغوا إليه لينظروا ما يصنع فيصنعوا مثله، فحج بهم فبلغ من حج عليهم بيعة هارون عليه السلام فنكثوا واتبعوا العجل والسامري، وكذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله البيعة لعلي عليه السلام بالخلافة على عدد أصحاب موسى فنكثوا البيعة واتبعوا العجل والسامري سنة بسنة، ومثلاً بمثل، واتصلت التلبية ما بين مكة والمدينة، فلما توقف أتاه جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد، إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك، أنه قد دنا أجلك ومدتك، وإنني أستقدمك على ما لا بُدَّ منه ولا محيص عنه، فأعهد عهدك، وقدم وصيتك، واعمد إلى ما عندك من العلم والميراث، علوم الأنبياء من قبلك، والسلاح والتابوت وجميع ما عندك من آيات الأنبياء من قبلك، فسلمها إلى وصيك وخليفتك من بعدك، حجتي البالغة، على خلقي علي بن أبي طالب، فأقمه للناس وخذ عهده وميثاقه وبيعته، وذكرهم ما أخذت عليهم من بيعتي وميثاقي الذي واثقتهم به، وعهدي الذي عهدت إليهم من ولاية وليي، ومولاهم ومولى كل مؤمن، ومؤمنة، علي بن أبي طالب، فإني لم أقبض نبياً من أنبيائي إلا بعد إكمال

حجتي وديني ، إتمام نعمتي بولاية أوليائي ومعاداة أعدائي ، وذلك كمال توحيد وديني ، وتمام نعمتي على خلقي باتباع وليي وإطاعته ، وذلك إني لا أترك أرضي بغير قيم ليكون حجة على خلقي ، فالיום أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً ، عليّ وليي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، علي عبدي ووصي نبيي والخليفة من بعده ، وحجتي البالغة على خلقي ، مقرون طاعته مع طاعة محمد نبيي ، ومقرون طاعة محمد بطاعتي ، من أطاعه فقد أطاعني ، ومن عصاه فقد عصاني ، جعلته علماً بيني وبين خلقي ، فمن عرفه كان مؤمناً ، ومن أنكره كان كافراً ، ومن أشرك ببيعته كان مشركاً ، ومن لقيني بولايته دخل الجنة ، ومن لقيني بعداوته دخل النار ، فأقم يا محمد علماً علماً ، وخذ عليهم البيعة ، وخذ عهدني وميثاقي لهم الذي واثقتهم عليه فاني قابضك إلي ، ومستقدمك ، فخشي رسول الله ﷺ قومه وأهل النفاق والشقاق أن يتفرقوا ويرجعوا جاهلية لما عرّف من جبرائيل عليه السلام أن يسأل ربه العصمة من الناس وانتظر أن يأتيه جبرائيل بالعصمة من الناس من الله وَجَاءَ ، فأخّر ذلك الى أن بلغ مسجد الخيف ، فاتاه جبرائيل عليه السلام وأمره أن يعهد عهده ويقيم حجته علماً للناس ، ولم يأت به بالعصمة من الله وَجَاءَ بالذي أراد حتى بلغ كراع الغميم بين مكة والمدينة فاتاه جبرائيل وأمره بالذي أمره به من قبل ولم يأت به بالعصمة فقال: يا جبرائيل ، إني لأخشى قومي أن يكذبوني ، ولا يقبلوا قولي في علي ، فرحل ، فلما بلغ غدير خم قبل الجحفة بثلاثة أميال ، أتاه جبرائيل عليه السلام على خمس ساعات مضت من النهار بالزجر والانتهاز والعصمة من الناس ، فقال: يا محمد ، إن الله وَجَاءَ يقرؤك السلام ، ويقول لك: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) في علي ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ

رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴿١﴾. فكان أولهم بلغ قرب الجحفة فأمره أن يرد من تقدم منهم، ويحبس من تأخر منهم في ذلك المكان، ليقم علياً عليه السلام للناس، ويبلغهم ما أنزل الله عز وجل في علي عليه السلام وأخبره أن الله تعالى قد عصمه من الناس. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما جاءت العصمة منادياً ينادي، فنادى في الناس بالصلاة جامعة، وتنحى عن يمين الطريق الى جنب مسجد قديم، أمره بذلك جبرائيل عليه السلام عن الله تعالى، وفي الموضع سلمات فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يقيم ما تحتهن، وينصب له أحجار كهيئة المنبر ليشرق على الناس، فتراجع الناس واحتبس آخرهم في ذلك المكان لا يزالون، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فوق تلك الأحجار، وقال صلى الله عليه وآله وسلم الحمد لله الذي سلا بتوحيده، ودنا في تفريده، وجل في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكل شيء علماً وهو في مكانه، وقهر جميع الخلق بقدرته وبرهانه، حميد لم يزل محموداً، ولا يزول مجيداً، ولا يزول مبدئاً ومعيداً، وكل أمر إليه يعود باري المسموكات، وداحي المدحوات، قدوس سبوح رب الملائكة والروح، متفضل على جميع من سواه، متطول على جميع من ذراه، يلحظ كل عين والعين لا تراه، كريم رحيم ذو أناة، قد وسعت كل شيء رحمته، ومن على جميع خلقه بنعمته، ولا يعجل بانتقامه، ولا يبادر عليهم بما استحقوا عليه الخفيات، له الاحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء، والقوة في كل شيء، والقدرة على كل شيء، لا مثله شيء وهو مشيء الشيء حين لا شيء وحين لا حي، قائم بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم، جل عن أن تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير، لا يلحق وصفه أحد بمعانيه ولا يحد، كيف وهو ما من سر ولا علانية إلا بما دل عز وجل على نفسه، أشهد له بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي أبلى الدهر

قدسه، والذي يغني الأبد نوره، والذي ينفذ أمره بلا مشاورة مشير، ولا معه شريك في تقدير، ولا تفاوت في تدبير، صور ما ابتدع بلا مثال، وخلق ما خلق بلا معونة من أحد، ولا تكلف ولا إحتيال، أنشأها فكانت، وبرأها فبانت، وهو الله الذي لا إله إلا هو المتقن الصنعة، الحسن الصنعة والعدل الذي لا يجور، والاكرم الذي إليه ترجع الامور، وأشهد أنه الله الذي تواضع كل شيء لعظمته، وذلل كل شيء لعزته، وأسلم كل شيء لقدرته، وخضع كل شيء لهيبته مالك الأملاك، مسخر الشمس والقمر في الأفلاك، كل يجري لأجل مسمى، يكور الليل على النهار، ويكورُ النهار على الليل، يطلبه حثيثاً، قاصم كل جبار عنيد، ومهلك كل شيطان مريد، لم يكن له ضد، ولا معه ند، أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، إلها واحداً ورباً ماجداً، يشاء فيمضي، ويريد فيقضي، ويعلم فيحصي، ويميت ويحيي، ويفقر ويغني، ويضحك ويُبكي، ويدني ويقصي، ويمنع ويعطي له الملك وله الحمد، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، يولج الليل في النهار ويولجُ النهار في الليل، لا إله الا هو العزيز الغفار، مستجيبُ الدعاء، جزيل العطاء، محصي الأنفاس، رب الجنة والناس، الذي لا تشكل عليه لغة، ولا يضجره المستصرخون، ولا يبرمه إلحاح الملحّين، العاصمُ للصالحين، والموفق للمتقين، مولى المؤمنين، رب العالمين، الذي استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده على كل حال، أحمده وأشكره على السراء والضراء، والشدة والرخاء، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله، فاسمعوا وأطيعوا لامره، وبادروا الى مرضاته، وسلموا لقضائه رغبة في طاعته، وخوفاً من عقوبته، لأنه الله الذي لا يؤمن مكره، ولا يخاف جوره، أقرُّ له على نفسي بالعبودية، وأشهدُ له بالربوبية، وأؤدي ما أوحى إلي به خوفاً وحذراً من أن تحل بي قارعة لا يدفعها عني أحد، وان عظمت منته، وضعت حلتها، لأنه لا إله إلا هو قد أعلمني إن لم أبلغ ما أنزل إليّ فما

بلغت رسالته، وقد ضمن لي العصمة، وهو الله الكافي الكريم، وأوحى إلي بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَتَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) في علي ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢) معاشر الناس، ما قصرْتُ عن تبليغ ما أنزل تعالى، وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية: إن جبرائيل عليه السلام هبط إليّ مراراً ثلاثاً، يأمرني عن السلام ربي، وهو السلام، أن أقوم في هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأحمر وأسود أن علي ابن أبي طالب أخي ووصيي وخليفتي، وهو الإمام من بعدي الذي محله مني محلّ هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وهو وليكم بعد الله ورسوله، وقد أنزل الله تبارك وتعالى عليّ بذلك آية من كتابه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣). وعلي ابن أبي طالب الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راع يريد الله وَعَجَّلَ في كل حال، وسألتُ جبرائيل عليه السلام أن يستعفي لي من تبليغ ذلك اليكم أيها الناس لعلمي بقلة المتقين، وكثرة المنافقين، وإدغال الأثمين، وختل المستهزئين، الذين وصفهم الله في كتابه بانهم: ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٤) ويحسبونه هيناً، وهو عند الله عظيم، لكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سموني أذناً وزعموا إنه كذلك، لكثرة ملازمتي إياه وإقبالي عليه حتى أنزل الله في ذلك ﴿الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾^(٥) فقال ﴿قُلْ أُذُنٌ﴾ على الذين يزعمون انه أذن ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إلى آخر الآية، ولو شئت أن أسمى القائلين بأسمائهم لسميت وأومات إليهم بأعيانهم، ولو شئت أن أدل عليهم

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٣) سورة المائدة الآية ٥٥.

(٤) سورة الفتح الآية ١١.

(٥) سورة التوبة الآية ٦١.

لدللتُ، ولكنني في أمرهم قد تكرمتُ، وكل ذلك لا يرضي الله عني الا أن أُبلغ ما أنزل إلي، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾^(١) في علي ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾^(٢). فاعلموا معاشر الناس وافهموه، واعلموه أن الله قد نصبه لكم وليا وإماما، مفترضة طاعته على المهاجرين والأنصار، وعلى التابعين لهم باحسان، وعلى البادي والحاضر، والأعجمي والعربي، والحر والمملوك، والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كل موحد، ماضٍ حكمه جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه، مرحوم من تبعه، مؤمن من صدقه، قد غفر الله لمن سمع وأطاع له، معاشر الناس، إنه آخر مقام أقومه في هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم، فإن الله وَعَلَّكَ هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه رسوله محمد وليكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدي علي وليكم وإمامكم بأمر من الله ربكم، ثم الإمامة في الذين من صلبه الى يوم يلقون الله ورسوله، لا حلال إلا ما أحله الله ولا حرام إلا ما حرمه الله عرفني الحلال والحرام، وأنا قضيتُ مما علمني ربي من كتابه وحلاله وحرامه إليه، معاشر الناس، ما من علم إلا وقد أحصاه الله فيّ، وكل علم علمت فقد أحصيته في إمام المتقين، ما من علم إلا علمته علياً وهو الإمام المبين، معاشر الناس، لا تضلوا عنه، ولا تنفروا منه، ولا تستنكفوا من ولايته، فهو الذي يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهقُ الباطل وينهى عنه، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ثم أنه أول من آمن بالله ورسوله والذي فدى رسول الله بنفسه، والذي كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره، معاشر الناس، فضلوه فقد فضله الله، واقبلوه فقد نصبه الله، معاشر الناس إنه إمام من الله، ولن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، ولن يغفر الله

(١) سورة المائدة الآية ٦٧.

(٢) سورة المائدة الآية ٦٧.

له، حقاً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه، وأن يعذبه عذاباً نكراً
أبد الأبدين ودهر الدهرين، فاحذروا أن تخالفوني فتصلوا ناراً وقودها الناس
والحجارة أُعدت للكافرين، أيها الناس، بي والله بُشِّرَ الأولون من النبيين
والمرسلين، وأنا خاتم النبيين والمرسلين، والحجة على جميع المخلوقين
من أهل السماوات والأرضين، فمن شك في ذلك فهو كافر، كفر الجاهلية
الأولى، ومن شك في قولي هذا فقد شك في الكل منه، والشاك في ذلك
فهو في النار، معاشر الناس، حباني الله بهذه الفضيلة مناً منه عليّ، وإحساناً
منه إليّ، ولا إله إلا هو، له الحمد مني أبدأ الأبدين ودهر الدهرين على
كل حال معاشر الناس، فضلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وانثى،
بنا أنزل الله الرزق وبقي الخلق، ملعون ملعون، مغضوب مغضوب على
من ردّ عليّ قولي هذا ألا أن جبرائيل أخبرني عن الله بذلك، ويقول من
عادى علياً ولم يتوله فعليه لعنتي و غضبي ﴿وَلَتَنْظُرَنَّهُمْ مَا قَدَمَتْ لِغَدٍ﴾
واتقوا الله أن تخالفوا ﴿فَنَزَلَ قَدَمُ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾، إن الله خبير بما تعملون، معاشر
الناس، تدبروا القرآن، وافهموا آياته ومحكماته، ولا تتبعوا متشابهه، فوالله
لن يبين لكم زواجه ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذي أنا آخذ بيده، ومصعده
إلي وشائل بعضه، ومُعَلِّمكم أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو
علي بن أبي طالب أخي ووصيي، ومولاته من الله تعالى، أنزلها عليّ،
معاشر الناس، انه جنب الله الذي ذكر في كتابه ﴿بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي
جَنِّبِ اللَّهِ﴾، معاشر الناس، إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر.
والقرآن هو الثقل الأكبر [وفي رواية أخرى علياً والطيبين من ولدي عترتي
أهل بيتي - عوضاً عن جملة هم الثقل الأصغر والقرآن هو الثقل الأكبر -]،
وكل واحد منهما منبيء عن صاحبه، موافق له، لن يفترقا حتى يرث علي
الحوض، أمناء الله في خلقه، وحكماؤه في أرضه، ألا وإن الله عَلَّمَ قال: وأنا
قلته عن الله عَلَّمَ، ألا وقد أدبت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد

أوضحت، ألا وأنه ليس أمير المؤمنين غير أخي هذا، ولا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره، ثم ضرب بيده على عضد علي فرفعه، وكان أمير المؤمنين عليه السلام منذ أول ما صعد رسول الله ﷺ قد شال علياً عليه السلام حتى صارت رجلاه مع ركبة رسول الله (صلوات الله عليهما) ثم قال: معاشر الناس، هذا علي أخي ووصيي، وواعي علمي، وخليفتي على أمتي، وعلى تفسير كتاب الله وَجَلَّ، والداعي إليه، والعامل بما يرضاه، والمحارب لأعدائه والموالي على طاعته، والناهي عن معصيته، خليفة رسول الله، وأمير المؤمنين والإمام الهادي بأمر الله، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله. أقول: مما يبدل القول لدي بأمر ربي، أقول: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، والعن من أنكره وجحد حقه، واغضب علي من جحده، اللهم إنك أنت أنزلت الإمامة لعلي وليك عند تبين ذلك بتفضيلك إياه بما أكملت لعبادك من دينهم، وأتممت عليهم نعمتك ورضيت لهم الإسلام ديناً، ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ اللهم أني أشهدك أني بلغت، معاشر الناس، إنما أكمل الله وَجَلَّ دينكم بإمامته، فمن لم يأت به وبمن كان من ولدي من صلبه الى يوم القيامة والعرض على الله تعالى، فأولئك: ﴿حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾^(١) ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^(٢)، معاشر الناس، هذا علي، أنصركم لي، وأحق الناس بي وأقربكم إلي وأعزكم علي، والله وَجَلَّ وأنا عنه راضيان، وما أنزلت آية رضا إلا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به، ولا نزلت آية مدح في القرآن إلا فيه، ولا شهد الله بالجنة في: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾^(٣) إلا له، ولا أنزلها في سواه، ولا مدح بها غيره، معاشر الناس، هو ناصر

(١) سورة التوبة الآية ١٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٦٢.

(٣) سورة الإنسان الآية ١.

دين الله، والمجادل عن الله، وهو التقي النقي الهادي المهدي، نبيكم خير نبي، ووصيكم خير وصي، وبنوه خير الأوصياء. معاشر الناس، ذرية كل نبي من صلبه، وذريتي من صلب علي، معاشر الناس، إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم وتزل أقدامكم، فإن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة، وهو صفوة الله تعالى، فكيف أنتم إن زللتم وأنتم عباد الله ما يبغض علياً إلا شقي، ولا يتولى علياً إلا تقي ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، في علي والله أنزلت سورة العصر بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾^(١) معاشر الناس قد أشهدت الله وبلغتكم الرسالة، ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ۝٣﴾. معاشر الناس، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ۚ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝٣﴾. معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزل معه ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَطْغَسَ وُجُوهًا فَنَزَّهَا عَلَىٰ أَذْبَارِهَا ۝٤﴾^(٢) معاشر الناس، النور من الله عزَّ وجلَّ في قائم مسلوك في علي، ثم في نسل منه إلى القائم المهدي الذي يأخذ بحق الله وبحق كل مؤمن، لأن الله عزَّ وجلَّ قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين والخائنين والاثمين والظالمين من جميع العالمين، معاشر الناس، إني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل ﴿أَفَايُن مَاتَ أَوْ قُتِلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ۝٥﴾^(٣). الصابرين ألا أن علياً الموصوف بالصبر والشكر ثم من بعده ولدي من صلبه، معاشر الناس،

(١) سورة العصر.

(٢) سورة النور الآية ٥٤.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٢.

(٤) سورة النساء الآية ٤٧.

(٥) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

لا تمنوا علي باسلامكم فيسخط الله عليكم ، فيصيبكم بعذاب من عنده أن ربك لبالمرصاد، معاشر الناس إن الله وأنا بريئان منهم، معاشر الناس إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم في الدرك الأسفل من النار، ولبئس مثوى المتكبرين معاشر الناس، إني أدعها إمامة وراثه في عقبي الى يوم القيامة، وقد بلغت ما بلغت حجة على كل حاضر وغائب، وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد، وولد أو لم يولد، فليبلغ الحاضر الغائب، والوالد الولد إلى يوم القيامة، وسيجعلونها ملكا واغتصابا ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين، وعندها سنفرغ لكم أيها الثقلان فيرسل عليكم شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران، معاشر الناس، إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يكن يذكرم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب، معاشر الناس، إنه ما من قرية إلا الله مهلكها بتكذيبها، وكذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ وهذا إمامكم ووليكم وهو مواعد الله والله يصدق وعده، معاشر الناس، قد ضل قبلكم أكثر الأولين، والله قد أهلك الأولين وهو مهلك الآخريين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ هَلَكَ الْأَوَّلِينَ ۗ ثُمَّ نَبَّيْتَهُمُ الْآخِرِينَ ۗ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۗ﴾ (١٨) وَبَلَّغْنَا يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۗ﴾ (١١) معاشر الناس، إن الله قد أمرني ونهاني وقد أمرت عليا ونهيته، وعلم الأمر والنهي من ربه عَزَّ وَجَلَّ فاسمعوا لأمره وانتهوا لنهيهِ، واصبروا الى مراده، ولا تتفرقوا بكم السبل عن سبيله أنا صراط الله المستقيم الذي أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ثم قرأ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ (الحمد لله) الى آخرها، وقال: فِي نَزَلَتْ، وفيهم نزلت، ولهم عمت، وإياهم خصت، أولئك أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون إلا أن حزب الله هم الغالبون، ألا ان أعداءهم أهل الشقاق الحادون العادون وإخوان الشياطين الذين (يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا) ألا ان أولياءهم هم المؤمنون الذين

ذكرهم الله في كتابه ، فقال تعالى : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾^(١) . الى آخر الآية ألا أن أولياءهم الذين وصفهم الله عز وجل ، فقال : ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَلْمَنٌ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٢) . ألا أن أولياءهم الذين آمنوا ولم يرتابوا ، ألا أن أولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين وتلقاهم الملائكة بالتسليم أن ﴿طَبَّتْ فَأَدْخَلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(٣) ألا أن أولياءهم هم الذين قال الله عز وجل ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٤) . ألا أن أعداءهم الذين يصلون سعيراً ، ألا أن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شهيقاً وهي تفر ، ولها زفير : ﴿كَلَّمَادَخَلَتْ أُمَّةٌ لَمَنَتْ أُخْتَهَا﴾^(٥) . ألا أن أعداءهم الذين قال عز وجل : ﴿كَلَّمَالْفِي فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾^(٦) قالوا بلى ^(٥) . ألا أن أولياءهم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٦) معاشر الناس ، شتان ما بين السعير والجنة عدونا من ذمه الله ولعنه وولينا من مدحه الله وأحبه ، معاشر الناس ، ألا واني منذر ، وعلي هاد ، معاشر الناس ، أني نبي ، وعلي وصيي ، ألا أن خاتم الأئمة منا القائم المهدي ، ألا أنه الظاهر على الدين ، ألا أنه المنتقم من الظالمين ، ألا أنه فاتح الحصون وهادمها ، ألا أنه فاتح كل قبيلة من الشرك ، ألا أنه مدرك لكل ثار لأولياء الله عز وجل ، ألا أنه الناصر لدين الله عز وجل ، ألا أنه الفراق من بحر عميق ، ألا إنه يُسَمُّ كل ذي فضل بفضله ، وكل ذي جهل بجهله ، ألا أنه خيرة الله ومختاره ، ألا أنه وارث كل علم والمحيط بكل فهم ، ألا أنه

(١) سورة المجادلة الآية ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٨٢ .

(٣) سورة غافر الآية ٤٠ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٣٨ .

(٥) سورة الملك الآية ٨-٩ .

(٦) سورة الملك الآية ١٢ .

المخبر عن ربه ﷺ ، والمنبه لأمر إيمانه، ألا أنه الرشيد السديد، ألا أنه المفوض إليه، ألا أنه قد بشر به من سلف بين يديه، ألا أنه الباقي حجة ولا حجة بعده، ولا حق إلا معه، ولا نور إلا عنده، ألا أنه لا غالب له، ولا منصور عليه، ألا أنه ولي الله في أرضه، وحكمه في خلقه، وأمينه في سره وعلانيته، معاشر الناس، قد بينت لكم وأفهمتكم، هذا علي يفهمكم بعدي، ألا واني عند انقضاء خطبتي أدعوكم الى مصافقتي على بيعته والاقرار به، ثم مصافقته من بعدي، ألا واني قد بايعت الله، وعلي قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله ﷺ : ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١)، معاشر الناس: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ﴾^(٢)، معاشر الناس حجوا البيت، فما ورده أهل بيت ألا نموا وتناسلوا، ولا تخلفوا عنه إلا بتروا وافترقوا معاشر الناس، ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه الى وقته ذلك، فاذا انقضت حجته إستأنف عمله، معاشر الناس، الحجاج معانون، ونفقاتهم مخلفة، والله لا يضيع أجر المحسنين معاشر الناس، حجوا بكمال الدين والتفقه، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع، معاشر الناس، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة. كما أمركم الله ﷺ ، فان طال عليكم الأمد فقصرتم أو نسيتم فعلي وليكم ومبين لكم، الذي نصبه الله ﷺ بعدي لكم ومن خلفه الله مني ومنه يخبركم بما تسألون، ويبين لكم ما لا تعلمون، ألا أن الحلال والحرام أكثر من أن أحصيها وأعرفها فأمر بالحلال وأنهى عن الحرام في مقام واحد، وأمرت أن آخذ البيعة عليكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله ﷺ في علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده، الذين هم مني ومنه، الإمامة قائمة فيهم، خاتمها المهدي، الى يوم القيامة، الذي يقضي بالحق، معاشر

(١) سورة الفتح الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٨.

الناس، وكل حلال دللتكم عليه، وكل حرام نهيتكم عنه، فإني لم أرجع عن ذلك ولم أبدل، ألا فاذكروا ذلك واحفظوا وتواصوا به، ولا تبدلوه، ألا وأني أجدد القول، ألا فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وانهاوا عن المنكر، ألا وأن رأس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي وتبلغوه من لم يحضر، وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته، فإنه أمر من الله عز وجل ومني معاً، ولا أمر بمعروف ولا نهى عن منكر إلا مع إمام، معاشر الناس، القرآن يعرفكم أن الأئمة من بعده ولده، وعرفتكم أنهم مني ومنه حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾^(١). ولن تضلوا ما أن تمسكنم بها معاشر الناس، اتقوا الله واحذروا الساعة كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾^(٢) اذكروا الممات والحساب والموازن والمحاسبة بين يدي رب العالمين والثواب والعقاب، فمن جاء بالحسنة أثيب ومن جاء بالسيئة فليس له في الجنان نصيب، معاشر الناس، إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وأمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتكم الاقرار بما عقد لعلي بإمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الأئمة مني ومنه على ما أعلمتكم أن ذريتي من صلبه، فقولوا بأجمعكم: إنا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغت من أمر ربنا وربك في أمر علي أمير المؤمنين وأمر ولده من صلبه من الأئمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا على ذلك نحيا ونموت ونبعث لا نغيّر ولا نبذل ولا نشك ولا نرتاب ولا نرجع عن عهد ولا ميثاق، ولا نقض الميثاق نطيع الله ونطيعك وعلياً أمير المؤمنين وولده الأئمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن والحسين، اللذين قد عرفتم مكانهما مني، محلهما عندي، ومنزلتهما من ربي عز وجل فقد أديت ذلك اليكم، وأنهما لسيدا شباب أهل الجنة، وأنهما

(١) سورة الزخرف الآية ٣٨.

(٢) سورة الحج الآية ١.

الإمامان بعد أبيهما علي وأنا وأبوهما قبله ، فقالوا: أعطينا الله بذلك وإياك
وعليا والحسن والحسين والأئمة الذين ذكرت عهداً وميثاقاً مأخوذاً لأمير
المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ، ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده ،
وإلا فقد أقر بهما بلسانه ، لا نبتغي بدلاً ، ولا يرى الله ﷻ من أنفسنا حولاً
أبداً أشهدنا الله وكفى بالله شهيداً ، وأنت علينا به شهيد وكل من أطاع ممن
ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد ، معاشر
الناس ماتقولون؟ فإن الله يعلم كل صوت ، وخافية كل نفس ، فمن اهتدى
فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ، ومن بايع فأنما يبايع الله ﴿بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ
أَيْدِيهِمْ﴾ معاشر الناس ، فاتقوا الله وبايعوا علياً أمير المؤمنين والحسن
والحسين والأئمة كلمة باقية يهلك الله بها من غدر ، ويرحم الله بها من وفى ،
﴿فَمَنْ تَكَّتْ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَبُّوْهُ أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ معاشر الناس قولوا الذي قلت لكم ، وسلموا على علي بن أبي طالب
المؤمنين ، وقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ وقولوا:
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾^(١) . معاشر الناس إن
فضائل علي بن أبي طالب عند الله ﷻ ، وقد أنزلها في القرآن ، أكثر من
أن أحصيتها في مقام واحد ، فمن أنباكم بها وعرفها فصدقوه ، معاشر الناس ،
من يطع الله ورسوله وعلياً والأئمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً ، معاشر
الناس ، السابقون السابقون إلى مبايعته ومواليته والتسليم عليه بإمرة
المؤمنين أولئك هم الفائزون في جنات النعيم ، معاشر الناس ، قولوا ما
يرضى الله عنكم من القول ، فإن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فلن
يضر الله شيئاً ، اللهم اغفر للمؤمنين ، وأعطب الكافرين ، والحمد لله رب
العالمين فناده القوم: نعم ، سمعنا وأطعنا على ما أمر الله ورسوله بقلوبنا
وألسنتنا وأيدينا وتداكوا على رسول ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وصافقوا

بأيديهم وواصلوا البيعة والمصافقة ثلاثاً، ورسول الله ﷺ يقول كلما بايع قوم: «الحمد لله رب العالمين الحمد لله الذي فضلنا على جميع العالمين»^(١). وجاء حسان بن ثابت الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أتأذن لي أن أقول في هذا المقام ما يرضاه الله فقال له قل يا حسان على بسم الله فوقف على نشر^(٢) من الأرض وانشأ قائلاً:

يناديهم يوم الغدير نبيهم
بخم وأسمع بالرسول مناديا
وقال فمن مولاكم ووليكم
فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن
تجد منا لك اليوم عاصيا
فقال له قم يا علي فإني
رضيتك من بعدي إماما وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليه
فكونوا له أتباع صدق موالياً
هناك دعا اللهم والٍ وليه وكن
للذي عادى علياً معادياً^(٣)

ومن أحب فليراجع كتاب الغدير للعلامة الاميني رَحِمَهُ اللهُ وَكِتَابَ إِحْقَاقِ
الْحَقِّ لِلتَّسْتَرِيِّ^(٤)

(١) نقلاً عن تفسير البرهان الشريف ج ٢ ص ٢١٩ وما بعدها.

(٢) نشر من الأرض المرتفع منها.

(٣) بحار الانوار ج ٢١ ص ٣٨٨.

(٤) راجع ج ٣ ص ٣٨٦.

وجاء عن العلامة في اعلام العامة في ج ٢ ص ٤٢٦ وج ٣ ص ٣٢٢ -
 ص ٣٢٧ وج ٤ ص ٧٩ و ٩٢ و ٩٩ و ١١٩ - ١٢٥ و ٢٧٧ و ٣٣٠ و ٣٥٨ و ٣٨٧ و ٤٠٨
 و ص ٣٧ و ٤٣ و ٤٧ و ٤٧ وج ٥ ص ٣٥ و ٣٧ و ٤١ و ٤٣ و ٦٠ و ٧٢ و ٧٧ و ٨٠ و ٨
 و ٩ - ٩٨ و ٢٨٨ و ٢٠٩ وج ٦ ص ٢٢٥ الى ٣٠٤ و ج ١ ص ٩٢ و ١١٤ و ج ١
 ص ١٥١ و ١٥٢ الى ص ١٦٥ و ٥٥٩ الى ٥٨٧ وج ٢٠ ص ٣٤٨ و ٣٦٢ و ٥٥٣ وج ٢١ ص ١ الى
 ٩٢ واستدرك فيه مجموعة من الاحاديث: فمنها حديث أصبغ بن نباتة عن
 علي أمير المؤمنين عليه السلام وقد روته العامة ومنهم العلامة أبو عبد الله أحمد
 بن محمد بن قدامه المقدسي المتوفي سنة ٦٢٠هـ، ق في كتابه (المتحابين
 في الله) ص ٧٣ (ط دار الطباع بدمشق) قال: قريء علي الشيخ أبي طاهر
 عبد الجبار بن هبة بن القاسم بالجانب الغربي من بغداد، أخبرنا أبو غالب
 القزاز، أخبرنا الحسين بن النقور، أخبرنا الحسين بن هارون الضبي،
 حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن سعيد الكوفي، حدثنا محمد بن
 اسماعيل الراشدي، حدثنا محمد بن خلف النميري، حدثنا علي بن
 الحسين العبدى، عن سعد، عن الأصبغ بن نباتة قال: نشد الناس علي
 رضي الله عنه في الرحبة، من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم؟
 فقام بضعة عشر رجلاً، منهم أبو أيوب الأنصاري فقالوا: نشهد أنا سمعنا
 رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ بيدك يوم غدير خم فقال: أستم تشهدون أن قد بلغت
 ونصحت؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت قال: ألا إن الله وليي، وأنا
 ولي المؤمنين، ألا فمن كنت مولاه فهذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد
 من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، وأعن من أعانه. ومنها
 حديث الحارث عنه عليه السلام أوله جماعة من اعلام العامة في كتبهم، فمنهم
 الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين المشهور بالعراقي المولود سنة
 ٧٢٥هـ. ق والمتوفي سنة ٨٠٦هـ. ق في دليل (ميزان الاعتدال ص ٢٩ ط جامعة
 أم القرى بمكة المكرمة) وقال خالد بن عامر، روى عن خطر، عن أبي

إسحاق، عن الحارث الاعور عن علي حديث (من كنت مولاه فعلي مولاه) ومع ما ينقله القوم ينقلون اسم الامام علي عليه السلام من دون أدب واحترام وقد اعتادوا على ذلك ولولا مراعاة شؤون الكتاب لما تعرضت لكلامهم وقال العلامة الشيخ كامل الدين أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشي النصيبى العدوي الشافعي المتوفي سنة ٦٥٢هـ.ق في (مطالب السؤل) ص ١٦ ط طهران سنة ١٢٨٧هـ.ق روى الترمذي بسند أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، رواه الترمذي ولم يزد عليه وزاد غيره فذكر الزمان والمكان ونقله الامام أبو الحسن علي الواحدي في كتابه (أسباب النزول) يرفعه بسنده الى أبي سعيد الخدري ورواه البزار ورجاله رجال الصحيح، ومنهم الاستاذ محمد سعيد زغلول في (فهارس المستدرك للحاكم) ص ٣٣٧ ط بيروت وقاله أيضاً في (موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف) ج ١ ص ١٠٦. يا بريدة من كنت مولاه فعلي مولاه، ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفي سنة ٤٥٨هـ.ق في (الاعتقاد على مذهب السلف) ص ٢٠٣ (ط دار الكتب العلمية بيروت) ورواه الحاكم في المستدرك عن زيد بن أرقم وقال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع وقال عنه بأنه حديث صحيح وذكره الذهبي في تلخيصه المستدرك ولم يتعقبه بشيء قال الحاكم شاهدت حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضاً صحيحاً، وفي تاريخ ابن كثير وذكر أنه في غدیر خم، وفي السيرة الحلبية ذكر إنه لما وصل صلى الله عليه وآله الى غدیر خم وذكر الرواية وقال هذا حديث صحيح ورد بأسانيد صحاح وحسان ولا التفات لمن قدح في صحته كأبي داود وأبي حاتم الرازي فقول بعضهم إن قوله صلى الله عليه وآله: (اللهم وال من والاه... الخ) موضوعة مردود لانه قول جاهل أو ناصب معاند وقد ذكر رواية الغدير في صحيح الذهبي كثيراً وقال ابن كثير الشامي في تأريخه اعتنى بأمر هذا الحديث يعني به حديث الغدير الشريف أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ فجمع

في مجلدين أورد فيهما طرقه وألفاظه وكذلك الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر أورد أحاديث كثيرة في هذه الخطبة أي خطبة عيد الغدير قال وروى النسائي في سننه عن محمد بن المثنى بسند متصل يزيد بن أرقم: وذكره ابن ماجة في سننه ١: ١١٦/٤٣ و ١٢١/٤٥، سنن الترمذي ٥: ٣٧٦٣/٦٣٣، خصائص الإمام علي عليه السلام للنسائي: ٧٩/٩٦ و ٨٣/٩٩، مسند أحمد: ١: ٨٤ و ٨٨ و ٤: ٣٦٨، ٣٧٢ و ٥: ٤١٩، ٣١٦، تاريخ بغداد ٧: ٣٧٧ و ٨: ٢٩٠ و ١٢: ٣٤٣، أسد الغابة ٢: ٢٣٣ و ٣: ٩٣، الإصابة ١: ٣٠٤، مستدرک الحاکم ٣: ١٠٩، ١١٠، ١١٦، كفاية الطالب: ٦٤، ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق ٢: ٥٥١/٥: ٥٣، الرياض النضرة ٢: ١٧٥، المناقب للمغازلي ٢٦١٦، مصنف بن أبي شيبة ١٢: ٥٩/١٢١٢ مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ١٠٥ و ص ١٠٦، صحيح ابن حبان ج ١٥ ص ٣٧٥، النسائي في السنن الكبرى (١٢١/٥) الحديث (٨٤٦٩) الباب ٢٧ الكتاب/٧٧.

عن فرات الكوفي رحمته الله قال: حدثني علي بن احمد بن خلف قال: حدثني عبد الله بن علي بن المتوكل الفلسطيني عن بشر بن غياث عن سليمان عروا العامري عن عطاء بن سعيد عن ابن عباس قال: بينما النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام بمكة أيام الموسم إذ التفت النبي ﷺ الى علي عليه السلام وقال: هنيئاً لك وطوبى لك يا أبا الحسن إن الله قد أنزل علي آية محكمة غير متشابهة ذكري وإياك فيها سواء فقال: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). بيوم عرفات ويوم الجمعة. هذا جبرائيل يخبرني عن الله أن الله يبعثك أنت وشيعتك يوم القيامة ركبانا غير رجال على نجائب رحلها من نور فتناخ عند قبورهم فيقال لهم: إركبوا يا أولياء الله فيركبون صفاً معتدلاً أنت أمامهم الى الجنة حتى إذا صاروا الى

الفحص ثارت في وجوههم ریح يُقال لها المثيرة فتذري في وجوههم المسك
الأذفر فينادون بصوت لهم نحنُ العلويون فيقال لهم: إن كنتم العلويون فأنتم
الأمنون: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ مَحْزَنُونَ﴾^{(١)(٢)}.

أنشد أحد الصحابة في غدير خم:

فمن كنت مولاه فهذا وليه

فكونوا له أنصار صدق مواليا

(١) سورة الزخرف الآية ٦٨.

(٢) تفسير فرات الكوفي عليه السلام ج ١ ص ١١٧.

الفصل الرابع

العلم الخاص الذي عند آل البيت (عليهم السلام)

قسّم المناطقة العلم إلى قسمين علم حضوري، وعلم حصولي. وعَرَفُوا العلم الحضوري بأنه حضور نفس الشيء المعلوم لدى العالم، ولذا فهو سنخ علم لا يحتاج إلى كسب أو تحصيل أو إعمال فكر ونظر، فهو علم يترتب الأثر عليه دائماً كعلم المتألم بألمه، وكعلمنا بأن النار محرقة، وبأن الماء رافع للعطش، فعلمنا الحضوري محدود أما علم المعصوم عليه السلام فلا حدود له، أما لماذا علمنا محدود وعلمه عليه السلام بلا حدود؟ فهذا ما سنأتي على بيانه بعون الله تعالى.

أما العلم الحصولي فهو حضور صورة نفس المعلوم لدى العالم، وهو ما احتاج إلى كسب ونظر، وإعمال فكر، فلذا هو سنخ علم قد يترتب الأثر عليه، وقد ينفك الأثر عنه، وهي غالب علومنا، فنحن نعلم جميعاً أن الأموات لا يؤذون أحداً، ولكن الكثير منا يخاف الأموات، ونحن نعلم جميعاً أن الذنوب والمعاصي قطعة من النار، ولكن معظمنا يرتكب الذنوب والمعاصي وكأنه يقضم قطعة من الحلوى، أما المعصوم عليه السلام، فإنه ينظر

إلى حقائق الأشياء، فهو ينظر إلى الذنوب وآثارها ملازمة لها وينظر إلى الأعمال الحسنة وآثارها الطيبة ملازمة لها، كعلمنا بأن النار محرقة، وأن الماء رافع للعطش، فهو لا يقدم على قبيح، ولا يترك حسن، كما نحن لا نقدم على دخول النار، ولا نترك شرب الماء عند العطش، فلو نظرنا في مصادر علومنا لوجدناها معتمدة على حواسنا الخمس، فما تراه بعينك وتسمعه بأذنك وتشمه بأنفك، وتذوقه بلسانك، وتحسه ببشرتك، يُوفرُ لديك علماً بحقيقة الشيء، وهو في الغالب ترتب الأثر عليه، ولكننا نجد أيضاً أن هذه العلوم ضيقة، ومحدودة بحدود قدراتنا الحسية التي نملكها، والتي لا تصدقُ دائماً، فهي قابلة للوقوع في الاشتباه حتى في أدق حاسة عندنا ألا وهي حاسة النظر، فنحن نرى الأشياء السالمة منكسرة، حينما توضع في الماء، ويرى الضمآن السراب ماءً، وقد رأت بلقيس الصرح فرأته لجة، فقال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾^(١). ومع ذلك فإن كل حاسة من حواسنا تفيدنا علماً معيناً، لذا قالوا: مَنْ فَقَدَ حَسًّا فَقَدَ فَقَدَ عِلْمًا، فنحن لا نستطيع أن نصف اللون الأحمر للضرب منذ الولادة ولا بألف كلمة، كما إننا لا نستطيع أن نشرح الرائحة الفلانية طيبة، أو كريهة للذي فقد حاسة الشم منذ الولادة، وهكذا في باقي الحواس، فنحن وجدنا إذاً أن علمنا عن طريق حواسنا محدود أولاً، فنحن لا نبصر في الظلام ولا من وراء الحواجز، ولا ما حال البعد عن إبصاره، وكذا في باقي الحواس. وثانياً: أن هذا العلم المستفاد عن طريق هذه الحواس قابل للوقوع في الخطأ والاشتباه. وثالثاً: إن قدرة حواسنا متفاوتة من إنسان لآخر، وإن كان لها حداً طبيعياً عند غالب الناس، فالحد الطبيعي للنظر سنة على ستة بالمعيار الطبي، ولكن قدرة الناس فيها لا تخلو من تفاوت،

فتجدُ فيها ضعيف البصر لعله ما ، وتجد فيهم قوي البصر ، وقد تجدُ فيهم من يُبصر لمسافة ضعفي بصر الانسان العادي ، بل أكثر كما حصل مع زرقاء اليمامة مثلاً ، وهذا ليس بالشيء العجيب ، فإن هناك حيوانات أصغرُ حجماً من الإنسان بكثير ولكنها تمتلك قوة بصرية تزيد أضعافاً على القوة البصرية للانسان كما في الصقور ، وباقي الحواس كذلك ، فهناك من الحيوانات من تكون عندها حاسة الشم تزيدُ على حاسة الشم عند الانسان بأضعاف مضاعفة وقد يصل التفاوت درجة لا يمكن حسابها ، فإن هناك نوع من الاسماك تشم رائحة قطرة دم واحدة في ماء المحيط لمسافة تزيد على ستة كيلو مترات ، وخلاصة الكلام إننا عندما نقارن الانسان بأفراد نوعه نجد تفاوتاً كبيراً في قدراته وعندما نقارنه بجنسه نجد أن التفاوت صار أكبر وأعظم قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(١) ، فإذا كان هذا التفاوت واقع في الجنبه المادية بهذا الشكل الكبير ، فكيف يكون التفاوت إذا في الجنبه الروحية أو المعنوية؟! بلا شك أنه يكون أكبر ولا يحق لأحد أن يعترض عليه فإن الله سبحانه وتعالى فضل الانسان على سائر خلقه ، بل إنه تعالى خلق كل شيء لأجله ، فجاء في الحديث القدسي المشهور: (خلقت كل شيء لأجلك وخلقتك لأجلي) وجاء في حديث الكساء الشريف: (وعزّتي وجلالي إني ما خلقتُ سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مُضيئةً ولا فلکاً يدورُ ولا بحراً يجري ولا فلکاً يسري إلا لأجلکم ومحبتکم)^(٢) وأعطى الله تعالى للانسان من القدرات ما لم يعط غيره من سائر الخلق ليلبغ بقدراته تلك رؤية ملكوت السماوات والارض ، ولكن متى يستطيع الانسان بلوغ هذا المقام؟ يستطيع الانسان بلوغ هذا المقام حينما يرتبط بيد القدرة الإلهية

(١) سورة البقرة الآية ٢١٢ .

(٢) عن مفاتيح الجنان نقلاً عن كتاب عوالم العلوم للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني رحمه

بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الأنصاري .

والعناية الربانية الخاصة التي لا يحيط بها إلا من تحقق بمقام الانسانية التامة ومقام العبودية الكاملة التي فاز بها أولياء الله وَعَلَّاهُ ، فتتحول حواسهم العادية تلك إلى حواس ملكوتية وجوارحهم إلى جوارح إلهية ، وهذا التحول ليس بالشيء الخارج عن الحقيقة الانسانية ، بل هو حقيقة مخزونة في جوهر الانسان ، وأصل تركيبته العجيبة الممزوجة بين المادة والروح فالروح ليس من جنس البدن وأنه خلق آخر لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾^(١) ، فنتيجة لهذا المزيج العجيب صار كل طرف له جاذبيته الخاصة به ، فالمادة المتمثلة بالبدن تجذب الانسان إلى عالم التراب ، والروح تجذبه إلى رب الأرباب ، وقد هيء الله تعالى له الاسباب ليبلغ حسن المآب ، أو يُذيقه سوء العذاب.

فإن سعى الانسان لجعل حواسه مرتبطة بعالم التراب فقط ، قال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢) ، فقد خَسَرَ خسراناً مبيناً فيقول الكافر يوم القيامة: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾^(٣) ، ومن كان في هذه الدنيا أعمى عن ولاية آل البيت عليهم السلام ، فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً: ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾^(٤) قال كذلك أنكء آيتنا فنسينها وكذلك اليوم نُنسى^(٥) ، فسعى الانسان لتحقيق جذبة المادة والتراب تخرجه عن حد الانسانية وتدخله في حدود البهيمية وما دونها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾^(٥) ، وأما إذا سعى الانسان

(١) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٢) سورة النجم الآية ٣٩ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٤) سورة طه الآيات ١٢٥-١٢٦ .

(٥) سورة الاعراف الآية ١٧٩ .

لتحقيق جذبة الروح صارت حواسه مرتبطة بعالم اللاهوت وارتقى مراقي الانسانية والعبودية الكاملة الخاصة بأولياء الله وَعَلَّاهُ فتتحول حواسه البشرية إلى حواس إلهية، فينظر بعين الله ويسمع بحول الله ويبطش بقدرته الله. روى شيخنا الكليني (رضوان الله تعالى عليه) عن ابان بن تغلب، عن أبي جعفر الامام الباقر عليه السلام إن الله جل جلاله قال: (ما يقرب إلي عبد من عبادي بشيء أحب إلي مما أفترضت عليه، وإنه يتقرب إلي بالنافلة حتى أحبه فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبتة، وإن سألتني أعطيتة)^(١)، وجاء في الحديث القدسي المتواتر والمشهور سنة وشيعة: (لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها)^(٢). فحواس من تحقق بمقام الكمال في عبودية الله وَعَلَّاهُ هي حواس الهية لأنه تخلى عما سوى الحق سبحانه وانقطع عن سواه، فغاب نظره عن نفسه، وطار قلبه إلى باريه بعد أن فاز بتجلية قلبه عما سواه، فصار ذلك الانسان عارفاً متصلاً بالحق سبحانه غارقاً بعشق الله وَعَلَّاهُ، فهو يبصر ما لا يبصر غيره، ويسمع ما لا يسمع غيره، ويحس ما لا يحس غيره، أحب الله وَعَلَّاهُ فأحبه الله وجعل حواسه إلهية، فصارت علومه إلهية لا تعرف الحدود ولا تخطيء لارتباطها بالله وَعَلَّاهُ، وكلما اقترب الانسان من الله وَعَلَّاهُ أكثر كلما اكتملت صفاته أكثر، ولا يتبادر إلى ذهنك بأن هذه القوى مضافة على الانسان من الخارج، بل هي خزائن مودعة في جوهره ولكي تظهر هذه الخزائن لا بد أن يقوم السالك بتسليم الخزانة إلى باريها ليخرج له الودائع التي له فيها بيد القدرة الإلهية،

(١) وسائل الشيعة ج ٣ (باب إعداد الفرائض ونوافلها ب ١٧ ح ١).

(٢) عوالي اللئالي لأبن أبي جمهور ج ٤ ص ١٠٢، الجواهر السنوية، الباب الحادي عشر وقريب

منه في مسند أحمد بن حنبل ج ٦ ٢٥٦.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِإِذْنٍ مَعْلُومٍ ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾^(٢) وقد شرط الله، فك تلك الخزائن بإقتراب جوهر الانسان من مقام الربوبية ولا يقترب جوهر الانسان من مقام الربوبية حتى يتحقق بمقام العبودية ولن يتحقق بمقام العبودية حتى يتحقق بالطهارة، قال تعالى: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٣)، وقال الامام الصادق عليه السلام: (العبودية جوهره كنهها الربوبية)^(٤)، فجوهر الانسان من العبودية كالفحمة السوداء كلما إقتربت من النار أكثر كلما قامت النار باستخراج القوة المودعة فيها، حتى تتحول قطعة الفحم السوداء تلك إلى نار محرقة ومضيئة لا فرق بينها وبين النار، وهو ما يعرف بالحركة الجوهرية عند الفلاسفة. إذاً ان هناك سنخ علم يحصل عليه الانسان عندما تفتح خزائن جوهره، فهو علم لا بتعليم، علم يفيض الله تعالى به على عباده المُخلصين كل بحسبه، علم يرتبط بتقوى الله تعالى قال تعالى: ﴿ إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾^(٥)، والفرقان هو ما يُفرِّقُ به بين الحق والباطل وهي المعرفة قال الإمام الصادق عليه السلام: (العلم نورٌ يقذفه الله في قلب من يشاء)^(٦) وجاء في الخصال عن الإمام السجاد عليه السلام: (ألا أن للعبد أربعة أعين عينان يبصر بهما أمر دينه ودنياه وعينان في قلبه يبصر بهما أمر آخرته فإذا أراد الله بعبد خيراً فتح له العينان التي في قلبه يبصر به الغيب وأمر

(١) سورة الحجر الآية ٢١.

(٢) سورة الانعام الآية ٥٩.

(٣) سورة المائدة الآية ٦.

(٤) قال الإمام الصادق عليه السلام: العبودية جوهره كنهها الربوبية فما فقد من العبودية وجد في الربوبية وما خفي عن الربوبية أصيب في العبودية عن مصباح الشريعة ص ٧، الباب الثاني.

(٥) سورة الانعام الآية ٥٩.

(٦) مصباح الشريعة ص ١٦ الباب السادس.

آخرته وإذا أراد به غير ذلك تركه^(١)، فإن الله ﷻ يمد عبده المؤمن بعينين باطنيتين يبصر بهما حقائق الأمور، فهي رؤية خاصة للمخلصين من عباده الصالحين، وقد يصل العبد مقاماً يُريه الله ﷻ ملكوت السماوات والأرض بتلك الجارحة الإلهية، وهو مقام من بلغ الكمال في عبودية الله ﷻ، فاستخلصه الله لنفسه، وإختره من بين خلقه واصطفاه لأمره، كاصطفاء إبراهيم الخليل ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٢)، فأسند الله تعالى رؤية ملكوت السماوات والأرض لإبراهيم الخليل ﷺ إلى نفسه لبيان تحقق تمام الجذبة الإلهية فيه والتي مكنته من رؤية ذلك الملكوت فأضيف (الواو) و(التاء) إلى الملك للتوكيد والمبالغة في الملكية ولا مبالغة في ملكيته تعالى فهو المالك لكل شيء ملكاً حقيقياً وإنما خلقه يملكون بإذنه تبارك اسمه قال تعالى: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣)، وقال: ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، ومالكيته تعالى لا تدركها الأوهام ولا توصف بعبارة ولا تنفع معها الإشارة، ولذا فإن إبراهيم الخليل ﷺ بكل ما وصل إليه من مقامات عليه ما كان قادراً أن يطلع على هذا الملكوت إلا بجذبة إلهية، يدرك بها مقام الموقنين، التي يكون اليقين فيها يتناسب مع مقام خليل الله ﷻ، فهذه نظرة أخص الخواص، الذين استخلصهم الله لنفسه وارتضاهم لأمره، فأطلعهم على ملكوته بحواسهم الإلهية المتناسبة مع طهارتهم الذاتية والصفاتية والأفعالية، ولإيضاح هذه

(١) بحار الانوار ج ٥٥ ص ١٥٧، بحار الانوار ج ٥ ص ١١٢، قريب منه في الكافي ج ٨

ص ٢١٤.

(٢) سورة الانعام الآية ٨٨.

(٣) سورة الملك الآية ١.

(٤) سورة المؤمنون الآية ٨٨.

الرؤية نذكر ما رواه القمي رحمته الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (كشط الله عن الأرض ومن عليها وعن السماء ومن فيها، والملك الذي يحملها العرش ومن عليه)^(١). وعن الإمام الباقر عليه السلام قال: (كشط الله عن الأرضين حتى رأهن وما تحتهن، وعن السماوات حتى رأهن وما فيهن من الملائكة وحملة العرش)^(٢). وقال عليه السلام: (وفعل بمحمد صلى الله عليه وآله كما فعل بإبراهيم عليه السلام) وإن نظرة نبينا صلى الله عليه وآله لا يدركها كل مخلوق لأنها نظرة صاحب مقام (قاب قوسين أو أدنى)، وإذا كانت رؤية إبراهيم الخليل عليه السلام بهذا الحال فنظرة خالص الأخلاء سيد الكونين أبو السبطين الحسن والحسين عليهما السلام كيف تكون؟! وقد جاء في زيارته عليه السلام: (السلام عليك يا زين الموحددين النجباء السلام عليك يا خالص الأخلاء)^(٣).

روى في الاختصاص وبصائر الدرجات عنه عن محمد بن المثنى عن أبيه عن عثمان بن زيد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: فكنْتُ مطرِقا إلى الأرض فرفع يده إلى فوق ثم قال لي إرفع رأسك فرفعت رأسي فنظرتُ إلى السقف قد انفجر - أي كأنه لا وجود له - حتى خلص بصري إلى نور ساطع حار بصري دونه قال: ثم قال لي: رأى إبراهيم عليه السلام ملكوت السماوات والأرض هكذا ثم قال لي: أطرق فأطرقت ثم قال لي إرفع رأسك فرفعت رأسي قال فإذا السقف على حاله قال ثم أخذ بيدي وقام وأخرجني من البيت الذي كنت فيه وأدخلني بيتا آخر فخلع ثيابه التي كانت عليه ولبس ثيابا غيرها ثم قال لي غض بصرك فغضضت بصري وقال لي لا تفتح عينيك

(١) بيان السعادة ج ٢ ص ١٣٧.

(٢) تفسير الجوهر الثمين ج ٢ ص ٢٧٨.

(٣) مقطع من زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الميلاد - مفاتيح الجنان ص ٣٧٥.

فلبثت ساعة ثم قال لي: أتدري أين أنت؟ قلتُ لا جعلتُ فداك. فقال لي: أنت في الظلمة التي سلكها ذو القرنين فقلت له جعلت فداك أتأذن لي أن أفتح عيني فقال لي: افتح فإنك لا ترى شيئاً ففتحت عيني فإذا أنا في ظلمة لا أبصر فيها موضع قدمي ثم سار قليلاً ووقف فقال لي: هل تدري أين أنت؟ قلتُ: لا قال: أنت واقف على عين الحياة التي شرب منها الخضر عليه السلام وخرجنا من ذلك العالم إلى عالم آخر فسلطنا فيه فرأينا كهيئة عالمنا في بنائه ومساكنه وأهله ثم خرجنا إلى عالم ثالث كهيئة الأول والثاني حتى وردنا خمسة عوالم، قال: ثم قال: هذه ملكوت الأرض ولم يرها إبراهيم وإنما رأى ملكوت السماوات وهي إثنا عشر عالماً كل عالم كهيئة ما رأيت كلما مضى منا إمام سكن أحد هذه العوالم حتى يكون آخرهم القائم في عالمنا الذي نحن ساكنوه قال: ثم قال لي غض بصرك فغضضت بصري ثم أخذ بيدي فإذا نحن في البيت الذي خرجنا منه فنزع تلك الثياب ولبس الثياب التي كانت عليه وعدنا إلى مجلسنا فقلت جعلت فداك كم مضى من النهار؟ قال عليه السلام: ثلاث ساعات^(١).

لنا أن نسأل هنا بم بلغ إبراهيم عليه السلام ما بلغ نظره؟ قال الإمام الباقر عليه السلام: (أعطي بصره من القوة ما نفذ في السماوات فرأى ما فيها ورأى العرش وما فوقه ورأى ما في الأرض وما تحتها)^(٢). فهذا نظر خاصة أولياء الله وجلَّ لأنهم ينظرون بعين الله، عن زرارة بن أعين رضي الله عنه عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: ﴿نُرى إبراهيمَ ملكوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾^(٣)، فقال عليه السلام: كشط له عن السماوات حتى نظر العرش وما

(١) بحار الانوار ج ٤٦ ص ٢٨٠-٢٨١، ح ٨٢، بصائر الدرجات ص ٤٠٤ باب في الائمة انهم يسرون في الأرض.
 (٢) تفسير الجواهر الثمين ج ٢ ص ٢٧٨.
 (٣) سورة الانعام الآية ٧٥.

عليه)، إن جذبة عالم اللاهوت التي تحصل عند خاصة أولياء الله المطهرين وهي على العكس تماماً من جذبة غالب الناس التي تكون إلى عالم المادة والتراب، قال تعالى: ﴿أَتَأْتُمِرُ إِلَى الْأَرْضِ﴾^(١) فجذبة عالم التراب تجعل صاحبها ثقيلاً بقيودها مكبلاً بأغلالها متلطحاً بأرجاسها تؤسير حواسه وتستعبد همته، فلا يبصر إلا ما له علاقة بعالم المادة الذي أحبه مخدوعاً به منصرفاً إليه محجوباً بما أحب وطالب الدنيا منهوم لا يشبع ونهمه ذلك منعه عن التفكير في خلق الله وبديع آياته، فعميت بصيرته عن النظر إلى الملكوت، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجْلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾^(٢)، فخرائن جوهر الانسان متعلقة بطهارته قال عليه السلام: (إذا أراد الله بعبده خيراً فتح له العينين التي في قلبه) وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الرجل ليلذنب الذنب فيحرم صلاة الليل وأن العمل السيء أسرع إلى صاحبه من السكين في اللحم)، ومما تقدم تفهم أن مراتب العلم تختلف من إنسان لآخر تبعاً لنوعية الحواس التي يملكها، فقد تكون الحواس التي يملكها الانسان محدودة بحدود تحصيل ملاذ الدنيا، فتكون حواسه بهيمية، وهو يكون أضل سبيلاً من البهائم وقد تكون حواسه إنسانية تبصر الدنيا وصلاح الآخرة معاً، وثالثة تكون حواسه إلهية تختلف قوتها تبعاً لاختلاف قوة العبودية ودرجة القرب الالهي التي تتناسب مع الطهارة بعلاقة عشقية، فكلما إزدادت درجة الطهارة كلما إزداد المخلوق قرباً إلى الله تعالى فتزداد علومه، وقد ينكشف له عالم الملكوت.

نقل البرقي رحمته الله في محاسنه الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (من

(١) سورة التوبة الآية ٣٨.

(٢) سورة الاعراف الآية ١٨٥.

أحبنا أهل البيت وحقق حبنا في قلبه جرت ينابيع الحكمة على لسانه)، وعن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين عن عبد الله بن محمد عن الخشاب قال حدثنا بعض أصحابنا عن خيثة قال: (قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا خيثة نحن شجرة النبوة وبيت الرحمة ومفاتيح الحكمة ومعدن العلم وموضع الرسالة ومختلف الملائكة وموضع سر الله) ^(١). فهم عليهم السلام مفاتيح الحكمة، وبسند متصل عن نافع عن ابن عمر قال: سألت النبي صلى الله عليه وآله عن علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: (.. ألا من أحبَّ علي بن أبي طالب فقد ثبت الله الحكمة في قلبه) ^(٢) فحبه عليه السلام طهارة للقلب وحبُّ عدوهم (لعنهم الله) نجاسة، فحبهم وحب عدوهم لا يجتمعان في قلب واحد قط، قال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ ^(٣)، واعلم أن عملية تخلية القلب عن الأنداد وتحليلته بحب الأَطهار عليهم السلام وبغض أعدائهم (لعنة الله عليهم) تختلف من مؤمن لآخر، فإذا وصل إلى مرتبة الاخلاص بتحقيق حبهم في قلبه وأدى قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ^(٤)، أجرى الله ينابيع الحكمة على لسانه: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ ^(٥)، والاخلاص في محبة النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هو عين الاخلاص في عبودية الله وَعَلَّمَ قال الإمام الصادق عليه السلام: (من أخلص لله أربعين صباحاً أجرى ينابيع الحكمة على لسانه) ^(٦)، فحب الله جلَّ وعلا وحب رسوله وآل بيته

(١) الكافي ج ١ ص ٢٢١ باب أن الأئمة عليهم السلام معدن العلم.

(٢) بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله ص ٣٦.

(٣) سورة الأحزاب الآية ٤.

(٤) سورة الشورى الآية ٢٣.

(٥) سورة البقرة الآية ٢٦٩.

(٦) روى في الكافي ج ٢ ص ١٦ باب الاخلاص عن سفيان بن عينة عن السندي عن أبي جعفر عليه السلام قال: (ما أخلص العبد الإيهان بالله صلى الله عليه وآله أربعين يوماً إلا زهده الله صلى الله عليه وآله في الدنيا

(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) حب واحد. به تتحقق طهارة القلوب وبطهارة القلب يستطيع العابد أن يمس معاني القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(١)، فكلما ازداد المؤمن طهارة كلما ازداد قدرة على مس معاني القرآن الكريم ولقائل أن يقول إن القرآن الكريم مكتوب باللغة العربية، فلماذا لا يصل لحقيقة معناه أهل اللغة والمعاني، وخصر الله تعالى مس الحقائق بالمطهرين؟!

اعلم هداك الله بهديه، أن القرآن الكريم سنخ علم لا يحصل عليه الانسان إلا بالطهارة، والتي إحدى مراتبها تقوى الله وَجَلَّ، قال تعالى: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، ويتضح لك الأمر أكثر حينما تعلم أن الحقيقة الانسانية من أكثر الحقائق قدرة على تجلي الصفات الإلهية فيه، وهذه الصفات هي عين الكمال ومنبعه، ولكي تظهر هذه الصفات في أي حقيقة من الحقائق الانسانية عليه أن يقوم بتجلية نفسه عن الأرجاس، وكلما قام المؤمن بتجلية نفسه عن الأرجاس أكثر كلما صفت مرآة نفسه أكثر وكانت أقدر على التحلية بظهور صفات الكمال فيه أكثر، ولا يوجد في الوجود مخلوق قط أصفا وأطهر وأتقى من آل البيت عليهم السلام الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ

وبصّره داءها ودواءها فأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه... الخ). وعنه في ج ٢ ص ١١٣ باب الصمت وحفظ اللسان ح ٢، وفي الفقيه ج ٤ ص ٤١٠ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (من زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه وبصّره عيوب الدنيا وداءها ودوائها وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام).

(١) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(٢) سورة الزمر الآية ٢٨.

(٣) سورة فصلت الآية ٢.

تَطْهِيراً^(١) ، فحينما صَرَفَ اللهُ تعالى تمام الرجس عنهم وجَعَلَ طهارتهم على كل المستويات بدرجة لم يوصف بها مخلوق قط يثبت أنهم المظهر الأتم والأكمل لجميع صفات الله عَزَّ وَجَلَّ ، قال تعالى: مخاطباً نبيه الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنِكَرُمُ اللَّهُ رَحْمَى﴾^(٢) ، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٣) ، وقال الامام علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد قلعه لباب خيبر: (ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية ، بل بقوة ربانية) ، وجاء في زيارته المقدسة: (السلام على إسم الله الرّضوي ووجهه المّضيء وجنبه القوي وصراطه السوي السلام على الامام التقي المخلص الصفي السلام على الكوكب الدرّي السلام على الإمام أبي الحسن علي ورحمة الله وبركاته)^(٤).

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ناجى داود ربه: (الهي وربّي لكلّ ملك خزانة فأين خزانتك؟ - وخزانة الملك هو المكان الذي يوضع الملك فيه أعلى ما عنده - فقال: لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي - (بيان) أعلم أيها العزيز أن أعظم المخلوقات في عالم الخلق الثاني هو العرش وهو مخلوق من نور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعرش أوسع من الكرسي والكرسي أوسع من السماوات والأرض - وأطيب من الجنة وأزين من الملكوت أرضها المعرفة وسماؤها الايمان وشمسها الشوق وقمرها المحبة وسحابها العقل ومطهرها الرحمة وأشجارها الطاعة وثمرها الحكمة ولها أربعة أضواء - أبواب - الحلم والعلم والصبر والرضا - فما هذه الخزانة العجيبة؟! - قال جلّ

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣.

(٢) سورة الأنفال الآية ١٧.

(٣) سورة الفتح الآية ١٠.

(٤) مقطع من الزيارة المخصوصة بالامام عَلَيْهِ السَّلَامُ من مفاتيح الجنان ص ٣٧٧.

وعلا: ألا وهي القلب^(١).

ولكن أي قلب هذا الذي يكون خزانة الله واعظم من العرش والكرسي ، وأطيب من الجنة؟! رجل يسأل مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام بأي شيء نلت ما نلت؟ قال عليه السلام: وقفت على باب قلبي فلم ادع أحداً يدخله سواه هذا القلب هو قلب رسول الله صلى الله عليه وآله ، قلب أمير المؤمنين ، وفاطمة الزهراء ، والأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ومن كان قلبه اعظم من العرش والكرسي فكيف يكون علمه؟! يكون بالتأكيد علم بلا تعليم علم يحيط بكل ذرة من ذرات عالم الإمكان ، قال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٢).

روى ابن عباس قال: (لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ قام رجلان فقالا: يا رسول الله. أهي التوراة؟ قال: لا. قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا. قالا: فهو القرآن. قال: لا ، فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هو هذا الذي أحصى الله فيه علم كل شيء ، وإن السعيد كل السعيد من أحب علياً على حياته وبعد وفاته ، والشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته وبعد وفاته)^(٣).

قال الشيخ الصدوق رحمته الله في أماليه: (حدثنا علي بن محمد بن الحسن القزويني المعروف بابن مقبرة ، قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي قال: حدثنا جندل بن وق ، قال: حدثنا محمد بن عمر المازني ، عن عباد الكلبي ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين ، عن فاطمة

(١) عوالي اللثالي ج ١ ص ٢٤٦ ، بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٥٩ ، سر الإسرائ في شرح حديث المعراج الشيخ علي سعادت ج ١ ص ١٣٤ .

(٢) سورة يس الآية ١٢ .

(٣) مدينة المعاجز للسيد هاشم البحراني رحمته الله: ج ٢ ص ١٢٧ .

الصغرى، عن الحسين بن علي عن أمه فاطمة بنت محمد (صلوات الله عليهم) قالت: خرج علينا رسول الله ﷺ عشية عرفة فقال: إن الله تبارك وتعالى باهى بكم وغفر لكم عامة، ولعلي خاصة، وإني رسول الله إليكم غير معاب لقرايتي، هذا جبرائيل يخبرني: أن السعيد كل السعيد حق السعيد من أحب علياً في حياته وبعد موته، وأن الشقي كل الشقي حق الشقي من أبغض علياً في حياته وبعد وفاته^(١).

ولكون النبي المصطفى ﷺ بدرجة الوجودية التي هي أعظم من العرش والكرسي وهو خزانة علم الله بعث الله إليه كتاباً يتناسب مع ذلك المقام المعظم، فقال جل شأنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٢)، وكانت رسالته ﷺ خاتمة ومهيمنة على كل الرسائل السابقة، فكان كتابه مهيمناً على كل الكتب وشريعته مهيمنة على كل الشرائع السابقة: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾^(٣)، وكان الأمر من بعده لأمر المؤمنين ﷺ فأتمنه الله على سره واسترعاه أمر خلقه فهو عبده المرتضى وأمينه الأوفى وعروته الوثقى ويده العليا وجنبه الأعلى وكلمته الحسنى وحجته على الورى، صديقه الأكبر، ركن الأولياء وعماد الأصفياء، يعسوب الدين وقدوة الصالحين، وإمام المخلصين المعصوم من الخلل والمهذب من الزلل المطهر من العيب المنزه من الريب، وهو النبأ العظيم والذي أنزل الله فيه: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ﴾^(٤)، جاء في علل الشرائع باسناده الى عبد الله بن صالح عن أبيه عن آبائه عن الامام علي ابن أبي طالب ﷺ قال: (قال رسول الله ﷺ: ما خلق الله خلقاً

(١) الأمالي ص ٢٤٩، الأربعون حديثاً لابن بابويه ﷺ ص ٣٣.

(٢) سورة النحل الآية ٨٩.

(٣) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٤) سورة الزخرف الآية ٤.

أفضل مني ولا أكرم مني ، قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرائيل ؟ فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى فضل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي ، وللأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا...^(١) الى آخر الحديث الشريف.

وجاء في الخرائج والجرائح بإسناده الى أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله فضل أولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يعلمون، وعلمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم، وأينما نكون فشيعتنا معنا)^(٢).

ومما تقدم يتضح لك أكثر أسباب إشتراط الشيعة (أعز الله رايتهم) للنص على الامام عليه السلام ، فقد ذكرنا مسبقاً أن سبب إشتراط النص على الإمام عليه السلام بكونه معصوم ، والعصمة ليست من الامور الظاهرية التي يمكن للناس الإطلاع عليها ، بل هي من الأمور الباطنية ، وفي هذا الباب نجد أن الله سبحانه وتعالى جهز الإمام بجهاز خاص أن جعله خزانة علمه وهو من الأمور الباطنية أيضاً التي لا يعلمها إلا الله عز وجل ومن شاء من خواص خلقه ، وقضية إعتراض الملائكة أو تعجبهم من جعل الله جلّ وعلا آدم عليه السلام خليفته في أرضه وتعليمه الأسماء دليلاً بيناً على ذلك ، فالعلم الخاص الذي عند الأئمة عليهم السلام لا يحق لاحد إختياره أو إنتخابه ، وليس لخلق الله شيء فيه إلا الطاعة والتسليم ، والعلم الخاص الذي عند الأئمة عليهم السلام من

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمته الله ج ١ ص ٥٠، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٣٧: كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح. لقطب الدين الراوندي رحمته الله ج ٢ ص ٧٩٢، الإمامة والتبصرة ص ١٣٩.

ملازمات طهارتهم الذاتية والصفاتية والفعلية، والتي هي من الأمور التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، فحقيقة الإمامة غيب وسر في سر وسرٌ مستتر وسر مقنع بسر وسر لا ينفع فيه إلا السر، وأما ظاهرها فعجيب لأنها المظهر الأتم والأكمل لصفات الله وأفعاله، فولايتهم مظهر ولاية الله عَلَيْهِ السَّلَام، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، وطاعتهم مظهر طاعة الله عَلَيْهِ السَّلَام فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢)، فلذا جعل الله الشرك بإمامتهم عَلَيْهِ السَّلَام على حد الشرك بالله عَلَيْهِ السَّلَام ومعصيتهم على حد معصية الله عَلَيْهِ السَّلَام روى ابن عباس أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (إن الله عَلَيْهِ السَّلَام أمرني أن أقيم علياً إماماً وحاكماً وخليفة، وأن أتخذه أخاً ووزيراً وولياً وهو صالح المؤمنين أمره أمري، وحكمه حكمي، وطاعته طاعتي، فعليكم طاعته واجتناب معصيته فإنه صديق هذه الأمة، وفاروقها ومحدثها وهارونها ويوشعها وأصفها وشمعونها، وباب حطتها وسفينة نجاتها وطالوتها، وذو قرنيها ألا أنه محنة الوري والحجة العظمى والعروة الوثقى، وإمام أهل الدنيا وأنه مع الحق والحق معه وأنه قسيم الجنة فلا يدخلها عدو له ولا يزحزح عنها ولي له، قسيم النار فلا يدخلها ولي له، ولا يزحزح عنها عدو له ألا أن ولاية علي ولاية الله وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله وأولياؤه أولياء الله، وحربه حرب الله وسلمه سلم الله)^(٣). ومن مقام فناء آل البيت عَلَيْهِ السَّلَام المطلق بالله عَلَيْهِ السَّلَام نستطيع أن نفهم جملة من كلماتهم المقدسة التي لا يمكن إدراكها تحت الناموس التشريعي، أو الناموس المنطقي الذي اعتدنا التعامل به كما جاء في قول أمير

(١) سورة المائدة الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

(٣) عن مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَام ص ٥٦ ط تهران.

أفضل مني ولا أكرم مني ، قال علي عليه السلام : فقلت يا رسول الله أفأنت أفضل أم جبرائيل ؟ فقال عليه السلام : إن الله تبارك وتعالى فَضَّلَ أنبياءه المرسلين على ملائكته المقربين ، وفضلني على جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي ، وللأئمة من ولدك فإن الملائكة لخدامنا وخدام محبيننا...^(١) الى آخر الحديث الشريف.

وجاء في الخرائج والجرائح بإسناده الى أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله فضل أولي العزم من الرسل على الأنبياء بالعلم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يعلمون ، وعلمنا علم رسول الله صلى الله عليه وآله فروينا لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم ، وأينما نكون فشيعتنا معنا)^(٢).

ومما تقدم يتضح لك أكثر أسباب إشتراط الشيعة (أعز الله رايتهم) للنص على الامام عليه السلام ، فقد ذكرنا مسبقاً أن سبب إشتراط النص على الإمام عليه السلام بكونه معصوم ، والعصمة ليست من الامور الظاهرية التي يمكن للناس الإطلاع عليها ، بل هي من الأمور الباطنية ، وفي هذا الباب نجد أن الله سبحانه وتعالى جهّز الإمام بجهاز خاص أن جعله خزانة علمه وهو من الأمور الباطنية أيضاً التي لا يعلمها إلا الله وَجَلَّ وَعَلَى وَمَنْ شَاءَ مِنْ خَوَاصِ خَلْقِهِ ، وقضية إعتراض الملائكة أو تعجبهم من جعل الله جلّ وعلا آدم عليه السلام خليفته في أرضه وتعليمه الأسماء دليلاً بيناً على ذلك ، فالعلم الخاص الذي عند الأئمة عليهم السلام لا يحق لاحد إختياره أو إنتخابه ، وليس لخلق الله شيء فيه إلا الطاعة والتسليم ، والعلم الخاص الذي عند الأئمة عليهم السلام من

(١) علل الشرائع للشيخ الصدوق رحمته الله ج ١ ص ٥ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ج ٢ ص ٢٣٧ : كمال الدين وتمام النعمة ص ٢٥٠ .

(٢) الخرائج والجرائح . لقطب الدين الراوندي رحمته الله ج ٢ ص ٧٩٢ ، الإمامة والتبصرة ص ١٣٩ .

ملازمات طهارتهم الذاتية والصفاتية والفعلية، والتي هي من الأمور التي لا يطلع عليها إلا علام الغيوب، فحقيقة الإمامة غيب وسر في سر وسر مستتر وسر مقنع بسر وسر لا ينفع فيه إلا السر، وأما ظاهرها فعجيب لأنها المظهر الأتم والأكمل لصفات الله وأفعاله، فولايتهم مظهر ولاية الله ﷻ، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، وطاعتهم مظهر طاعة الله ﷻ فقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢)، فلذا جعل الله الشرك بإمامتهم ﷺ على حد الشرك بالله ﷻ ومعصيتهم على حد معصية الله ﷻ روى ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله ﷻ أمرني أن أقيم علياً إماماً وحاكماً وخليفة، وأن أتخذه أخاً ووزيراً وولياً وهو صالح المؤمنين أمره أمري، وحكمه حكمي، وطاعته طاعتي، فعليكم طاعته واجتناب معصيته فإنه صديق هذه الأمة، وفاروقها ومحدثها وهارونها ويوشعها وأصفها وشمعونها، وباب حطتها وسفينة نجاتها وطالوتها، وذو قرنيها ألا أنه محنة الوري والحجة العظمى والعروة الوثقى، وإمام أهل الدنيا وأنه مع الحق والحق معه وأنه قسيم الجنة فلا يدخلها عدو له ولا يزحزح عنها ولي له، قسيم النار فلا يدخلها ولي له، ولا يزحزح عنها عدو له ألا أن ولاية علي ولاية الله وحبه عبادة الله، واتباعه فريضة الله وأولياؤه أولياء الله، وحربه حرب الله وسلمه سلم الله)^(٣). ومن مقام فناء آل البيت ﷺ المطلق بالله ﷻ نستطيع أن نفهم جملة من كلماتهم المقدسة التي لا يمكن إدراكها تحت الناموس التشريعي، أو الناموس المنطقي الذي اعتدنا التعامل به كما جاء في قول أمير

(١) سورة المائدة الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

(٣) عن مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين ﷺ ص ٥٦ ط تهران.

المؤمنين عليهم السلام: (والله لو اعطيت ملك الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق لي قطانها مذعنة بأملاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت وقال أن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها)^(١)، فأمر المؤمنين عليهم السلام الذي هو ناموس الشريعة ومظهر القدرة الإلهية، ميزان عدل الله وقبضه وبسطه لا يرضى أن يعاوض سلب جلباب نملة بملك الأقاليم السبعة، ولو كان هناك عنوان للسلب والغصب أدنى من ذلك لذكره (صلوات الله وسلامه عليه)، وما ذاك إلا لكونه المظهر الأتم والأكمل للعدل الذي لا يجور وباسط الأرزاق لكل مخلوق، فهو لا يفعل ما يستحيل صدوره عنه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢)، وإليه الإشارة بقوله: (لا فرق بينك وبينها) والتأنيث في الضمير راجع الى ذواتهم المقدسة التي هي صفات الحق والجمال المطلق، وقوله: «(إلا أنهم عبادك) الضمير هنا عائد إلى أجسادهم المقدسة، وهياكلهم المعصومة المطهرة التي هي وعاء الأمر الإلهي، وجمال النور القدسي، وسبب الفرق والنفي موجب لثبات خواص الربوبية لهم^(٣)». وقال عليه السلام: (نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم)^(٤). ومن هذه المنزلة العظيمة التي إختارها الله لهم كان خلقهم يتناسب مع ذلك المقام المعظم وهو الصادق الوعد إذ قال: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٥)، وقد خلق الله سبحانه وتعالى كل مخلوق لما يُسرّ له فمن قدر الله له أن يكون في الدنيا من الأنبياء والرسل والصدّيقين خلقه الله سبحانه وتعالى خلقاً يتناسب مع

(١) رسائل المرتضى ج ٣ ص ١٣٩.

(٢) سورة الانعام الآية ١٢٤.

(٣) عن مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٤ ط تهران.

(٤) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٤٢٧ قال عليه السلام: (انفوا عنا الربوبية وقولوا ما شئتم).

(٥) سورة الاسراء الآية ٢٠.

مقامه الذي قدر له ، وهذا التقدير لم يأتِ إعتباطاً بل هو قائم على علم الله الأزلي بشؤون خلقه ، وما سيصيرون إليه باختيارهم (فلا إرادة إلا بمشيئة ولا مشيئة إلا بعلم ، وعلمه بالمعلوم قبل كونه) قال تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) ، وجاء في الحديث القدسي (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء) ، فحينما يولد الأنبياء والأئمة عليهم السلام يولدون وهم معصومون مطهرون مظهر الكمال الإلهي قال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام : ﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾^(٢) ، أي أن كلامك في الحالتين غير متفاوت فنفس المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) متكاملة منذ الولادة فلا معنى لأن ينسب إليهم سن للعقل والبلوغ كسائر الناس إلا إذا قصد بسن البلوغ بالبلوغ الجسدي فذاك أمر آخر وأما عقولهم عليهم السلام فهي متكاملة من حين الولادة وما يثبت ذلك أيضاً ، قوله تعالى : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٣) ، فقال : عيسى عليه السلام : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٤) ، ولم يقمه الله رسولاً بعد وجاء في الكافي الشريف بإسناده عن علي بن أسباط قال : (رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج إلي فأجلتُ النظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينما أنا كذلك حتى قعد فقال : يا علي ان الله إحتج في الإمامه بمثل ما احتج به في النبوة فقال : ﴿وَأَيُّنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقال : ولما بلغ رشده وبلغ أربعين سنة فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ، ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابن أربعين سنة)^(٥) . وقال

(١) سورة سبأ الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٣) سورة مريم الآية ٢٩ .

(٤) سورة مريم الآية ٣٠ .

(٥) تفسير الميزان ج ١٤ ص ٢٣ .

المؤمنين عليه السلام: (والله لو اعطيت ملك الاقاليم السبعة بما تحت أفلاكها واسترق لي قطانها مذعنة بأملاكها على أن أعصي الله في نملة أسلبها جلب شعيرة فألوكها ما قبلت ولا أردت وقال أن دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تقضمها)^(١)، فأمر المؤمنين عليه السلام الذي هو ناموس الشريعة ومظهر القدرة الإلهية، ميزان عدل الله وقبضه وبسطه لا يرضى أن يعاوض سلب جلباب نملة بملك الأقاليم السبعة، ولو كان هناك عنوان للسلب والغصب أدنى من ذلك لذكره (صلوات الله وسلامه عليه)، وما ذاك إلا لكونه المظهر الأتم والأكمل للعدل الذي لا يجور وباسط الأرزاق لكل مخلوق، فهو لا يفعل ما يستحيل صدوره عنه: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢)، وإليه الإشارة بقوله: (لا فرق بينك وبينها) والتأنيث في الضمير راجع الى ذواتهم المقدسة التي هي صفات الحق والجمال المطلق، وقوله: «(إلا أنهم عبادك) الضمير هنا عائد إلى أجسادهم المقدسة، وهياكلهم المعصومة المطهرة التي هي وعاء الأمر الإلهي، وجمال النور القدسي، وسبب الفرق والنفي موجب لثبات خواص الربوبية لهم^(٣)». وقال عليه السلام: (نزهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم)^(٤). ومن هذه المنزلة العظيمة التي إختارها الله لهم كان خلقهم يتناسب مع ذاك المقام المعظم وهو الصادق الوعد إذ قال: ﴿كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾^(٥)، وقد خلق الله سبحانه وتعالى كل مخلوق لما يُسَّرَ له فمن قدر الله له أن يكون في الدنيا من الأنبياء والرسل والصدّيقين خلقه الله سبحانه وتعالى خلقاً يتناسب مع

(١) رسائل المرتضى ج ٣ ص ١٣٩.

(٢) سورة الانعام الآية ١٢٤.

(٣) عن مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٤ ط تهران.

(٤) إرشاد القلوب ج ٢ ص ٤٢٧ قال عليه السلام: (انفوا عنا الربوبية وقولوا ما شئتم).

(٥) سورة الاسراء الآية ٢٠.

مقامه الذي قدر له ، وهذا التقدير لم يأتِ إعتباطاً بل هو قائم على علم الله الأزلي بشؤون خلقه ، وما سيصيرون إليه باختيارهم (فلا إرادة إلا بمشيئة ولا مشيئة إلا بعلم ، وعلمه بالمعلوم قبل كونه) قال تعالى : ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١) ، وجاء في الحديث القدسي (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء) ، فحينما يولد الأنبياء والأئمة عليهم السلام يولدون وهم معصومون مطهرون مظهر الكمال الإلهي قال تعالى عن نبيه عيسى عليه السلام : ﴿تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا﴾^(٢) ، أي أن كلامك في الحالتين غير متفاوت فنفس المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) متكاملة منذ الولادة فلا معنى لان ينسب إليهم سن للعقل والبلوغ كسائر الناس إلا إذا قصد بسن البلوغ بالبلوغ الجسدي فذاك أمر آخر وأما عقولهم عليهم السلام فهي متكاملة من حين الولادة وما يثبت ذلك أيضاً ، قوله تعالى : ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾^(٣) ، فقال : عيسى عليه السلام : ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾^(٤) ، ولم يقمه الله رسولاً بعد وجاء في الكافي الشريف بإسناده عن علي بن أسباط قال : (رأيت أبا جعفر عليه السلام وقد خرج إلي فأجلت النظر إلى رأسه ورجليه لأصف قامته لأصحابنا بمصر فبينما أنا كذلك حتى قعد فقال : يا علي ان الله إحتج في الإمامه بمثل ما احتج به في النبوة فقال : ﴿وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ وقال : ولما بلغ رشده وبلغ أربعين سنة فقد يجوز أن يؤتى الحكمة وهو صبي ، ويجوز أن يؤتى الحكمة وهو ابن أربعين سنة)^(٥) . وقال

(١) سورة سبأ الآية ٣ .

(٢) سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٣) سورة مريم الآية ٢٩ .

(٤) سورة مريم الآية ٣٠ .

(٥) تفسير الميزان ج ١٤ ص ٢٣ .

تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿يَبْحَثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾^(١)، ونحن نسلم على سيدة النساء مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام: (يا ممتحنة امتحنتك الذي خلقتك قبل أن يخلقتك فوجدك لما امتحنتك صابرة)^(٢). فإن الله سبحانه وتعالى أيد المعصومين عليهم السلام بروح القدس يسددهم على ملازمة العصمة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا) وقد أيد الله عباده المؤمنين بروح الإيمان لتبعثهم على ملازمة التقوى وترك المحرمات، ولذا جاء عن الامام الصادق عليه السلام: (لا يزني الزاني وهو مؤمن) وقال: (لا يكذب الكاذب وهو مؤمن) فروح الإيمان تدفع بالمؤمن لتبعده عن الخطيئة فإذا وقع بها إنصرفت عنه روح الإيمان، فإن تاب عادت إليه، وإن هذه الأرواح ليست بالجزء الخارج أو المستقل عن وجود الانسان بل إنها في أصل تكوينه كما إنها لا تخرج فعله عن كونه فعلاً صادراً عن فاعل مختار ومريد، وهذا الفهم لعلاقة المؤمن بروحه الإيمانية تكوينياً يساعدنا على فهم تكوين المعصومين عليهم السلام على العموم، والنبوي وآله المعصومين المطهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بالخصوص.

روى محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن موسى ابن عمر، عن محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن علم العالم، فقال لي: يا جابر إن في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح، روح القدس، وروح الإيمان، وروح الحياة، وروح القوة، وروح الشهوة، فبروح القدس يا جابر عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، ثم قال: يا جابر إن هذه الأربعة يصيبها الحدثان إلا روح

(١) سورة مريم الآية ١٢ .

(٢) مقطع من زيارة سيدة النساء عليها السلام عن مفاتيح الجنان ص ٥٦ .

القدس فإنها لا تلهو ولا تلعب^(١)، وروى الحسين بن محمد، عن المعلى بن محمد، عن عبد الله بن إدريس، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن علم الامام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مرخى عليه ستره، فقال: يا مفضل إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي ﷺ خمسة أرواح، روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه آمن وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام، وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يزهو)^(٢) - والزهو: هو الرجاء الباطل والكذب والاستخفاف - هذا باب واسع قد كثرت رواياته نجد فيه أن الأنبياء والرسل والأئمة الاطهار وسيدة النساء فاطمة الزهراء (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قد خلقهم الله جلّ وعلا خلقاً يتناسب لما خلقوا من أجله وهو مقتضى عدله وحكمته في عباده، ولذا كان تكوينهم يختلف عن تكوين باقي الخلق رغم إشتراك الناس معهم في الجذبة البشرية، وهذا التكوين لم يخرجهم عن كون أفعالهم صادرة عن فاعل مختار ومريد وإليه الاشارة بالحديث الشريف: (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء لنفسك ما تشاء). فركب الله فيهم ما يسددهم ويجعلهم ملازمين للعصمة منذ الولادة وهو روح القدس مضافاً الى الأرواح الأربعة التي ركبها الله في باقي بني البشر كما ركبها فيهم، ومن هذه التركيبة التي فيهم وفينا لهذه الأرواح ندرك أن هذه الأرواح ليست وجودات مستقلة يشار إليها في كل إنسان، بل إنما هي وجود واحد، وهذا التفصيل واقع في مقام الحيثيات، كما نقول: علي عالم بالفلك وعالم بالرياضيات والطب والفقہ والنحو، فعلمه له حيثيات متعددة في وجود واحد، وقد نجد في بعض الروايات ما

(١) الكافي الشريف باب الروح التي يسدد بها الأئمة عليهم السلام.

(٢) الكافي الشريف باب الروح التي يسدد الله بها الأئمة عليهم السلام.

يشير إلى أن روح القدس وجوداً مستقلاً كما جاء في رواية جابر (رضوان الله عليه) السابقة التي نصّت على أن روح القدس التي في النبي صلى الله عليه وآله تنتقل عند موته منه إلى الامام عليه السلام، والانتقال إلى الإمام يعني خلوه منها قبل الانتقال إليه والروايات تنصّ على أن روح القدس هي التي تسدد الأئمة الأطهار عليهم السلام، وتعصمهم من الخطأ، فالانتقال هذا يعني عدم عصمتهم من الولادة، بل أن عصمتهم تبدأ من تأريخ انتقال روح القدس إليهم المتمثلة بوفاة المعصوم السابق وهذا الفهم مخالف لما أجمعت عليه أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام القائم على الأدلة القطعية، والبراهين الصادقة وقد مر عليك بعضها ويكفي مراجعة آية التطهير وآية المباهلة لبيان ذلك.

فالمراد من حقيقة الانتقال إذاً هو إنتقال مهام النبي صلى الله عليه وآله ومسؤولياته جملة وتفصيلاً إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام واحداً بعد واحد حيث أن هذه المهام والمسؤوليات كانت تصدر عن الروح القدسية للنبي صلى الله عليه وآله وهي موجودة عند الأئمة الأطهار عليهم السلام بنفس المستوى، فلذا جعل الله تعالى ولايتهم واحدة وطاعتهم واحدة، وانتقال المهام والمسؤوليات كأنه انتقال لروح النبي المصطفى صلى الله عليه وآله القدسية إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام، فمن عبد الله تعالى طالباً للحقيقة، فحقيقة النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) واحدة وإليها الإشارة بقوله عليه السلام: (أولنا محمد وآخرنا محمد وأوسطنا محمد بل كلنا محمد)، وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(١)، فالنبي صلى الله عليه وآله أراد توجيه الناس إلى الحقيقة الواحدة لهم والمتعاقبة على حفظ الدين لا الصور المتغيرة، ولذا جاء عنهم عليهم السلام: (من أنكر أحدنا كمن أنكرنا جميعاً).

إشكال

إذا كان المعصومون بالعصمة الدفعية مسددين جميعاً بروح القدس فلماذا هم درجات ومراتب عند الله؟!؟

ولنا هنا أن نقف على سؤال يتبادر إلى الذهن، وهو أنا قد ذكرنا مسبقاً وبدلالة آيات القرآن الكريم أن الأنبياء والرسل، أو المعصومين عليهم السلام على الإطلاق قد فضل الله بعضهم على بعض^(١)، وقد فضل الله عجله النبي الخاتم عليه السلام على جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام وجعل الفضل من بعده لأمير المؤمنين وفاطمة الزهراء والأئمة الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، وقد دلت آيات القرآن الكريم على ذلك ومنها آية التطهير المباركة مع روايات كثيرة قطعية الصدور، ثم عندما جئنا إلى هذه الروايات الشريفة التي تتحدث عن تكوين المعصومين عليهم السلام، ومنشأ عصمتهم وجدناها حقيقة واحدة معتمدة على روح القدس وهي: لا تلهو ولا تلعب ولا تسهو ولا تنام ولا تغفل ولا تزهو ويعرف بها المعصوم ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى، فمع وحدة الحقيقة من أين جاء هذا التفاوت في مراتب ودرجات المعصومين عليهم السلام؟! ثم كيف يمكن فهم أفضلية الخاتم وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على جميع الأنبياء والمرسلين؟!؟

ولجواب ذلك أقوم بنقل رواية شريفة أعدها من كنوز الروايات التي من الله بها علي يرويها علي بن رثاب التي رواها علي بن إبراهيم رحمته الله عن علي بن حسان ومحمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب وغيره عن علي بن حسان

(١) ومنه قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ ﴾ الآية ٢٥٣ من سورة البقرة، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ الآية ٥٥ من سورة الاسراء.

عن علي بن عطية الزيات عن علي بن رثاب رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام: إن لله نهراً دون عرشه ودون النهر الذي دون عرشه نورٌ نورُهُ وإن في حافتي النهر روحين مخلوقين روح القدس وروح من أمره وإن لله عشر طينات خمس من الجنة وخمس من الأرض فَفَسَّرَ الجنان وَفَسَّرَ الأرض ثم قال ما من نبي ولا ملك من بعده جبله إلا نفخ فيه من إحدى الروحين وجعل النبي صلى الله عليه وآله من إحدى الطينتين قلتُ لأبي الحسن الأول عليه السلام ما الجبل فقال: الخلقُ غيرنا أهل البيت فإن الله وَجَلَّ خلقنا من العشر طينات ونفخ فينا من الروحين جميعاً فأطيبُ بها طيباً^(١)، وقوله عليه السلام: فأطيبُ بها طيباً صيغة تعجب ونقل صاحب البحار رحمته الله بأنه قد رآها في بعض النسخ (فأطيب بها طيباً)، وروى غيره عن أبي الصامت قال: (طينُ الجنان جنةُ عدن وجنة المأوى وجنة النعيم والفردوس والخلد وطين الأرض مكة والمدينة والكوفة وبيت المقدس والحائر)^(٢). ومن هذا يتبين أن الاختلاف واقعٌ في تكوين الأنبياء والرسل عليهم السلام في جنبتين الجنة الأولى: في سعة وشمولية الطينة التي خلق الله منها المعصومين عليهم السلام وباقي خلقه المطهرين فجعل أفضل المعصومين أكثرهم جمعاً للطينة الطاهرة المباركة من طينة الجنان وطينة الأرض من المساجد المقدسة المباركة وكانت طينة النبي المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) مزيجُ تلك الطينات العشر المباركة الطاهرة المطهرة لتكون طينتهم جامعة لكل طاهر من خلقه وإليه الإشارة بقولهم عليهم السلام: (رحم الله شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا،

(١) بصائر الدرجات (ص ٣٩) الباب العاشر في خلق أبدان الأئمة عليهم السلام وأرواحهم، بحار الأنوار للمجلسي رحمته الله في ج ٢٥ ص ٤٩ باب الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام وفي ج ٥٨ ص ٤٦ في باب حقيقة النفس والروح.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٩، ص ٤٤٦، بحار الأنوار للمجلسي رحمته الله في ج ٢٥ ص ٤٩ باب الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام وفي ج ٥٨ ص ٤٦ في باب حقيقة النفس والروح.

وعجنوا بماء ولايتنا^(١) ولذا تحن شيعتهم بحسب تكوينهم إلى مواطنهم المقدسة (صلوات الله وسلامه عليهم)، وجاء في الدعاء الشريف (واجعل أرواحنا تحنُّ إلى مواطن أقدامهم ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرضاتهم)^(٢).

وأما الجنبه الثانية فمتعلقة بتلك الأرواح الخمسة التي نفخها الله تعالى في المعصومين من الأنبياء والمرسلين عليهم السلام فهي ليست على مرتبة واحدة فبعضهم نفخ الله فيهم روح من أمره وبعضهم نفخ الله فيهم روح القدس، ولكي لا يحصل خلط لدى القارئ الكريم في فهم الروح من أمره، فيظنها واحدة سأعرض إلى تفصيل بسيط ومختصر يتناسب مع ما نحن عليه، أعلم أيها العزيز أن الروح في القرآن الكريم استخدمت في موارد متعددة بمعان متغايرة بحسب موضعها في الكلام فاستخدمت الروح بمعنى جبرائيل عليه السلام أمين وحي الله، فقال تعالى:

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾^(٣)، نظير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَتْ عَدُوًّا لِحَبْرِيِّلٍ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾^(٤)، واستخدمت الروح على أنه من الملائكة فقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾^(٥)، وقال: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾^(٦)، وأطلق الله تعالى على القرآن الكريم بالروح، فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ

(١) بحار الأنوار.....

(٢) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١١١ (فقرة من دعاء العهد)

(٣) سورة الشعراء الآيات ١٩٣-١٩٤.

(٤) سورة البقرة الآية ٩٧.

(٥) سورة النحل الآية ١٠٢.

(٦) سورة مريم الآية ١٧.

تُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١﴾ ، ويؤيده الآية التي بعدها، فقال: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنُدْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ ﴿١٢﴾ ، وأطلق الروح على خلق من خلق الله عزَّ وجلَّ قد أيد الله عزَّ وجلَّ به المؤمنين، فقال: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ﴿١٣﴾ ، وتطلق الروح على مطلق أمر الله في خلقه فيمتاز بها الحي من الميت والحي من الجماد، فقال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤﴾ ، وقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ﴿١٥﴾ ، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي﴾ ﴿١٦﴾ ، ومنه ما نزل إلى الأنبياء عليهم السلام فقال: ﴿يُنزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا﴾ ﴿١٧﴾ ، وجاء أيضاً أن الروح خلقاً من خلق الله عزَّ وجلَّ أعظم من الملائكة وليس بجبرائيل لأن جبرائيل عليه السلام من الملائكة، فقال تعالى: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمُ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ ﴿١٨﴾ ، ومقتضى العطف المغايرة، ومن هذا العرض البسيط يتبين لك أن الروح حقائق متكثرة والروح التي ذكرها الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رواية علي بن رثاب السابقة هي الروح التي من أمره تعالى فاختص بها بعض أنبياءه، فقال تعالى: ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ﴿١٩﴾ ، ولو كانت الروح من أمره واحدة عند كل الناس

(١) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٢) سورة الإسراء الآية ٨٦.

(٣) سورة المجادلة الآية ٢٢.

(٤) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٥) سورة الحجر الآية ٢٩.

(٦) سورة السجدة الآية ٩.

(٧) سورة النحل الآية ٢.

(٨) سورة القدر الآية ٤-٥.

(٩) سورة غافر الآية ١٥.

لقال يلقي الروح من أمره على عباده لكي تفيد العموم ولكنه لما قال تعالى: ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ عُرِفَ ان المراد بعضهم من خواص عباده لا كلهم، وقد جهز الله سبحانه وتعالى القسم الآخر من الأنبياء عليهم السلام بروح القدس، فتفاضل الأنبياء عليهم السلام فيما بينهم، أما فضل النبي المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فهو بائن على جميع خلقه بما جمعت ذواتهم المقدسة كل فضل وطهارة فتكوينهم من العشر طينات الطاهرة المطهرة وأرواحهم الجامعة لكل روح، فنفخ الله فيهم من الروحين معاً التي ليس للأنبياء إلا إحداها وأحد هذين الروحين هما مصدر الكمال عند الأنبياء والرسل عليهم السلام قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١)، فتكوين نبينا وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بحقيقة جامعة لكل كمال وجمال ومنزه عن كل نقص جاء في ذيل هذه الآية الكريمة عن طريق الأئمة عليهم السلام بأن الروح خلق أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله ومع الملائكة ومع الأئمة عليهم السلام، وهو من الملكوت، وجاء أيضاً عن عدة من أصحابنا، عن أحمد ابن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن أبي الصباح الكناني، عن أبي بصير قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا أَلْكَتُبُ وَلَا الْإِيمَنُ﴾^(٢))، قال عليه السلام: خلق من خلق الله عز وجل أعظم من جبرائيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله يخبره ويسدده وهو مع الأئمة من بعده^(٣). وروي أيضاً عن سعد الإسكافي قال: (أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأل عن الروح اليس هو جبرائيل، فقال

(١) سورة الإسراء الآية ٨٥.

(٢) سورة الشورى الآية ٥٢.

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٦٩ باب أن الأئمة عليهم السلام محدثون مفهمون وأيضاً في باب أن الأئمة عليهم السلام إذا شاءوا أن يعلموا علموا من الكافي الشريف ج ١ ص ٢٥٨.

له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرائيل عليه السلام من الملائكة والروح غير جبرائيل فكرر ذلك على الرجل فقال له لقد قلت عظيماً من القول ما أحد يزعم أن الروح غير جبرائيل فقال أمير المؤمنين عليه السلام إنك ضالٌّ تروي عن أهل الضلال يقول الله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿أَنِّي أَمَرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ ﴿١﴾ والروح غير الملائكة (صلوات الله عليهم) (٢). فالذي تكوينه هكذا هل يخفى عليه شيء في الأرض أو في السماء؟! روى شيخنا الكليني قده عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن جعفر بن عثمان عن سماعة عن أبي بصير ووهب بن منصور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله علّمني علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البلاء وعلم علّمه ملائكته ورسله وأنبياءه فنحن نعلمه) (٣).

وروى أيضاً عن محمد بن يحيى العطار عن أحمد بن أبي زاهر عن الحسن بن موسى عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: (نحن ولاية أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله) (٤).

وروى أيضاً عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة والفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يُرفع والعلم يتوارث وكان علي عليه السلام عالم هذه الأمة وإنه لم يهلك منّا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه أو ماشاء الله) (٥).

(١) سورة النحل الآية ١-٢.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٧٤.

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ١٤٧ ح ٨.

(٤) الكافي الشريف ج ١ ص ١٩٢ باب أن الأئمة عليهم السلام ولاية أمر الله وخزنة علمه.

(٥) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٢٢ باب أن الأئمة عليهم السلام ورثة العلم يرث بعضهم بعضاً.

وروى أيضاً عن أحمد بن محمد بن محمد بن يحيى عن محمد ابن الحسين عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر عن عبد الله بن حماد عن سيف الثمار قال: (كنا مع أبي عبد الله عليه السلام جماعة من الشيعة في الحج فقال: علينا عين؟ فالتفتنا يمناً ويسرة فلم نر أحداً فقلنا ليس علينا عين فقال: ورب الكعبة وربّ البينة ثلاث مرات لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتكما أنني أعلم منهما ولأنبأتهم بما ليس في أيديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته^(١)).

ومن كان عنده علمُ الأولين والآخرين، ومطلع على حقائق الأمور وعلمه محيط بما فوق العرش الى ما تحت الثرى، هل يمكن أن تصدر عنه معصية مهما صغرت؟! بل هل يمكن أن يرتكب مكروها أو يترك مستحباً؟! طبعاً لا لأن العصمة علم قال السيد الطباطبائي رحمته الله: «العصمة نوع من العلم يمنع صاحبه عن التلبس بالمعصية والخطأ، وبعبارة أخرى علم مانع عن الضلال، كما أن سائر الأخلاق كالشجاعة والعفة والسخاء كل منهما صورة علمية راسخة موجبة لتحقيق آثارها، مانعة عن التلبس بأضدادها من آثار الجبن والتهور والخمود والشره والبخل والتبذير»^(٢). فعصمتهم عليهم السلام منبعثة عن علمهم وعلمهم منبعث عن طهارتهم المطلقة التي تجلّى فيها كل شيء، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٣) وقال: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٥٨ باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وإنه لا يخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم.

(٢) الميزان ج ٥ ص ٧٨.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

كَيْتَابٍ مُّبِينٍ»^(١)، وقال: «وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»^(٢)، وقال رسول الله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا) فاقترن آل البيت عليهم السلام بالقرآن الكريم لوحدة حقيقتهما وفيهما علم كل شيء ونحن نسلّم على آل البيت عليهم السلام في زيارتهم المقدسة: (السلام على الأدلاء على الله والتأمين في مرضات الله ﷻ)، وجاء عن علي بن موسى عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد ومحمد بن خالج البرقي عن النضر بن سويد رفعه عن سدير عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قُلْتُ لَهُ جَعَلْتُ فِدَاكَ مَا أَنْتُمْ؟ قَالَ: نَحْنُ خَزَانُ عِلْمِ اللَّهِ وَنَحْنُ تَرَاجِمَةُ وَحْيِ اللَّهِ وَنَحْنُ الْحِجَّةُ الْبَالِغَةُ عَلَى مَنْ دُونَ السَّمَاءِ وَمَنْ فَوْقَ الْأَرْضِ)^(٣)، ولأن طهارة آل البيت عليهم السلام طهارة مطلقة فذواتهم المقدسة مظهر الجبروت الإلهي التي تجلى الله ﷻ بها لخلقه، ومن مظاهر التجلي العلم والقدرة، فهم عيبة علم الله وخزانة الملكوت ونفخ فيهم من الروحين ثم أيدهم بجبرائيل وميكائيل وإسرافيل وبجميع الملائكة الربوبيين، ولأنهم كذلك وهم كذلك صارت شريعتهم كاملة وكتابهم كامل فحقيقتهم إسماً جامعاً ومظهراً للاسم الكلي، كما أن القرآن الكريم أحد آيات الله العظمى التي تجلى فيها لخلقه قال الإمام الصادق عليه السلام: (لقد تجلى الله لخلقه بقرآنه الكريم) أما مقدار حجم ذلك التجلي، قال تعالى: «بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ»^(٤) في لَوْجٍ مَحْفُوظٍ»^(٥)، وقال: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ»^(٥)، فالتجلي الحاصل في القرآن الكريم ليس كالتجلي الحاصل في باقي الكتب السماوية

(١) سورة الانعام الآية ٥٩ .

(٢) سورة يس الآية ١٢ .

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ١٩٢ باب أن الأئمة ولاة الله وخرزنة علمه .

(٤) سورة البروج الآيات ٢١-٢٢ .

(٥) سورة النحل الآية ٨٩ .

السابقة، لأن علم كل شيء في الكتاب المبين والقرآن الكريم يحكي كل ما هو موجود في الكتاب المبين فقال تعالى: ﴿حَمَّ ۙ (١) وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(١)، وقال: ﴿الرَّيَّةَ أَيُّهَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(٢)، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٣)، وقال تعالى عن كتاب موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، ومن تفيد التبويض، وقال لعيسى عليه السلام: ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾^(٥)، ولكنه قال لرسوله المصطفى عليه السلام: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٦)، فمع كون القرآن الكريم فيه تبيان وعلم كل شيء فهو مهيمن على جميع الكتب السماوية فقال: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾^(٧)، والهيمنة هي السيطرة التامة على باقي الكتب السماوية وخضوعها لسلطانه، ولعظمته هذه كان له نزولان نزول تدريجي ونزول دفعي، وهو النزول النوري الذي لا يحتمله إلا من كان من جنسه، وهو قلب الخاتم عليه السلام قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۗ (١١٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾^(٨)، وكان هذا النزول في ليلة القدر فقال جلّ وعلا: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۗ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾^(٩)، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١٠)، قال رسول الله عليه السلام لأمير

(١) سورة الزخرف والدخان الآية ٢.

(٢) سورة يوسف الآية ١.

(٣) سورة النحل الآية ٨٩.

(٤) سورة الاعراف الآية ١٤٥.

(٥) سورة الزخرف الآية ٦٣.

(٦) سورة النحل الآية ٨٩.

(٧) سورة المائدة الآية ٤٨.

(٨) سورة الشعراء الآيات ١٩٣-١٩٤.

(٩) سورة الدخان الآية ٣.

(١٠) سورة القدر الآية ١.

المؤمنين عليهم السلام: (إن الله أطلعني على ما شاء من غيبه وحياً وتنزيلاً وأطلعك عليه إلهاماً، وإن الله خلق من نور قلبك ملكاً فوكله باللوح المحفوظ، فلا يخطُ هناك غيب إلا وأنت تشهده)^(١).

فذاك النزول المقدس على القلب المقدس كان المصداق الأوحد لقوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٢)، لأن ذلك النور الإلهي لا يستوعبه ولا يحمله ولا ينهض به كاملاً وبحقيقة معناه إلا من كان عدله، فهم الراسخون في العلم الذين قال عنهم تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(٣)، قال صادق العترة عليه السلام: (نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله)^(٤). ونقل شيخنا الكليني رحمته الله عن أبي بصير قال: (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٥)، فأوماً بيده على صدره^(٦)، وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: هم الأئمة عليهم السلام^(٧).

فمن طلب مس حقائق القرآن الكريم فليس له إلا طريق القلوب الطاهرة، فطهر قلبك عما سوى الله وَعَجَّازًا لتشع فيه أنوار قداسة القرآن والعترة الطاهرة (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فهو مس يتناسب مع النزول التدريجي واللفظي للقرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلًا﴾^(٨)، فهو مس يتناسب مع مقام التخلية والتحلية

(١) نقلًا عن مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٥-١٣٦.

(٢) سورة الواقعة الآية ٧٩.

(٣) سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) الأصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر رحمته الله ص ١٢٢.

(٥) سورة العنكبوت الآية ٤٩.

(٦) الأصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر رحمته الله ص ١٢٢.

(٧) الأصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر رحمته الله ص ١٢٢.

(٨) سورة الإسراء الآية ١٠٦.

التدريجي عند غير المعصومين عليه السلام فهو مس قائم على الطهارة والتدرج في التلقي عن المعصومين عليه السلام. قال تعالى: ﴿قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾^(١)، وقال: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣)، وهو تفكر تفتح له قلوب المؤمنين الطاهرة، قال تعالى: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾^(٥)، أما قلوب المجرمين فهي قلوب قاسية مقفلة عن ذكر الله فليس لها مس حقائق القرآن قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٦)، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾^(٧)، وفي نهاية المطاف صار معلوما لديك قولنا أن الناس مختلفون تكويناً، متشابهون خلقاً فالاختلاف التكويني وخلق كل إنسان لما يسر له ناتج عن إختيار نفس الإنسان، وهو ما أشار إليه الحديث القدسي: (بمشيئتي كنت أنت الذي تشاء ما تشاء لنفسك) هذه المقولة الشريفة تبطل عقيدة الجبر التي تنسب الظلم إلى الله تعالى كما تبطل عقيدة المفوضة التي تنسب العجز إليه ﷻ، ومن هذا الاختلاف في التكوين اختلف بني البشر في الحقائق، فلهم درجات ومراتب وللمعصومين عليه السلام درجات ومراتب، وكلما ازداد الانسان بطهارته درجة كلما كان أقدر على مس حقائق القرآن فتتجلى به صفات الكمال

- (١) سورة الزمر الآية ٢٨ .
- (٢) سورة فصلت الآية ٣ .
- (٣) سورة النحل الآية ٤٤ .
- (٤) سورة يونس الآية ٥٧ .
- (٥) سورة فصلت الآية ٣ .
- (٦) سورة المنافقون الآية ٣ .
- (٧) سورة محمد ﷺ الآية ٢٤ .

أكثر والحقيقة الجامعة لكل صفات الكمال والجلال هي الحقيقة المنفردة والمحيطية بكل ما سوى الله عَزَّ وَجَلَّ فيتجلى الله لخلقه بتلك الحقيقة الجامعة فيعرفوه بها فإذا عرفوه بها عبدوه وبهذه الحقيقة كمل الدين وتمت النعمة وصارت رسالة المصطفى صلى الله عليه وآله هي الرسالة الخاتمة لدوام ظهور الحقيقة الجامعة إلى قيام يوم الدين.

فمن كان من جهة التكوين مؤيد بقوى إلهية وصفات ربانية إختاره الله من بين خلقه فارتضاه لنفسه، ونصبه على خلقه علماً يرجعون إليه ومناراً يهتدون به وحكماً يلوذون به، فألبسه الله خلعة جماله وجلاله وكماله وجعل قلبه مكان مشيئته وعلمه، وملّكه خزائن أسراره وجعله نوره في عباده وحقته في بلاده ونعمته لأوليائه ونقمته على أعدائه فأيده بكتابه وبعظيم آياته ونص عليه وآله فجعل ولايتهم ولايته وطاعتهم طاعته نجباء الرحمن وأوليائه وخلفائه وأحبائه من أطاعهم فقد أطاع الله ومن عصاهم فقد عصى الله ومن بايعهم فقد بايع الله ومن نكث بيعتهم فقد نكث بيعة الله، ومن آذاهم فقد آذى الله ومن ظلمهم فقد ظلم الله ومن نصرهم فقد نصر الله ومن أعزهم فقد أعز الله ومن طلب الهدى من غيرهم فقد كذب الله ومن أشرك بإمامتهم غيرهم فقد أشرك بالله، بهم يُعرف الأبرار من الفجار ويمتاز الأخيار عن الأشرار هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) شهداء الرحمن على جميع خلقه من الأولين والآخرين.

ومما تقدم تبين لنا جملة من الأمور منها:

أولاً: أن العلم على ضربين علم حصولي وآخر حضوري وأن علم المعصومين عليهم السلام من الضرب الثاني ولذا فإن المعلوم لا يتخلف عن علمهم وأن الآثار لا تنفك عن المعلوم في هذا العلم، وأما مصادر علومنا الكسبية فهي متفاوتة في القوة والضعف وهذا التفاوت يفضي إلى تفاوت في علوم

الناس وقدراتهم وأعمالهم.

ثانياً: أن الله تعالى فضل الإنسان وخلق كل شيء لأجله أي سخرها لإيصاله لكماله اللائق به إذا ما أحسن الاستفادة وبصيرورته عارفاً بذلك التسخير.

ثالثاً: أن القوى الموجودة في الإنسان لبلوغ أعلى درجات الكمال ليست مضافة عليه بل هي قوى موجودة في جوهره مخزونة لا تظهر إلا ببلوغ مقام الإخلاص في العبودية بتسليم مغاليق أمره لفتح خزائن جوهره بيد الله الواحد القهار.

رابعاً: أن من عنده حواس إلهية تكون علومه إلهية وقد يصل لمقام يرى فيه ملكوت السماوات والأرض، ومن أدرك ذلك المقام الشريف فقد أدرك مقام بسط الولاية.

خامساً: أن الله عَزَّ وَجَلَّ خلق كل مخلوق بقدرات تتناسب مع ما خلق لأجله لعلمه الأزلي بخلقه وما سيصيرون إليه فشاء لهم ما شاءوا لأنفسهم.

ولذا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ جعل النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بحواس إلهية من الولادة، فهم المخلوقين من أطهر العشر طينات من أعلى عليين وخلق أرواحهم من فوق ذلك مؤيدين بروح القدس وبروح من أمره التي اختص الله عَزَّ وَجَلَّ بفيض أحداها خواص بريته وهم باقي المصطفين المعصومين عَلَيْهِمُ السَّلَام وإن من جهز بفيض إحداها يكون معصوماً لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يلعب ولا يسهو ويعرف بها ما تحت العرش وكل ما وسعه الكرسي فكيف بمن استقرت فيه الروحان معاً؟! فهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) من حيث الحواس والخلق من العشر طينات أحاطوا علماً بجميع شؤون بريته وهم من مقام الغيب فكيف بغيب الغيب التي لا

يعلمها إلا عَلام الغيوب؟!!! قد جف القلم وانقطع الكلام.

الفصل الخامس

المرتبة الأولى: مقام الشهادة الجامعة

من مقام علمهم الخاص (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) تفتح لنا أبواب متشعبة لإدراك بعض مقاماتهم العلية ومنها هذا المقام الشريف، فهل يمكن أن يكون الإنسان في هذا المقام من الجهة العقلية؟

الجواب نعم بكل تأكيد لأن الإنسان من أشد المخلوقات قدرة على تحقيق جذبة عالم اللاهوت ورؤية الملكوت والوصول إلى مقام قاب قوسين أو أدنى مع وجود جذبة التراب فيه، فالإنسان إذاً من الجهة التكوينية قابل لإستقبال تمام الحقائق فلا مانع عقلي عن قبول ذلك بل العقل يؤيد ما جاء في النظرية القرآنية، قال تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةُ فَيُنْتَشَرُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) والمراد من هذه الآية في غاية الوضوح، وهو أن الله سبحانه وتعالى اختص نفسه ورسوله الكريم ﷺ والمؤمنين الذين ذكرهم في قوله تعالى: ﴿إِننَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾ بمقام شهادة الأعمال الخاص الذي اختص الله تعالى به نفسه ووليه المطلق عليه السلام، فلا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض، فقلب ولي الله المطلق يحيط بما فوق العرش إلى ما تحت الثرى طينته من العشر طينات وعنده من الروحين معاً التي فيض واحدة منها حققت عصمة الأنبياء وجعلت حواسهم إلهية وأطلعتهم على الملكوت، فجعلت كل واحد منهم شاهداً على قومه والنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) شهداء عليهم بمقام شهادتهم الجامعة على عالم الملك والملكوت فلا يخفى عليهم شيء برؤيتهم ظواهر الأعمال وبواطنها فهم حجج الله على خلقه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ ولا يحتج الله على خلقه بمن قد خفي عليه شيء، فهم يميزون الحق من الباطل والمؤمن من الفاجر، وتحديد رتبة عمل كل عامل قبوله أو رده، ثوابه أو عقابه ومقدارهما فهي شهادة من قرنت شهادته بالذات المستجمعة لجميع صفات الكمال والمنزه من كل عيب ونقص فشهادتهم أكبر الشهادات بإذن الله عز وجل قال تعالى: ﴿أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿٤﴾ التي سنأتي على بيانها إن شاء الله تعالى لاحقاً، جاء عن الإمام الباقر عليه السلام: (ما من مؤمن يموت أو كافر يوضع في قبره حتى يعرض عمله على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال الامام الصادق عليه السلام تعقيباً لقوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ

(١) سورة المائدة الآية ٥٥ .

(٢) سورة يس الآية ١٢ .

(٣) سورة الأنعام الآية ١٩ .

(٤) سورة الرعد الآية ٤٣ عن تفسير الجواهر الثمين ج ٣ ص ١١٥ .

وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾
 قال عليه السلام: (إنما هم المأمونون ونحن المأمونون وتعرض أعمال العباد على رسول الله ﷺ كل صباح أبراها وفجارها فاحذروها) (١).

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد، عن القاسم بن محمد، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (تعرض الأعمال على رسول الله ﷺ أعمال العباد كل صباح أبراها وفجارها فاحذروه) (٢). وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام وقد سئل عن المؤمنين في الآية الكريمة: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسُرُدُّوكَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣) فقال عليه السلام: الأئمة (٤). وجاء في الروايات أيضاً أن أعمال العباد تعرض في كل يوم اثنين وخميس وجاء في عصر كل يوم جمعة وأخرى في كل ساعة ولا تنافي في ذلك، وتحققه مؤيد بالعقل والنقل.

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٥) صدق الله العلي العظيم.

لوقفة قصيرة نقتطف منها ثمار عظيمة بإذن الله، المعنى المتبادر من الآية الكريمة من الظهور والوضوح بدرجة لا يحتاج معها الى مظهر أو موضح

(١) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٢) عن تفسير الجوهر الثمين ج ٣ ص ١١٥.

(٣) عن تفسير كنز الدقائق ج ٥ ص ٥٣٣.

(٤) سورة التوبة الآية ١٠٥.

(٥) عن تفسير كنز الدقائق ج ٥ ص ٥٣٣.

(٦) سورة الرعد الآية ٤٣.

يفسر لنا الآية الكريمة، فالذين كفروا سواءً كانوا عبدة أو ثان ككفار قريش وغيرهم أو من أهل الكتاب كاليهود والنصارى قالوا لرسول الله ﷺ لست مرسلًا من عند الله فاتهموه بالكذب أو بكونه شاعر أو ساحر أو معلم مجنون وغيرها من التهم فقال الله تعالى لرسوله الكريم ﷺ: قل يا محمد بأني أنا شاهدك ومن عنده علم الكتاب شاهدك شهادة تكتفي بها عن شهادة غيرنا على صدق نبوتك، فأقام النبي ﷺ بأمر الله تعالى شاهدين الشاهد الأول هو الله تبارك وتعالى، والشاهد الثاني هو الذي عنده علم الكتاب، ورغم وضوح المعنى كالشمس في رابعة النهار إلا أن غالب مفسري أبناء العامة ومن استهوى قواعدهم في الإستحسان والمصالح المرسلة ونحوها التي هي قواعد فقهية قائمة أساساً على هوى النفس، ومع مرور الزمن تحولت تلك القواعد إلى قواعد عامة إعتمدوا عليها حتى في التفسير والعقائد، ومن منطلق هوى النفس هذا فسّر القوم هذه الآية الكريمة بما هو المتوقع منهم وليس بمستغرب عنهم بغير من نزلت بحقه (وكلُّ إناء بالذي فيه ينضح) فحمل غالبهم معنى الكتاب في الآية الكريمة على كتب اليهود والنصارى فصار الشاهد الثاني في نظرهم هم أهل الكتاب الذين أسلموا، وبعضهم ذهب إلى تفسير الكتاب باللوح المحفوظ، فيكون الشاهد الثاني هو الله جل وعلى وسنأتي على بطلان هذه الآراء بعونه تعالى بعد أن نقف على بعض مفردات الآية الكريمة المتعلقة بشهادة الأعمال.

المفردة الأولى: في معنى (كفى) الكفاية هو وجود الشيء على قدر الحاجة وتحقق الغرض به، واستخدامها في القرآن الكريم ليس بعزيز، فقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١)، وقال: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾^(٢)

(١) سورة النساء الآية ٦.

(٢) سورة النساء الآية ٤٥.

وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾^(١) وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾^(٢) وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾^(٣) وقال: ﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾^(٤) وقال: ﴿وَكَفَىٰ بَرِيكَ وَكِيلًا﴾^(٥) وغيرها الكثير، وخلاصة الكلام أن بهاتين الشهادتين اللتين أقامهما رسول الله ﷺ يحصل غرضه في إثبات نبوته واكتفائه بهما بحيث لا يحتاج إلى شاهد آخر.

المفردة الثانية: (شهيداً) عرّف الراغب الاصفهاني الشهادة والشهود بأنهما: «الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة لكن الشهود بالحضور المجرد أولى، ثم قال: والشهادة قول صادر عن علم حصل بمشاهدة بصيرة أو بصر»^(٦).

وقال ابن منظور في لسان العرب: «الشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء إلى أن قال المشاهدة: المعاينة»^(٧).

الصيغة التي استعملت في الآية الكريمة هي صيغة شهيد، والتي هي إحدى صيغ المبالغة، ومعناه الذي لا يغيب عن علمه شيء، وقد استعملت هذه الصيغة في القرآن الكريم كثيراً لإفادة المعنى المذكور، ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾^(٨) وقال: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ

(١) سورة النساء الآية ٥٥.

(٢) سورة النساء الآية ٧٠.

(٣) سورة النساء الآية ١٧١.

(٤) سورة الإسراء الآية ١٤.

(٥) سورة الإسراء الآية ٦٥.

(٦) المفردات في غريب القرآن: ٢٦٧-٢٦٨.

(٧) لسان العرب ٧٠: ٢٢٢-٢٢٣.

(٨) سورة النساء الآية ٣٣.

أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١﴾ وقال: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِمُْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ (٢)، وقال تعالى حاكياً قول عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٣)، وقال تعالى في نبيه المصطفى عليه السلام: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٤)، فإن مواصفات الشهادة التي للنبي عليه السلام ليست محصورة على أمته، بل انها شهادة ممتدة على جميع الأمم إلى يوم الدين، وهذا يعني أن شهادة النبي عليه السلام أعظم من شهادة جميع الأنبياء عليهم السلام، وهي شهادة غير محدودة بزمان بعثته الشريفة كما كان معهوداً في شهادة الأنبياء السابقين المحدودة بزمانهم ومن قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ (٥) إن شهادة نبينا الأكرم عليه السلام شهادة جامعة تتناسب مع مقام حجة الله على خلقه ووليه في عبادته، جاء في خبر حماد اللحام رضي الله عنه عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (نحن نعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار وما بين ذلك قال فبهت انظروا إليه فقال عليه السلام: يا حماد إن ذلك في كتاب الله تعالى قال: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيِّنًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

(١) سورة سبأ الآية ٤٧.

(٢) سورة الحج الآية ٧٨.

(٣) سورة المائدة الآية ١١٧.

(٤) سورة النساء الآية ٤١.

(٥) سورة النساء الآية ٤١.

لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ (٢). فهي شهادة تحيط بكل عالم الإمكان وليست محصورة بزمان ولا مكان ولا بالانس والجان، لقوله تعالى: ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ (٣) بل تشمل كل دابة تدب وكل طائر يطير لأنها جميعاً اسم قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُعْرَىٰ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ (٤) وقال: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا آذَرَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِينَهُمْ لَاؤُلَئِهِمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَفَاتِهِمْ عَذَابٌ ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا نَعْلَمُونَ﴾ (٥)، فهي شهادة ولي الله المطلق والعالم بالعلم الخاص الذي اختصه الله تعالى به بما يتناسب مع مبدأه ومنتهاه (قاب قوسين أو أدنى)، ومع تكوينه الشريف الذي اختصه وآله فيه فالإمام عليه السلام هو الولي المطلق والعلم المحيط، فلا يخفى عليه شيء مما ظهر أو بطن، روى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (يا مفضل، أن العالم منا يعلم حتى تقلب جناح الطير في الهواء، ومن أنكر من ذلك شيء فقد كفر بالله من فوق عرشه وأوجب لأوليائه الجهل) (٦).

المفردة الثالثة: (الكتاب) من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ (٧)

فما هو المراد منه؟ فهل هو التوراة أو الانجيل أو الزبور ونحوها كما ذهب

(١) سورة النحل الآية ٨٩.

(٢) بصائر الدرجات ص ١٤٧ ح ٥ باب في علم الأئمة عليهم السلام بما في السماوات وما في الأرض....

ينابيع المعاجز ص ٨ ورواها المجلسي عليه السلام عن العياشي ج ٦٥ ص ٢٣٤ وفي ج ٨٩ ص ٨٦، وتفسير العياشي عليه السلام ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣) سورة النمل الآية ٨٣.

(٤) سورة الانعام الآية ٣٨.

(٥) سورة الاعراف الآية ٣٨.

(٦) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ص ١٣٥.

(٧) سورة الرعد الآية ٤٣.

إليه غالب أبناء العامة؟ أم هو اللوح المحفوظ؟ أم هو القرآن الكريم؟ ولكي نختار واحدة من هذه الأقوال التي اختارها المفسرون، أو نختار قولاً آخر لا بد من وجود دليل يدل عليه، ولا يمكن الاعتماد على هوى النفس في أبسط القضايا، فهل يمكن الإعتماد عليه في قضية تعد من أمهات العقائد؟! فقد ذهب معظم المفسرين إلى أن الألف واللام في (الكتاب) عهدية هنا، فذهب غالب أبناء العامة إلى كتب أهل الكتاب إعتماً على مصطلح (أهل الكتاب) الوارد في القرآن الكريم والروايات الشريفة المفسرة باليهود والنصارى وأصحاب الشرائع السماوية السابقة، وتعويلاً على الروايات الواردة عندهم والتي فسرت قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) بمن أسلم من علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وغيره، وهي روايات فضلاً عن كونها ضعيفة على مباني القوم، فهي متضاربة أيضاً كما سيتضح لك فيما بعد إن شاء الله تعالى كما أن الآية الكريمة لم تذكر عنده علم أهل الكتاب بل قالت: ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢)، فيبقى حمل علم الكتاب على علم أهل الكتاب بلا دليل غير هوى النفس، أما حمله على اللوح المحفوظ استناداً على قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ؕ أَشْكُرَ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾^(٣) وهو قول آصف بن برخيا فهو حمل مخالف لقواعد اللغة كما سيتضح لك، أما حمله على المعنى الثالث وهو القرآن الكريم الذي ذهبت إليه معظم الشيعة إلا ما شذ فهو الأقرب إلى عهدية الألف واللام، فقد ابتدأت هذه السورة بذكر القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿الْمَرْءُ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

(١) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٣) سورة النمل الآية ٤٠ .

الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ثم ذكره في وسط السورة، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا قُرُونًا مَا سِيرْتَ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتُ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (٢)، ثم جاءت آية الشهادة هذه لتختتم بها سورة الرعد المباركة، فحمل الكتاب على القرآن الكريم أولى من الاحتمالين السابقين، وما يؤيد ذلك هو منزلة القرآن الكريم بالنسبة إلى باقي الكتب السماوية، فإن كل ما موجود في الكتب السماوية السابقة موجود في القرآن الكريم وفيه مزيد بل هو مهيمناً عليها، واقتران شهادة من عنده علم الكتاب بشهادة الله وَعَزَّ وَجَلَّ يؤيد ذلك، لأن شهادتهما شهادة من لا يخفى عليه شيء، والقرآن الكريم فيه علم كل شيء الذي هو عند النبي المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، أما باقي الكتب السماوية فليس فيها كل شيء هذا مضافاً إلى أن تسمية القرآن الكريم بالكتاب في القرآن الكريم كثيرة الورود بل أن الكثير من سور القرآن الكريم ابتدأت بتسمية القرآن الكريم بالكتاب، فقال تعالى:

﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٣﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ (٤)، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٥)، وقال: ﴿الرُّبُّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ (٦)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رُسُلًا

(١) سورة الرعد الآية ١ .

(٢) سورة الرعد الآية ٣١ .

(٣) سورة الدخان وسورة الزخرف الآيات ١، ٢ .

(٤) سورة الجاثية الآية ٢ .

(٥) سورة غافر الآية ٢ .

(٦) سورة الحجر الآية ١ .

مَنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١﴾، وقال: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٢﴾﴾، وقال: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿٣﴾﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٤﴾﴾، وقال: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾﴾، وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٦﴾﴾، وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٧﴾﴾، وقال: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٨﴾﴾، وقال: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٩﴾﴾،

أما الآيات التي أطلقت على القرآن بالكتاب وتوسطت السور أو تأخرت فيهما فأكثر بكثير، ومع هذه الكثرة وإختصاص تسمية أوائل سور القرآن الكريم بالكتاب لا يعود لأبناء العامة أدنى مبرر لصرف كلمة الكتاب في هذه الآية الكريمة إلى الإنجيل والتوراة ونحوهما فقط، وأما القول الأخير في المسألة، والذي أذهب إليه أن الألف واللام في الكتاب للجنس، فيكون المراد من قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١٠﴾﴾ من عنده علم كل كتاب فيجب أن يكون الشاهد الثاني محيطاً بجميع الكتب السماوية السابقة بما فيها القرآن الكريم، وهو نظير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ

- (١) سورة الجمعة الآية ٢ .
- (٢) سورة الزخرف الآية ٤ .
- (٣) سورة الزمر الآية ٢ .
- (٤) سورة الزمر الآية ١ .
- (٥) سورة السجدة الآية ٢ .
- (٦) سورة لقمان الآية ٢ .
- (٧) سورة الشعراء الآية ٢ .
- (٨) سورة يوسف الآية ١ .
- (٩) سورة يونس الآية ١ .
- (١٠) سورة آل عمران الآية ٣ .
- (١١) سورة الرعد الآية ٤٣ .

الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُتَّقُونَ ﴿١١﴾ ، وقد نقل صاحب تفسير مجمع البيان في ذهاب أكثر المفسرين
إلى أن المراد من الكتاب هنا هو كل كتاب سماوي ، ومنه أيضاً قوله تعالى :
﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) ومنه قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ
الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٢)
فالكتاب الأولى - أعني (نصيياً من الكتب) - معناها جنس الكتاب أي كل
كتاب سماوي ومنها القرآن الكريم وكلمة الكتاب الثانية - أعني (يدعون
إلى كتاب الله) - خاصة بالقرآن الكريم دون باقي الكتب السماوية وسواء
كان المختار هو القرآن الكريم أو اسم جنس لكل كتاب سماوي ومنها
القرآن الكريم فلا ينطبقان إلا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وآله
(صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، وما سنذكره من خصائص الشهادة
والشاهد من نفس الآية الكريمة يؤكدان المعنى الذي ذهبنا إليه ومن تلك
الخصائص المستفادة.

أولاً: أن يكون الشاهد أعلم الموجودين بشأن ما يشهد به ، والشهادة
المطلوبة هنا هي الشهادة على صدق الرسالة الخاتمة ، فيجب أن يكون
الشاهد عليها أعلم الموجودين بتفاصيل هذه الرسالة فلا يغيب عن علمه

(١) سورة البقرة الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٣ .

شيء بدلالة إستخدام (شهيد) في الآية.

ثانياً: أن يكون الشاهد مطمئناً بأداء شهادته في الدنيا والآخرة، ولا يكون كذلك إلا المعصوم عليه السلام على الأقل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

ثالثاً: أن يكون هذا الشاهد قادراً على محاججة الكفار مطلقاً، ويكون أقدر الموجودين على إقامة البراهين ولا سيما مع أهل الكتاب، وهذا لا يكون حتى يحيط علماً بكل ما جاء عندهم من تنزيل وتأويل وتحريف، ثم يكون قادراً على إعادة كل شيء إلى نصابه، وهذا لم يتحقق إلا بأمير المؤمنين والأئمة الميامين عليهم السلام، والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى.

رابعاً: هذه الشهادة التي أقامها النبي صلى الله عليه وآله هي شهادة الحكم والمنتقم طرفه الأول هو الله عز وجل، وطرفه الثاني هو مظهر عدله وميزانه المنصوب في خلقه قوياً عزيزاً منيعاً شجاعاً لا يخاف في الله لومة لائم معصوماً طاهراً مطهراً قد نص عليه في كتابه ونصبه نبيه صلى الله عليه وآله على خلقه، وهذا لم يُعرف إلا في الأئمة الأطهار عليهم السلام.

خامساً: أن يكون هذا الشاهد حواسه إلهية فتكون عنده القدرة على الإطلاع على ظواهر الأعمال وخفاياها ليقوم بمقام الشهادة في الدنيا والآخرة على صحة العمل أو بطلانه، قبوله أو رده، ولا يكون الشاهد كذلك حتى ينظر إلى ملكوت الله ولا يكون ذلك حتى يكون طاهراً معصوماً حتى يكون لشهادته محل الاقتران بشهادة الله تبارك وتعالى.

سادساً: أن يكون الشاهد تهابه الخلق جميعاً بما فيها الجان لتتحقق الكفاية به.

سابعاً: أن هذه الشهادة التي أمر الله تعالى بها نبيه الأكرم ﷺ غير مقتصرة على وقت صدور الآية الكريمة بل هي ممتدة بامتداد شهادة الله ﷻ والجلال البادية في آياته التي أجراها تعالى على يد نبيه ﷺ، والتي أهمها وأشرفها والمعني بها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ﴾^(١) فإن المطلع عليه لا يصيبه أدنى شك إنه كلام يفوق كلام جميع المخلوقين وتحديه قائم الى قيام يوم الدين، ولهذا يجب أن تكون شهادة الشاهد الثاني دائمة بديمومة القرآن الكريم، وقائمة الى قيام يوم الدين، وهي شهادة لا قائم بها إلا بإمامة الأئمة الاطهار عليهم السلام القائمين على حفظ الدين، فلو كانت الشهادة المطلوبة للشاهد الثاني مقتصرة على زمان نزول الآية الكريمة كما ذهب إليه جميع المفسرين لصدق وقوع الخلاف في تحديد مصداق الشهادة الثانية بين قول غالب أتباع المدرسة السنية بأنه من أسلم من علماء أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونحوه أو على قول أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام على أنه الأمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام فقط، ولكن مع وجوب أن يكون مصداق الشهادة الثانية الدوام والاستمرارية بدوام واستمرارية الشهادة الأولى لله ﷻ والجلال على صدق نبوة نبينا الخاتم ﷺ بالقرآن الكريم، وليست الشهادة الثانية إلا مصداق واحد قد ذكره رسول الله ﷺ في حديث الغدير الشريف (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي).

وقد أشكل بعض أبناء العامة بأنه كيف يُساغ أن يُحضر الله ﷻ شاهد غيره فلذا حملوا الكتاب على اللوح المحفوظ وأن الشاهد الثاني هو الله

أيضاً، وقد رفض هذا التفسير جميع أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام ووافقهم المحققين من أبناء العامة على هذا الرفض فقال الرازي في تفسيره: «وإن كان جائزاً بالجملة إلا أنه خلاف الأصل»^(١). وتابعه النيسابوري في غرائب القرآن ورجائب الفرقان في هامش تفسير الطبري^(٢) وكذا الخازن في تفسير لباب التأويل في معاني التنزيل^(٣) وغيرهم وقد إحتال صاحب (الكشاف) في صياغة العبارة معتمداً على ما نقله الحسن بقوله: لا والله ما يعني إلا الله، وأجابهم السيد الطباطبائي قدس سره في تفسير الميزان بما يشفي الغليل ومنها قوله رَحْمَةً: «وهو قبيح غير جائز في الفصيح».

فمقولتهم تلك خالفت الفصيح وخالفت قوله تعالى: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٤)، فقرن الله شهادة الملائكة بشهادته.

ثامناً: وجود كلمة (كفى) يشير الى عصمة الشاهد الثاني الذي أقامه الله تعالى مع آياته على صحة الرسالة، وهذا لا يحصل إلا بالإمامة ولذا قال الرازي: «إن إثبات النبوة بقول الواحد والإثنين مع كونهما غير معصومين عن الكذب لا يجوز»^(٥)، ومن هنا يتبين بطلان مقولة كون الشاهد الثاني هو من أسلم من علماء أهل الكتاب لعدم عصمتهم بالاتفاق ومع إمكانية أن يخلفوا أو ينكلوا تسقط شهادتهم عن الاعتبار لعدم إمكانية تعليق الرسالة عليهم وخصوصاً مع الذم الوارد في الكثير من آيات القرآن الكريم وإمكانية إنطباقه عليهم كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ

(١) تفسير الرازي ١٩: ٧٢.

(٢) النيسابوري ١٣: ٩٩.

(٣) ٣: ٦٩ الخازن.

(٤) سورة النساء الآية ١٦٦.

(٥) تفسير الرازي ١٩: ٧.

الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿١﴾ هذا مضافاً إلى إمكانية وجود من أظهر الاسلام، وأبطن الكفر، قال تعالى: ﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامِنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (١) وهو قول علماء أهل الكتاب اذ قال بعضهم لبعض أظهروا الإيمان بالقرآن مرأين لهم بأنكم آمنتم به واكفروا به في آخر النهار لعلهم يرجعون، المراد بعض علماء أهل الكتاب ككعب بن الأشرف ومالك بن الصيف ونفر صلوا إلى قبلة المسلمين أول النهار باللسان دون الاعتقاد واكفروا به آخره وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس ذلك النبي الموعود به وظهر كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينه وقالوا: إنهم أهل الكتاب وهم أعلم منا وبهذه الجهة يرجعون عن دينهم إلى دينكم، ومع إمكانية دخول شهادة هؤلاء المنافقين ضمن الشهادة المزعومة يكون هذا مساق لمحق الدين وإنهاء شريعة سيد المرسلين.

ثم بماذا يشهد علماء أهل الكتاب وقد إختلط الحق بالباطل في كتبهم وديفت كتبهم بالأباطيل كما يداف السم بالعسل؟ فنحن نعتقد جزماً بتحريف جميع الكتب السماوية السابقة التي في أيديهم، قال تعالى: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لِيَّا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ ﴾ (٢) وقال: ﴿فِيمَا نَقُضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ ﴾ (٣) وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ

- (١) سورة النساء الآية ٤٤ .
- (٢) سورة الرعد الآية ٤٣ .
- (٣) سورة النساء الآية ٤٦ .
- (٤) سورة المائدة الآية ١٣ .

عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنْ أَلْكِتَابٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ فشهادتهم ليس فقط إنها لا تورث الإطمئنان بل لا يمكن الاعتماد عليها.

وبعد هذا كله هل من المعقول أن يحوج الله وَعَلَّمَ رَسُولَهُ وهو خاتم الانبياء عليه السلام في إثبات نبوته إلى شهادة أهل الكتاب؟! أفلا يعني مزاعم طلب النبي عليه السلام شهادة أهل الكتاب على صدق رسالته نسبة العجز إليه، وأنه قد أعيته السبل على إثبات رسالته حتى احتاج إلى شهادة أهل الكتاب له وهو أعلم بكتبهم وأحوالهم!!؟

ثم كيف تسند الشهادة إلى من كتم إسلامه مدة طويلة من الزمن فإن أبعد ما قيل في إسلام عبد الله بن سلام كان بعد دخول رسول الله عليه السلام إلى المدينة بسنة، ورأى جماعة إلى أنه أسلم قبل وفاة رسول الله عليه السلام بعامين (٣)، ومع كل ذلك فقد ذهب غالب أبناء العامة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ (١) بعبد الله بن سلام، ورأى جملة منهم إلى أن أحدهم عبد الله بن سلام فأضافوا إليه تميم الداري والجارود وأضاف البعض منهم سلمان الفارسي (رضوان الله تعالى عليه) إليهم، وقد نقل سلمان (رضوان الله عليه) إنها في الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في عدة روايات علماً أن نزول سورة الرعد مكية وكان إسلام هؤلاء بالاتفاق في المدينة - عدا

(١) سورة آل عمران الآية ٧٥ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٧٨ .

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة ٢: ٣٢٠ رقم ٤٧٢٥ .

(٤) سورة الرعد الآية ٤٣ .

سلمان عليه السلام بل كان إسلامهم في أخريات حياة النبي ﷺ وذكر بعض مفسري أبناء العامة كون نزول السورة مكية لا ينافي إمكانية نزول هذه الآية في المدينة!! وأجاب السيد الطباطبائي رحمته الله قائلاً: «إن مجرد الجواز لا يثبت ذلك ما لم يكن هناك نقل صحيح قابل للتعويل عليه، ثم أن الجمهور نصوا على أنها مكية»^(١).

ومما تقدم يتبين لك أن تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾^(٢) بمن أسلم من علماء أهل الكتاب أمر مستحيل لعدم إنطباق الصفات المتقدمة للشاهد عليهم وتوارد الأدلة على خلافه، فلا بد للشهادة التي تعلق عليها إثبات الرسالة أن يكون منصوباً عليها، وباصطفاء من عند الله ﷻ لأنها شهادة حصرية بالمعصوم عليه السلام الذي أحاط علمه بكل شيء، ونداء العقل يؤيد ذلك، ويبطل مزاعم القوم لقيامها على هوى النفس، فالآية قالت: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾^(٣) فعنوان الكفر مطلق سواء كان المراد به عبدة الأوثان ككفار قريش وأضرابهم الذين لا يؤمنون بدين أهل الكتاب ولا يعيرون لشهادتهم على صدق دينهم أدنى اهتمام، فهل يعتمدون عليها لصدق دين آخر؟! ولو اعتمدوا عليها لصاروا هوداً أو نصارى ولما بقوا على إلحادهم!! بل إن اهتمام من أراد الإسلام من الكفار مطلقاً كان منصباً على نفس الآيات التي أجراها الله تعالى على يد رسوله الأكرم ﷺ ولا سيما القرآن الكريم ولذا جعل الإعجاز دليلاً على صدق الارتباط بالله ﷻ والآية الأكبر منها أمير المؤمنين عليه السلام وهو القائل: (ما لله آية أكبر مني).

وأما إن كان المراد من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل الكتاب

(١) تفسير الميزان ج ١ ص ٤٢٢.

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣.

(٣) سورة الرعد الآية ٤٣.

خاصة، فالمشكلة أدهى وأمر عليهم، لأن رجوعهم إما أن يكون إلى علماء أهل الكتاب الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وبقوا على دينهم وكذبوا الرسالة، وهذا ما لم يقل به أحد، وأما أن يكون الرجوع إلى من أسلم منهم، وهؤلاء على قسمين قسم أظهر الإسلام وأبطن الكفر لضرب الرسالة وقد مرَّ عليك ذكرهم، وقسم أسلم وآمن بالرسالة، فإن كانت الشهادة متعلقة بمطلق من أسلم فهذا مفضي إلى الأمر بالمتناقضين، وإن كان الأمر متوجهاً إلى القسم الثاني منهم دون الأول، فيرد عليهم إشكالان الأول متعلق بنفس الشاهد لتأخرهم عن نداء الإسلام حتى الشطر الأخير من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله بجعل شهادتهم عديمة المنفعة عند الكفار وعند أهل الكتاب أنفسهم، بل إنهم مستحقون للعذاب والطرْد في نظرهم وهذا ما شهدت به نفس كتب العامة، فكيف يأخذون بشهادتهم؟! والأهم هو الإشكال الثاني في مدار تمييز هذا الشاهد عن ذلك بعد أن ثبت جزمًا بطلان الرجوع مطلقاً، فلا مناص من القول بالرجوع إلى النص لتحديد الشاهد، ولما كانت النصوص الدالة على نزولها بعلماء أهل الكتاب متضاربة فيما بينها وبسند مطعون به عند أبناء العامة أنفسهم لا يبقى لهم إلا الأخذ بالنصوص المتواترة من القرآن والسنة التي نصت على أنه الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام. وإن جاز عندهم الأخذ بشهادة من أسلم من أهل الكتاب فلم لم يجيزوا الأخذ بشهادة مولى الثقلين؟!!

أم عندهم بقاء عبد الله بن سلام تجر، وبقاء علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه) لا تجر؟! **﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾**^(١). فمن المستحيل أن الله تعالى يستشهد بيهودي أو نصراني أو غير المعصوم مطلقاً ويجعله ثاني نفسه، واعلم أن قوله: **﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ**

عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴿١١﴾. موافق لقوله (كلاً أنزل في أمير المؤمنين علي) فعدد حروف كل واحد منهما ثمان مائة وسبعة عشر.

وآخر ما أذكره هو أمر الله تعالى لنا بالرد إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عند التنازع فقال: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (١١)، والآيات الشريفة المتقدمة، وحديث الغدير الشريف يُغنيان عن طلب المزيد، وقد حدد الله تعالى هوية الشاهد في مورد آخر، فقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ (١٢)، فالشاهد إذا هو من سنخ هوية المشهود له وليس بغريب عنه، بل هو له تابع ولرسول الله ﷺ ملازم على بينة من ربه، ومن هو غير الإمام علي بن أبي طالب ﷺ؟! والذي قال عنه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ (١٣)، وقال: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (١٤). وميز المؤمنين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١٥) وقال واصفاً العترة الطاهرة ﷺ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١٦)، قال ﷺ: إمة وسطا حيث لا يمكن أن تنسب الشهادة إلى جميع أمة النبي ﷺ ببرها وفاجرها، ومؤمنها وفاسقها، بل لا يمكن أن يكون المقصود بها غير المعصوم ﷺ الذين

(١) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

(٣) سورة هود الآية ١٧ .

(٤) سورة يس الآية ١٢ .

(٥) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(٦) سورة المائدة الآية ٥٥ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

عناهم بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(١)، وهم الذين اختصهم الله بالموودة فقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾^(٢)، ومن لم يكفه آيات الله الباهرات ودلائله الواضحات وما ثبت من الرويات التي عُذَّتْ بالمئات، فعليه لعنة ربِّ الأرباب أحاطت بكل مفتر كذاب لتذيقه سوء العذاب.

البحث الروائي

١. عن علي بن محمد، قال: (حدثني الحبري، قال: حدثنا اسماعيل بن صبيح، قال: حدثنا أبو الجارود، عن حبيب بن يسار، عن زاذان، قال: (سمعتُ علياً عليه السلام يقول: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لو كسرت لي وسادة، وأجلست عليها لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الانجيل بانجيلهم وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، بقضاء يزهر يصعد إلى الله، ما نزلت آية في ليل أو نهار ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر، إلا قد عرفتُ أي ساعة نزلت؟ وفي من نزلت؟ ما من قریش رجل جرت عليه المواسي، إلا أنا أعرف به، آية تسوقه إلى الجنة، وآية تسوقه إلى النار، فقام رجل، فقال: ما آيتك يا أمير المؤمنين التي نزلت بك؟ قال: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَبِتَّوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٣). فرسول الله ﷺ على بينة من ربه، وأنا الشاهد منه، أتלוه أتبعه)^(٤).

٢. فرات الكوفي رحمته الله قال: (حدثني جعفر بن محمد الفزاري معنعنا:

(١) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .

(٢) سورة الشورى الآية ٢٣ .

(٣) سورة هود الآية ١٧ .

(٤) تفسير الحبري ج ١ ص ٢٧٦ . تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ١٨٧ .

عن زاذان في قوله: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ على بينة من ربه وعلي ﷺ الشاهد منه التالي^(١)، ورواه الرماني وذكره الطبراني بإسناده عن جابر بن عبد الله عن الامام علي ﷺ^(٢).

٣. عن فرات رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: (حدثني الحسين بن الحكم قال: حدثني سعيد بن عثمان بن أبي مريم: عن عبد الله بن عطاء قال: كنت جالسا مع أبي جعفر ﷺ في مسجد النبي ﷺ فرأيت ابن عبد الله بن سلام جالسا في ناحية فقلت لابي جعفر ﷺ زعموا أن أبا هذا الذي عنده علم الكتاب فقال: لا إنما ذاك أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب ﷺ نزلت فيه: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ ﴾^(٣).

٤. سليم بن قيس الهلالي ، من كتابه نسخت ، عن قيس بن سعد ابن عبادة في حديث له مع معاوية قال قيس: (لقد قبض رسول الله ﷺ فاجتمعت الانصار الى أبي بكر فقالوا تباع سعداً فجاءت قريش فخاصموا بحجة علي وأهل بيته وخاصمونا بحقه وقرابته فقعد قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار وآل محمد ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا من قريش ولا من العرب ولا من العجم في الخلافة حق ولا نصيب مع علي بن أبي طالب ﷺ وولده من بعد علي ﷺ فغضب معاوية وقال يابن سعد عمن أخذت هذا وعن من ترويه وممن سمعته ، أبوك حدثك هذا وعنه أخذته؟ قال له قيس بن سعد أخذته عمن هو خير من أبي وأعظم حقا من أبي قال من هو؟ قال علي

(١) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ١٨٧ .

(٢) تفسير التبيان ج ٥ ص ٤٦٠ .

(٣) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ١٨٧ ح ٧ .

بن أبي طالب عليه السلام أخذته من عالم هذه الأمة وربانيها وصديقها وفاروقها الذي أنزل الله فيه ما أنزل: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) فلم تكن آية نزلت فيه الا ذكرها فقال معاوية إن صديقها وفاروقها عمر والذي عنده علم من الكتاب عبد الله بن سلام، قال قيس: أحق بهذه الأشياء وأولى بها الذي أنزل الله فيه ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِّن رَّبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٢) الذي أنزل الله فيه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(٣) والذي نصبه رسول الله ﷺ يوم غدير خم فقال: من كنت أولى به من نفسه فعلي أولى به من نفسه وقال في غزوة تبوك أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي^(٤).

٥. وفي تفسير العياشي: عن بريد بن معاوية العجلي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: (الذي على بينة من ربه رسول الله ﷺ)، والذي تلاه من بعده الشاهد منه أمير المؤمنين، ثم أوصياؤه واحد بعد واحد^(٥).

٦. عن علي بن محمد، قال: (حدثني الحبري، قال: سعيد بن عثمان، عن ابن مريم، قال: حدثني عبد الله بن عطاء، قال: كنت جالسا مع أبي جعفر في المسجد فرأيت ابناً لعبد الله بن سلام جالسا في ناحية، فقلت لابي جعفر: زعموا أن أبا هذا الذي (عنده علم الكتاب) قال:

(١) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٢) سورة هود الآية ١٧ .

(٣) سورة الرعد الآية ٧ .

(٤) تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٢١١ .

(٥) تفسير كنز الدقائق ج ٦ ص ١٣٩ .

لا إنما ذلك علي بن ابي طالب، أمير المؤمنين. وأوحى الى رسول الله ﷺ: قل للناس من كنت مولاه (فعلي مولاه). فما بلغ بذلك وخاف الناس فأوحى إليه: ﴿يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ فأخذ بيد علي عليه السلام يوم غدير خم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه^(١).

٧. عن بريد بن معاوية العجلي قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢) قال عليه السلام: إيانا عنى وعلي أفضلنا وأولنا وخيرنا بعد النبي ﷺ)^(٣).

٨. عن عبد الله بن عجلان عن أبي جعفر عليه السلام قال: (سألته عن قوله ﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ فقال: نزلت في علي بعد رسول الله ﷺ وفي الأئمة بعده وعلي عنده علم الكتاب)^(٤).

٩. القمي عن الصادق عليه السلام قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب اعلم أم الذي عنده علم الكتاب فقال: (ما كان الذي عنده علم من الكتاب عنده علم الكتاب إلا بقدر ما تأخذه البعوضة بجناحها من ماء البحر وقال أمير المؤمنين عليه السلام إلا ان العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الارض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين)^(٥).

(١) تفسير الحبري ج ١ ص ٢٨٥.

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٢٠ ح ٧٦.

(٤) تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٢٠، ح ٧٨.

(٥) تفسير الصافي ج ٣ ص ٧٦.

١٠. ابن الفارسي في الروضة، قال قال الباقر عليه السلام: ومن عنده علم الكتاب «علي بن أبي طالب عليه السلام» عنده علم الكتاب الاول والآخر»^(١).
ورواه الشيخ المفيد رحمته الله في روضة الواعظين.

١١. عن الطبرسي في كتاب الاحتجاج، روى عن محمد بن أبي عمير، عن عبد الله بن الوليد السمان قال: (قال أبو عبد الله ما تقول الناس في أولي العزم وعن صاحبكم يعني أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: قلت ما يقدمون على أولي العزم أحد، فقال إن الله تبارك وتعالى قال عن موسى عليه السلام: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً﴾ ولم يقل كل شيء وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَلَا يُبَيِّنْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ وقال لصاحبكم يعني أمير المؤمنين عليه السلام: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٢) «وقال رحمته الله» ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٣) وعلم هذا الكتاب عنده»^(٤).

١٢. وجاء عن (الامام موسى بن جعفر عليه السلام)، وعن زيد ابن علي عليه السلام، وعن محمد بن الحنفية عليه السلام وعن سلمان الفارسي (رضوان الله تعالى عليه)، وعن أبي سعيد الخدري واسماعيل السدي أنهم قالوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٥) هو علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٦).

(١) عن تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٣) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٤) عن تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٣٠٢.

(٥) سورة الرعد الآية ٤٣ .

(٦) عن تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٣٠٢.

وأما المخالفين فطرقهم كثيرة ومنه ما رواه الثعلبي بطريقتين في معنى ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ أنه علي بن أبي طالب عليه السلام وما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي بإسناده عن علي بن عباس قال دخلت أنا وأبو مريم علي عبد الله بن عطاء قال يا أبا مريم حدث علياً بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر عليه السلام قال: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام جالساً إذ مر عليه عبد الله بن سلام قلت جعلني الله فداك هذا الذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا ولكنه صاحبكم علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله وَجَلَّ ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه و﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(١).

(١) عن تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٣٠٢.

المرتبة الثاني علم النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بالمغيبات

من آية ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ يفتح لنا باب آخر غير باب الشهادة الجامعة للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهو باب علمهم بالمغيبات ولكي يتسنى لنا فهم هذا الموضوع جيداً لا بد أن نتحرى تحصيل الجواب على مجموعة من الأسئلة التي تعد من صلب الموضوع ومنها:

هل يمكن للبشر أن يطلعوا على المغيبات؟ ولو أمكن لهم الإطلاع هل يعد نسبة العلم بالمغيبات إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام غلو؟! ولو لم يعد غلو؟ هل يمكن أن يسمى أحدهم بعالم الغيب؟

السؤال الأول: هل يمكن للبشر أن يطلعوا على المغيبات؟ بعدما اطلعنا على الجنبية التكوينية العجيبة التي خلق الله تعالى بها الإنسان وكرمه من بين خلقه، وخلق كل شيء لأجله صار الجواب عليكم سهلاً يسيراً.

فمع وجود المقتضي بأصل نشأة الإنسان وتكوينه التي تدفعه نحو إدراك

علم المغيبات بشريطة إزالة الموانع علماً أنّ تكوين الإنسان قابل للتفاعل مع الجنبه الروحية لتحقيق الجذبه الإلهية كما إنه قابل للتفاعل مع الجنبه المادية لتحقيق الجذبه الترابية، ولكون الأعم الأغلب من الناس تعيش في عالم التراب والمادة بعيداً عن المقتضيات الروحية متفاعلة مع الجنبه المادية، ولأن السواد الأعظم من بني البشر هكذا، ظنوا أن الطبيعة البشرية غير قابلة للجذبه الإلهية، ومع مرور الزمن وازدياد ارتباط بني البشر مع ما ينشط جذبه التراب، والإبتعاد عن جذبه رب الأرباب صار حتى الإنسان الذي يريد أن يطلع على بعض المغيبات يسلك مسلك القوى الترابية فيه لا القوى الروحية عن طريق مسخ الجزء المتبقي من القوى الروحية المودعة فيه بالسحر، وتحضير الجان ونحوها، لقبر المتبقي من إنسانيته بعالم التراب، فالذي اختار أن يكون مركبه التراب لا يمكن أن يصل به لرب الأرباب، كالذي ركب السفينة لعبور الصحراء، أو كالذي ركب جملًا ليعبر به البحار والمحيطات، فسلك الناس طريقاً خاطئاً إلا ما رحم ربي، وهم أقل القليل الذين خفت نفوسهم عن مطالب التراب، منشغلين برياضة أنفسهم بتحقيق شريعة الله فيهم، والتقرب إلى الله وَجَلَّ بِشْتَى أسباب القرب التي تفتح لهم الغيب لرؤية عالم الملكوت إكراماً لمسعاهم، (ترسخت أشجار الشوق إليك في حدائق صدورهم وأخذت لوعة محبتك بمجامع قلوبهم فهم إلى أوكار الأفكار يأوون وفي رياض القرب والمكاشفة يرتعون ومن حياض المحبة بكأس الملاطفة يكرعون وشرايع المصافات يردون قد كشف الغطاء عن أبصارهم وانجلت ظلمة الريب عن عقائدهم وضمائرهم وانتفت مخالجه الشك عن قلوبهم وسرائرهم وانشرحت بتحقيق المعرفة صدورهم...) ^(١) ولسان حالهم كما جاء في مناجاة الذاكرين: «إلهي بك هامت القلوب الوالهة وعلى معرفتك جمعت العقول المتباينة فلا تطمئن القلوب إلا بذكراك ولا تسكن

النفوس إلا عند رؤياك...»^(١) فانقطعت إليه همتهم وانصرفت نحوه رغبتهم كما قال عليه السلام: «فقد إنقطعت إليك همتي وانصرفت نحوك رغبتني فأنت لا غيرك مرادي ولك لا لسواك سهري وسهادي...»^(٢). أو كما قال عليه السلام: «إلهي كيف أنساك ولم تزل ذاكري وكيف ألهو عنك وأنت مراقبي» فرغبوا بما زهد فيه غيرهم، وزهدوا بما رغب فيه غيرهم، فصارت حواسهم إلهية، فهم مصداق الحديث المار ذكره عليك (لا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها)، وكما نقل صاحب الخصال عن سجاد العترة عليه السلام: (ألا أن للعبد أربعة أعين عينان يبصرُ بهما أمر دينه ودنياه وعينان في قلبه يبصرُ بهما الغيب وأمر آخرته وإذا أراد به غير ذلك تركه)، وقال تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣) فنداء النقل مع العقل متفقان، وقد مدح الله تعالى أقواماً يؤمنون بما جاء إليهم من غيب عن طريق أنبيائهم فقال في أول سورة البقرة: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٤) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٥).

وقد يسأل سائل عن وجود آيات في القرآن الكريم قد حصر الله تعالى فيها علم المغيبات بذاته فقال سبحانه: ﴿وَيَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾^(٦)، وقال: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾^(٦)،

(١) ص ١٢٨ مفاتيح الجنان.

(٢) المناجاة الثامنة مناجاة المريدين ص ١٢٤ مفاتيح الجنان.

(٣) سورة النجم الآية ٣٩.

(٤) سورة البقرة الآيات ١-٣.

(٥) سورة يونس الآية ٢٠.

(٦) سورة النمل الآية ٦٥.

وقال: ﴿ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(١)، وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣)، فكيف يكون الجمع بين هذه الآيات الدالة على إسناد علم المغيبات إلى الله عَلَّاهُ مع إسناده إلى غيره؟ علماً أن بعض هذه الآيات تحصر علم الغيب بالله عَلَّاهُ.

وفي جوابه أقول بعونه تعالى:

إعلم هداك الله بهديه، إنه خطاب لنفي الموجبة الكلية دون الجزئية، فقد وهب الله سبحانه وتعالى علم الغيب إلى من شاء من خلقه الذين اصطفاهم وارتضاهم من بينهم لنفسه، فقال جلّ وعلا: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(٤). قال الإمام الرضا عَلَيْهِ السَّلَامُ: (فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله المرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة)^(٥) فاطلاع المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على علم الغيب يكون بإذن الله لا بذواتهم وبلطفية إلهية، وإليها الإشارة بقوله سبحانه: ﴿سَأَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾، وقد مر عليك قوله جلّ وعلا في الحديث القدسي لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ: (لي خزانة أعظم من العرش وأوسع من الكرسي وأطيب من الجنة وأزین من الملكوت) تلك الخزانة هو ذاك القلب الطاهر المطهر الذي خلق الله من نوره ملكاً أوكله باللوح المحفوظ والذي كان على هذه الدرجة من الخلقة العظيمة الرفيعة هو الذي أطلعه الله على ملكوته وجعله حجته

(١) سورة السجدة الآية ٦ .

(٢) سورة الزمر الآية ٤٦ .

(٣) سورة التغابن الآية ١٨ .

(٤) سورة الجن الآية ٢٦-٢٧ .

(٥) تفسير الجواهر الثمين مجلد ٦ ص ٣٠٠ .

على خلقه، فأطلعه على تمام تفاصيل مملكته، وجعلهم شهوداً على خلقه، ومن شؤون صاحب مقام الشهادة الجامعة هو كشف تمام المغيبات له ليتناسب مع مقامه، فقال سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(١).

وجعل الله علم ذلك الكتاب عند النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) لأن القرآن الكريم يحكي كل ما هو موجود في الكتاب المبين فقال: ﴿الرَّيُّلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾^(٢) وقال: ﴿الرَّيُّلَكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾^(٣) وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَيِّدًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، وعلم كل شيء أحصاه الله في إمام مبين فقال: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾^(٥) وهو أمير المؤمنين والأئمة الميامين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، فقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٦). وقد أثبتت آيات القرآن الكريم إطلاع نبيه على علم الغيب فقال: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٧) وقال: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْقِذِينَ﴾^(٨). وبعد هذا العرض تبين لك أن علم المغيبات للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) أمر مفروغ منه في محكم آيات

(١) سورة الأنعام الآية ٥٩ .

(٢) سورة يوسف الآية ١ .

(٣) سورة يونس الآية ١ .

(٤) سورة النحل الآية ٨٩ .

(٥) سورة يس الآية ١٠٢ .

(٦) سورة يوسف الآية ٤٣ .

(٧) سورة آل عمران الآية ٤٤ .

(٨) سورة هود الآية ٤٩ .

القرآن الكريم وهي لا تقبل التأويل وتبين أيضاً أن ثبوت علمهم بالمغيبات لثبوت مقام الشهادة الجامعة لهم. ولذا نجد أن الكثير من آيات القرآن الكريم قد قرنه علم الغيب بالشهادة، ومنها قوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(١) وقال: ﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ﴾^(٤) وقال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٥) وقال: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾^(٦)، وقال: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾^(٧)، وقال: ﴿ثُمَّ تَرْدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٨)، وقال: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٩).

فاطلاع بني البشر على علم المغيبات أمر ممكن عقلاً لأن شطر الإنسان الأعظم هو من سنخ ذلك العالم، ولكن الغفلة وإرتكاب الذنوب والمعاصي هي التي حالت بينه وبين إعمال شطره الأعظم الذي قوامه عبودية الله الواحد القهار بالتقرب إليه بشتى القرب فتقوم بصقل تلك القوى وتجعله مستعداً

(١) سورة الأنعام الآية ٧٣ .

(٢) سورة التوبة الآية ٩٤ .

(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥ .

(٤) سورة الرعد الآية ٩ .

(٥) سورة المؤمنون الآية ٩٢ .

(٦) سورة الزمر الآية ٤٦ .

(٧) سورة الحشر الآية ٢٢ .

(٨) سورة الجمعة الآية ٨ .

(٩) سورة التغابن الآية ١٨ .

لاستقبال عالم الملكوت، وقد أيد النقل ذلك قرآناً وسنة، فلو إلتزم الإنسان بالشرائط الحافظة لفطرته التي فطره الله عليها وصان صبغته الإلهية ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْكَ اللَّهُ صِبْغَةً﴾ عن التغير بلوث الإرجاس الشيطانية لصار قادراً على الإطلاع على الملكوت لذا جاء في الحديث النبوي الشريف (لولا أن الشياطين يحرمون بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات والأرض) وجاء في شرح أصول الكافي للمازندراني قوله:

«وينبغي أن يعلم أن السالك العارف الموقن الزاهد وإن كان في الدنيا في جسده فهو في مشاهدة أحوال الجنة ودرجاتها وسعادتها وأحوالها وأهل النار وأحوالها ودرجاتها وشقاوتها وأهلها بعين بصيرته كالذين شاهدوا الجنة وتنعم أهلها وكالذين شاهدوا النار وعذابها وهي مرتبة عين اليقين وحق اليقين»^(١) أولئك الذين أشار إليهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: (هجم بهم العلم على حقائق الأمور، وباشروا روح اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون وهجروا الدنيا بإبدان أرواحهم معلقة بالمأ الأعلى) وقال المجلسي قدس سره في حاشيته: «إنما تيسر ذلك بالتجافي عن دار الغرور والترقي إلى عالم النور» فكيف لو كان الإنسان معصوماً منذ ولادته طاهراً ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً مدفوع عنه كل رجس؟! فيكون هذا الإنسان هو الإنسان الكاملة إنسانيته قد طوى الله وَجَلَّ بوجوده المقدس عالم الملك والملكوت فهو آيته العظمى وما لله آية أكبر منها، هو سرُّ الله الأعظم وغيبه المعظم الذي أطلعه على كل غيب، وإسراء ومعراج النبي صلى الله عليه وآله غيب، وبلوغة مقام قاب قوسين أو أدنى من الغيب، وهذه من ضروريات ديننا الإسلامي الحنيف، وهذه أمثلة قطعية من ذلك الغيظ تدل على بلوغ النبي صلى الله عليه وآله مقاماً يعد ذلك المقام من الغيب حتى على ملائكة الجبروت

الأعلى، حتى ولو كان في مقام أمين وحي الله جبرائيل عليه السلام الذي قال: لو اقتربت أنملة لاحتقرت فإذا كان تصرف أمين وحي الله جبرائيل عليه السلام مع مقام غيب نبينا عليه السلام هكذا، فالأحرى بنا نحن الذين إشتد وثاق تراب الدنيا علينا أن نبقي لمقام رسول الله عليه السلام ولو مقدار حبة خردل من الحياء في نفوسنا، فلا ننكر مقاماته العلية التي قد أثبتها الله له في كتابه الكريم والتي لا ينازعه بها أحد من الخلق أجمعين.

ولو كان إيماننا بما أثبتته الدليل القطعي النقلية من آيات كلام الله المجيد، والروايات المتواترة عن النبي وآله عليهم السلام التي سنطلع على جانب منها في آخر البحث إن شاء الله تعالى ومع تأييد العقل لها ثم بعد كل ذلك يتهم بالغلو من اعتقد علم النبي وآله بالمغيبات فذاك الغلو يكون مفخرة لمن إعتقد به، فقد طعن سابقاً بعقيدة كبار علماء مدرسة آل البيت عليهم السلام وأتباعهم (رضوان الله عليهم)، واتهموهم بالغلو لعدم قولهم بسهو النبي عليه السلام ولذا قال جناب السيد أبو القاسم الخوئي (رحمته الله): «نحن من المغالين لاننا ننفي السهو عن النبي عليه السلام»، فليس لأحد كائن من يكون أن يتهم غيره بالغلو ما لم يقيم الدليل القطعي عليه، بعد أن يكون قد فهم معنى الغلو والملاك الذي يقوم عليه، ولو حصل عن غير ضبط، فإنه يتحمل وزره ووزر من عمل به إلى يوم القيامة، فإن الطعن بالعقائد الصحيحة يترتب عليه مفسد كبرى تنخر المجتمع، وتمس المتهم - بفتح الهاء - ونسيء إلى المتهم - بكسر الهاء - فتدخله في زمرة القالين الهالكين الذين منعوا الناس عن الوصول إلى حقيقة الدين، فيكون مثله كحجر القليب لا يشرب من الماء ولا يدع الآخرين تشرب منه فحذاري أن تكون منهم ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿(١)

ولولا خشية الخروج عن الموضوع لبسطت الكلام في المغالي والقال
ولكني أتركه لمناسبة أخرى إن شاء الله تعالى.

أما جواب السؤال الثاني القائل: هل يجوز لنا أن نسمي النبي وآله عليهم السلام
باسم عالم الغيب؟ هذا ما نفاه آل البيت عليهم السلام عن أنفسهم ولم يجيزوا
تسميتهم بعالم الغيب مع أنهم يعلمون الغيب، ولعل أحد أسباب المنع
هو ما يتبادر إلى ذهن السامع أن إسم عالم الغيب هو اسم للذات المستغنية
عن كل شيء، وذلك الفهم المتبادر إلى الأذهان هو القدر المتيقن الذي
نفاه آل البيت عليهم السلام عن أنفسهم، فإسم (عالم الغيب) يشعر بقيومية الذات
المتعالية الذي علمه عين ذاته وهذه النسبة هي المتبادرة إلى الأذهان التي قد
أمرنا بتنزيههم عنها، فهم يعلمون الغيب بإذن الله وقد أثبتوا لأنفسهم الصفة
دون الاسم فهم يعلمون الغيب بإقدار من عند الله ﴿لَا يَسْئُرُونَ بِالْقَوْلِ وَهُمْ
بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(١) هم المنزهون عن كل رجس، المعصومون عن كل
زلل الطاهرون المطهرون، أشهدهم الله خلقه، واطلعهم على مكنون سره،
خزان علمه، ومعادن كلماته، وأركان توحيده، ودعائم دينه، وولاية أمره
وخالصته من عباده، وصفوته من خلقه وأوليائه وسلائل أوليائه، وصفوة
أولاد خاتم أنبيائه (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ولقائل أن يقول لو
ثبت علم النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بالمغيبات لورد
إشكالان على هذا الاعتقاد.

الإشكال الأول: أن علمهم بالمغيبات والحوادث قبل وقوعها ثم العمل
وفق المهلك منها يعدُّ إلقاء للنفس في التهلكة.

الإشكال الثاني: أن علمهم بالمغيبات يعني علمهم بنتائج الحوادث قبل

وقوعها وهو محبط للأجر، فنوم الإمام علي عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله كان لعلمه بأنه لا يقتل وبالتالي ينتفي الأجر على الفداء، وكذلك في ميادين الحرب وتقدمه للقتال، فلو علم أنه سيقتل مثلاً لا يتقدم.

أما جواب الإشكال الأول فقد طرح هذا الاشكال على الأئمة الأطهار عليهم السلام في زمانهم، روى شيخنا الكليني رحمته الله عن علي بن محمد عن سهيل بن زياد عن محمد بن عبد الحميد عن الحسن بن الجهم قال: (قلتُ للرضاء عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يُقتل فيه وقوله لما سمع صياح الأوز في الدار صوائح تتبعها نوائح وقول أم كلثوم لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يُصلي بالناس فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف ابن ملجم لعنه الله قاتله بالسيف كان هذا مما لم يجز تعرضه فقال: ذلك كان ولكنه خير في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عزَّ وجلَّ)^(١).

وزيادة في بسط الكلام المستوحى من نور مشكاة النبوة عليه السلام أعلم أن إشكالهم الأول القائم على أن علمهم بالمغيبات والحوادث قبل وقوعها، ثم العمل وفق المهلك منها يعد إلقاءً للنفس في التهلكة الحرام ليست هذه بقاعدة مطردة، وخالية عن الضوابط حتى يتسنى لهم الاعتماد عليها في كل باب.

فكم من عالم يسير إلى حتفه بعلمه راج رضى الله عزَّ وجلَّ وإستجابة لتكليفه وأبرز مصاديق ذلك هو بروز أصحاب الامام الحسين عليه السلام للقتال في كربلاء وهم يعلمون علم اليقين بأنهم سيقتلون وقد أخبرهم الإمام الحسين عليه السلام بذلك وأجاز لهم الانصراف عنه فأبوا إلا أن يقتلوا بين يديه كالأضاحي

فأصحاب الحسين وآل بيته عليهم السلام قد ألقوا بأنفسهم في التهلكة التي لولاها ما حفظ هذا الدين، ولا استمرت شريعة سيد المرسلين حتى ارتبطت أسمائهم بإبن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وخلد ذكراهم إلى قيام يوم الدين.

ثم إننا لو تأملنا بحكم الفرار من الزحف الذي يعد من الكبائر لوجدناه منافع لهذه القاعدة التي اعتمدها فإن الجندي في ساحة المعركة يحرم عليه أن يفر حتى لو علم أنه سيقتل وأمره الله بالثبات والقتال والقتل في سبيل الله لقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾^(١) فعلمهم بأنهم سيقتلون على أرض المعركة لم يجز لهم الفرار عنها، فحينما يكون التكليف جعل النفس في معرض التلف والقتل وجب الصبر عليه. أو لم يأمر الله تعالى قوم موسى بقتل أنفسهم لعبادتهم العجل؟ فجعل سبحانه قبول توبتهم متوقف على ذلك، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

ثم أعاب الله تعالى على آخرين في تأخرهم عن أداء تكليف قتل أنفسهم فيما لو أمرهم به، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَا كُنْبَنَا عَلَيْهِمْ أَنْ أَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ

(١) سورة التوبة الآية ١١١ .

(٢) سورة البقرة الآية ٥٤ .

تَثْبِيْتًا ﴿١﴾، وقال: ﴿إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ﴿٢﴾ فحينما يتكلف التكليف بأن يزهد الإنسان نفسه في سبيل الله يجب أن لا يتوانى عن ذلك أبداً.

ومن ذلك أيضاً هو علمُ نبي الله يعقوب عليه السلام عن مكر أولاده بولده يوسف عليه السلام لقتله أو تضييعه حتى يخلو لهم وجه أبيهم حسداً عليه، فقد روي أن يعقوب عليه السلام رأى في منامه كأن يوسف عليه السلام قد شد عليه عشرة ذئاب ليقتلوه، وإذا ذئب يحمي عنه، فكانت الرؤيا في المنام إحدى وسائل الإيحاء في نبوتهم وما يوحي إليهم، وقد أعلمه الله مسبقاً أن مقادير الله وقضائه قد جرى عليه بغياب يوسف عليه السلام عنه ومع علمه بكل ذلك طلب أخوة يوسف في يوم رؤياه تلك من أبيهم فقالوا: ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَقِعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ﴿٣﴾ فأجابهم يعقوب عليه السلام بما علمه عنهم ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ ﴿٤﴾ فكان يعقوب عليه السلام لما علم أن مقادير الله جارية لا محالة لقرن أولاده ما حفظ به على يوسف من القتل بأكذوبة أكله الذئب فشاء الله تعالى إتماماً لمقاديره التي جرت عليها سنته في خلقه أن يُجري الأنبياء عليهم السلام تلك المقادير على أنفسهم وذويهم وآخرين هم يعلمونهم مع علمهم المحيط بتلك المقادير قبل وقوعها فيختاروا جريانها مطمئنين بحكمة الله عز وجل في مقادير أموره التي هي خير محظ إختصَّ به عباده المؤمنين رغم صعوبته وشدته ولعلمهم ذاك وتوكلهم التام على الله عز وجل لم يدعوا أولياء الله ربهم تبارك وتعالى ليرفعها عنهم ولو فعلوا الاستجاب الله لهم دعائهم، فإن الله عز وجل لا يرد لخاصة أوليائه

(١) سورة النساء الآية ٦٦ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ١٣ .

(٣) سورة يوسف الآية ١٢ .

(٤) سورة يوسف الآية ١٣ .

دعوة، ولكنهم يسرون بإجراء مقادير الله وَجَلَّ إطمئناناً بذلك الخير ولذا حينما سأل الطاغية يزيد (لعنة الله عليه) مولاتنا عقيلة بني هاشم زينب سلام الله عليها كيف رأيت صنع الله بأخيك؟ قالت: ما رأيت إلا جميلاً، فإنهم عليهم السلام قد اختاروا جريان تلك الشدائد العظام على أنفسهم لأجلنا، لأجل أن نبليج بها الدرجات العلى، ولذا قال عليه السلام في رواية شيخنا الكليني قدس سره المتقدمة: «ذلك كان ولكنه خير في تلك الليلة لتمضي مقادير الله وَجَلَّ».

فإجراء هذه التكاليف الربانية بتلف النفس أو إزهاقها نجدها تارة تتعلق بعموم الناس كما في ساحة المعركة، والقتال، أو كتكليف قوم موسى عليه السلام بقتلهم أنفسهم لتحصيل التوبة عن عبادتهم للعجل التي منفعة التوبة تعود عليهم، وتارة أخرى تتعلق تلك التكاليف الشديدة والعظيمة بخواص أولياء الله لهداية الناس ومنفعتهم، فمع علم يعقوب عليه السلام بما سيكون، قد أخبر أولاده عن بعضه إلا أنه إختار أن يجري وفق ما إختاره الله له لتدبير شؤون خلقه، ولم يجعل علمه بما سيجرى على أحب أولاده إليه والحجة من بعده مانعاً عن السماح لأولاده بأخذ يوسف معهم فكان سبب حزنه وذهاب بصره، فساعد الله قلب سجاد العترة عليهم السلام.

نقل محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن ضرّيس الكناسي قال: (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: وعنده أناس من أصحابه عجبت من قوم يتولونا ويجعلونا أئمة ويصفون أن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم بضعف قلوبهم فينقصونا حقنا ويعييون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا أترون أن الله تبارك وتعالى فرض طاعة أوليائه على عباده ثم يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم مواد العلم فيما يرد عليهم مما فيه قوام دينهم فقال له حمران: جعلت فداك رأيت ما كان

من أمر قيام علي بن أبي طالب والحسن والحسين عليهم السلام وخروجهم وقيامهم بدين الله عجله ذكره وما أصيبوا من قتل الطواغيت إياهم والظفر بهم حتى قتلوا وغلبوا فقال أبو جعفر عليه السلام: يا حمران إن الله تبارك وتعالى قد كان قدر ذلك عليهم وقضاه وأمضاه وحتمه على سبيل الإختيار - أي علم عنهم بأنهم سيختارون ذلك - ثم أجراه فبتقدم علمه إليهم من رسول الله صلى الله عليه وآله قام علي والحسن والحسين عليهم السلام وبعلم صمت من صمت منا ولو أنهم يا حمران حيث نزل بهم ما نزل بهم من أمر الله عجله وإظهار الطواغيت عليهم سألوا الله عجله أن يدفع عنهم ذلك وألحوا عليه في طلب إزالة ملك الطواغيت وذهاب ملكهم إذا لأجابهم ودفع عنهم ثم كان إنقضاء مدة الطواغيت وذهاب ملكهم أسرع من سلك منظوم وانقطع فتبدد وما كان ذلك الذي أصابهم يا حمران لا للذنب إقتروفه ولا لعقوبة معصية خالفوا الله فيها ولكن لمنزل وكرامة من الله أراد أن يبلغوها فلا تذهبن بك المذاهب فيهم^(١).

ولو تتبعنا حياة خليل الله إبراهيم عليه السلام لوجدنا مصاديق أخرى على ما نحنُ بصدهه وأكتفي بموردين:

المورد الأول: هو سيره بزوجه سارة وولده إسماعيل عليه السلام إلى واد غير ذي زرع بأمر الله عجله إتماماً لمقاديره وسنته في أنبيائه وباقي خلقه ثم أمره أن يترك زوجته وابنها الصغير في ذاك المكان القفر بلا ذخيرة ولا مؤونة حتى أخذ الجوع والعطش فيهم مأخذه وبين توصل سارة عليها السلام وسعيها بين الصفا والمروة وبكاء إسماعيل عليه السلام من الجوع والعطش أجرى الله مقاديره التي قضاها وحتمها عليهم منزلة لهم في الدنيا والآخرة وإتماماً لمراسم

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٦١ الحديث الرابع باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان وما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة.

الحج الذي فرضه على عباده ليبلغ بهم جناته ، فإبراهيم عليه السلام قد علم أنه يسير بأهله ليجري عليهم ذلك التكليف العسير ولو دعا الله أن يصرفه عنهم لأجابه الله سبحانه وتعالى ، ولكنه سار على سنة الله جلّ وعلا في صياغة تكاليفه التي استمر نفعها وثوابها إلى قيام يوم الدين فكل ما نحن عليه من خير وبركة ورياضات نتقرب بها إلى الله تعالى إنما كان ببركة رضا أولياء الله الصالحين بأداء تكاليفهم.

المورد الثاني: هو تكليف الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل عليه السلام لرؤيا رآها إبراهيم عليه السلام في منامه فقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۗ قَالَ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۗ ﴾^(١).

فقد رأى إبراهيم خليل الله تعالى في منامه رؤيا ، ومنامات الأنبياء عليهم السلام كلها صحيحة وجزء من نبوتهم فإن الأنبياء والأئمة عليهم السلام تنام عيونهم ولا تنام قلوبهم ، وفحوى رؤياه هو أمر الله تعالى له بذبح ولده الذي (بلغ معه السعي) أي بلغ حداً يقدر على السعي ويعينه على أمره كما ذكره الفراء، وقيل أنه بلغ ثلاث عشرة سنة فقال إبراهيم عليه السلام لولده: (فانظر ماذا ترى) من الرأي وقرىء ماذا تُرى بضم التاء وكسر الراء ومعناه: أنظر إلى تحملك جلدأ صبوراً أم ضعيفاً فقال: إسماعيل عليه السلام: ﴿ يَٰأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۗ ﴾^(٢).

وروي أيضاً إن إبراهيم عليه السلام رأى ليلة التروية أن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك ، وفي اليوم التالي تكرر منامه وله الإشارة بصياغة الرؤية

(١) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الصافات الآية ١٠٢ .

مضارعاً ثم إستباعتها بالفعل (تؤمر) فَهَمَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بنحر ولده ولهذا سميت الأيام الثلاثة بالتروية، وعرفه، والنحر، فانقاد إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لما أمر به فسلما تسليماً تاماً لذلك الأمر الإلهي العظيم وهذا مقام السالمية الذي إختص الله به أوليائه الصالحين، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا﴾ من الاستسلام ﴿وَوَلَّهُ﴾ أي صرعه فجعل إبراهيم ولده إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بوضع يتمكن فيه من ذبحه ﴿لِلْجَبِينِ﴾ أي على الجبين، فقال تعالى لخليله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَتَدَيِّنُهُ أَنْ يَتَّبِعْتَهُ الرَّبُّ يَا إِنْ كَذَلِكَ يَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بالعزم والإتيان بالمأمور به، ونقل القمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيره محادثة إبليس (لعنه الله) مع خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ ثم مع أهله عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لصدهم عما عزموا عليه، فروى: إنه أقبل شيخ على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقال له: ما تريد من هذا الغلام؟ قال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: أريد أن أذبحه. فقال: سبحان الله تذبح غلاماً لم يعص الله طرفة عين. فقال إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: إن الله أمرني بذلك. فقال: ربك ينهاك عن ذلك، وإنما أمرك بهذا الشيطان، فقال: إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويملك إن الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به، والكلام الذي وقع في أذني فقال: لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان. فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا والله لا أكلمك.

ثم عزم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الذبح. فقال إبليس (لعنه الله): يا إبراهيم إنك إمام يقتدى بك وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم. فلم يكلمه وأنت ترى أن محاوره إبليس (لعنه الله) لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وابنه يسمع جدال إبليس لصدهما عما عزموا عليه. كانت محاوره محكمة الصياغة، بينة الدلالة، ينساق لها العقل، فإن ذبح نبي معصوم حجة الله وخليله ومظهر رحمته لولده المعصوم وقره عينه ومهجة فؤاده وأعز عليه من نفسه، والذي قدر أن يكون منه النسل الطاهر المطهر الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً خلاصة عالم الإمكان لأجل رؤيا رآها في منامه أمر بلا شك عظيم،

لا يطيق الثبات عليه إلا المعصوم عليه السلام. فإن إبليس (لعنه الله) لم يستطع بأدلتة وبراهينه أن يزحزح إبراهيم وولده عليهما السلام عن عزمهما ولا حتى مقدار شعرة في التريث عن أداء ذاك التكليف العظيم الذي لا ينسجم مع جميع معطياتنا العقلية والتشريعية، إلا أنه تكليف ينسجم مع أصحاب اليقين حُجَّجَ رب العالمين وبه إرتاض الموقنون. ويعلم منه سرّ أمير المؤمنين عليه السلام على صبره بما أصاب سيدة نساء العالمين عليها السلام من ضرب وركل وسقوط للجنين حتى عجب لصبره إبراهيم الخليل والخلق أجمعين، وعجز الخلق عن إدراك صبر مولى الثقلين وسيد الكونين أبو السبطين الحسن والحسين الذي صان الدين بتكليف قدره وقضاه وأمضاه وحتمه رب العالمين، فسلام الله عليهم مني أبد الأبدين.

فلما عَزَمَ إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده إسماعيل عليه السلام وأسلما لأمر الله قال الغلام: يا أبتِ خَمَّرْ وجهي وشد وثاقي - فمن شدة طاعة إسماعيل عليه السلام للأمر الإلهي إنشغل عن نفسه وعن آلام الذبح التي سيلاقيها بتطبيق ذاك الأمر الإلهي فهو من شدة تسليمه طلبَ خماراً رحمةً بوالده وشفقةً عليه لوضعه على وجهه ليعين والده على ذبحه ثم طلب منه أن يوثقه فهو لا يريد أن يدفع بيد أو يحرك رجل - ، فقال إبراهيم عليه السلام: يا بني الوثاق مع الذبح لا والله لا أجمعها عليك اليوم ثم أضجعه عليه وأخذ المديّة فوضعها على حلقه ورفع رأسه إلى السماء ثم انتحى عليه المديّة فقلب جبرائيل عليه السلام المديّة على قفاها واجترَّ الكبش من قبل وأثار الغلام من تحته ووضع الكبش مكان الغلام ونودي إبراهيم عليه السلام من سيرة مسجد الخيف أن يا إبراهيم ﴿قَدْ صَدَقْتَ الرَّبَّ يَا إِنْكَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)^(٢).

(١) سورة الصافات الآية ١٠٥ .

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٢٢٤ .

ومنه يتبين لك أيها العزيز أن تكاليف الأنبياء والأوصياء والصدّيقين (عليهم جميعاً سلام الله) هي تكاليف خاصة يتعذر على الكثيرين فهمها أو إدراكها، فضلاً عن إستحالة إجرائها أو صدورها عن غير أخص الخواص لله عزّه، ولو علمت الآثار العظيمة والثمار الطيبة المترتبة على تكاليف خاصة أولياء الله المعصومين عليهم السلام لما داخلك أدنى عجب منها ولعلمت أن واحده من تلك الآثار وثمره من تلك الثمار هو صياغة تشريع الله الثابت الذي لا يتبدل ولا يتغير إلى قيام يوم الدين، فقام على تكليف إبراهيم وآله عليهم السلام أركان الحج وواجباته ومستحباته ومبطلاته ومكروهاته الذي لا ترتاض الناس ولا تسموا نفوسهم بتكاليف الحج إلا بهذه الصورة التي من الله بها علينا ببركة المعصومين عليهم السلام.

ولو نظرنا في نذر عبد المطلب نبع الموحدين عليهم السلام في ذبح ولده عبد الله عليه السلام والد نبينا الأكرم عليه السلام الذي لم يسقط الله عزّه عنه نذره إلا بمائة بعير ثم صاغها الله عزّه في شرعه فجعل دية قتل المسلم مائة بعير فإن نذر عبد المطلب عليه السلام وكفارته لا يستقيمان مع قواعد النذر وكفارته التي نعرفها أو ندركها ولكنه نذر خاصة أولياء الله عزّه، وقد افتخر النبي صلى الله عليه وآله بنسبته إلى من إختصه الله عزّه بقربان قداسته، فقال صلى الله عليه وآله: «أنا ابن الذبيحين».

وبعد كل هذا البيان يتبين لك بطلان إشكالهم الأول القائل أن علم المعصومين عليهم السلام بالمغيبات والحوادث قبل وقوعها يعد إلقاء للنفس في التهلكة الحرام، لإنعدام قصد الانتحار أولاً، وثانياً أن أعمال المعصومين عليهم السلام هو تكليف إلهي وإختبار رباني قدره الله على بعض خلقه تنطوي عليها منافع جمّة، فأعلمهم الله به وأجراه عليهم، وحينما يكون تكليفه أن يُقتل في سبيل الله وهو عالم بكيفية قتله وساعته وقاتله، فعلمه ذلك لا يكون مانعاً له عن السير في مقادير الله التي قدرها عليهم، فعلمهم بالمغيبات لا يحيل

بينهم وبين العمل بمقادير الله وَجَلَّ ، بل يكون دافعاً لهم لإحاطة علمهم بما يترتب على تلك التكاليف من خير، روي أنه لما التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة يوم الجمل نادى الإمام علي عليه السلام الزبير (يا أبا عبد الله أخرج إلي فقال له أصحابه يا أمير المؤمنين تخرج إلي الزبير الناكث بيعته وهو على فرس شاك في السلاح وأنت على بغلة بلا سلاح، فقال علي عليه السلام: إن علي جنة واقية لن يستطيع أحد فراراً من أجله، وإني لا أموت ولا أقتل إلا على يدي أشقاها كما عقر ناقة الله أشقى ثمود)^(١).

أما جواب الإشكال الثاني، فقد أجبنا عليه ضمناً في جواب الإشكال الأول، ولزيادة البيان أقول: أن علماءنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) قد أجابوا على هذين الاشكاليين بأن مدار التكليف عند المعصومين عليهم السلام هي الأسباب العادية والشرائط الطبيعية لا تلك العلوم الغيبية، فهم يجرون في أداء التكاليف مدار الشرائط الطبيعية، فهم عندما يعملون لا يعملون على أساس تلك العلوم المتعارفة عندهم بل يعملون عمل من لا يعلم الغيب، وقد تبني هذا القول جملة من علمائنا الأعلام القائلين بثبوت علم المعصومين عليهم السلام بالمغيبات، وهو قول نعتز به، إلا أنه في نظر العبد الفقير يحمل في طياته تعطيلاً كلياً أو جزئياً لعلم المعصوم عليه السلام بالمغيبات، وكلامهم هذا ناقض للغرض من وجوده ومنافٍ لما دلت عليه الروايات الشريفة من إرتباط علم المعصوم عليه السلام بالمغيبات مع مقام حجيتهم.

أما بناءً على ما قدمناه في الرد على الاشكال الأول، فإن هذا التعطيل لا وجود له، لقيام أعمالهم الشريفة على القصد إلى الفعل أولاً، وهي نية العمل، وعلى أن ما صدر عنهم هو تكليف إلهي أمرهم الله بإجرائه ثانياً، فهم يجرون على وفق تكاليفهم.

(١) بحار الأنوار ج ٣٢ باب ورود البصرة ووقعة الجمل.

وبكلام أكثر بياناً: أن الأحداث والوقائع الخارجية تقتضي من المعصوم عليه السلام فعلاً خارجياً يتناسب معهم، فهم يتعاملون مع هذا الفعل بغض النظر عن النتائج المترتبة عليه لا على نحو تعطيل علمهم بالمغيبات وبالحوادث والوقائع قبل وقوعها بل لأن نظر أصحاب اليقين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) تختلف عن نظر سائر الناس، فهم ينظرون إلى العمل بأنه مما ينبغي فعله في فعله أو مما لا ينبغي فعله فلا يهتمون به، فهم يؤدون الأعمال التي أمرهم الله بها لا لأنها ما يترتب عليها الأجر الكذائي أو المنزلة الفلانية، ولا لأنها تنسجم مع العقل أو الشرع، مع أن جميع أعمالهم المقدسة تنطبق على حقيقتيها واقعاً، بل هم يؤدونها لأن الأداء والطاعة والرضا والتسليم لأمر الله وَجَلَّ جَلَلُهُ هو ما اقتضته عبوديتهم، وفناء إرادتهم بإرادة الله وَجَلَّ جَلَلُهُ، ولذا فإن أنظارهم المقدسة تكون منصبة على أداء نفس العمل الذي أمروا به مهما كان حجمه وعظمته، فهم (صلوات الله عليهم) لا يهتمون بالآثار، أو ما يصيبهم من أذى أو ضرر مهما بلغ حجمهما، بل إن اهتمامهم منصب على أداء نفس العمل على أحسن وجه، فحينما عزم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده إسماعيل عليه السلام لأداء الأمر الإلهي لم يهتم إبراهيم عليه السلام بجميع الآثار المترتبة على أداء ذلك التكليف والتي أقلها شأناً فيما لو أنه ذبح ولده لكان ذلك الفعل سنة إلهية، وتشريع رباني يلزم المحرم إلى بيت الله الحرام بذبح أحد أولاده قرباناً إلى الله وَجَلَّ جَلَلُهُ، فأبدل الله ذلك التكليف بالهدي المتعارف عليه في زماننا، فخليل الله إبراهيم عليه السلام كان عالماً بجميع الآثار المترتبة على أداءه لذلك التكليف الإلهي، ولكنه ما انشغل بها طرفة عين أبداً، بل كان تمام انشغاله منصباً على أداء ذلك التكليف حتى لو كان ذلك التكليف يتعلق بذبح ولده المعصوم، وانشغال إسماعيل عليه السلام بأداء ذلك التكليف عما سواه من آثار لا يقل شأناً عن انشغال والده به.

وحينما صدر الأمر الإلهي إلى أمير المؤمنين عليه السلام لينام على فراش رسول الله ﷺ وتقديم حياته فداء لحياة رسول الله ﷺ ، وإيهام المشركين ، فان أمير المؤمنين عليه السلام قد انصب نظره الشريف على أداء ذلك التكليف ، ولم ينشغل عنه طرفة عين ، وتعرضت حياة أمير المؤمنين عليه السلام إلى الخطر الكبير الذي أحاط به لتحول إنصباب جام غضب المشركين عليه لأنه كان سبب نجاة رسول الله ﷺ وإفلاته من أيديهم ولو قدر أن ينام أي شخص غير أمير المؤمنين عليه السلام بلغ ما بلغ من القوة والشجاعة لكان مصيره القتل المحتوم في تلك الواقعة العظيمة والمكيدة اللثيمة لا ينفع معها كما نقلت كتب التاريخ والروايات الشريفة إلا حيدرة الكرار بشجاعته وبأسه وصبره وإيمانه المعهود ، فأدى ما عليه من تكليف بحفظ حياة رسول الله ﷺ وأخرج المشركين منها صغاراً يتلاومون فيما بينهم ويجتن بعضهم بعضاً ، فقدّر الله جلّ وعلا لهما النجاة بما قدر فيه من أسباب فإن مقادير الله ﷻ لم تبتن إعتباطاً كما بيناه مسبقاً.

فاندفاع الإمام أمير المؤمنين والأئمة الميامين عليهم السلام لأداء التكاليف التي فرضت عليهم بدرجة واحدة في الجميع سواء كان ذلك التكليف مما يخرج منه سالماً من غير جرح أو مما يُصاب بما يؤدي إلى موته ، فتفانيهم وإخلاصهم في أداء جميع التكاليف بدرجة واحدة كأسنان المشط جعلتهم لا ينظرون إلا ما فيه تحصيل لرضا الله ﷻ ، فهو عليه السلام قد فدى رسول الله ﷺ بحياته وخاض الحروب ، ثم ذهب إلى محرابه لأداء الصلاة وهو عالم بأنه سيقتل ومن قاتله وكيفية قتله وساعته من دون أن تمتاز تصرفاته في الواقعة التي قتل فيها عن الوقائع الباقية ، وليس الأمر كذلك عند سائر الناس فإنه لو أخبر أحدهم بأنه سيموت أو سيقتل أو يجرح فإن تصرفاته لا تكون سواء.

أما المعصوم عليه السلام: فإن عمله من حيث الوجهة واحد لا يتغير ولا يتبدل ولا يتفاوت من ساعة لأخرى أو من حادثة لأخرى، بل أنه ينظر إلى الجميع بأنها تكاليف إلهية تجب الطاعة فيها، حتى لو كان ذلك التكليف يؤدي إلى قتله، أو إنه لا ينسجم مع عقول الناس والشرع الذي تعاهدوه، ولو نظرنا إلى حياة أمير المؤمنين عليه السلام لوجدناها من الولادة حتى الوفاة تعج بالعجائب التي يذهل لها العقل، فضربته عليه السلام لعمر بن ود لعنه الله يوم الخندق تعدل عبادة الثقليين، أو فتح حصن خيبر بعد صيام ثلاثة أيام متوالية وهو مريض، وقلعه لباب الحصن وهي مثبتة بأوتاد في الأرض يجتمع أربعون رجلاً من الرجال الأشداء على فتحها ومثلهم على غلقها، ثم يرمي بها لمسافة أربعين ذراعاً، بعد أن يتمترس بها، حتى تنفذ جميع سهامهم ويكون له الفضل وحده في فك ذلك الحصن في الوقت الذي أحجم فيه الجميع عن فعله وهم جيوش، فالحري بنا أن نقف وقفة إعجاب وتكريم وطاعة وتسليم على تلك المواقف العظيمة والمشاهد الشريفة على حفظهم لهذا الدين وتفانيهم في أداء تكاليف رب العالمين.

وهو القائل عليه السلام: «إني ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكنني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

فإن علم أمير المؤمنين عليه السلام الخاص قد أقر به حتى العامة، فالأولى بالخاصة أن يعلموا به ويحمدوا الله عليه، وقد أشار ابن أبي الحديد المعتزلي لذلك بقوله:

علام أسرار الغيوب ومن له
خلق الزمان ودارت الأفلاك
الجوهر النبوي لا أعماله
ملق ولا توحيده إشراك

قبس من نور الإمامة

عن محمد بن يحيى عن عبد الله بن محمد بن عيسى بن محبوب عن علي بن رئاب عن سدير الصيرفي قال: (سمعتُ حمران بن أعين يسأل أبا جعفر عليه السلام عن قول الله وَجَلَّ بديع السماوات والأرض قال أبو جعفر عليه السلام: إن الله وَجَلَّ إبتدع الأشياء كلها بعلمه على غير مثال كان قبله فابتدع السماوات والأرضيين ولم يكن قبلهن سماوات ولا أرضيين أما تسمع لقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾: فقال له حمران رأيت قوله جل ذكره ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ فقال أبو جعفر عليه السلام ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ وكان والله محمد ممن ارتضاه وأما قوله ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ﴾ فإن الله وَجَلَّ بما غاب عن خلقه فيما يقدر من شيء ويقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه فأما العلم الذي يقدره الله وَجَلَّ يمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ﷺ ثم إلينا^(١).

عن محمد بن يحيى عن سلمة بن الخطاب عن سليمان بن سماعة وعبد الله بن محمد عن عبد الله بن القاسم البطل عن أبي بصير قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: أي إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة لله على خلقه)^(٢).

عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن بعض أصحابنا عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: (إن الله وَجَلَّ غضب على الشيعة فخيرني نفسي أو هم فوقيتهم والله بنفسي)^(٣).

- (١) الكافي الشريف: ج ١ ص ٢٥٦ ح ٢.
 (٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٥٨ باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم.
 (٣) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٦٠ ح ٥.

عن الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن أحمد بن محمد عن الحارث بن جعفر عن علي بن إسماعيل بن يقطين عن عيسى ابن المستفاد أبي موسى الضير قال: (حدثني موسى بن جعفر عليه السلام قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أليس كان أمير المؤمنين عليه السلام كاتباً للوصية ورسول الله صلى الله عليه وآله يملي عليه، وجبرائيل والملائكة المقربون عليهم السلام شهود قال: فأطرق طويلاً ثم قال: يا أبا الحسن قد كان ما قلت ولكن حين نزل برسول الله صلى الله عليه وآله الأمر نزلت الوصية من عند الله كتاباً مسجلاً نزل به جبرائيل مع أمناء الله تبارك وتعالى من الملائكة فقال جبرائيل يا محمد مر بإخراج من عندك إلى وصيك ليقبضها منا وتشهدنا بدفعك إياها إليه ضامناً لها يعني علياً عليه السلام فأمر النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم) بإخراج من كان في البيت ما خلا علياً عليه السلام وفاطمة فيما بين الستر والباب فقال جبرائيل: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول هذا الكتاب ما كنت عهدت إليك وشرطت عليك وشهدت به عليك وأشهدت به عليك ملائكتي وكفى بي يا محمد شهيداً قال: فارتعدت مفاصل النبي (صلوات الله عليه وآله وسلم) فقال: يا جبرائيل ربي هو السلام ومنه السلام وإليه يعود السلام صدق وعجل وهات الكتاب فدفعه إليه وأمره بدفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له إقرأه فقرأه حرفاً حرفاً، فقال: يا علي هذا عهد ربي تبارك وتعالى إلي وشرطه علي وأمانته وقد بلغت ونصحت وأديت فقال علي عليه السلام: وأنا أشهد لك بأبي وأمي بالبلاغ والنصيحة والتصديق على ما قلت ويشهد لك به سمعي وبصري ولحمي ودمي، فقال: جبرائيل عليه السلام وأنا لكما على ذلك من الشاهدين، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي أخذت وصيتي وعرفتها وضمنت لله ولي الوفاء بما فيها فقال علي عليه السلام: نعم بأبي أنت وأمي علي ضمانها وعلى الله عوني وتوفيقي على أدائها، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي إني أريد أن أشهد عليك بموافاتي بها يوم القيامة، فقال علي عليه السلام: نعم أشهد فقال: النبي صلى الله عليه وآله إن

جبرائيل وميكائيل فيما بيني وبينك الآن وهما حاضران معهما الملائكة المقربون لأشهدهم^(١) - وفي نسخة الصفواني زيادة علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن عبد الرحمن الأصم عن أبي عبد الله البزاز عن حريز قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك ما أقل بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض مع حاجة الناس إليكم، فقال: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدته فإذا انقضى ما فيها مما أمر به عرف أن أجله قد حضر: فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعي إليه نفسه وأخبره بما له عند الله وأن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسر له ما يأتي بنعي وبقي فيها أشياء لم تقض، فخرج للقتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لها ومكثت تستعد للقتال وتناهب لذلك حتى قتل فنزلت وقد انقطعت مدته وقتل عليه السلام: فقالت الملائكة يا رب أذنت لنا في الانحذار وأذنت لنا في نصرته فأنحدرنا وقد قبضته فأوحى الله إليهم أن الزموا قبره حتى ترووه وقد خرج فأنصروه وابتكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته فإنكم قد خصصتم بنصرته وبالبكاء عليه فبكت الملائكة تقريباً وحنناً على ما فاتهم من نصرته فإذا خرج يكونون أنصاره)^(٢).

وعن ابن أبي عمير عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لو أذن لنا أن نعلم الناس حالنا عند الله ومنزلتنا منه لما احتملتم فقال له: في العلم فقال: أيسر من ذلك إن الإمام وكر لإرادة الله عز وجل لا يشاء إلا من شاء الله)^(٣).

ومن نوادر الحكمة يرفعه إلى إسحاق القمي قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام لحمران بن أعين يا حمران إن الدنيا عند الإمام والسموات والأرضين إلا

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٨٢ ح ٤.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٨٤.

(٣) البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥ ح ٤١.

هكذا وأشار بيده إلى راحته يعرف ظاهرها وباطنها وداخلها وخارجها ورطبها ويابسها^(١).

قال الإمام أمير المؤمنين علي بن إبي طالب عليه السلام في الخطبة التطنجية: (ولقد علمت ما فوق الفردوس الأعلى وما تحت الأرض السابعة السفلى، وما بينهما وما تحت الثرى كل ذلك علم إحاطة لا علم إخبار، ولو شئتم لأخبرتكم بأبائكم أين كانوا، وأين صاروا اليوم)^(٢). وقال عليه السلام في خطبة له أخرى: (أنا عندي مفاتيح الغيب لا يعلمها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أنا، أنا ذو القرنين المذكور في الصحف الأولى، أنا صاحب خاتم سليمان).

روى الصفار رحمته الله عن إبراهيم بن هاشم، عن محمد بن سليمان عن سدير^(٣) قال: (كنت أنا وأبو بصير وميسر ويحيى البزاز وداود الرقي في مجلس أبي عبد الله عليه السلام إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون إنا نعلم الغيب وما يعلم الغيب إلا الله، لقد هممت بضرب خادمتي فلانة، فذهبت عني فما عرفتني في أي بيوت الدار هي^(٤) فلما أن قام من مجلسه وصار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر على أبي عبد الله عليه السلام فقلنا له: جعلنا فداك سمعناك تقول كذا وكذا في أمر خادمك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب، قال: فقال: يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قلت: قرأناه جعلت فداك، قال: فهل

(١) البحار ج ٢٥ ص ٣٨٥ ح ٤٢.

(٢) مشارق أنوار اليقين: ص ٢٠٩.

(٣) وردت في المصدر محمد بن سليمان بن سدير والصحيح هو ما ذكرناه علماً أن محمد بن سليمان ضعيف.

(٤) اتخذ التيار القائل بعدم العلم بالمغيبات هذا المقطع من هذه الرواية دليلاً لكلامهم ولم يستوفوا الرواية حقها رغم أن المقطع المتأخر في هذه الرواية يرد كثيراً في روايات الأئمة الأطهار عليهم السلام في استدلالاتهم.

وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾؟ قال: قلت: جعلت فداك قد قرأته، قال: فهل عرفت الرجل، وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلت: فأخبرني حتى أعلم قال: قدر قطرة من المطر الجود في البحر الأخضر، ما يكون ذلك من علم الكتاب قال: جعلت فداك ما أقل هذا قال: يا سدير ما أكثره إن لم ينسبه إلى العلم الذي أخبرك، يا سدير: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ قال: وأوماً بيده إلى صدره فقال: علم الكتاب كله والله عندنا ثلاثاً^(١).

إن أبا عبد الله البرقي روى عن شيوخه عن أخبرهم قال: (خرجنا مع أمير المؤمنين عليه السلام نريد صفين فمررنا بكربلاء فقال عليه السلام أتدرون أين ها هنا والله مصرع الحسين وأصحابه ثم سرنا يسيراً فانتبهنا إلى راهب في صومعة وقد تقطع الناس من العطش فشكوا ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام وذلك أنه أخذ طريق البر وترك الفرات عياناً فدنا من الراهب وهتف به فأشرف من صومعته فقال يا راهب هل قرب قائمك ماء فقال لا فسار قليلاً ثم نزل بموضع فيه رمل فأمر الناس فنزلوا وأمرهم أن يبحثوا ذلك الرمل فأصابوا تحته صخرة بيضاء فاقتلعها أمير المؤمنين عليه السلام بيده ودحاها، وإذا تحتها ماء أرق من الزلال وأعذب من كل ماء، فشربوا وارتووا وحملوا منه ورد الصخرة والرمل كما كان قال: فسرنا قليلاً وقد علم كل واحد من الناس مكان العين فقال أمير المؤمنين عليه السلام بالله عليكم إلا رجعتم إلى موضع العين فنظرتم هل تقدرن عليها فرجع الناس يقفون الأثر إلى موضع الرمل فبحثوا ذلك الرمل فلم يصيبوا العين فقالوا يا أمير المؤمنين

لا والله ما أصبناها ولا ندري أين هي قال فأقبل الراهب فقال: أشهد يا أمير المؤمنين أن أبي أخبرني عن جدي وكان من حوارى عيسى عليه السلام أنه قال إن تحت هذا الرمل عينا من ماء أبيض من الثلج وأعذب من كل ماء عذب لا يقع عليه إلا نبي أو وصي نبي وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأنت وصي رسول الله صلى الله عليه وآله وخليفته والمؤدي عنه وقد رأيت أن أصحابك في سفرك هذا فيصيبني ما أصابك من خير وشر، فقال له خيراً ودعا له بخير، وقال عليه السلام: يا راهب إلزمني وكن قريباً مني ففعل، فلما كانت ليلة الهرير والتقى الجمعان واضطرب الناس فيما بينهم قتل الراهب حتى وجده، فصلى عليه ودفنه بيده في لحدته ثم قال: والله لكأنني أنظر إليه وإلى منزله وزوجته التي أكرمها الله بها^(١) فأحرص أنت على ملازمة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام عسى الله أن يكتبنا وإياكم في ديوان شيعته، وروى في بصائر الدرجات عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن عمرو عن الأعمش قال: (قال الكلبي: يا أعمش أي شيء أشد ما سمعت من مناقب علي عليه السلام، قال: فقال حدثني موسى بن طريف عن عباية قال سمعتُ علياً وهو يقول أنا قسيم النار فمن تبعني فهو مني ومن عصاني فهو من أهل النار، فقال الكلبي عندي أعظم مما عندك أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام كتاباً فيه أسماء أهل الجنة وأسماء أهل النار فوضعه عند أم سلمة فلما ولي أبو بكر طلبه، فقالت ليس لك فلما ولي عمر طلبه فقالت ليس لك فلما ولي عثمان طلبه فقالت ليس لك فلما ولي علي عليه السلام دفعته إليه)^(٢).

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبد العزيز بن المهدي عن عبد الله بن جندب أنه كتب إليه الرضا عليه السلام: «أما بعد فإن محمداً صلى الله عليه وآله كان أمين الله في

(١) البحار ج ٤١ ص ٢٦٤-٢٦٥.

(٢) البحار ج ٢٦ ص ١٢٦، ح ٢٢.

خلقه فلما قبض عليه السلام كنا أهل البيت ورثته فنحنُ أمناء الله في أرضه عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولدُ الإسلام وإنا لنعرفُ الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم أخذ الله علينا وعليهم الميثاق يردون موردنا ويدخلون مدخلنا ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم نحن النجباء النجاة، ونحن أفراط الأنبياء، ونحن أبناء الأوصياء ونحن المخصوصون في كتاب الله وَجَلَّ وَعَلَّ ونحن أولى الناس بكتاب الله، ونحن أولى الناس برسول الله عليه السلام ونحن الذين شرع الله لنا دينه، فقال في كتابه ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ يا آل محمد ﴿مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّيَ بِهِ نُوْحًا﴾ وقد وصانا بما وصى به نوحاً ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ فقد علمنا وبلغنا علم ما علمنا واستودعنا علمهم نحن ورثة أولى العزم من الرسل ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ يا آل محمد ﴿وَلَا تَنْفَرُوا فِيهِ﴾ وكونوا على جماعة ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ من أشرك بولاية علي ﴿مَا نَدَّعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من ولاية علي إن الله يا محمد ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ من يجيبك إلى ولاية علي عليه السلام (١).

عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن الخيبري عن يونس بن ظبيان ومفضل بن عمر وأبي سلمة السراج والحسين بن ثوير بن أبي فاخته قالوا كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: (عندنا خزائن الأرض ومفاتيحها ولو شئت أن أقول بإحدى رجلي أخرجني ما فيك من الذهب لأخرجت قال ثم قال بإحدى رجله فخطها في الأرض خطأ فأنفرت الأرض ثم قام بيده فأخرج سبيكة ذهب قدر شبر ثم قال إنظروا حسناً فنظرنا فإذا سبائك كثيرة بعضها على بعض يتلألاً فقال له بعضنا جعلت فداك أعطيتم ما أعطيتم وشيعتكم محتاجون قال فقال: إن الله سيجمع لنا ولشيعتنا الدنيا

والآخرة ويدخلهم جنات النعيم ويدخل عدونا الجحيم^(١).

أبو الفتح غازي بن محمد الطرائفي عن علي بن عبد الله الميموني عن محمد بن علي بن معمر عن علي بن يقطين بن موسى الأهوازي قال: «كنت رجلاً أذهب مذاهب المعتزلة وكان يبلغني من أمر أبي الحسن علي بن محمد ما أستهزيء به ولا أقبله فدعتني الحال إلى دخولي بسر من رأى للقاء السلطان فدخلتها فلما كان يوم وعد السلطان الناس أن يركبوا إلى الميدان فلما كان من غد ركب الناس في غلائل القصب^(٢) بأيديهم المراوح وركب أبو الحسن عليه السلام في زي الشتاء وعليه لباد وبرنس وعلى سرجه تجاف^(٣) طويل وقد عقد ذنب دابته والناس يهزؤون به وهو يقول (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ) فلما توسطوا الصحراء وجاوزوا بين الحائطين ارتفعت سحابة وأرخت السماء عزاليها وخاضت الدواب إلى ركبها في الطين ولوثتهم أذناها في أقبح زي، ورجع أبو الحسن عليه السلام في أحسن زي ولم يصبه شيء مما أصابهم فقلت، إن كان الله عزَّ وجلَّ أطلععه على هذا السر فهو حجة، وجعلت في نفسي أن أسأله عن عرق الجنب وقلت: إن هو أخذ البرنس عن رأسه وجعله على قربوس سرجه ثلاثاً فهو حجة. ثم إنه لجأ إلى بعض الشعاب فلما قرب نحى البرنس وجعله على قربوس سرجه ثلاث مرات ثم التفت إلي وقال إن كان من حلال فالصلاة في الثوب حلال وإن كان من حرام فالصلاة في الثوب حرام فصدقته وقلت بفضلته ولزمته^(٤).

روى في كتاب النجوم قال: (وجدت في جزء بخط محمد بن علي ابن

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٧٤ ح ٤.

(٢) ثياب ناعمة من كتان.

(٣) التجاف: بالكسر آله للحرب يلبسه الفارس والإنسان ليقية في الحرب.

(٤) بحار الأنوار ج ٥ ص ١٨٨-١٨٩ ح ٦٥ عن كتاب عتيق الغروي.

الحسين بن مهزيار ونسخة في سنة ثمان وأربعين وأربعمائة وكان على ظهر الذي نقل منه هذا الحديث ما هذا المراد من لفظه من حديث أبي الحسن بن علي بن محمد بن عبد الوهاب قدم علينا في سنة أربعين وثلاثمائة وأما لفظة الحديث فهو حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الأحمري المعروف بابن داهر الرازي قال حدثني أبو جعفر محمد بن علي الصيرفي القرشي أبو سمينة قال حدثني داود بن كثير الرقي عن أبي عبد الله عليه السلام لما صالح الإمام الحسن بن علي عليه السلام معاوية جلسا بالنخيلة، فقال معاوية: يا أبا محمد بلغني أن رسول الله ﷺ كان يخرص النخل فهل عندك من ذلك علم، فإن شيعتكم يزعمون أنه لا يعزب عنكم علم شيء في الأرض ولا في السماء، فقال الحسن عليه السلام: إن رسول الله ﷺ كان يخرص كيلا وأنا أخرص عدداً، فقال معاوية، كم في هذه النخلة فقال الحسن عليه السلام أربعة آلاف بسرة وأربع بسرات، فأمر بها معاوية فصرمت وعدت فجاءت أربعة آلاف وثلاث بسرات: فقال: والله ما كذبت ولا كذبت فنظر فإذا في يد عبد الله بن عامر بن كريز بسرة، ثم قال: يا معاوية أما والله لو لا إنك تكفر لأخبرتك بما عمله وذلك إن رسول الله ﷺ كان في زمان لا يكذب وأنت تكذب وتقول متى سمع من جده على صغر سنه والله لتدعن زياداً ولتقتلن حجراً ولتحملن إليك الرؤوس من بلد إلى بلد فادعى زياد وقتل حجراً وحمل إليه رأس عمرو ابن الحمق الخزاعي^(١). روى في الخرائج والجرائح عن عبد الغفار الجازي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الحسن بن علي عليه السلام كان عنده رجلان فقال لأحدهما إنك حدثت البارحة فلانا بحديث كذا وكذا فقال الرجل إنه ليعلم ما كان وعجب من ذلك فقال عليه السلام: إنا لنعلم ما يجري في الليل والنهار ثم قال: إن الله تبارك وتعالى علم رسوله ﷺ الحلال والحرام

والتنزيل والتأويل ، فعلم رسول الله ﷺ علماً علمه كله^(١).

الفصل السادس

الولاية التكوينية

هو قدرة الولي على بسط سيطرته الجزئية أو التامة الكلية على موجود ما وخضوعه لإرادته بسبب غالب وبيأذنه تعالى في المقدار المأذون به ومن دون تخلل وسيط.

من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) يفتح لنا باب آخر هو باب الولاية التكوينية المطلقة وفي أعظمها دائرة لمن كان عنده علم الكتاب.

ولكي يتيسر فهم هذا الموضوع نورد، مجموعة أمور تنفعنا في إثبات ما نريد الوصول إليه من الاعتقاد الصحيح والصادق في دائرة الولاية التكوينية.

ما هو التكوين؟

التكوين مأخوذ من لفظة كن الواردة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١)، فالولاية التكوينية إذاً هو قدرة الولي على بسط سيطرته الجزئية أو التامة الكلية على موجود ما وخضوعه لإرادته بسبب غالب وبإذنه تعالى في المقدار المأذون به ومن دون تخلل وسيط ويكون سلطانه على الأشياء بكن التكوينية لا بصوت مسموع، ولا بلفظ مقروع إنما هو أمر بين الكاف والنون.

هل الولاية التكوينية بهذا المعنى ممكن ثبوتها عقلاً للمخلوقات العاقلة والمتحركة بالإرادة عموماً ولبني البشر خصوصاً؟ الجواب: نعم فأما بلحاظ المخلوقات العاقلة من غير بني البشر كالملائكة والجان فهذا ما لا خلاف فيه، فقد خلقها الله عَزَّ وَجَلَّ وركب فيها ما يمكنها من بسط سيطرتها وسلطانها بإذن الله، فلو نظرنا إلى ذكر الجان في آيات القرآن الكريم لوجدنا أنها مخلوقات من مارج من نار، فلطبيعة خلقتها النارية فإنها محكومة بعقل غير التي عند بني البشر، فإن لها القدرة على إستراق السمع من السماء، فقال تعالى معبراً عنها: ﴿وَأَنَا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَثَّتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾^(٢) وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ اللَّسْمَعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شُهَابًا رَصْدًا^(٣) وجعل الله عَزَّ وَجَلَّ للجان القدرة على التسلل إلى النفس الإنسانية لتوسوس لها وتمنيها، وإن هذه القدرة التي في الجان ناتجة عن طبيعتها النارية التي خلقها الله عليها، فهي قادرة على التصرف مع مسائل الزمان والمكان، وقد نقل الله تعالى قول عفريت الجان في قصة عرش بلقيس، فقال: ﴿قَالَ عِفْرِيْتُ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا

(١) سورة يس الآية ٨٢ .

(٢) سورة الجن الآيات ٨-٩ .

ءَايِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿١﴾ ، وجاء عن سدير الصيرفي قال: (أوصاني أبو جعفر عليه السلام بحوائج له بالمدينة فقال: وأنا في فيح الروحاء على راحلتي إذا شخص يلوي أثوابه فملت إليه وظننت أنه عطشان فناولته الإداوة قال: فقال لا حاجة لي بها ثم ناولني كتاباً كتابته رطبة والختم الذي عليه رطب وإذا هو خاتم أبي جعفر عليه السلام فقلت: متى عهدك بصاحب الكتاب فقال لي: الساعة، فإذا في الكتاب أشياء يأمرني الإمام بها ثم التفت فإذا ليس عندي أحد، فلما لقيتُ أبا جعفر عليه السلام فقلتُ له جعلت فداك لقيني رجل بكتاب منكم رطب الكلمات رطب الختم فقال عليه السلام: ياسدير إن لنا خدماً من الجن فإذا أردنا الساعة بعثناهم) (٢).

فقد سخر الباري عز وجل لهم الجن كما سخرهم لسليمان عليه السلام ومنه نفهم إن عند الجن دائرة من الولاية التكوينية بحدود قدراتهم وبما يتناسب مع خلقتهم التي خلقهم الله عليها، أما لو نظرنا إلى عالم الملكوت من خلال آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة وهم مخلوقات من نور فإن للنور قانونه الخاص وعلله الخاصة به ومظهر بسط الولاية التكوينية فيهم أشد وأكبر مما هو في الجن من إنعدام الزمان والمكان وقدرة التشكل فقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ (٣) فللملائكة شأنها خاص بما ركب الله فيها من بديع صنعته فالنور أشرف والطف من النار فقد خلقهم الله بما يتناسب مع ما أعدهم له من مهام عظيمة فمنهم المدبرات أمراً ومنهم قابضات الأرواح ومنهم الزاجرات زجراً ومنهم أمين وحي الله وصاحب صيحته جبرائيل عليه السلام. ومنهم صاحب النفخة في الطور إسرافيل عليه السلام ومنهم ومنهم قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ

(١) سورة النمل الآية ٣٩ .

(٢) بصائر الدرجات لشيخنا الصغار عليه السلام ج ٢ ص ٩٦ ح ٢ .

(٣) سورة المعارج الآية ٤ .

عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١١﴾ ،
 فدائرة الولاية التكوينية التي عند الملائكة والجان يكاد أن يكون هناك إتفاق
 عليها ، ولذا فإن الله سبحانه وتعالى لما أيد أنبيائه ورسله بآياته أو بالمعجزة
 اصطلاحاً جعل المعجزة إعجازاً في حالة صدورهما عن بني البشر لا غير
 وأعني هنا المعجزة الفعلية لا القولية التي يعجز عنها الجميع وأما الفعلية
 فإنها لو صدرت عن الملائكة والجان لقالوا أنه ملك أو أنه جان وهما يقدران
 على ما لا يقدر عليه البشر ولذا قال تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًَا لَّجَعَلْنَاهُ
 رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ (١١) ، فساق سبحانه الولاية عند الملائكة
 والجان مساق المسلمات عند الناس أما في ثبوت الولاية التكوينية للبشر
 فهذا ما وقع فيه كلام وجدل كبيرين بين مثبت ومنفي ، فالذين أثبتوها وقع
 عندهم خلاف في دائرة هذه الولاية ، وما عليه جملة من العلماء الذين نفوا
 الولاية التكوينية كما نفوا علم المغيبات عن المعصومين عليهم السلام وحجتهم
 فيها أن مقتضى البشرية عدم الولاية التكوينية وعدم العلم بالمغيبات وقد
 قال تعالى محدثاً عن سيد رسل الله ﷺ : ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مُّثَلُّكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ ، وقد
 تقدم بيان هذه الآية الكريمة بحمده تعالى وقلت هناك أن الاستدلال بها في
 هذه المواضع يعد أجنبياً عليها ، وذكرنا أن الطبيعة البشرية فيها من أسباب
 تحصيل الكمال وأسراره التي أودعها الله تعالى فيه ما ليس في عموم باقي
 خلقه مع احتفاظ بني البشر بالجنبية المادية التي فيها أسباب جذبة عالم
 التراب التي لو سعى الإنسان إلى كسبها وصار جزءاً منها وانخر بها لانحط
 عن مقام إنسانيته وعدت البهائم أحسن حالاً منه. قال تعالى : ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ
 نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الضَّٰلِّينَ﴾ (١٢) .

(١) سورة الأنعام الآية ٦١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٩ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٧٥ .

هذه الآية الكريمة تتحدث عن إنسان عابد من عباد الله وَعَلَىٰ اسْمِهِ بلعلم بن باعوراء ولم يكن معصوماً بل إنسان حاز على مرتبة من مراتب العلم ورقى بعبوديته إلى مقام صارت آيات الله تعالى تجري على يديه، حيث وصل بإنسانيته وعبوديته إلى تحقيق جذبة الروح المودعة فيه ولكنه اغتر بمقامه واتبع غواية الشيطان ورمى نفسه بجذبة عالم التراب فانسلخ عن مقام الإنسانية الحق ومقتضاها الشريف الطاهر وأركسه الشيطان برجاسته فانسلخ عن آيات الله، ولعل استخدام كلمة (إنسلخ) فيها دلالة واضحة إلى ما ذكرناه مسبقاً من أن مقضى البشرية بما فيها من أسباب وأسرار ربانية على قدرتها في كشف العوالم المختلفة وإنبساط يدها لفرض سلطته عليها، عن طريق أعمال عللها الخاصة والعامة مع إرتفاع المانع لأن كل ما سوى الله فهو معلول. وإليه الإشارة في قول مولى الموحدين أمير المؤمنين عليه السلام: (كل قائم في سواه فهو معلول) وقال الإمام الصادق عليه السلام: (أبى الله أن يجري الأشياء إلا بأسبابها)، وقد قال المولى جلّ وعلا: ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(١). فلو التزم الإنسان بجبلته الأولى وسعى لتحقيق جذبة الربوبية على الطبيعة الترابية صار أفضل من الملائكة، بل قد يكون مسجوداً لها والملائكة تفتخر بخدمته، وأفضليته تلك هي التي فتحت أمامه أبواب الولاية، وقد ذكرت لك مسبقاً أن الإنسان كلما ازداد طهارة ازداد قرباً إلى الله تعالى، وقد تفيض عنه صفات الربوبية، قال الإمام السجاد عليه السلام: (العبودية جوهرة كنهها الربوبية)، وجاء في الحديث القدسي الشريف: (لا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها)^(٢).

(١) سورة فاطر الآية ٤٣ .

(٢) عوالي اللئالي لابن أبي جمهور ج ١ ص ١٠٢، والجواهر السنية، والباب الحادي عشر وقريب منه في مسند أحمد بن حنبل ج ٦/٢٥٦.

أما مظاهر الولاية عندنا فنحن لا نعرف منها إلا بحدودها الضيقة التي نمارسها على حواسنا، فأنا وأنت نملك ولاية تكوينية على غالب أعضاء أبداننا. فأنا أمد يدي وأقبضها بمجرد إرادتي ذلك وأقوم وأقعد حينما أريد ذلك بحمد الله تعالى ومنته وإن هذا الإنبساط أو الانقباض والقيام أو العقود يتحقق لمجرد إرادتي من دون صوت مسموع أو لفظ مقروع، بل أمري لها بين الكاف والنون بإذنه تعالى وبحوله وقوته، وهناك بعض النفوس الشريفة لها قابلية التصرف بعالم الإمكان كما نتصرف نحن بإعضائنا أولئك الذين وجودهم طهارة محضة ومحض الطهارة فجعل فيهم روح القدس أو روح من أمره كالذي عند سائر الأنبياء والرسل ﷺ أو جعل فيه من الروحين معاً وهو خاص في النبي المصطفى محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فجعلهم خزانة علمه ومعدن حكمته، وقد ذكرنا أن الذي عنده أحد الروحين فإنه يعلم ما في السماوات وما في الأرض وما في الجنة وما في النار، ويعلم حتى تقلب جناح الطير في الهواء، ومن كان علمه ذلك كانت ولايته كذلك، ومن هنا يتبين لكم أنه لا مانع عقلي من نسبة الولاية التكوينية لبني البشر ما دامت مشروطة بالإذن الإلهي، حيث أن المعنى المرفوض عقلاً هو حملها على نحو التفويض الممتنع بالذات لأن الممكن فقير بالذات ومع التفويض يصيرُ الغني بالذات فقيراً بالذات والفقير بالذات غني بالذات وهذا محال، فإذا وجدت بعض الروايات تحمل معنى التفويض كما جاء «وفوض أمور الخلق إليكم» لا على هذا النحو بل على معنى ينسجم مع فقر ذواتهم إلى الله ﷻ وفناء إرادتهم بإرادته جلَّ وعلا، إن هذه الولاية التكوينية التي عند المعصومين ﷺ لم تأتهم إعتباطاً بل هي خاضعة لأسبابها، وسببها القريب هو العلم الخاص، وسبب علمهم الخاص هو تأييد الله جل وعلا للمعصومين ﷺ بروح القدس، أو بروح من أمره وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿إِذْ آيَدُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ

وَكَهَلًا ﴿١﴾. فإن تكلم عيسى عليه السلام في المهد ناتجاً عن تأييد الله وَجَّاناً له بروح القدس، والأمر كذلك في الولاية التكوينية فكل شيء خاضع لقانون السببية، ولا بد لنا هنا أن نقف وقفه تتناسب مع المقام على قانون السببية لانكشاف الحقائق.

قانون السببية

إعلم هداك الله بهديه أنه بحسب سنن الطبيعة أن الاحراق يتم بالنار، وأن العطش يرتفع بالماء، وأن الأرض تنبت بعد نزول المطر، وبقانون الجاذبية أن الذي يرتفع أو يطير في الهواء لا بد أن يرجع إلى الأرض، وأن التكاثر يتم على نظام الزوجية وهكذا فإنك لن تجد صغيرة ولا كبيرة في حياتنا إلا وهي خاضعة لقانون السببية، ويبقى السؤال هنا عن طبيعة هذا التلازم بين الأسباب والمسببات؟ وقد فسرت طبيعة هذا التلازم بين الأسباب والمسببات بثلاث نظريات:

النظرية الأولى: هو اتجاه الفلاسفة الذين قالوا: أن هناك تلازماً ذاتياً بينهما، فإذا وجد السبب وجد المسبب، لا ينفك عنه، كتلازم الزوجية للأربعة، فما دامت الأربعة موجودة، فالزوجية موجودة معها لا تنفك عنها، وأن الذي يشرب الماء فلا بد أن يرتفع عطشه، وأن النار لا بد أن تكون محرقة. ومن هنا، فإنهم حينما يأتون إلى قضية امتحان الله جل وعلا لإبراهيم الخليل عليه السلام حينما قذفه نمرود في النار يفسرون قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(١) يقولون لم تبق النار على ناريتها، فلو كانت ناراً لكانت محرقة، وبما أنها لم تحرق إبراهيم عليه السلام، فإنها ليست بنار

(١) سورة المائدة الآية ١١٠ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

لاستحالة إنفكاك العلاقة الذاتية، وهذا لا يعني أنهم ينسبون العجز إلى الله سبحانه وتعالى، وإرادة الله عَزَّ وَجَلَّ لا تتعلق بالمستحيل.

النظرية الثانية: وهم الأشاعرة وهي عقيدة غالب أبناء العامة، قالوا: إن العلاقة بين الأسباب والمسببات من قبيل ضم الحجر إلى الإنسان، فلا هذا مرتبط بذاك ولا ذاك مرتبط بهذا، وحينما نسألهم فلماذا كلما شربنا الماء يرتفع العطش؟ ولماذا يحصل الاحتراق بالنار؟ يقولون جرت عادة الله على ذلك، ولا فاعل في الوجود إلا الله، فهو المحرق لا النار وهو الذي يرفع العطش لا الماء وهذا المبنى الفاسد والخاطيء في فهم التنزيه جرهم إلى إنكار الحسن والقبح العقليين فقالوا يمكن أن يدخل الله الانبياء نار جهنم، ويمكن أن يدخل الكفرة والعاصين الجنة، ولم يكن مقصودهم من الامكان هذا هو دفع العجز عنه سبحانه، بل مرادهم أن إرادة الله المتعالي عن ذلك علواً كبير هي إرادة جزافية، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾^(١) وقد سلك هذا المسلك بعض الفلاسفة الغربيين كديفيد هيوم.

النظرية الثالثة: قالوا: إن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأشياء وجعلها تؤثر بإذنه، بل كل شيء خاضع لإذنه وإقداره تعالى، فالماء رافع للعطش بإذنه وإقداره تعالى، والنار محرقة بإذنه وإقداره حيث لا مؤثر بالذات وبالاستقلال إلا الله عَزَّ وَجَلَّ وبأمره التكويني، فهو أوجد الماء وأوجد فيه أسباب رفع العطش، وأوجد النار، وأوجد فيها نظام الإحراق، وأوجد الزوجية في الأشياء وركب فيها أسباب التكاثر، وأوجد النفس الإنسانية وركب فيها القدرة على التصرف في غالب البدن بأسرع من لمح البصر وجعل أمرها فيه بين الكاف والنون لا بلفظ مقروع ولا بصوت مسموع،

فأنت ترفع يدك لمجرد كونك تريد ذلك من دون أن تنطق بحرف واحد، فطاعة بدنك لنفسك بولاية تكوينية منها عليه بإذن من عند الله، وبإقدار من عند الله وهذا ما نقر به في الذكر المأثور (بحول الله وقوته أقوم وأقعد)، فهو الذي أقدرك على ما أنت عليه وجعل فيك أسباب القدرة ونظامها للتحرك بمجرد الإرادة. فهو الذي ملكك التصرف في بدنك وهو المالك لما ملكك والقادر على ما أقدرك عليه لا يعجزه شيء سبحانه.

روى في الاحتجاج مما أجابه أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حتى سألوه عن الجبر والتفويض والرواية طويلة نأخذ منها مورد الشاهد فقال عليه السلام: (بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة فقال: أمير المؤمنين عليه السلام تملكها من دون الله أم مع الله فسكت عباية بن ربعي فقال له قل يا عباية قال: وما أقول؟ قال: إن قلت تملكها مع الله قتلتك وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك. قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك فإن ملككها كان ذلك من عطائه وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملكك والمالك لما عليه أقدرك أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الرجل وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول لنا عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله. قال فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه^(١). ومن هذا يتبين لك أن تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَنْتَظِرُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِنِّي بَرَاهِيمَ﴾^(٢) يختلف تفسيره من مسلك لآخر، فمسلك الفلاسفة الذين قالوا بالعلاقة الذاتية قالوا: أن الله تعالى أبدل النار فجعلها موجوداً آخر لاستحالة تعلق

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ٢١ ص ٢٥، ح ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

إرادة الله بالمحال. وقال الأشاعرة: بأن النار ليست محرقة، بل أن المحرق هو الله تعالى، وقد جرت عادته بذلك فقط فقالوا بالإرادة الجزافية وأنكروا قانون الأسباب والمسببات، والحسن والقبح العقليين أما أصحاب المسلك الثالث قالوا: أن النار هي المحرقة حقيقة ولكنها لا تحرق باستقلال، بل هي تحرق بإقدار من عند الله وإذنه تعالى ومع عدم تحقق الإذن بالإحراق فإن النار لا تحرق ولذا كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام. فقانون الأسباب والمسببات عند أصحاب النظرية الثالثة يبتني على أمرين:

الأمر الأول: هو الأمر التكويني الإلهي وهو المقتضي أي النار في مثالنا السابق.

الأمر الثاني: هو أن يأذن الله للمقتضي أي النار أن يؤثر في مقتضاه أي الإحراق فالنار هي المحرقة حقيقةً، والماء هو الرافع للعطش حقيقةً وأنا وأنت نتصرف بأبداننا حقيقةً، ولكن هذه الأفعال من إحراق، أو رفع العطش أو تحريك للبدن لم تنتج عن علاقة ذاتية بل هي تنتج بإذن الله وبحوله وقوته، فالمالك الحقيقي لكل شيء هو الله تعالى وملكية غيره للأشياء وإن أطلق عليها بأنها ملكية حقيقية إلا أنها مشروطة بالإذن الإلهي فهي ملكية مجازية واقعاً وسميت حقيقية هنا لتمييز هذه الملكية عن الملكية الاعتبارية البشرية كملكيتنا للملابس والسيارات ونحوها ولبيان صحة المسلك الثالث على بقية المسالك أطرح هذا السؤال:

هل الإذن الإلهي بإعمال هذه الملكية هو الأصل، وعدم الإذن حالة طارئة عليها؟ أم أن عدم الإذن هو الأصل والإذن حالة طارئة عليها؟ وبقول آخر هل أن الأشياء تؤثر دائماً وتتوقف عن التأثير في حالات نادرة؟ أم أنها لا تؤثر دائماً لإنعدام الإذن وتؤثر في حالات نادرة عند وجود الإذن؟ فإذا قلنا بالأول ثبت أن علاقة الأسباب بمسبباتها علاقة دائمية ومستمرة لا تخرم إلا

فأنت ترفع يدك لمجرد كونك تريد ذلك من دون أن تنطق بحرف واحد، فطاعة بدنك لنفسك بولاية تكوينية منها عليه بإذن من عند الله، وبإقدار من عند الله وهذا ما نقر به في الذكر المأثور (بحول الله وقوته أقوم وأقعد)، فهو الذي أقدرك على ما أنت عليه وجعل فيك أسباب القدرة ونظامها للتحرك بمجرد الإرادة. فهو الذي ملكك التصرف في بدنك وهو المالك لما ملكك والقادر على ما أقدرك عليه لا يعجزه شيء سبحانه.

روى في الاحتجاج مما أجابه أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام في رسالته إلى أهل الأهواز حتى سألوه عن الجبر والتفويض والرواية طويلة نأخذ منها مورد الشاهد فقال عليه السلام: (بذلك أخبر أمير المؤمنين عليه السلام حين سأله عباية بن ربعي الأسدي عن الاستطاعة فقال: أمير المؤمنين عليه السلام تملكها من دون الله أم مع الله فسكت عباية بن ربعي فقال له قل يا عباية قال: وما أقول؟ قال: إن قلت تملكها مع الله قتلتك وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك. قال: وما أقول يا أمير المؤمنين؟ قال: تقول تملكها بالله الذي يملكها من دونك فإن ملككها كان ذلك من عطائه وإن سلبكها كان ذلك من بلائه، وهو المالك لما ملكك والمالك لما عليه أقدرك أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حيث يقولون لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال الرجل وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟ قال: لا حول لنا عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله. قال فوثب الرجل وقبل يديه ورجليه^(١). ومن هذا يتبين لك أن تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٢) يختلف تفسيره من مسلك لآخر، فمسلك الفلاسفة الذين قالوا بالعلاقة الذاتية قالوا: أن الله تعالى أبدل النار فجعلها موجوداً آخر لاستحالة تعلق

(١) بحار الأنوار ج ٥ ص ٢١ ص ٢٥، ح ٣٠.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

إرادة الله بالمحال. وقال الأشاعرة: بأن النار ليست محرقة، بل أن المحرق هو الله وَجَلَّ ، وقد جرت عادته بذلك فقط فقالوا بالإرادة الجزافية وأنكروا قانون الأسباب والمسببات، والحسن والقبح العقليين أما أصحاب المسلك الثالث قالوا: أن النار هي المحرقة حقيقة ولكنها لا تحرق باستقلال، بل هي تحرق بإقذار من عند الله وإذنه تعالى ومع عدم تحقق الإذن بالإحراق فإن النار لا تحرق ولذا كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام. فقانون الأسباب والمسببات عند أصحاب النظرية الثالثة يبتني على أمرين:

الأمر الأول: هو الأمر التكويني الإلهي وهو المقتضي أي النار في مثالنا السابق.

الأمر الثاني: هو أن يأذن الله للمقتضي أي النار أن يؤثر في مقتضاه أي الإحراق فالنار هي المحرقة حقيقة، والماء هو الرافع للعطش حقيقة وأنا وأنت نتصرف بأبداننا حقيقة، ولكن هذه الأفعال من إحراق، أو رفع العطش أو تحريك للبدن لم تنتج عن علاقة ذاتية بل هي تنتج بإذن الله وبحوله وقوته، فالمالك الحقيقي لكل شيء هو الله وَجَلَّ وملكية غيره للأشياء وإن أطلق عليها بأنها ملكية حقيقية إلا أنها مشروطة بالإذن الإلهي فهي ملكية مجازية واقعاً وسميت حقيقية هنا لتمييز هذه الملكية عن الملكية الاعتبارية البشرية كملكيتنا للملابس والسيارات ونحوها ولبيان صحة المسلك الثالث على بقية المسالك أطرح هذا السؤال:

هل الإذن الإلهي بإعمال هذه الملكية هو الأصل، وعدم الإذن حالة طارئة عليها؟ أم أن عدم الإذن هو الأصل والإذن حالة طارئة عليها؟ ويقول آخر هل أن الأشياء تؤثر دائماً وتتوقف عن التأثير في حالات نادرة؟ أم أنها لا تؤثر دائماً لإنعدام الإذن وتؤثر في حالات نادرة عند وجود الإذن؟ فإذا قلنا بالأول ثبت أن علاقة الأسباب بمسبباتها علاقة دائمية ومستمرة لا تخرم إلا

بحالات نادرة ومعروفة وهي حالات عدم الإذن بتفعيل تلك العلاقة، ويطلق على هذه العلاقة الدائمة والمستمرة والمتعاقبة قانون أو سُنَّة وهو ما عليه واقع حالنا وأما لو قلنا بالثاني لكان تعاقب الأشياء لا يجري إلا نادراً وهذا ما يكذبه واقع الحال، فنحن نعلم إن الذي يشرب الماء يرتفع عطشه، وإننا إذا أردنا إحراق شيء أحرقناه بالنار فهذا التعاقب الدائم والمستمر يشكل قانوناً في حياتنا نعمل به ونجري عليه ولا يمكن إنكاره، وحينما يرد عدم الإذن بتفعيل تلك العلاقة المستمرة يتعرض ذلك القانون أو السنة للتعطيل، فالماء دائماً رافع للعطش لمصاحبة الإذن الالهي له بذلك، فإذا طرأ عليه عدم الإذن صار الماء غير رافع للعطش كما حدث مع أولئك الذين دعا عليهم الإمام الحسين عليه السلام بأن يذيقهم الله العطش فكان أحدهم يشرب الماء حتى يخرج من فيه وهو يقول العطش العطش (لعنهم الله) فحقيقة ارتباط الأسباب بمسبباتها يقوم عليها تمام عالم الامكان ولا يجوز لعاقل إنكارها، قال صدر المتألهين عليه السلام: «هذه مسألة مهمة لا أهم منها لأن القول بالعلة والمعلول مبنى جميع المقاصد العلمية ومبنى علم التوحيد والربوبية والمعاد والرسالة وعلم النفس وما بعدها وما قبلها وعلم تهذيب الأخلاق والسيادات وغير ذلك وبإنكاره وتمكين الإرادة الجزافية كما هو مذهب أكثر العامة تنهدم قواعد العلم واليقين». ومن هنا نسمع هذه المقولة الشائعة عند أهل العلم: التوحيد من غير إمامة ليس بتوحيد بل هو شرك وضلال.

وقال السيد الطباطبائي عليه السلام في تفسير الميزان: «تصديق القرآن لقانون العلية العامة: إن القرآن يثبت للحوادث الطبيعية أسباباً ويصدق قانون العلية العامة كما يثبته ضرورة العقل وتعتمد عليه الأبحاث العلمية والأنظار الاستدلالية، فإن الإنسان مفطور على أن يعتقد لكل حادث مادي علة موجبة من غير تردد وارتياب.

وكذلك العلوم الطبيعية وسائر الأبحاث العلمية تعلل الحوادث والأمور المربوطة بما تجده من أمور أخرى صالحة للتعليل، ولا نعني بالعلة إلا أن يكون هناك أمر واحد أو مجموع أمور إذا تحققت في الطبيعة مثلاً تحقق عندها أمر آخر نسميه المعلول بحكم التجارب كدلالة التجربة على أنه كلما تحقق احتراق لزم أن يتحقق هناك قبله علة موجبة له من نار أو حركة أو اصطكاك أو نحو ذلك، ومن هنا كانت الكلية وعدم التخلف من أحكام العلية والمعلولية ولوازمهما.

وتصديق هذا المعنى ظاهر من القرآن فيما جرى عليه وتكلم فيه من موت وحياة ورزق وحوادث أخرى علوية سماوية أو سفلية أرضية على أظهر وجه، وإن كان يسندها جميعاً بالآخرة إلى الله سبحانه لفرض التوحيد.

فالقرآن يحكم بصحة قانون العلية العامة بمعنى أن سبباً من الأسباب إذا تحقق مع ما يلزمه ويكتنف به من شرائط التأثير من غير مانع لزم وجود مسببه مترتباً عليه بإذن الله سبحانه وإذا وجد المسبب كشف ذلك عن تحقق سببه لا محالة»^(١).

بعد هذا يتبين لك بأن عالمنا تحكمه مجموعة من القوانين والسنن الإلهية وإن على هذه القوانين والسنن قوانين أخرى حاكمة عليها، وكلما إزداد المخلوق إحاطة ومعرفة بهذه القوانين كان أقدر على التصرف بهذا العالم، وسنخ العلم الذي يعطي قدرة التصرف لا يتم الحصول عليه إلا بيقين ونحن نجد بأنه ما من ظاهرة من ظواهر الطبيعة إلا وتصرف فيها ولياً من أولياء الله الصالحين بإذنه تعالى، فتصرف نوح عليه السلام في الماء في طوفانه، وتصرف فيه موسى عليه السلام بشقه بعصاه، وتصرف فيه أولياء الله بالسير

عليه، وتصرف داود عليه السلام بالحديد فألانه الله له، وتصرف سليمان عليه السلام في الهواء، وتصرف نبي الله صالح عليه السلام في الأرض والجبال بإخراج الناقة، بل أن هناك بعض التصرفات الكونية يحسبها الكثير من الناس ما لا يجوز نسبتها إلى غير الله كالأحياء والإماتة التي تصرف بهما نبي الله إبراهيم عليه السلام وكذلك عيسى عليه السلام، أو التصرف في الأفلاك والكواكب الأخرى أو دورانها كانشقاق القمر للنبي صلى الله عليه وآله أو رجوع الشمس لأمر المؤمنين عليه السلام فمظاهر الولاية التكوينية التي لأولياء الله كثيرة جداً، وسنتعرض إلى ذكر بعضها تبركاً بها بعد أن نتعرض إلى بيان السبب القريب للتصرف في هذه الظواهر الكونية القائم على ثلاثة احتمالات:

الاحتمال الأول: أن المتصرف بهذه الظواهر الكونية هو الله سبحانه وتعالى فقط من دون توسط وليه، وليس للولي أي تأثير سوى الدعاء، فالنبي يدعو الله جلّ وعلا أن يجري له الأمر الكذائي وهو سبحانه يجري لأوليائه ما يريدون، فحينما أراد عيسى عليه السلام إبراء الأكمه والأبرص دعا الله عز وجل فأجاب الله له دعوته، فلا تصرف في نظام التكوين ولا يوجد ولاية تكوينية لغير الله عز وجل. وذهب إلى هذا القول جملة من العلماء، وجملة من الكتاب المعاصرين، وليس هؤلاء العلماء من أهل المعرفة أو الفلاسفة وليسوا من المحققين في هذا المجال.

الاحتمال الثاني: هو أن التصرف في نظام التكوين من قبل أولياء الله نتيجة طبيعية لعقولهم المتكاملة التي سبقت أهل زمانهم، فهم اطلعوا على قوانين الطبيعة الحاكمة وتصرفوا في نظام التكوين، فالمتصرف في نظام التكوين حقيقة هم الأفراد أنفسهم لإطلاعهم على القوانين الحاكمة، وإن هذه القوانين يمكن لباقي الناس أن يطلعوا عليها بمرور الزمن وتطور العلوم، فإذا كان عيسى عليه السلام في زمانه يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص فقد

يأتي أشخاص يكون عندهم المقدرة للوصول إلى قوانين في الطب معينة تمكنهم من أداء فعل عيسى عليه السلام وباقي الأنبياء عليهم السلام وهذا الاحتمال كما تراه قائم على أمرين.

الأمر الأول: أن التصرف في نظام التكوين ناتج عن تحصيل قواعد وقوانين معينة حصل عليها الأولياء لاكتمال عقولهم البشرية، فكل من كمل عقله في باب من أبواب العلم الكسبي يكون قادراً على فعل ذلك.

الأمر الثاني: أن المعجزة مسألة نسبية زمانية يمكن إجراؤها فيما بعد من قبل أي شخص برع في تلك الجهة فلو جاء مكتشف أياً كان مذهبه وتوصل لاكتشاف هذه القوانين يكون قادراً على الاتيان بمعاجز أولياء الله تعالى وبطلان هذا الاحتمال في وجوه نجعلها على وجهين:

الوجه الأول: أن صدور المعجزة يكون عن طريق قوانين حاكمة على قوانين نشأتنا وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿عَلَىٰ أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(١). وقوانين النشأة الأخرى الحاكمة على قوانين نشأتنا لا يمكن الإطلاع عليها إلا إذا كان الشخص أو الجهة من تلك النشأة أو فيه النشأتين معاً وبما أن النشأة الأخرى هي نشأة الطهارة فقط فالذي يكون في هذه النشأة ويكون طاهراً والطهارة تلازمها العبودية والعلم فيكون قادراً حينها على خرق قوانين هذه النشأة وهذا يستحيل تحقيقه من دون الإذن الإلهي كما بيناه مسبقاً، وهذا يعني أن المعجزة لا تجري إلا على يد أولياء الله تعالى.

الوجه الثاني: أن المعاجز التي جاء بها الأولياء عليهم السلام من أنبياء ورسول يجب أن تكون مما يعجز الآخرون عن الاتيان بها في زمانهم وفي كل

زمان، فلو تمكن غير أولياء الله الإتيان بها لانتقض الغرض من المعاجز التي جهزهم الله بها لتكون دليلاً على صدق نبواتهم وارتباطهم بالله تعالى، ولذا فإن قانون صدور المعجزة معتمد على سبب غالب لا مغلوب، قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾^(١) لتكون له الحجة البالغة على الناس قال تعالى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾^(٢)، تم بطلان الاحتمال الثاني بحمده تعالى.

الاحتمال الثالث: أن المتصرف بنظام التكوين حقيقة هو النبي أو الولي بسبب غالب، ولكن تصرفه ليس بالاستقلال وبمعزل عن قدرة الله عز وجل، بل بإذنه وإقداره تعالى، فالولي الذي اختصه الله بكرامته هو الذي يكون قادراً على التصرف في التكوين كما نتصرف نحن بأبداننا، فنحن نتصرف بأبداننا حقيقة مع احتفاظنا بنسبتها إلى الله عز وجل لاستحالة انفكاكها عن الإذن الإلهي، وإليه الإشارة في الذكر المعهود في الصلاة «بحول الله وقوته أقوم وأقعد»، فهذا الرأي كما ترى يسند الولاية التكوينية لأولياء الله عز وجل وقد تبنى هذا الرأي جملة من أكابر العلماء وهم العرفاء والفلاسفة والمحققين (رضوان الله تعالى عليهم). وبعد الذي تقدم يكون من السهل عليك إتخاذ المنهج الثالث عقيدة لك، وقد علمت بالدليل العقلي إمكانية وصول الإنسان لمقام الولاية التكوينية، واستعداده لبلوغ ذلك المقام، ووجوب ثبوته للصديقين عليهم السلام فإن لهم درجة تلازمها تلك المقامات المعظمة والمنازل المشرفة.

الولاية التكوينية في القرآن الكريم

أولاً: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِثَابِتٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ

(١) سورة المجادلة الآية ٢١ .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٤٩ .

كِتَابٌ ﴿١﴾

الآيات التي يأتي بها الأنبياء والرسول ﷺ تسمى باصطلاح علماء الكلام بالمعاجز جمع معجزة، وهو المصطلح الشائع والمعروف عند جميع الناس وهذا المصطلح لم يأت ذكره في القرآن الكريم ولكنه كلمة جامعة لتعريف الآية التي وردت في القرآن الكريم وفي كلام أهل البيت ﷺ فالآية: هي مما يعجز باقي الناس عن الإتيان بما أتى به أولياء الله لتستدل الناس بها على صدق دعوى ارتباطهم بالله ﷻ .

وأنت تلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الله ﷻ أسند إتياء الآيات إلى الرسل حقيقة، فقال: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ﴾ فالرسول هو الذي يأتي بالآية، ولكن هذا الإتياء لا بالاستقلال بل بإذن من عند الله جلّ وعلا، وتكرر هذا المعنى في سورة (الرعد)، فقال:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِغَايَةِ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ ﴿١﴾، وأنت تلاحظ في هذه الآية الكريمة بأن الله ﷻ يحدث نبيه الأكرم ﷺ بأن للأنبياء والرسول ﷺ لهم جنبتهم البشرية المعروفة عند باقي بني البشر، فهم يتزاوجون ويتكاثرون ويأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق ثم يموتون، ولهم جنبه بشرية أخرى وهي كونهم يأتون بآيات الله ﷻ، فإن لهم ولاية تكوينية بإذن الله تعالى ولم تؤثر إحدى الجنبتين في نفي الجنبه الأخرى.

وقد أكدت آيات القرآن الكريم والروايات الشريفة على أن ولايتهم التكوينية وعلمهم بالمغيبات لا بالاستقلال عن الله ﷻ، بل هو بإذن الله

(١) سورة الرعد الآية ٣٨ سورة غافر الآية ٧٨ .

(٢) سورة الرعد الآية ٣٨ .

وبحوله وقوته وإقداره تعالى ، فولايتهم التكوينية وعلمهم بالمغيبات لم يخرجهم عن كونهم عباداً مربوبين لله وَعَلَّمَ بل أثبتت لمقام عبوديتهم الخاصة ، أن لهم مقامات عليه وشؤونات قدسية لا ينال فيضها إلا بالطهارة ، وأشار لهذا المعنى الشريف قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلِّمُ الْغُيُوبِ ﴾^(١) ، وقال الله تعالى عارضاً لمطالب المشركين من رسول الله ﷺ ، ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿١٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿١١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِهٍ وَالْمَلَكِ كَةً قَبِيلًا ﴿١٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفُوقِكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحٰنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٢) ، فمطالب المشركين هذه كلها مطالب يستحيل على النبي ﷺ فعلها على الرغم من أن بعض هذه المطالب خاضعة لولاية النبي ﷺ التكوينية ، كما في تفجير ينبوع من الأرض التي حدثت مراراً في تاريخ النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ، وكذلك في أن تكون له جنة من نخيل وعنب ويفجر الأنهار خلالها تفجيراً ولكن استحالة صدورها عنه من جهة الإجابة لمطالبهم ، لأن طلب وقوعها مبتني على استقلالية النبي ﷺ عن الله وَعَلَّمَ ، فكانت هذه المطالب لإنكار النبوة لا لإثباتها ، فلذا قال الله تعالى له : ﴿قُلْ سُبْحٰنَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٣) ، فأثبت له مقام البشرية لا مقام الربوبية ومقام الرسالة الذي ليس لرسول الله ﷺ أن يأتي بآية إلا بإذن الله ، فهو مقام تنزيه الأنبياء والرسل عليهم السلام

(١) سورة المائدة الآية ١١٦ .

(٢) سورة الإسراء الآيات ٩٠-٩٣ .

(٣) سورة الإسراء الآية ٩٣ .

عن الإلوهية التي أسندتها بعض الأمم السالفة لأنبيائها عليهم السلام.

ثانياً: قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾^(١).

كان هذا قول عفريت الجن الذي جعله الله في خدمة نبي الله سليمان عليه السلام فلما علم من سليمان عليه السلام رغبته بكسر شوكة بلقيس وقومها قال له عفريت الجن ﴿أَنَا ءَانِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَّقَامِكَ﴾ فأسند عفريت الجن الإتيان بعرش بلقيس إلى نفسه من سبأ في اليمن إلى فلسطين حيث جلوس سليمان عليه السلام. فقال: ﴿أَنَا ءَانِيكَ﴾ ، ثم قال: ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ إشارة إلى أن هذا الإقدار من عند الله عزَّ وجلَّ بحوله وقوته، فهو مؤتمن عليه، وظاهر الآية الكريمة كما تراها لا تدل لا من قريب ولا من بعيد على أن هذا الإعجاز يتم بدعائه وإستجابة الله عزَّ وجلَّ له ، بل يتم بما أقدره الله عليه ، فلو قلنا كما ادعى البعض بأن هذا الإقدار قائم على دعاء الجن أو دعاء وصي نبي الله سليمان عليه السلام لكانت هذه المقولة تنطوي على نسبة إساءة أدب عفريت الجن ووصي سليمان عليه السلام ، وهما في محضر الخدمة والطاعة لنبي الله سليمان عليه السلام فكأنك تقول لخدمك وولدك أيكما يأتيني بالكروسي من الدار؟ فيقولان لك: سندعوا لك الله أن يأتيك بالكروسي من الدار. ألا يعد هذا استهزاء؟! فطلب إظهار القدرات شيء وطلب الدعاء شيء آخر فسليمان عليه السلام لم يقل أيكم يدعو لي الله باحضار عرش بلقيس لي بل قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ أي أيكم أشدُّ قدرةً على الإتيان بعرش بلقيس بما استودعه الله من علم؟ فهو في مقام إظهار حجة الله من بعده عليهم أما هل أن هذه المقدرة التي عند عفريت الجن هذا هي خاصة أم عامة عند الجن؟ فبحسب ما جاء من ذكر شريف ظاهر في نفس الآية الكريمة بذكر كلمة عفريت ثم استتباعها

بكلمة أمين يدل على أن هذه المقدرة خاصة وليست عامة، فليست هي من الأمور المقدورة لكل فرد منهم، نعم هي، موجودة في جوهرهم وليست قدرة مضافة عليهم.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هل أن هذه المقدرة التي عند عفريت الجن هذا لها نظير في بني البشر أم لا؟

نقول: نعم ليس فقط يوجد لها نظير، بل يوجد مزيد لأن الله تعالى خلق الإنسان وكرمه على سائر خلقه، وخلق كل شيء لأجله، ونفخ فيه من روحه، وأفاض عليه من نوره الذي لم يبصره إبليس (لعنه الله) في آدم عليه السلام حيث نظر إلى الطين فقط ولم ينظر إلى الجوهر، فقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾^(١)، وجاء في الكافي الشريف عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن الحسن بن علي بن يقطين عن الحسين بن مباح عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن إبليس قاس نفسه بآدم فقال: خلقتني من نار وخلقته من طين ولو قاس الجوهر الذي خلق الله منه آدم بالنار لكان ذلك أكثر نوراً وضياءً من النار)^(٢).

ولما بصرت الملائكة عليهن السلام في نظرتها الأولى في جعل الله خليفته على الأرض بالذي بصر فيه إبليس (لعنه الله) وقالوا: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾^(٣)، وقد عنت مقام الطين فلما نبههم الله تعالى جميعاً إلى حكمته فقال: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٤) بصرت حينها الملائكة إلى ما لم يبصر به إبليس (لعنه الله)،

(١) سورة ص الآية ٧٦ .

(٢) الكافي ج ١ ص ٥٨ باب البدع والرأي والمقاييس، ح ١٨ .

(٣) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٤) سورة البقرة الآية ٣٠ .

فقالوا **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ**: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾^(١)، فلما أقروا بعجزهم ولم يغتروا بنورانيتهم كما اغتر إبليس بناريته ظهر لهم جوهر آدم **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ**، فقال، لهم ربهم جل وعلا: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾^(٢)، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣)، فكان الأمر بالسجود لآدم **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ** بعد نفخ الروح لا قبلها لأنها حقيقة جديدة قابلة لجميع الحقائق.

روى في الاختصاص عن المعلى بن محمد عن بعض أصحابنا رفعه إلى أبي عبد الله **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ** قال: (إن أول من قاس إبليس، فقال: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾، ولو علم إبليس ما جعل الله في آدم لم يفتخر عليه، ثم قال إن الله **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ** خلق الملائكة من نور وخلق الجن من النار وخلق الجن صنفاً من الجن من الماء وخلق آدم من صفحة الطين ثم أجرى في آدم النور والنار والريح والماء، فبالنور أبصر وعقل وفهم وبالنار أكل وشرب ولولا أن النار في المعدة لم تطحن المعدة الطعام، ولولا أن الريح في جوف ابن آدم تلهب نار المعدة لم تلهب، ولولا أن الماء في جوف ابن آدم، فجمع الله ذلك في آدم الخمس خصال وكانت في إبليس خصلة فافتخر بها).

فلما علم النور بحقيقة جوهر آدم **عَلَّمَهُمُ اللَّهُ** سجد ذلك النور لنور رب العالمين الذي جعله سره المكنون في ذلك الطين، وأما إبليس (لعنه الله) فكان من المطرودين الخاسرين أبد الأبدين هو ومن اتبعه من الغاوين الذين

(١) سورة البقرة الآية ٣٢.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٤.

(٣) سورة الحجر الآية ٢٩.

لا يبصرون في ابن آدم إلا الطين.

ثالثاً: قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾^(١) فبعد أن عرض عفريت الجن قدرته لنبي الله سليمان عليه السلام والملا من حوله على أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن يقوم من مقامه، قال يوشع بن نون عليه السلام وصي سليمان عليه السلام أنا آتيتك به بأقل من طرفة عين أي لمجرد إرادته لذلك وهو قول الذي عنده علم من الكتاب فلذا ساقته الآية الكريمة مساق التعليل، فلو لم يكن لعلم وصي نبي الله سليمان عليه السلام مدخلية في ولايته التكوينية لكان ذكره في الآية بلا مناسبة.

وإذا كان عنده علم من الكتاب و(من) كما تعلم تفيد التبويض فمن كان عنده علم ببعض الكتاب له كل هذا المقام والقدرة على بسط ولايته التكوينية، فكيف تكون ولاية الذي عنده تمام علم الكتاب؟!.

روى شيخنا المفيد (قدس الله روحه الزاكية) عن رجاله مسنداً إلى سلمان الفارسي (رضوان الله تعالى عليه) قال: (قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان أيما أفضل محمد صلى الله عليه وآله أو سليمان بن داود عليه السلام؟ قال سلمان: فقلت: بل محمد صلى الله عليه وآله: فقال: يا سلمان هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس.. في طرفة عين، وعنده علم من الكتاب ولا أقدر أنا وعندي علم ألف كتاب! إلى أن قال عليه السلام: أعلم يا سلمان إن الشاك في أمورنا وعلومنا كالممترى في معرفتنا وحقوقنا وقد فرض الله تعالى ولايتنا في كتابه في غير موضع، وبين فيه ما وجب العمل به وهو مكشوف)^(٢).

(١) سورة النمل الآية ٤٠ .

(٢) تأويل الآيات الظاهرة: ٢٤٠ ح ٢٤٤ .

وقد مرت عليك رواية الصفار رَحِمَهُ اللهُ ، عن إبراهيم بن هاشم ، عن محمد بن سليمان عن سدير قال: (قال الإمام الصادق ع: يا سدير ما تقرأ القرآن؟ قلت: قرأناه جعلتُ فداك ، قال: فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾؟ قال: قلتُ جعلتُ فداك قد قرأته ، قال: فهل عرفت الرجل ، وعلمت ما كان عنده من علم الكتاب؟ قال: قلتُ: فأخبرني حتى أعلم. قال: قدر قطرة من المطر الجود في البحر الأخضر. ما يكون ذلك من علم الكتاب قال: جعلت فداك ما أقل هذا قال: يا سدير ما أكثره إذ ينسبه إلى العلم الذي أخبرك ، يا سدير فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمٌ الْكِتَابِ﴾ كله قال: وأومأ بيده إلى صدره فقال: علم الكتاب والله كله عندنا ثلاثاً^(١).

رابعاً: قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سُرِرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمٌ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِئِسَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّو يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^(٢). فإن هذه الآية الكريمة تتضمن وصف كريم للقرآن الكريم بعلو منزلته وبلوغه أعلى مقامات الجلال والكمال تسير به الجبال وتقطع به الأرض ويكلم به الموتى وجاء عن الإمام الكاظم ع: (قد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتنقطع به البلدان ويحيى به الموتى بل لله الأمر جميعاً بل لله القدرة على كل شيء)^(٣).

(١) بصائر الدرجات: ج ٢ ص ٢٣٣ ب ١ ح ٣.

(٢) سورة الرعد الآية ٣١ .

(٣) تفسير الصافي المجلد ٣ ص ٧١، عن الكافي الشريف.

عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن أبي زاهر وغيره عن محمد بن حماد، عن أخيه، عن أحمد بن حماد عن إبراهيم عن أبيه، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: (قلتُ له جعلت فداك أخبرني عن النبي ورث النبيين كلهم؟ قال: نعم. قلتُ من لدن آدم حتى انتهى إلى نفسه؟ قال: ما بعث الله نبياً إلا ومحمداً عليه السلام أعلم منه، قال: قلت إن عيسى بن مريم كان يحيى الموتى؟ قال: صدقت وسليمان بن داود كان يفهم منطوق الطير وكان رسول الله عليه السلام يقدر على هذه المنازل؟ قال: فقال: إن سليمان بن داود قال للهدد حين فقده شك في أمره فقال ﴿مَا لِي لَا أَرَى الْهُدَّهَدَ أَمْ كَانُ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ حين فقده فغضب عليه فقال: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ وإنما غضب لأنه كان يدلّه على الماء تحت الهواء فهذا وهو طائر قد أعطي ما لم يعط سليمان وقد كانت الريح والنمل والجن والإنس والشياطين والمردة له طائعين ولم يكن يعرف الماء تحت الهواء، وكان الطير يعرفه، وإن الله يقول في كتابه ﴿وَلَوْ أَن قُرْءَانَا سِيرَتْ بِهٖ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهٖ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهٖ الْمَوْتَى﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان ويحيى به الموتى ونحن نعرف الماء تحت الهواء وأن في كتاب الله آيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن مما كتب الماضون وجعله الله لنا في أم الكتاب إن الله يقول ﴿وَمَا مِنْ غَآيَةٍ فِي السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتٰبٍ مُّبِينٍ﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتٰبَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ فنحن الذين اصطفانا الله من عباده وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء) (١).

خامساً: قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِيْمٰنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهٖ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيْمِينَ﴾ (٨١) ﴿وَمِنَ الشَّيْطٰنِ مَنْ يَغْوِصُوْنَ لَهُ،

وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿١﴾ والآيات واضحة في أن الله جل وعلا سخر الريح لسليمان وجعلها خاضعة تحت ولايته التكوينية وجعلها تمتد لتشمل حتى الجان والطير في الهواء قال تعالى: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنْ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١).

سادساً: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٢). قال القمي: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: إن إبراهيم نظر إلى جيفة على ساحل البحر تأكله سباع البر وسباع البحر ثم تحمل السباع بعضها على بعض فيأكل بعضها بعضها فتعجب إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ فأخذ إبراهيم عليه السلام الطاووس والديك والحمام والغراب فقال الله عز وجل: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ أي قطعهن ثم أخلط لحمهن وفرقهن على عشرة جبال ثم خذ مناقيرهن وادعهن يأتينك سعياً، ففعل إبراهيم ذلك وفرقهن على عشرة جبال ثم دعاهن فقال أجبنني بإذن الله تعالى، فكانت تجتمع ويتألف لحم كل واحد وعظمه إلى رأسه وطارت إلى إبراهيم، فعند ذلك قال إبراهيم: إن الله عزيز حكيم^(٣). وإن من الواضح أن الذي باشر الإحياء بإذن الله هو إبراهيم عليه السلام فقال: أجبنني بإذن الله.

وجاء في تفسير العياشي عن علي بن إسباط أن أبا الحسن الرضا عليه السلام (سئل عن قول الله عز وجل: ﴿قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ أكان في قلبه شك؟

(١) سورة الأنبياء الآيات ٨١-٨٢.

(٢) سورة النمل الآية ١٧.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

(٤) تفسير القمي ج ١ ص ٩١.

قال: لا ولكنه أراد من الله الزيادة في يقينه^(١)، وورد أيضاً أنه سأل كما سأل موسى الرؤية لقومه، وقيل أنه سأل لأنه أحب أن يعلم ذلك علم عيان بعد أن كان به من جهة الاستدلال.

سابعاً: قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾^(٢). وقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أُولِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَالنَّاسُ لَهُ الْخَدِيدُ﴾^(٣) لو نظرنا إلى كل أصناف الولاية التكوينية المتقدمة لوجدنا تحققها جميعاً وزيادة على يد النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وقد جرى بعضها على يد شيعتهم، ينقل في أيام السقيفة المشؤومة (على مؤسسها لعائن الله) أن أبا بكر بن أبي قحافة وعمر استدعيا خالد بن الوليد وأرسلوه مع كتيبة من الجند كانا قد أعداها لأخذ البيعة من الناس لابن أبي قحافة وبعثوا بها إلى دار أمير المؤمنين عليه السلام فوقف خالد على باب دار الإمام عليه السلام ورفع عقيرته يتهدد الإمام ويتوعده إن لم يبايع فخرج لهم أمير المؤمنين عليه السلام وهو مغضب حامل لسيفه بغمده فلما رآه خالد جبن وفر جنده، فضربه الإمام عليه السلام بسيفه عرضاً فأركزه عن فرسه ثم سحبه من رقبته وضم عليه قدمه ثم أخذ قضيباً من حديد فطوق به عنقه ولما أقسم عليه الناس أخلى سبيله واجتمع القوم وقد جمعوا أقوياء العرب من أجل فك الطوق عن رقبة خالد ما استطاعوا إليه سبيلاً ثم جمعوا الحدادين فأظهروا عجزهم وأيقن القوم أن لا سبيل إلى فكه إلا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فجاؤا بوفدهم إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام واستشفعوا لخالد عنده وأقسموا عليه بقرابته من رسول الله ﷺ فأخذ الأمير عليه السلام برقبة خالد وبدأ

(١) تفسير العياشي ج ١ ص ١٤٢ ح ٥.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٧٩.

(٣) سورة سبأ الآية ١٠.

يفت قضيب الحديد قطعة بعد قطعة وكأنه يفت طيناً بأنامله المقدسة فسلام الله عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً، ذاك الذي افتخرت ملائكة الجبروت الأعلى بخدمته، ينقل أن جبرائيل وإسرافيل عليهما السلام افتخرا، فقال إسرافيل عليه السلام أنا صاحب حملة العرش والصور وأقرب الملائكة مكاناً فافتخر جبرائيل عليه السلام بأنه أمين الوحي والرسول إلى الرسول وهو صاحب القدوف والخسوف والصيحة والزلازل، فتحاكما إلى الله عز وجل فأوحى إليهما إسكتا فوعزتي وجلالي لقد خلقت من هو خير منكما، فقالا أيكون ذلك وقد خلقتنا من نور عظمتك فأوحى الله لهما أن انظرا إلى ساق العرش فإذا عليه لا إله إلا الله محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فعند ذلك خجلا فقال جبرائيل: يارب أسألك بحقهم عليك إلا جعلتني خادمهم فاستجاب الله له فكان خادماً لهم وكان يأتي إلى مهد الإمام الحسين عليه السلام ويهزه ويقول:

إن في الجنة نهراً من لبن

لعلي وحسين وحسن

كل من كان محباً لهم

يدخل الجنة من غير فتن

وكان يأتي له بثمار من الجنة والحلي منها مراراً وصبغ ثوبه بصبغ الجنة وكان له قميص مادته زغب جبرائيل عليه السلام، ولكن ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله هذا هو الذي قتلته أمة جده عطشان ظمآن ملقاً ثلاثاً على رمضاء كربلاء مقطوع الأعضاء مسلوب العمامة والرداء، وبنات رسول الله صلى الله عليه وآله سبايا يدار بهن على أقتاب المطايا للوجوه سافرات وبالعويل مناديات وعلى الرؤوس والخدود لاطمات وبعد العز مذلات.

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم
ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي
منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم
أن تخلفوني بسوء في ذوي رحم

ثامناً: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(١). فإن الله عز وجل أمر نبيه موسى عليه السلام أن يباشر بنفسه ما أذن الله له من إجراء ولايته التكوينية في أن يفجر من الحجر الأصم اثنتا عشرة عيناً من الماء العذب، فقال له: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾، وما قال له إدعوا أن يتفجر لك اثنتا عشرة عيناً من الحجر وأنا أستجيب لك، بل قال: ﴿اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

تاسعاً: قوله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُم طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾^(٢). وهذه الآية الكريمة واضحة الدلالة في أن الله عز وجل قد سخر البحر لموسى عليه السلام، فقال له: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾^(٣).

عاشراً: قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُزْبِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

(١) سورة البقرة الآية ٦٠ .

(٢) سورة طه الآية ٧٧ .

(٣) سورة الشعراء الآية ٦٣ .

تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ هذه الآية الكريمة تعد من أوضح الواضحات على الولاية التكوينية التي أمتاز بها أولياء الله الصالحين ومنهم نبي الله عيسى عليه السلام. فابتداً بقوله ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ ثم اسند لنفسه الخلق والنفخ للروح بإذن الله فقال: ﴿أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٢) فالخلق والنفخ للروح والإحياء والإماتة ونحوها من أمور ليست بالمستحيلة التحقق من قبل المخلوق عقلاً، بل هي من الممكنات القابلة التحقق والمتحققة مادام جريان هذه الأمور وغيرها خاضعة للإذن الإلهي ومن غير إستقلال، فلا يلزم منها محذور في تحول الفقير بالذات إلى غني بالذات، فإن جريانها لا باستقلال بل بحول الله وقوته، وقد أيد القرآن الكريم هذا الإمكان العقلي ونقل لنا صور كثيرة لتحقيقها من قبل بعض النفوس الشريفة التي اختارها الله من بين بريته، وقد قال الله تعالى في مسألة الخلق مثلاً: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٣) فالخالق بحسب هذه الآية الكريمة متعدد وليس بواحد مع حفظ المقامات فكل خالق سوى الله وَجَلَّ يستحيل له الخلق بمعزل عن الله تعالى أو بالاستقلال عن حوله وقوته، بل حتى تحريك قشة لا تتم له إلا بحول الله وقوته ثم أن كل خالق سوى الله وَجَلَّ وبإذنه يكون الخلق لا عن اختراع بل عن مادة ابتدعها الله بعلمه وقدرته، أما خلق الله وَجَلَّ لخلقه فيكون بالاستقلال وعن مادة هو ابتدعها بقدرته ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (٤) فيصدق أن يقال بأنه لا خالق في الوجود إلا الله تعالى ونسبة الخلق إلى غيره مجازاً ولكن لا يجوز أن يقال

(١) سورة آل عمران الآية ٤٩ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٤٩ .

(٣) سورة المؤمنون الآية ١٤ .

(٤) سورة المؤمنون: ١٤ .

لشخص أنه خالق لما مر عليك في عالم الغيب فافهم رحمك الله.

ثم قال عيسى عليه السلام: ﴿وَأَنْزَيْتُ الْأَكْثَمَ وَالْأَبْرَمَ﴾ ، فهو الذي يبرئ وهو الذي يحيي الموتى ولكن كل ذلك يتم بإذن الله لا بالاستقلال ، فأى حقيقة أنصع حجة وأبلغ بياناً من هذه الآيات الكريمة على الولاية التكوينية حتى يدعي من يدعي أن القرآن كله يدل على عدم الولاية التكوينية فلعمري والله أن مدعي هذه الحماقة إما أنه لم يقرأ القرآن أو إنه قرأه من غير تدبر ولا خير في قراءة من غير تدبر.

شبهات وردود

الشبهة الأولى: بأننا لو سلمنا بوجود الولاية التكوينية في المعصوم عليه السلام: فإن القدر المتيقن منها أن هذه الولاية إنشائية وليست فعلية، وبمعنى آخر أن الله يعطي لوليه بالحق مقام الولاية التكوينية في الوقت الذي يجري على يديه المعجزة فقط ثم يسلبها عنهم بعد ذلك، فلا توجد عند أولياء الله الصالحين المعصومين المطهرين قدرة دائمية على الاعجاز بل هي قدرة مؤقتة بحدود وقت إجراء المعجزة فقط وهو وقت الإذن الإلهي!!.

إعلم هداك الله بهديه أن عملية إعطاء الولاية التكوينية بحدود إجراء المعجزة ثم سلبها عنهم تنطوي على محاذير كثيرة أهمها أن عملية إعطاء الولاية التكوينية ثم سلبها عن المعصومين عليهم السلام لا يستقيم إلا مع خشيته تعالى أن يحدث المعصومون عليهم السلام في ملكه ما لا يريد وهو مستحيل لجهتين:

الجهة الأولى: أن أصحاب هذه الشبهة لم يقدرُوا الله حق قدره، فتعالى الله ربنا أن يحدثوا في ملكه ما لا يريد لأن ملكيته للأشياء ملكية حقيقية لا اعتبارية وأن الملكية الحقيقية لا يمكن تصور إنفكاكها تحت أي حال من الأحوال وقد بئنا استحالة التفويض في الملكية الحقيقية عقلاً ونقلاً.

الجهة الثانية: إن هذه الشبهة تنطوي على عدم وضع الأنبياء والأوصياء عليهم السلام في مقامهم الذي فرضه الله لهم بكونهم حجته على خلقه، الذين اصطفاهم من بريته وفضلهم على ملائكته وأمنائه على سره فاسترعاهم أمر خلقه ثم

يسلب منهم ما جباهم به إن هذه ليسيء ويشكك بأمانة أولياء الله على خلقه وهو الذي قال: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحٰنَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٦٧﴾ أولئك الذين قد فنت إرادتهم بإرادة الله عز وجل ولا يعصونه طرفة عين أبداً وحاشى الله ربنا أن ينزل أوليائه دون منازل أعدائه، فهذا بلعم بن باعوراء جرت على يديه آيات الله بإذنه تعالى ولم يسلبها الله عنه حتى انسلخ هو عن آيات الله بطاعته للشيطان، فقال تعالى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايٰتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ الْغٰوِيْنَ ﴿٦٧﴾ فهل يسلبها الله عن أنبياءه ورسله والأئمة الميامين عليهم السلام عن غير سبب وهم لا يعصونه طرفة عين أبداً؟! ثم أن أصحاب هذه الشبهة قد قدموا الخادم وأخروا السيد فاعتقدوا الإحياء والإماتة لاسرافيل عليه السلام وقبض الأرواح لعزرائيل عليه السلام والزلازل والخسوف لميكائيل عليه السلام والتدبير للمدبرات أمراً وهكذا وهم خدام للنبي وآله عليهم السلام فهل يعقل أن يكون للخادم ما ليس عند السيد؟

هذا هو السر والمعنى الخفي ومن

لولا ما كانت الدنيا ولا الفلك

ولا تكون هذا الكون من عدم

إلى الوجود وهذا المالك الملك

هذا الذي ظهرت آياته عجباً

للناس حتى لديه سجد الملك

الشبهة الثانية: إذا كان الأئمة عليهم السلام عندهم ولاية تكوينية دائمة، فلماذا لم يستخدموها في دفع المصائب العظيمة عنهم أو في تحصيل منفعة عظيمة

(١) سورة الأنبياء الآية ٢٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٧٥ .

لهم ، أفما كان أمير المؤمنين عليه السلام قادراً على قتل معاوية وأزلامه (لعنة الله عليهم) وهم على أسرتهم قبل أن تستحكم فتنتهم التي أهلكت الحرث والنسل؟! ولو كان عند الإمام الحسين عليه السلام ولاية تكوينية فلماذا لم يستخدمها في استخراج الماء لآله وأصحابه على الأقل حتى يرفع العطش عنهم أو يخسف الأرض بجيش يزيد فيصون عيالاته؟! وهكذا فالأسئلة كثيرة ولكن جوابها واحد.

إعلم أيها العزيز إن أولياء الله الصالحين المعصومين الطاهرين المطهرين إنما تصدر الأعمال منهم وفق التكليف التي قدرها الله عز وجل عليهم ، وإن لهذه الأعمال في نفوسهم وقعاً واحداً ودرجة واحدة من المحبوبة والرضا بها ، سواءً كان ذلك التكليف ما ينسجم مع الطبيعة البشرية من قوة وصحة وأمان وعافية وغمى وحكومة كالحكومة المنبسطة لنبي الله سليمان عليه السلام وما سخر الله له فجعلها طوع أمره ونهيه ، أو كان ذلك التكليف مما لا ينسجم مع الطبيعة البشرية ، من فقر ومرض وخوف وقتل وسجن كالتى ابتليه بها غالب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ، فهم يسعون لأداء تلك التكليف من دون أن ينظروا إلى عواقب الأمور وما سيؤولون إليه بعد أداءها لأنهم لا ينظرون ولا يطلبون ولا يرجون إلا رضا الله عز وجل وطاعته ، والتي منها موقف يوسف عليه السلام المبين بقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) فأن يقتل الحسين وآله وصحبه وأن تسبى نسائه (عليهم جميعاً سلام الله) وهم عطاشى أحب إليه من أن يبايعوا يزيداً ، أو أن يبطلوا سنة إفتتان الخلق بذلك الموقف العظيم الذي يتوقف عليه مصير الملايين وحفظ رسالة رب العالمين إلى قيام يوم الدين. فلولا كربلاء ولولا عطش الحسين وقتله وآله وسبى عيالاته وهلع أطفاله وآلام جراحاته ما بلغ

شيعة الحسين عليه السلام موقف يوم الفزع الأكبر وهم آمنين مطمئنين فرحين مستبشرين وعلى مائدة الحسين عليه السلام مجتمعين تخدمهم ملائكة رب العالمين تحت ظل عرش ربنا الكريم، فإن أعمالهم الطاهرة تلك وإبتلاءاتهم العظيمة كانت تكليف إلهي لهم ليبتلوا الخلق بمواقفهم، قال تعالى: ﴿أَمَرَ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾^(١). من الذي يعلم؟ الله الذي يعلم أم أنتم تعلمون فيجري حجة الله عليكم؟ بل لأجل أن نعلم نحن إذ لا معنى لأن يزداد في علم الله شيء، وهو القائل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرُّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾^(٢)، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٣)، وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِيْظَنِّهِمْ مِنْ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾^(٤)، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مِثْلَ نُوُثُوسٍ بِهِ، نَفْسُهُ، وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٥)، وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٦)، فهم عليه السلام يعملون ولايتهم التكوينية بما يريد الله منهم لا كما تريد الناس ومشتهياتهم، لا بحساب المصالح الشخصية التي لا وجود لها عندهم، فالمعصوم عليه السلام هو سنة الله العظمى في خلقه التي أخضع له تمام سننه، ولقد شاؤا ما شاء الله لهم أن يجروا على وفق سننه في خلقه ليمتاز الأطياب عن الأشرار، والأخيار عن الفجار، ويصل كل

(١) سورة آل عمران الآية ١٤٢ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٣ .

(٣) سورة هود الآية ٥ .

(٤) سورة الرعد الآية ٣٣ .

(٥) سورة ق الآية ٥ .

(٦) سورة الأنفال الآية ٢٤ .

إنسان إلى درجته بسعيه وكدحه، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾^(١)، وقال: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٢)، وقال ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾^(٣)، وقال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٤)، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٥)، فالنبي وآله عليهم السلام (أسرار إلهية مودعة في هياكل بشرية) لا يقاس بهم أحد وقد ورد عنهم عليهم السلام: (نزهونا عن الربوبية وارفعوا عنا حظوظ البشرية نحن أهل بيت لا يقاس بنا أحد من الناس، فإننا نحن الأسرار الإلهية المودعة في الهياكل البشرية والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية، وقولوا بعد ذلك ما استطعتم فإن البحر لا ينزف)، فلسنا وهم عليهم السلام على حد سواء، فهم لهم رغبة واحدة وهم واحد ألا وهو العبودية لله الواحد القهار. أما نحن فرغباتنا كثيرة وهمومنا أكثر، حتى صار مبلغ علمنا وهم نسجته مخيلاتنا بأننا وهم على حد سواء، وبأن كل إنسان عبارة عن مجموعة من المشتبهات وكتلة من الرغبات فحكمتنا على القليل بحكم الغالب الكثير الذي إنسلخ عن فطرته وركب مع إبليس بغوايته، ولما قسناهم بنا كثر تعجبنا من فعالهم واشتد إنكارنا لمقامهم وصار غالبنا من القالين الملعونين المطرودين عن رحمة رب العالمين، ولما قسنا أنفسنا بهم أجزنا عليهم نقصنا وأضفنا عليهم ضعفنا فكثر عليهم ردنا وانسلخت عن الحق ضمائرنا فضعفت هممتنا وتكالب الزمان علينا حتى صار معظمنا من القالين الملعونين المطرودين عن رحمة رب العالمين، أعيذك ونفسي برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس.

- (١) سورة الانشقاق الآية ٦ .
- (٢) سورة النجم الآية ٣٩ .
- (٣) سورة النازعات الآية ٣٥ .
- (٤) سورة الزلزلة الآيات ٧-٨ .

فإن البيت عليه السلام إنما يعملون ولايتهم التكوينية وعلمهم بالمغيبات حينما يكون إعمال هذه القدرات فيها مصلحة للدين وتزيد من ميثاق عبوديتهم لرب العالمين ولإبطال زيف المضلين وترشد المؤمنين إلى طريق اليقين.

البحث الروائي : نقطة من بحر كلامهم الشريف

١. روى صاحب عيون الأخبار قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: (مر في طريق فسايره خيبري فمر بواد قد سال فركب الخيبري مرطه وعبر على الماء ثم نادى أمير المؤمنين: يا هذا لو عرفت كما عرفت لجريت كما جريت، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: مكانك، ثم أوماً إلى الماء فجمد ومر عليه فلما رأى الخيبري ذلك أكب على قدميه وقال: يا فتى ما قلت حتى حولت الماء حجراً فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فما قلت أنت حتى عبرت على الماء؟ فقال الخيبري: أنا دعوت الله باسمه الأعظم، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: وما هو؟ قال: سألته بإسم وصي محمد عليه السلام، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا وصي محمد عليه السلام، فقال الخيبري: إنه الحق ثم أسلم) (١).

٢. وعنه أيضاً ما رواه عن عمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليه) قال: (أتيت مولاي يوماً فرأى في وجهي كآبه فقال: ما بك؟ فقلت: دين أتى مطالب له فأشار إلى حجر ملقى، وقال: خذ هذا فاقضي منه دينك، فقال عمار: إنه الحجر فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: أدع الله بي يحوله لك ذهباً. فقال عمار: فدعوتُ بإسمه فصار الحجر ذهباً،

فقال لي: خذ منه حاجتك؛ فقلت: وكيف تلين؟ فقال: يا ضعيف اليقين أدع الله بي حتى تلين، فإن إسمي ألان الله الحديد لداود عليه السلام: قال عمار: فدعوت الله باسمه فلان فأخذت منه حاجتي، ثم قال: إدع الله باسمي حتى يصير باقيه حجراً كما كان^(١).

٣. روى البرسي قده: (أن أمير المؤمنين عليه السلام وهو يجهز أصحابه إلى قتال معاوية إذ اختصم إليه إثنان فلغى أحدهما في الكلام فقال له: إخساً يا كلب فعوى الرجل لوقته وصار كلباً فبهت من حوله وجعل الرجل يشير بإصبعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ويتضرع فنظر إليه وحرك شفثيه فإذا هو بشر سوي فقام إليه بعض أصحابه، وقال له مالك عليه السلام: ما لك تجهز العسكر ولك مثل هذه القدرة؟ فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو شئت أن أضرب برجلي هذه القصيرة في هذه الفلوات حتى أضرب صدر معاوية فأقلبه عن سريره لفعلت ولكن ﴿عِبَادُ مَكْرُمُونَ﴾ (١٦) لَا يَسْفِقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾^(٢). حذار أن تكون من القالين فقد جاء في الإختصاص: (عن محمد بن علي عن أبيه عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان الأحمر قال: قال الصادق عليه السلام: يا أبان كيف تنكر قول أمير المؤمنين عليه السلام لما قال: لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر بن أبي سفيان بالشام فنكسته عن سريره ولا ينكرون تناول آصف وصي سليمان عرش بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفة عين، أليس نبينا عليه السلام أفضل الأنبياء ووصيه أفضل الأوصياء أفلا جعلوه كوصي سليمان عليه السلام حكم الله بيننا

(١) البحار ج ٣٢ الباب ١١.

(٢) سورة الأنبياء: الآيتان ٢٦-٢٧.

(٣) البحار ج ٣٢ الباب ١١.

وبين من جحد حقنا وأنكر فضلنا^(١).

٤. وجاء في بصائر الدرجات الشريف (عن أحمد بن محمد بن محمد عن عمر بن عبد العزيز عن محمد بن الفضيل عن الشمالي عن علي بن الحسين عليه السلام قال: قلتُ له أسألك جعلت فداك عن ثلاث خصال إنفي عني فيه التقية قال: فقال: ذلك لك قلتُ: أسألك عن فلان وفلان؟ قال: فعليهما لعنة الله بلعناته كلها ماتا والله وهما كافرين مشركين بالله العظيم. ثم قلت الأئمة يحيون الموتى ويبرؤون الأكمه والأبرص ويمشون على الماء قال: ما أعطى الله نبياً شيئاً قط إلا وقد أعطاه محمداً عليه السلام وأعطاه ما لم يكن عندهم قلت وكل ما كان عند رسول الله عليه السلام فقد أعطاه أمير المؤمنين عليه السلام قال: نعم ثم الحسن والحسين ثم من بعد كل إمام إلى يوم القيامة مع الزيادة التي تحدث في كل سنة وفي كل شهر إي والله في كل ساعة^(٢).

فالإمام المعصوم عليه السلام هو نقطة اليقين والحبل المتين، والصراف المستقيم، وسرُّ الكلیم، هو إسم الله الأعظم الذي بيده الجوهر، ومحول التراب تبر، والحجر در، ولا تكن من الشاكين بما حباهم الله ولا من القالين فتكون من المطرودين المسخوط عليهم إلى قيام يوم الدين قال الإمام أبو عبد الله عليه السلام أعداؤنا مسوخ هذه الأمة، ومن أنكر فضل آل محمد عليه السلام فهو عدوهم، وإن كثر صومه وصلواته.

قد كانت الملائكة تعجب من عبادة إبليس إلا أن عبادته ضاعت بتكبره عن إقرار فضل نور آل محمد عليه السلام. فأعترف أنت بفضلهم وآمن بهم فإن منازل القرب إلى الله تعالى بمنازل الإيمان بهم والله يقول وقوله الحق: ﴿يَأْتِيهَا

(١) بحار الأنوار ج ١٤ ص ١١٥ باب ٩ ح ١٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٩ باب ١٣ ح ١.

الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا ﴿١﴾ ومعناه قال البرسي (عليه السلام الشريف): «يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله آمنوا بسر آل محمد وعلاانيتهم، فإن ذلك حقيقة الإيمان وكماله: لأن علياً هو النور القديم المبتدع قبل الأكوان والزمان»^(١) وهو كما قيل.

فما أعجز الأفكار عن كنه وصفه

وما أقصر التفسير عن كل معناه

٥. ذكر شيخ المحدثين ببغداد بإسناده عن أسماء بنت وائلة قالت سمعت أسماء بنت عميس تقول سمعت سيدتي فاطمة عليها السلام تقول: ليلة دخل بي علي عليه السلام أفزعني في فراشي قلت بماذا أفزعك يا سيدة نساء العالمين قالت سمعت الأرض تحدثه ويحدثها فأبحت وأنا فزعة فأخبرت والدي عليه السلام فسجد سجدة طويلة ثم رفع رأسه وقال: (يا فاطمة أبشري بطيب النسل فإن الله فضل بعلك علي سائر خلقه وأمر به الأرض أن تحدثه بأخبارها وما يجري علي وجهها من شرقها إلى غربها)^(٢).

لا تعجب من هذا الحديث، فإنه مؤيد بآيات من القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤)﴾ بأن ربك أوحى لها^(٣) روى ابن بابويه، قال: حدثنا أحمد بن محمد، عن أبيه، عن محمد بن أحمد، قال حدثنا أبو عبد الله الرازي، عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن روح بن صالح، عن هارون بن خارجة رفعه، عن فاطمة سيدة النساء عليها السلام قالت: (أصاب الناس زلزلة على عهد أبي بكر وفزعوا إلى أبي بكر وعمر

(١) المشارق ص ٢١٧ طهران-إيران.

(٢) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٧١-٢٧٢.

(٣) سورة الزلزلة الآية ١-٥.

فوجدوهما قد خرجا فزعين إلى علي عليه السلام فتبعهما الناس إلى أن انتهوا إلى علي عليه السلام فخرج إليهم علي عليه السلام غير مكترث لما هم فيه فمضى فأتبعه الناس حتى انتهى إلى تلعة، فقعد عليها وقعدوا حوله وهم ينظرون إلى حيطان المدينة ترج جائية وذاهبة فقال لهم علي عليه السلام إنكم قد أهالكم ما ترون؟

قالوا: وكيف لا يهولنا ولم نر مثلها قط، فحرك شفتيه ثم ضرب بيده، ثم قال: مالك إسكني فسكنت فعجبوا من ذلك أكثر من تعجبهم أولاً، حيث خرج إليهم قال: فإنكم قد تعجبتم من صنعي؟ قالوا: نعم. قال: أنا الرجل الذي قال الله تعالى ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥).

٦. وروى محمد بن العباس، عن أحمد بن هوذة، عن إبراهيم بن إسحاق، عن عبد الرحمن بن حماد، عن الصباح المزني، عن الأصبع بن نباته، قال: (خرجنا مع علي عليه السلام وهو يطوف في السوق وهو يأمرهم بوفاء الكيل والوزنة حتى إذا انتهى إلى باب القصر ركض الأرض برجله المباركة فتزلزلت فقال هي هي مالك إسكني أما والله أني أنا الإنسان الذي تنبئه الأرض أخبارها أو رجل مني) (٦).

٧. روى علي بن إبراهيم (رضوان الله عليها)، قال حدثني أبي، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذنية، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الذي عنده علم الكتاب هو أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن الذي عنده علم من الكتاب أعلم أم الذي عنده علم الكتاب؟ فقال عليه السلام: ما كان علم الذي عنده علم من الكتاب عند الذي عنده علم الكتاب إلا بقدر ما

(١) تفسير البرهان الشريف ج ٥ ص ٤٩٣.

(٢) تفسير البرهان الشريف ج ٥ ص ٤٩٣.

تأخذه البعوضة بجناحها من ماء البحر، وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ألا أن العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فضلت به النبيون إلى خاتم النبيين في عترة خاتم النبيين^(١).

٨. روى شيخنا المفيد (رحمته الله) الشريفي عن رجاله حديثاً مسنداً إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: (قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا سلمان الويل كل الويل لمن لا يعرفنا حق معرفتنا وأنكر فضلنا، يا سلمان أيما أفضل محمد صلى الله عليه وآله أو سليمان بن داود؟ قال سلمان: فقلت محمد صلى الله عليه وآله. فقال: يا سلمان هذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من سبأ [في اليمن] إلى فلسطين في طرفة عين وعنده علم من الكتاب، ولا أقدر أنا وعندني علم ألف كتاب، وأنزل الله منها على علي بن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس النبي ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم الخليل عشرين صحيفة وعلم التوراة والانجيل والزبور والفرقان؟ قلت: صدقت يا سيدي. فقال عليه السلام: أعلم يا سلمان أن الشاك في أمورنا وعلومنا كالممتر في معرفتنا وحقوقنا، وقد فرض الله طاعتنا وولايتنا في كتابه في غير موضع وَبَيَّنَّ مَا أَوْجِبَ الْعَمَلُ بِهِ وَهُوَ غَيْرُ مَكْشُوفٍ^(٢)).

٩. عن محمد بن عبد الجبار، عن أبي عبد الله البرقي، عن فضالة ابن أيوب، عن عبد الصمد بن بشير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان مع عيسى بن مريم حرفان يعمل بهما وكان مع موسى عليه السلام أربعة أحرف، وكان مع إبراهيم ستة أحرف، وكان مع آدم خمسة وعشرون حرفاً، وكان مع نوح ثمانية وجمع ذلك كله لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل

(١) تفسير البرهان الشريف ج ٣ ص ٣٠٢ ح ٤.

(٢) تفسير كنز الدقائق ج ٦ ص ٤٨٠.

بيته ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطى الله محمداً عليه السلام إثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه واحداً^(١).

١٠. عن الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن أحمد ابن محمد بن عبد الله عن علي بن محمد النوفلي عن أبي الحسن صاحب العسكر عليه السلام قال: (سمعتة يقول: إسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً كان عند آصف حرف فتكلم به فانخرقت له الأرض فيما بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتى صيره إلى سليمان ثم انبسطت الأرض في أقل من طرفة عين، وعندنا إثنان وسبعون حرفاً وحرف عند الله مستأثر به في علم الغيب)^(٢).

١١. عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن علي بن محمد القاساني قال: (أخبرني بعض أصحابنا أنه حمل إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام مالا له خطر فلم أره سرَّ به قال فاغتممت لذلك وقلت في نفسي قد حملت هذا المال ولم يُسرَّ به فقال: يا غلام الطست والماء قال فقعد على الكرسي وقال للغلام صب علي الماء قال فجعل يسيل من بين أصابعه في الطست ذهب ثم التفت إلي فقال لي من كان هكذا لا يبالي بالذي حملته إليه)^(٣).

١٢. [الخرائج والجرائح] عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (كان زيد بن الحسن يخاصم أبي في ميراث رسول الله عليه السلام ويقول أنا من ولد الحسن وأولى بذلك منك لأنني من ولد الأكبر فقاسمني ميراث رسول الله عليه السلام وادفعه إلي فأبى أبي فخاصمه إلى القاضي

(١) بصائر الدرجات: ص ٢٢٩.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٩١ ح ١٠.

فكان زيد معه إلى القاضي فبينما هم كذلك ذات يوم في خصومتهم إذ قال زيد بن الحسن لزيد بن علي اسكت يا ابن السنديّة فقال زيد بن علي أف لخصومة تذكر فيها الأمهات والله لا كلمتك بالفصيح من رأسي أبدا حتى أموت وانصرف إلى أبي فقال يا أخي إني حلفت بيمين ثقة بك وعلمت أنك لا تكرهني ولا تخيبي حلفت أن لا أكلم زيد بن الحسن ولا أخاصمه وذكر ما كان بينهما فأعفاه أبي واغتنمها زيد بن الحسن فقال يلي خصومتي محمد بن علي فأعته وأؤذيه فيعتدي علي فعدا علي أبي فقال بيني وبينك القاضي فقال انطلق بنا فلما أخرجه قال أبي يا زيد إن معك سكينه قد أخفيتها رأيتك إن نطقت هذه السكينه التي تسترها مني فشهدت أني أولى بالحق منك أفتكف عني؟ قال: نعم وحلف له بذلك فقال أبي أيتها السكينه إنطقي بإذن الله فوثبت السكينه من يد زيد بن الحسن على الأرض ثم قالت يا زيد أنت ظالم ومحمد أولى بالأمر منك فكف عنه وإلا وليت قتلك فخر زيد مغشياً عليه، فأخذ أبي بيده فأقامه، ثم قال: يا زيد رأيت إن نطقت الصخرة التي نحن عليها أتقبل؟ قال: نعم، فرجفت الصخرة التي مما يلي زيد حتى كادت أن تُغلق ولم ترجف مما يلي أبي، ثم قالت: يا زيد أنت ظالم ومحمد أولى منك فكف عنه وإلا وليت قتلك، فخر زيد مغشياً عليه، فأخذ أبي بيده وأقامه ثم قال يا زيد رأيت إن نطقت هذه الشجرة تسير إلي أتكف؟ قال: نعم، فدعا أبي ﷺ الشجرة فأقبلت تخذ الأرض حتى أظلتهم ثم قالت يا زيد أنت ظالم ومحمد أحق بالأمر منك فكف عنه وإلا قتلتك، فغشي علي زيد فأخذ أبي بيده وانصرفت الشجرة إلى موضعها فحلف زيد أن لا يعرض لأبي ولا يخاصمه فانصرف وخرج زيد من يومه إلى عبد الملك بن مروان. إلى آخر

(الحديث) (١).

قال: أبو يعقوب راوي تفسير الإمام أبي محمد العسكري عليه السلام: (قلتُ للإمام عليه السلام: فهل كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمر المؤمنين عليه السلام آيات تضاهي آيات موسى عليه السلام؟ فقال الإمام: علي عليه السلام نفس رسول الله صلى الله عليه وآله، وآيات رسول الله صلى الله عليه وآله آيات علي عليه السلام، وآيات رسول الله صلى الله عليه وآله، وما من آية أعطاها الله تعالى موسى عليه السلام ولا غيره من الأنبياء إلا وقد أعطى الله محمد صلى الله عليه وآله مثلها وأعظم منها أما العصا التي كانت لموسى عليه السلام فانقلبت ثعبان فتلقفت ما أته السحرة من عصيهم وحبالهم، فلقد كان لمحمد صلى الله عليه وآله أفضل من ذلك، وهو أن قوماً من اليهود أتوا محمد صلى الله عليه وآله فسألوه وجادلوه، فما أتوه بشيء إلا أتاهم في جوابه بما بهرهم، فقالوا له: يا محمد إن كنت نبياً فاتنا بمثل عصا موسى، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الذي أتيتكم به أعظم من عصا موسى، فإنه باق بعدي إلى يوم القيامة متعرض لجميع الأعداء والمخالفين لا يقدر أحد منهم أبداً معارضة سورة منه، وإن عصا موسى زالت ولم تبق بعده فتمتحن كما يبقى القرآن فيمتحن، ثم أني سأتيكم بما هو أعظم من عصا موسى وأعجب فقالوا: فاتنا، فقال إن موسى كانت عصاه بيده يلقبها، فكانت القبط يقول كافرهم هذا موسى يحتال في العصا بحيلة، وإن الله سوف يقلب خشباً لمحمد صلى الله عليه وآله ثعابين، بحيث لا تمسها يد محمد صلى الله عليه وآله، ولا يحضرها، إذا رجعتم إلى بيوتكم واجتمعتم الليلة في مجمعكم في ذلك البيت، قلب الله تعالى جذوع سقوفكم كلها أفاعي، وهي أكثر من مائة جذع، فتتصدع مرارات - بكسر الميم [عضو في الجسد] - أربعة منكم فيموتون، ويغشى على الباقيين منكم إلى غداة غد، فيأتيكم يهود، فتخبرونهم بما رأيتم، فلا يصدقونكم فتعود بين أيديهم

وتملاً أعينهم ثعابين كما كانت في بارحتكم، فيموت منهم جماعة ويخبل جماعة، ويغشى على أكثرهم، قال ﷺ: فوالله الذي بعثه بالحق نبياً، لقد ضحك القوم كلهم بين يدي رسول الله ﷺ، لا يخشونه ولا يهابونه، ويقول بعضهم لبعض، انظروا ما ادعى؟ فقال رسول الله ﷺ: إن كنتم الآن تضحكون فسوف تبكون، وتتحIRON إذا شاهدتم ما عنه تخبرون، ألا فمن هاله ذلك منكم وخشي على نفسه أن يموت أو يخبل فليقل: اللهم بجاء محمد الذي اصطفيته، وعلي الذي ارتضيته، وأوليائهما الذين من سلم لهم أمرهم اجتبته، لما قويتني على ما أرى، وإن كان من يموت هناك من يحبه ويريد حياته فليدع له بهذا الدعاء، ينشره الله ﷻ ويقويه، قال ﷺ: فانصرفوا واجتمعوا في ذلك الموضع، وجعلوا يهزؤون بمحمد ﷺ وقوله: إن تلك الجذوع تنقلب أفاعي، فسمعوا حركة من السقف، فإذا بتلك الجذوع انقلبت أفاعي، وقد لوت رؤوسها إلى الحائط، وقصدت نحوهم تلتقطهم، فما وصلت إليهم كفت عنهم، وعدلت إلى ما في الدار من أحباب وجرار وكيزان وصلايا وكراسي وخشب وسلاليم وأبواب فالتقمتها وأكلتها، فأصابهم ما قال رسول الله ﷺ أنه يصيبهم، فمات منهم أربعة وخبل جماعة، وجماعة خافوا على أنفسهم فدعوا بما قال رسول الله ﷺ فقويت قلوبهم، وكانت الأربعة أتى بعضهم فدعاهم بهذا الدعاء فنشروا، فلما رأوا ذلك قالوا: إن هذا الدعاء مجاب به، وأن محمد صادق، وإن كان ثقيل علينا تصديقه واتباعه، أفلا ندعوا به لتلين للإيمان به والتصديق له والطاعة لاوامره وزواجه قلوبنا، فدعوا بذلك الدعاء، فحبيب الله ﷻ إليهم الإيمان وطيبه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر، فأمنوا بالله ورسوله، فلما أصبحوا من الغد جاءت اليهود وقد عادت الجذوع ثعابين كما كانت، فشاهدوها وتحيروا وغلب الشقاء عليهم، قال ﷺ: وأما اليد فقد كان لمحمد ﷺ مثلها وأفضل منها. وأكثر من ألف مرة كان ﷺ يحب أن

يأتيه الحسن والحسين عليهما السلام وكانا يكونان عند أهلهما أو مواليهما أو دايتهما وكان يكون في ظلمة الليل فيناديهم رسول الله ﷺ يا أبا محمد، يا أبا عبد الله هلما إلي، فيقبلان نحوه من ذلك البعد، وقد بلغهما صوته، فيقول رسول الله ﷺ بمسبحته هكذا، يخرجها من الباب، فتضيء لهما أحسن من ضوء القمر والشمس، فيأتيانه، ثم تعود الأصابع كما كانت، فإذا قضى وطره من لقائهما وحديثهما، قال ارجعا إلى موضعكما، وأما الطوفان الذي أرسله الله تعالى على القبط، فقد أرسل الله تعالى مثله على قوم مشركين آية لمحمد ﷺ، فقال عليه السلام: إن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له ثابت بن أبي الاقلح قتل رجلا من المشركين في بعض المغازي فنذرت امرأة ذلك المشرك المقتول لتشربن في قحف رأس ذلك القاتل الخمر، فلما وقع بالمسلمين يوم أحد ما وقع، قتل ثابت هذا على ربوة من الأرض، فانصرف المشركون، واشتغل رسول الله ﷺ وأصحابه في دفن أصحابه الشهداء، فجاءت المرأة إلى أبي سفيان تسأله أن يبعث رجلاً مع عبد لها إلى مكان ذلك المقتول ليحز رأسه، فيؤتي به لتفي بنذرهما فتشرب في قحف رأسه خمرا، وقد كانت البشارة بقتله أتاها بها عبد لها فأعتقته، وأعطته جارية لها، ثم سألت أبا سفيان فبعث إلى ذلك المقتول مائتين من أصحاب الجلد جوف الليل ليجتزوا رأسه فيأتونها به، فذهبوا، فجاءت ريح، فدحرجت الرجل إلى حدور - أي ينحدر منه - فتبعوه ليقطعوا رأسه فجاء من المطر وابل عظيم فأغرق المائتين، ولم يوقف لذلك المقتول ولا لواحد من المائتين على عين ولا أثر، ومنع الله الكافرة مما أرادت، فهذا أعظم من الطوفان آية له عليه الصلاة والسلام، وأما الجراد المرسل على بني إسرائيل، فقد فعل الله أعظم وأعجب منه بأعداء محمد ﷺ، فإنه أرسل عليهم جراد أكلهم، فلم يأكل جراد موسى رجال القبط، ولكنه أكل

زرعهم، وذلك أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره إلى الشام، وقد تبعه مائتان من يهودها في خروجه عنها وإقباله نحو مكة، يريدون قتله مخافة أن يزيل الله دولة اليهود على يده، فراموا قتله، وكان في القافلة فلم يجسروا عليه، وكان رسول الله ﷺ إذا أراد حاجة أبعد واستتر بأشجار ملففة، أو بخربة بعيدة، أو برية بعيدة، فخرج ذات يوم لحاجة فأتبعوه، وأحاطوا به وسلوا سيوفهم عليه، فأثار الله جل وعلا من تحت رجل محمد ﷺ من ذلك الرمل جراداً كثيراً، فاحتوشهم وجعل يأكلهم، فاشتغلوا بأنفسهم عنه فلما فرغ رسول الله ﷺ من حاجته وهم يأكلهم الجراد رجع ﷺ إلى أهل القافلة، فقالوا له يا محمد، ما بال الجماعة خرجوا خلفك ولم يرجع منهم أحد؟ فقال رسول ﷺ جاؤوا يقتلونني فسلط الله عليهم الجراد. فجاؤوا ونظروا إليهم فبعضهم قد مات، وبعضهم قد كاد يموت، والجراد يأكلهم، فما زالوا ينظرون إليهم حتى أتى الجراد على أعينهم فلم يبق منهم شيئاً، وأما القمل، أظهر الله قدرته على أعداء محمد ﷺ بالقمل وقصة ذلك أن رسول الله ﷺ لما ظهر بالمدينة أمره، وعلا بها شأنه، حدث يوماً أصحابه عن امتحان الله ﷻ للأنبياء ﷺ، وعن صبرهم على الأذى في طاعة الله، فقال في حديثه أن بين الركن والمقام قبور سبعين نبياً ماتوا إلا بضر الجوع والقمل، فسمع ذلك بعض المنافقين من اليهود، وبعض مردة كفار قريش، فتآمروا بينهم وتوافقوا ليعلقن محمداً بهم، فيقتلونه بسيوفهم حتى لا يكذب، فتآمروا بينهم، وهم مائتان، على الإحاطة به يوم يجدونه من المدينة خارجاً، فخرج رسول الله ﷺ يوماً خالياً فتبعه القوم، فنظر بعضهم إلى ثياب نفسه وفيها قمل، ثم جعل بدنه وظهره يحكه من القمل مثل ذلك، فانسل - أي انطلق مستخفياً -، فما زال كذلك حتى وجد كل واحد في نفسه، فرجعوا، ثم زاد عليهم حتى استولى عليهم

القميل ، وانطبقت حلوقهم فلم يدخل فيها طعام ولا شراب فماتوا كلهم في شهرين ، منهم من مات في خمسة أيام ، ومنهم من مات في عشرة أيام وأقل وأكثر ، ولم يزد على شهرين حتى ماتوا بأجمعهم بذلك القميل والجوع والعطش ، فهذا القميل الذي أرسله الله على أعداء محمد عليه السلام آية له ، وأما الضفادع ، فقد أرسل الله مثلها على أعداء محمد عليه السلام لما قصدوا قتله ، فأهلكهم الله بالجرذ ، وذلك من مائتين ، بعضهم كفار العرب ، وبعضهم يهود ، وبعضهم أخلاط من الناس ، اجتمعوا بمكة في أيام الموسم ، وهموا في أنفسهم لنقتلن محمداً ، فخرجوا نحو المدينة ، فبلغوا بعض تلك المنازل وإذا هناك ماء في بركة أو حوض أطيب من مائهم الذي كان معهم ، فصبوا ما كان معهم منه ، وملاؤا رواياهم ومزاودهم من ذلك الماء وارتحلوا ، فبلغوا أرضاً ذات جرذ كثير وطفادع فحطوا رواحلهم عندها ، فسلمت على مزادهم ورواياهم وسطائحهم الضفادع والجرذ ، فخرقتها ونقبتها وسال ماؤها في تلك الحرة - الأرض ذات حجارة سوداء - ، فلم يشعروا إلا وقد عطشوا ولا ماء معهم ، فرجعوا القهقري إلى تلك الحياض التي كانوا تزودوا منها تلك المياه ، وإذا الجرذ والطفادع قد سبقتهم إليها فثقت أصولها وسالت في الحرة مياهها ، فوقعوا آيسين من الماء ، وتماوتوا ولم يفلت منهم أحداً إلا واحد كان لا يزال يكتب على لسانه محمداً ، وعلى بطنه محمداً ، ويقول يا رب محمد وآل محمد ، قد تبت من أذى محمد ، ففرج عني بجاه محمد وآل محمد . فسلم وكف الله عنه العطش . فوردت عليه قافلة فسقوه وحملوه وأمتعة القوم وجمالهم ، وكانت الجمال أصبر على العطش من رجالها ، فأمن برسول الله عليه السلام ، وجعل رسول الله عليه السلام تلك الجمال والأموال له ، وأما الدم ، فإن رسول الله عليه السلام احتجم مرة ، فدفع الدم الخارج منه إلى أبي سعيد الخدري وقال له غيبه فذهب وشربه فقال له رسول الله عليه السلام ما صنعت به؟ قال شربته يا رسول الله عليه السلام قال أولم أقل

لك غيبه؟ فقال: غيبته في وعاء حريز. فقال رسول الله إياك وأن تعود لمثل هذا ثم اعلم أن الله قد حرم على النار لحملك ودمك لما اختلط بلحمي ودمي فجعل أربعون من المنافقين يهزؤون برسول الله ﷺ، يقولون زعم قد اعتق الخدري من النار، لما اختلط دمه بدمه وما هو إلا كذاب مفتر، وأما نحن فنستقدر دمه. فقال ﷺ، أما أن الله يعذبهم بالدم، ويميتهم به، وإن كان لم يمت القبط فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى لحقهم الرعاف الدائم، وسيلان دماء من أضراسهم، فكان طعامهم وشرابهم يختلط بالدم، فيأكلونه، فبقوا كذلك أربعين صباحاً معذبين، ثم هلكوا، وأما السنين ونقص الثمرات، فإن رسول الله ﷺ دعا على مضر، فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاههم الله بالقحط، والجوع، فكان الطعام يجلب إليهم من كل ناحية، فإذا اشتروه وقبضوه لم يصلوا به إلى بيوتهم حتى يتسوس وينتن ويفسد فيذهب أموالهم ولا يجعل لهم في الطعام نفع، حتى أضربهم الأزم [المرض] والجوع الشديد العظيم حتى أكلوا الكلاب الميتة، وأحرقوا عظام الموتى فأكلوها، وحتى نبشوا عن قبور الموتى فأكلوها، وحتى ربما أكلت المرأة طفلها إلى أن جاءت جماعات من رؤساء قريش إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا محمد هبك^(١) عادت الرجال فما بال النساء والصبيان والبهائم؟ فقال رسول الله ﷺ أنتم بهذا معاقبون، وأطفالكم وحيواناتكم بهذا غير معاقبة، بل هي معوضة بجميع المنافع حين يشاء ربنا في الدنيا والآخرة، فسوف يعوضها الله عما أصابها ثم عفا عن مضر، وقال اللهم أفرج عنهم، فعاد إليهم الخصب والدعة والرفاهية، فذلك قول الله ﷻ، فيهم يعدد عليهم نعمه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّتِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. وأما الطمس على الأموال فيأتي مثلها للنبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ

(١) هبك: هب فعل أمر من وهب، وهبني يعني احسبني، وهبك احسبك.

وَأَشَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ (١).

(١) تفسير البرهان ج ٢ ص ٥٧١، بحار الأنوار ج ١٧ الباب الثاني من جوامع معجزاته عليه السلام ص ٢٢٥ وما بعدها.

الفصل السابع

الدور التكويني للإمام (عليه السلام)

يراد من الدور التكويني للإمام عليه السلام وجود عالم الإمكان بتمامه متوقف على وجود الإمام عليه السلام، فالولاية التكوينية إذاً تتحقق بعد الفراغ من وجود عالم الإمكان أما الدور التكويني فهو متعلق بما قبل حدوث عالم الإمكان.

يعد الدور التكويني للإمام عليه السلام من أمهات المسائل العقائدية في هذا الأصل المقدس ويُراد به غير ما يُراد بالولاية التكوينية له عليه السلام، فقد بينّا لكم مسبقاً أن الولاية التكوينية للمعصوم عليه السلام هي قدرة الولي على مقدار ما أذن الله له جزئياً أو كلياً في بسط سيطرته على موجود ما وخضوعه لإرادته وبسبب غالب خاص بأوليائه تعالى ومن دون تخلل وسيط.

أما الدور التكويني للمعصوم عليه السلام فالمراد منه معنى أهم وأعمق من بسط الولاية التكوينية للإمام عليه السلام على موجودات عالم الإمكان بل معناه هو أن وجود عالم الإمكان بتمامه متوقف على وجود الإمام عليه السلام، فالولاية التكوينية إذاً تتحقق بعد الفراغ من وجود عالم الإمكان أما الدور التكويني

فهو متعلق بما قبل حدوث عالم الإمكان، فعالمُ الإمكان مفتقر بذاته إلى الإمام المعصوم عليه السلام ولا وجود له من غيره، فوجوده متوقف عليه وتالٍ له معتمد عليه والأحاديث الشريفة الواردة عن النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في هذا الباب كثيرة جداً بلغت من الكثرة حداً ينتفي الغرض عن ذكر أسانيدها ومنها:

عن الحسين بن أبي العلاء قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام تكون الأرض ليس فيها إمام؟ قال لا قلتُ يكون إمامان؟ قال لا إلا واحدهما صامت)^(١).

وعنه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلتُ له تبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا)^(٢).

عن أبي حمزة قال: (قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت)^(٣).

عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام. قال: (قلت له أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال: لا قلت: فإننا نروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنها لا تبقى بغير إمام إلا أن سخط الله تعالى على أهل الأرض أو على العباد فقال: لا تبقى إذا لساخت)^(٤).

عن أبي هريرة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (لو أن الإمام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله)^(٥) وهناك روايات أخرى كثيرة

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٨ ح ١، ح ٤ باب أن الأرض لا تخلو من حجة الله.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٨ ح ١، ح ٤.

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٩ ح ١٠، باب أن الأرض لا تخلو من حجة الله.

(٤) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٩ ح ١١، باب أن الأرض لا تخلو من حجة الله.

(٥) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٩ ح ١٢، باب أن الأرض لا تخلو من حجة الله.

جداً راجع باب أنه لو لم يبقَ في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة^(١) وكذا ما روي في باب أن الأئمة هم أركان الأرض، روى المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (وما جاء به علي عليه السلام أخذ به وما نهى عنه انتهى عنه جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد عليه السلام ولمحمد عليه السلام الفضل على جميع من خلق الله عز وجل .. إلى أن قال عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذي لا يؤتى إلا منه وسبيله الذي من سلك بغيره هلك وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.. إلى آخر الحديث الشريف^(٢).

محمد بن يحيى عن محمد بن أحمد عن محمد بن الحسين عن أبي سعيد العصفوري عن عمرو بن ثابت عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: (قال رسول الله عليه السلام: إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض يعني أوتادها وجبالها أوتد الله الأرض أن تسيخ بأهلها فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا)^(٣).

روى الكافي عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد عن القاسم ابن يحيى عن جده الحسن بن راشد عن الحسين بن ثوير قال كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضل بن عمر وأبو سلمة السراج جلوساً عند أبي عبد الله عليه السلام وكان المتكلم يونس وكان أكبرنا سنأ.. فقال: جعلت فداك إني أريد أن أزوره فكيف أقول وكيف أصنع قال: إذا أتيت أبا عبد الله عليه السلام فقل: (من أراد الله بدأ بكم، بكم يبين الله الكذب، وبكم يباعد الله الزمان

(١) الكافي ج ١ ص ١٧٩-١٨٠.

(٢) الكافي ج ١ ص ١٩٧ ح ١.

(٣) الكافي ج ١ ص ٥٣٤ ح ١٧ باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم.

الكلب وبكم فتح الله، وبكم يختم الله، وبكم يمحو ما يشاء، وبكم يثبت وبكم يفك الذل من رقابنا وبكم يدرك الله تِرَةً كل مؤمن يطلب بها، وبكم تنبت الأرض أشجارها، وبكم تخرج الأشجار أثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها، وبكم يكشف الله الكرب، وبكم ينزل الله الغيث، وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم^(١) وتستقر جبالها عن مراسيها إرادة الرب في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم^(٢).

محمد بن يحيى عمن ذكره عن الحسن بن موسى الخشاب عن جعفر ابن محمد عن كرام قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: (لو كان الناس رجلين لكان أحدهما الإمام وقال إن آخر من يموت الإمام لثلاثا يحتج أحد على الله تعالى أنه تركه بغير حجة لله عليه^(٣)).

ولبيان الدور التكويني للمعصوم عليه السلام بعبارة مختصرة ووافية هو أن الله سبحانه وتعالى جعل الإمام عليه السلام مركز دائرة جميع سنن عالم الإمكان، فخيوط علله إنعقدت عنده وبه وتفيض عنه، فلولاه ما كانت الدنيا.

وبعبارة أكثر وضوحاً أقول بحوله وبمنته تعالى: أن كل موجود له مرتبة من مراتب الدور التكويني بحسب موقعه من السلسلة الوجودية فالابن مثلاً معلول للأب والأب معلول للجد والجد معلول لجد الجد وهكذا حتى ينتهي إلى آدم وحواء عليهما السلام فلولا وجود الجد ما وجد الأب، ولولا وجود الأب ما وجد الإبن ولولا أبونا آدم وأمنا حواء عليهما السلام ما وجد الناس جميعاً،

(١) أي تستقر وتثبت بكم لكونها حاملة لأبدانكم الشريفة أحياء وأمواتاً عن الكليني عليه السلام كامل الزيارات الشريف لابن قولويه عليه السلام ص ٣٥٨، الخصال الشيخ الصدوق عليه السلام ص ٦١٠ ح ٤٠٠ من لا يحضره الفقيه ج ٢ ص ٥٩٦، تهذيب الأحكام للطوسي عليه السلام ج ٦ ص ٥٤ وغيرها.

(٢) الكافي ج ٤ ص ٥٧٢-٥٧٧ ح ٢ باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٩ باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

ولا يخفى عليك أن العلة أقوى من المعلول، فالدور التكويني للعلة أقوى من الدور التكويني للمعلول؛ وبالنظر إلى سلسلة العلل يكون الدور التكويني للعلة الأقدم أقوى من الدور التكويني للعلة المستحدثة فالدور التكويني لأبينا آدم عليه السلام هي الأقوى بلحاظ الطينة ثم لأبنا حواء عليها السلام وهذا التفضيل في علية آدم عليه السلام بتقدمة علي عليه حواء عليها السلام ناتج من أن حواء عليها السلام مدينة بوجودها لآدم عليه السلام لأنها خلقت من فاضل طينته وإليها أشارت الروايات الشريفة بكونها من فاضل طينته أو إنها خلقت من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام ولهذه المفاهيم أهمية كبيرة تفتح للعارف فهم باب السلوك العام لجنس بنات حواء وبالجملة فإن هذه الأمور التي اكتفينا بالإشارة إليها خشية الخروج عن محل الكلام، لعلها تمثل الجزء الأكبر من العلة التامة في حكم تقدم الذكر على الانثى، فإن الأحكام الفقهية والأخلاقية تمثل نتيجة طبيعية للهيكل العقائدي الذي يشد بعضه بعضا.

ثم أن الله جلّ وعلا خلق آدم عليه السلام من تراب أو من طين لازب أي من عجينة تراب وماء عركا مع بعضهما، هذا من حيث خلقة آدم عليه السلام في جنبته المادية المتثاقلة لعالم التراب، أما جنبته الروحية المحققة لجذبة عالم اللاهوت فليست محل كلامنا الآن.

فالجنبه المادية في البشر متمثلة في عنصرين عنصر التراب وعنصر الماء ولذا نجد أن هذين العنصرين يعدان أصل وجود الحياة وبانعدامهما تنعدم الحياة قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^(١). ولذا نجد أن علماء الفلك حينما يبحثون عن وجود الحياة على الكواكب الأخرى يبحثون بالدرجة الأولى عن وجود الماء فإذا وجد الماء بحثوا عن أصناف الموجودات الحية. وإذا انعدم الماء انعدمت الحياة، فهم توصلوا بالحقيقة

العلمية القاطعة على قيام الحياة بالماء بعد أن سلموا بترابية تكوين تلك الكواكب فللتراب والماء إذا دور تكويني على وجود الحياة، وقد صدع بهذه الحقيقة الناصعة نبياً الأكرم عليه السلام في كتاب الله الكريم، فقال تبارك اسمه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾، بمعنى أن تأثير وجود الماء على وجود الحياة هو ليس للعلاقة الذاتية بينهما كما فهمها الفلاسفة وعلماء الطبيعة بل هو بجعل إلهي وسنة ربانية حاكمة على كل شيء حي، فهو دور تكويني بإذن الله وبإقداره تعالى، جاء في علل الشرائع عن الكليني عن علان رفعه قال: (أتى أمير المؤمنين عليه السلام يهودي فقال: لِمَ سُمِّيَ آدَمُ آدَمَ وَحَوَاءُ حَوَاءً؟ قال: إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض وذلك أن الله تبارك وتعالى بعث جبرائيل عليه السلام وأمره أن يأتيه من أديم الأرض بأربع طينات، طينة بيضاء، وطينة حمراء، وطينة غبراء، وطينة سوداء، وذلك من سهلها وحرزها ثم أمره أن يأتيه بأربعة مياه ماء عذب وماء مالح وما مر وماء منتن ثم أمره أن يفرغ الماء في الطين وأدمه الله بيده فلم يفضل شيء من الطين يحتاج إلى الماء ولا من الماء شيء يحتاج إلى الطين فجعل الماء العذب في حلقه وجعل الماء المالح في عينيه وجعل الماء المر في أذنيه وجعل الماء المنتن في أنفه وإنما سميت حواء حواء لأنها خلقت من الحيوان)^(١).

فالإنسان إذا هو ابن التراب والطين فلولوا التراب ما خلق آدم عليه السلام وهو ما يعرف بالدور التكويني للتراب، وقد كنى رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام أمير المؤمنين بأبي تراب وقد قال تعالى مخبراً عنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢). فهو عليه السلام أبو تراب وأصل كل موجود وجاء في الحديث النبوي الشريف: «أنا وعلي أبو هذه الأمة».

(١) بحار الأنوار ج ١١ ص ١٠٢ ح ٧.

(٢) سورة النجم الآية ٣-٤.

روى الحافظ رجب البرسي في مشاركته (عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) أنه سئل هل رأيت في الدنيا رجلاً؟ فقال: رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه: فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا الطين. فقلت من أين؟ فقال: من الطين. فقلت إلى أين؟ فقال: إلى الطين. فقلت: من أنا؟ فقال: أبو تراب. فقلت: أنا أنت فقال: حاشاك حاشاك، هذا من الدين في الدين، أنا أنا، وأنا أنا، أنا ذات الذوات، والذات في الذوات الذات، فقال: عرفت فقلت: نعم. فقال: فأمسك).

أقول: في حل هذا الرمز الشريف وهو عبارة عن خطاب عالم اللاهوت مع عالم الناسوت ولبيان فضل الهيكل البشري العلوي المظهر ودوره التكويني على نشوء الخليقة مع بيان مقام النور الذي أودع فيه وقال الشيخ حافظ البرسي قدس سره: «ليبين للناس الفرق بين هيكل قدسه وسر نفسه»^(١).

فقوله عليه السلام: «رأيت رجلاً وأنا إلى الآن أسأل عنه» وذلك لأن الروح لم تزل لها تعلق بالجسد لأنه البيت الذي سكنت فيه، ومركب سيرها إلى دار الحيوان، وسرير تحصيلها وآلة كسبها وكدحها إلى دار الآخرة، فالمولى يحدد للعارف خطوط معارفه، فعليه أن يميز بين مقام الطين والتراب ومقام سر رب الأرباب، فإن من عرف نفسه فقد عرف ربه، والمعرفة هنا تتجه في محورين: محور الطين والتراب، ومحور التجرد ونفخة رب الأرباب، ويلتقي المحوران بنقطة واحدة وهو الحدوث وفقر الذات والمسكنة إلى رب العزة والكبرياء والعظمة، فالإمام عليه السلام في مقام يسأل عن هيكله البشري الذي خلقه الله تعالى من أطهر عشر طينات خمس من أشرف بقاع الجنة وخمس من أشرف بقاع الأرض فهو من جهة الطينة المقدسة يحن جسده إلى ما خلق منه، ويحن إليه كل من خلق من فاضل طينته فهو الذي تسكن إليه

(١) مشارق أنوار اليقين في أسرار أمير المؤمنين عليه السلام ص ٣١.

نفوس الصديقين الأطهار وهو مأوى الأبرار ولا تسكن نفوس الأخيار إلا عند رؤياه، قوله عليه السلام (أنا الطين) إشارة لمقام إقرار العارف بالفقر والعجز والمسكنة، وبالحدوث لا القدم وبالموت لا البقاء وبالعبودية لا للربوبية، وإليها أشار بقوله عليه السلام في جواب (من أين؟) فقال عليه السلام: من الطين. فقلت إلى أين؟ فقال إلى الطين) لبيان بدء الجسد وعوده فقلت من أنا؟ للسؤال عن الحقيقة، فقال: أبو تراب، هذه الكنية التي أطلقها رسول الله ﷺ على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام تشير إلى معنيين ظاهري وباطني أو عام وخاص قال الشيخ الحافظ البرسي قدس سره المراد بالمعنى الخاص بأنه هو الأب المربي والمرشد والروح قيم هذا الجسد ومربيه والعام مراد به أنت أبو الأشياء ومبدؤها وحقيقتها ومعناها^(١)، بقول آخر أن علي بن أبي طالب عليه السلام هو علة وجود الكائنات بإذن الله فلولاه ما خلق الله الخلق، وقوله عليه السلام: (أنا أنت) للتمييز بين الحقيقة الجامعة لذلك النور الإلهي المقدس في الهيكل البشري النوراني المطهر مع حقيقة الطين المطهر المتكون من العشر طينات المطهرة والتي خلق منها أرواح المؤمنين.

عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن عيسى بن عبيد عن محمد بن شعيب عن عمران بن إسحاق الزعفراني عن محمد ابن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سمعتة يقول: إن الله خلقنا من نور عظمته ثم صور خلقنا من طينة مخزونة مكنونة من تحت العرش فأسكن ذلك النور فيه فكنا نحن خلقاً وبشراً نورانيين لم يجعل لأحد في مثل الذي خلقنا منه نصيباً وخلق أرواح شيعتنا من طينتنا وأبدانهم من طينة مخزونة مكنونة أسفل من تلك الطينة ولم يجعل الله لأحد في مثل الذي خلقهم منه نصيباً إلا للأنبياء ولذلك صرنا نحن وهم الناس، وصار سائر الناس همج

(١) مشارق أنوار اليقين ص ٣١ طهران إيران دفتر فرهنگ أهل البيت عليه السلام .

للنار وإلى النار^(١).

ولذا جاء في بيان قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ فيقول ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ أي شيعياً ومنه ما ورد في صحيفة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ياليتني كنت ترابياً يعني من أصحاب علي عليه السلام.

وروى أيضاً عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد بن محمد عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن الله خلقنا من عليين وخلق أرواحنا من فوق ذلك وخلق أرواح شيعتنا من عليين وخلق أجسادهم من دون ذلك، فمن أجل ذلك القرابة بيننا وبينهم وقلوبهم تحن إلينا)^(٢).

ولذا جاء في الاستئذان للدخول على السرداب المقدس والأئمة عليهم السلام: (واجعل أرواحنا تحن إلى مواطن أقدامهم، ونفوسنا تهوى النظر إلى مجالسهم وعرضاتهم)^(٣).

وروى محمد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمد بن محمد وغيره عن محمد بن خلف عن أبي نهتل قال حدثني محمد بن إسماعيل عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن الله جل وعز خلقنا من أعلى عليين وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه وخلق أبدانهم من دون ذلك وقلوبهم تهوى إلينا لأنها خلقت مما خلقنا منه، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيَّتِ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيُونَ (١٩) كِتَابٌ مَرْفُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٤) وخلق عدونا من سجين وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم منه وأبدانهم من دون ذلك

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٣٨٩ باب خلق أبدان الأئمة وأراحهم وقلوبهم عليهم السلام ح ٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ١١١.

(٤) سورة المطففين الآية ١٨-٢٠.

فقلوبهم تهوي إليهم لأنها خلقت مما خلقوا منه ، ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا إِنْ كُنْتَبَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُومِذَّ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾﴾^(١).
ومن هذا تفهم أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من حيث الطينة هو علة لأشرف خلق الله تعالى وهم شيعة المحجلين الغر الميامين (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين) فهو أبو تراب ولأن سؤاله عليه السلام بقوله: (من أنا؟) له حيثتان حيثية النور الذي فاضت منه الأنوار وحيثية الطينة الطيبة الطاهرة التي هي من أعلى عليين والتي خلقت منها قلوب الأنبياء والمؤمنين فكان الجواب جامع لهما، نقل المجلسي رحمته الله من كتاب مصباح الأنوار لشيخ الطائفة بإسناده عن أنس بن مالك قال (صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض الأيام صلاة الفجر ثم أقبل علينا بوجهه الكريم فقلت له يا رسول الله إن رأيت أن تفسر لنا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(٢). فقال صلى الله عليه وآله أما النبيون فأنا وأما الصديقون فأخي علي وأما الشهداء فعمي حمزة وأما الصالحون فابنتي فاطمة وأولادها الحسن والحسين قال وكان العباس حاضراً فوثب وجلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ألسنا أنا وأنت وعلي وفاطمة والحسن والحسين من نبعة واحدة؟ قال: وما ذاك يا عم؟ قال لأنك تعرف بعلي وفاطمة والحسن والحسين دوننا قال: فتبسم النبي صلى الله عليه وآله وقال: أما قولك يا عم ألسنا من نبعة واحدة فصدقت، ولكن يا عم إن الله خلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق آدم عليه السلام حين لا سماء مبنية ولا أرض مدحية ولا ظلمة ولا نور ولا شمس ولا قمر ولاجنة ولا نار، فقال العباس، كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله؟ فقال: يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً،

(١) سورة المطففين الآية ٧-١٠ .

(٢) سورة النساء الآية ٦٩ .

ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة الحسن والحسين عليهم السلام فكنا نسبحه حين لا تسبيح ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله وعلي أفضل من الملائكة ثم فتق نور فاطمة فخلق منه السماوات والأرض فالسماوات والأرض من نور إبنتي فاطمة ونور إبنتي فاطمة من نور الله تعالى وإبنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور ولدي الحسن وخلق منه الشمس والقمر، ثم فتق نور ولدي الحسين فخلق منه الجنة والحدور العين من نور ولدي الحسين ونور ولدي الحسين من نور الله فولدي الحسين أفضل من الجنة والحدور العين، ثم أمر الله الظلمات أن تمر على سحائب النظر فأظلمت السماوات على الملائكة فضجت الملائكة بالتقديس والتسبيح وقالت إلهنا وسيدنا منذ خلقتنا وعرفتنا هذه الأشباح لم نر بأساً فبحق هذه الأشباح إلا ما كشفت عنا هذه الظلمة، فأخرج الله من نور إبنتي فاطمة قناديل فعلقها في بطنان العرش فأزهرت السماوات والأرض ثم أشرقت بنورها، فلأجل ذلك سميت الزهراء، فقالت الملائكة إلهنا وسيدنا لمن هذا النور الزاهر الذي قد أشرقت به السماوات والأرض فأوحى الله إليها هذا نور اخترعته من نور جلالي لأمتي فاطمة ابنة حبيبي وزوجة وليي وأخو نبيي وأبو حججي على عبادي في بلادي أشهدكم ملائكتي أنني قد جعلت ثواب تسبيحكم وتقديسكم لهذه المرأة وشيعتها ومحبيها إلى يوم القيامة، قال: فلما سمع العباس من رسول الله ﷺ ذلك وثب وقبل بين عيني علي وقال والله يا علي أنت الحجة البالغة على من آمن بالله واليوم الآخر^(١). «اللهم أحيني محيي محمد وآل محمد وأمتني ممات محمد وآل محمد بحق محمد وآل محمد».

وروى شيخنا الأجل أبو جعفر الطوسي عليه السلام بإسناده عن الفضل بن شاذان عن رجاله عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى خلق نور محمد عليه السلام من اختراعه من نور عظمته وجلاله وهو نور لاهوتيته الذي تبدى وتجلى لموسى عليه السلام في طور سيناء فما استقر له ولا أطاق موسى لرؤيته ولا ثبت له حتى خر صعقا مغشياً عليه، وكان ذلك النور نور محمد عليه السلام فلما أراد أن يخلق محمداً منه قسم ذلك النور شطرين فخلق من الشطر الأول محمداً ومن الشطر الآخر علي بن أبي طالب ولم يخلق من ذلك النور غيرهما، خلقهما بيده ونفخ فيهما بنفسه لنفسه وصورهما على صورتهم وجعلهما أمناً له، وشهداء على خلقه وخلفاء على خليقته وعيناً له عليهم ولساناً له إليهم..، ثم اقتبس من نور محمد فاطمة ابنته كما اقتبس نوره المصابيح هم خلقوا من الأنوار وانتقلوا من ظهر إلى ظهر) (١) إلى آخر الرواية الشريفة فبعد أن كان السؤال عن الحقيقة الجامعة بمن أنا؟ جاء الجواب، فقال: أبو تراب والمراد به أنت أبو الأشياء ومبدؤها، فاض من نوره الأنوار فمعنى أبو تراب هو الماء الذي ذكره تعالى بقوله الكريم: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (٢). فالماء هو علومهم عليهم السلام التي فاض عنها كل شيء وعرش الرحمن هو قلوبهم المطهرة.

وروى محمد بن الحسن عن سهل بن زياد عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ فقال: ما يقولون، قلت يقولون إن العرش كان على الماء والرب فوقه، فقال: كذبوا، من زعم هذا صير الله محمولاً ووضع بصفة المخلوق ولزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى

(١) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٨ ح ٢٤.

(٢) سورة هود الآية ٧.

منه ، قلتُ بيتن لي جعلت فداك. فقال: إن الله حمل دينه وعلمه الماء قبل أن يكون أرض أو سماء أو جن أو أنس أو شمس أو قمر ، فلما أراد الله أن يخلق الخلق نشرهم بين يديه فقال لهم من ربكم فأول من نطق رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة (صلوات الله عليهم) ، فقال: أنت ربنا فحملهم العلم والدين ، ثم قال للملائكة هؤلاء حملة ديني وعلمي وأمنائي في خلقي وهم المسؤولون ، ثم قال لبني آدم: أقرؤا الله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالولاية والطاعة ، فقالوا: نعم ربنا أقررنا فقال الله للملائكة: إشهدوا ، فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا غداً: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (١٧٢) **أَوْ نَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَهِلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ** ﴿١٧١﴾ ياداود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق^(١).

وجوابه هذا يحمل حيثية الطين أيضاً التي فاضت عنه الأرواح الشريفة فالجواب إذاً بأبي تراب هو جامع لحقيقة الماء والتراب ، أو بقول آخر هو جواب جامع لحقيقة تلك الأنوار الإلهية في الهياكل البشرية ، ثم عقب أمير المؤمنين عليه السلام بسؤاله قائلاً أنا أنت؟ لبيان المقامات فقال: حاشاك ، حاشاك. هو تنزيه لمقام الحقيقة الجامعة عن مقام الطين فقط ، وقصر الإدراك عليه فإن مقام الحقيقة الجامعة غير مقام الطين (والتكثرات) ومن أنكر أحدهما كان من القالين رغم أن إدراك حقيقة المعنى تعجز عن إدراكه عقول الخلق أجمعين وليس لهم إلا الإقرار بأن تمام معرفتهم بالعجز عن معرفتهم ، وإليه الإشارة بقوله: (هذا من الدين في الدين ، أنا أنا) ، ثم انتقل العارف بمعرفته من مقام التراب المقدس بأنا أنا الأولى إلى مقام الحقيقة الجامعة ونور اللاهوت بـ(أنا أنا) الثانية التي لا تتم المعرفة إلا بها ، ثم قال:

(١) سورة الأعراف الآيات ١٧٢-١٧٣ .

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٣٢-١٣٣ ح ٧ باب العرش الكرسي .

(أنا ذات الذوات في الذوات للذات) هو بيان للسر الممكنون، وكلمة كن فيكون، واسم الله الأعظم والشاهد على كل نفس بما كسبت وأحضرت، والسر أحجى وأجمل فأمسك فلولا النبي والأئمة الأطهار وفاطمة الزهراء (عليهم جميعاً سلام الله) ما خلق الله الخلق ولولا دوام الإمامة لقامت القيامة ولساخت الأرض بأهلها وانتشرت جبالها وطويت سماؤها كطي السجل وجاء في الحديث القدسي الوارد في حديث الكساء الشريف (فقال الله عَزَّ وَجَلَّ يا ملائكتي ويا سكان سماواتي اني ما خلقت سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا قمراً منيراً ولا شمساً مضيئة ولا فلکاً يدور ولا بحراً يجري ولا فلکاً يسري إلا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء فقال الأمين جبرائيل يارب ومن تحت الكساء فقال عَزَّ وَجَلَّ هم أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة هم فاطمة وأبوها وبعلمها وبنوها).

يا علي

العقل نور وانت معناه

والكون سر وانت مبداه

والخلق في جمعهم إذا

جمعوا الكل عبد وانت مولاه

انت الولي الذي جلت مناقبه

ما علاها في الخلق أشباه

يا آية الله في العباد ويا

سر الذي لا إله إلا هو

تناقض العالمون فيك، وقد

حاروا عن المهتدي، وقد تاهوا

فقال قوم: بأنه بشر

وقال قوم: بأنه الله

يا صاحب الحشر والمعاد ومن

مولاه حكم العباد ولاه

يا قاسم النار والجنان غداً

أنت ملاذ الرجائي ومنجاه^(١)

فمع ثبوت الدور التكويني للإمام عليه السلام وافتقار الخليفة بذواتهم إليه ليس لنا أن نقول إلا بدوام الإمامة وإستمرارها وما النص إلا مورداً ترجع إليه الناس لمعرفة الإمام وتحديدته لتتولاه وتطيعه، حيث أن الدور التكويني ليس من الأمور الظاهرية التي يمكن للناس أن يطلعوا عليها ومن هنا نعرف سر تعلق دوام ذكرهم بالله تعالى وارتباط ولايتهم بولايته، فقال تعالى:

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ

رَاكِعُونَ ﴾^(٢)، فجعل الله جلّ وعلا دوام ولايتهم بدوام ولايته وهذا الدوام والاستمرار يقتضي التعاقب وعدم الانقطاع ويأتي النص للتعريف بهم. (صلوات الله وسلامه عليهم) لا لإسناد الدور التكويني إليهم لأن إسناده إليهم إسناد حقيقي بإذن الله تعالى ناتج من طبيعة تكوينهم المقدس وليس بمضاف عليهم وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: (الحسن والحسين إمامان قما أو قعدا) فمع ثبوت الدور التكويني للإمام عليه السلام يثبت دوام الإمامة وعدم إنقطاعها، وعدم تأثر منصب الإمامة بالقيام أو القعود، والانتخاب أو عدمه، والظهور أو الغياب، فما أشكل على البعض فهمه في كيفية انتفاع

(١) من مدح الشيخ الحافظ رجب البرسي رحمته الله للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من مشارق

أنوار اليقين ص ٢٤٥.

(٢) سورة المائدة الآية ٥٥

الأمة بغيبة الإمام الحجة عليه السلام يكون بيناً واضحاً مع فهم دوره التكويني فقد روي عن غير واحد من أصحابنا عن محمد ابن همام عن جعفر الفزاري عن الحسن بن محمد بن سماعة عن أحمد بن الحرث عن المفضل عن يونس بن ظبيان عن جابر الجعفي قال: (سمعت جابر بن عبد الله يقول لما أنزل الله وعَلَّمَ عَلِيَّ نَبِيَهُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾^(١) قلت يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك قال خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين بعدي أولهم علي بن أبي طالب والحسن ثم الحسين.. إلى أن قال عليه السلام ثم سمي وكني حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي ذلك الذي يفتح الله تعالى ذكره على يديه مشارق الأرض ومغاربها ذلك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها على القول بإمامته إلا من أمتحن الله قلبه للإيمان قال: فقال جابر يا رسول الله فهل ينتفع الشيعة به في غيبته فقال عليه السلام إي والذي بعثني بالنبوة إنهم لينتفعون به ويستضيئون بنور ولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب يا جابر هذا مكنون سر الله ومخزون علمه فاكتمه إلا عن أهله)^(٢).

وعن أحمد بن مهران عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني عن علي بن أسباط والحسن بن محبوب عن أبي أيوب عن أبي خالد الكابلي قال: (سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٣) فقال يا أبا خالد النور والله الأئمة عليهم السلام يا أبا خالد لنور الإمام في قلوب المؤمنين أنور من الشمس المضيئة بالنهار وهم الذين ينورون قلوب المؤمنين ولا يحجب الله عز وجل نورهم عمّن يشاء فتظلم

(١) سورة النساء الآية ٥٩

(٢) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٢٤٩-٢٥٠ ح ٦٧ نقلاً عن إكمال الدين .

(٣) سورة التغابن الآية ٨ .

قلوبهم - يتيهون - ، والله يا أبا خالد لا يحبنا عبد ويتولانا حتى يطهر الله قلبه ولا يطهر الله قلب عبد حتى يسلم لنا ويكون مسلماً لنا فإذا كان مسلماً لنا سلمه الله من شديد الحساب وآمنه من فزغ يوم القيامة الأكبر^(١).

وجاء في التوقيع الصادر من الناحية المقدسة عليها سلام الله عن محمد بن يعقوب الكليني رضي الله عنه عن إسحاق بن يعقوب قال سألت محمد ابن عثمان العمري رضي الله عنه أن يوصل لي كتاباً قد سألت فيه عن مسائل أشكلت علي فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان عليه السلام : (أما ما سألت عنه.. إلى أن قال عليه السلام وأما وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالاتفاع بالشمس إذا غيبتها عن الأبصار السحاب وإني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فأغلقوا أبواب السؤال عما لا يعينكم ولا تتكلفوا علم ما قد كفيتم وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن في ذلك فرجكم والسلام عليك يا إسحاق بن يعقوب وعلى من اتبع الهدى)^(٢).

ومحل الشاهد هو قوله عليه السلام : «أني لأمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء» فكما أن للنجوم دور تكويني في حفظ أهل السماء فالإمام عليه السلام له دور تكويني في حفظ الأرض وأهلها.

وروى الشيخ الصدوق رضي الله عنه في أماليه قال: (حدثنا محمد بن أحمد السنائي رضي الله عنه قال: حدثنا أحمد بن يحيى بن زكريا القطان قال حدثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال حدثنا الفضل بن الصقر العبدي قال حدثنا أبو معاوية عن سليمان بن مهران الأعمش عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام قال: نحن أئمة المسلمين وحجج الله على العالمين وسادة المؤمنين وقادة الغر المحجلين وموالي المؤمنين

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٩٥ ح ٤ باب أن الأئمة عليهم السلام نور الله وَجَلَّ.

(٢) الاحتجاج ج ٢ ص ٤٦٩-٤٧١.

ونحن أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء ونحن الذين بنا
يمسك الله السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه وبنا يمسك الأرض أن تميد
بأهلها وبنا ينزل الغيث وبنا ينشر الرحمة ويخرج بركات الأرض ولولا ما
في الأرض منا لساخت بأهلها قال عليه السلام: ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم
حجة الله فيها ظاهر مشهور أو غائب مستور ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة
من حجة الله فيها ولولا ذلك لم يعبد الله قال: سليمان فقلت للصادق عليه السلام
فكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور قال: كما ينتفعون بالشمس إذا
سترها السحاب^(١).

وروى الطوسي رحمته الله في أماليه قال أخبرنا أبو عمر، قال حدثنا أحمد،
قال حدثنا الحسن بن علي بن بزيع: قال حدثنا إسماعيل بن صبيح، قال
حدثنا حباب بن قسطاس، عن موسى بن عبيدة، قال حدثني إياس بن
سلمة، عن أبيه، قال: قال: رسول الله ﷺ: (النجوم أمان لأهل السماء،
وأهل بيتي أمان لأمتي)^(٢).

وروى أيضاً قال: أخبرنا الحفار، قال حدثنا إسماعيل، قال حدثنا أبي،
قال حدثنا أخي دعبل، قال حدثنا حفص بن غياث، عن أبيه، عن جابر
وأبي موسى الأشعري وابن عباس، قالوا: (قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان
لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء،
وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض)^(٣).

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (مثل آل محمد كمثل النجوم إذا

(١) الأمالي للصدوق رحمته الله ص ١٨٦ ح ١٥ (المجلس الرابع والثلاثون).

(٢) الشيخ الطوسي رحمته الله ص ٢٥٩ المجلس العاشر ٤٧٠-٨.

(٣) الأمالي للطوسي ص ٣٧٩ المجلس الثالث عشر ٨١٢-٦٣.

خوى نجم طلع نجم) (١). وقد جعل الله جل وعلا للاستغفار دوراً تكوينياً لدفع البلاء فقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٢).

عن عبد الله بن محمد الجعفي قال: (سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: كان رسول الله ﷺ والاستغفار حصنين لكم من العذاب، فمضى أكبر الحصنين وبقى الاستغفار، فأكثروا منه فإنه منجاة للذنوب، وإن شئتم فاقروا: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (٣). فقد كان لرسول الله ﷺ دوراً تكوينياً أعظم من الاستغفار.

وفي كتاب علل الشرائع، بإسناده إلى عمر بن شمر: عن جابر بن يزيد الجعفي قال: (قلت لأبي جعفر بن محمد بن علي الباقر عليه السلام: لأي شيء يحتاج إلى النبي والإمام؟ فقال: لبقاء العالم على صلاحه، وذلك أن الله ﻋَظَّمَ يرفع العذاب عن أهل الأرض، إذا كان فيها نبي أو إمام قال الله ﻋَظَّمَ: ﴿ وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾ (٤)، فوجود النبي وآله عليهم السلام هو لديمومة هذا العالم فهم ناموسه الأكبر: فكما ورد عندنا أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعض خلقه دوراً تكوينياً لدفع العذاب عن خلقه وكل بما يتناسب مع دوره التكويني، روى شيخنا الكليني عليه السلام عن عدة من أصحابنا عن سهل بن زياد عن علي بن أسباط عن ابن عرفة عن أبي الحسن عليه السلام قال: (إن الله ﻋَظَّمَ في كل يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله فلولا بهائم رُتِعَ وصبية رُضِعَ وشيوخ رُتِعَ لصب عليكم العذاب صبا

(١) تأويل الآيات ص ١٧٠.

(٢) سورة الأنفال الآية ٣٣.

(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ٥٤.

(٤) تفسير كنز الدقائق ج ٥ ص ٣٣٢.

ترضون به رضا»^(١).

وقد جعل الله لقراءة القرآن الكريم دوراً تكوينياً لدفع العذاب أو تخفيفه، على سبيل المثال روى شيخنا الكليني عليه السلام عن علي بن محمد عن ابن جمهور عن محمد بن عمر بن سعدة عن الحسن بن راشد عن جده عن أبي عبد الله عليه السلام: (قال قراءة القرآن في المصحف تخفف العذاب عن الوالدين ولو كانا كافرين)^(٢). والعجب كل العجب من أولئك الذين يشكون في أن يكون للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) دوراً تكوينياً، ويثبته لجريدتي النخل فيوصي بوضعهما في كفنه لدفع الحساب والعذاب عنه عملاً بالقول المأثور عن النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

روى الكليني عليه السلام عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن حريز عن زرارة قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام رأيت الميت إذا مات لم تجعل معه الجريدة؟ قال يتجافي عنه العذاب والحساب ما دام العود رطباً قال والعذاب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم وإنما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفافهما إن شاء الله)^(٣) فإن كان لجريدتي النخل هذا الفضل كله الذي نقره به أفلا يكون لآل بيت النبوة الفضل الأعظم؟! كما جعل الله تعالى لفعل الصالحات دوراً تكوينياً في نزول الخيرات والبركات كذلك جعل لفعل السيئات وارتكاب الذنوب والمعاصي دوراً تكوينياً سلبياً على هذا الكون من نزول المصائب وحدوث الزلازل والفيضانات والهزات، قال تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا

(١) الكافي الشريف ج ٢ ص ٢٧٦ باب فيما يدفع الله بالمؤمن ح ٣١.

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ٦١٣ ح ٤.

(٣) الكافي الشريف ج ٣ ص ١٥٢.

لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»^(١) عن محمد بن يعقوب عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد، عن أحمد بن محمد، عن العباس بن العلاء، عن مجاهد، عن أبيه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (الذنوب التي تغير النعم البغي والذنوب التي تورث الندم القتل والتي تنزل النقم الظلم والتي تهتك الستور شرب الخمر والتي تحبس الرزق الرياء والتي تعجل الفناء قطيعة الرحم والتي ترد الدعاء وتظلم الهواء عقوق الوالدين)^(٢)، وقال أبو عبد الله عليه السلام: (إذا نشأت أربعة ظهرت أربعة إذا نشأ الزنا ظهرت الزلزلة وإذا نشأ الجور في الحكم احتبس القطر وإذا خفرت الذمة أديل لأهل الشرك من أهل الإسلام وإذا منعوا الزكاة ظهرت الحاجة)^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلا بذنب وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾. ثم قال وما يعفوا الله أكثر مما يؤخذ به)^(٥)، وقال الإمام الصادق عليه السلام لما أدخل علي بن الحسين عليه السلام على يزيد نظر إليه ثم قال له: يا علي ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، فقال علي بن الحسين عليه السلام: (كلاماً هذه فينا نزلت، إنما نزل فينا: ﴿وَمَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٦) لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾، فنحن الذين لا نأسى على ما فاتنا

(١) سورة الروم الآية ٤١ .

(٢) تفسير البرهان الشريف ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٣) تفسير البرهان الشريف ج ٤ ص ٢٦٥ .

(٤) سورة الشورى الآية ٣٠ .

(٥) تفسير كنز الدقائق ج ١١ ص ٥٢٥ .

من أمر الدنيا ولا نفرح بما أوتينا^(١).

وأكتفي بهذا القدر من بحث الدور التكويني للنبي وآله الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وبما يتناسب مع هذا المختصر بعونه تعالى.

الفصل الثامن

وحدة المرجعية التشريعية

«هي مرجعية المرجع الواحد مع إجتماع أكثر من معصوم واحد في زمان واحد بعصمة واحدة وبدعوة واحدة فلكل زمان مركزية واحدة تدور حولها الخلائق»

واحدة من أوضح مهام الإمام عليه السلام المرجعية التشريعية الواحدة التي لا تقوم معها أي مرجعية أخرى وعلى حد مرجعية رسول الله صلى الله عليه وآله ، ففي زمان المرجعية التشريعية لرسول الله صلى الله عليه وآله كان الإمام أمير المؤمنين عليه السلام منفذاً ومجرباً لتشريع رسول الله صلى الله عليه وآله ولم تقم له في زمانه مرجعية حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وآله فانتقلت المرجعية التشريعية إلى الإمام المؤمنين عليه السلام وفي زمان مرجعيته المقدسة لم تقم للإمامين الحسن والحسين عليهما السلام مرجعية تشريعية حتى قبض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فتحولت المرجعية التشريعية بعده إلى الإمام الحسن عليه السلام وكان الإمام الحسين عليه السلام منفذاً ومجرباً لمرجعية الإمام الحسن عليه السلام حتى قبض فانتقلت المرجعية التشريعية بعده إلى الإمام الحسين عليه السلام ثم إلى الإمام علي بن الحسين سجاد العترة عليه السلام ثم إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام حتى وصلت بالدور إلى الإمام الثاني عشر

الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام الذي نحن نتنعم بزمان مرجعيته المقدسة الممتدة إلى قيام الرجعة الشريفة.

هذه المرجعية المقدسة متمثلة بكونها مرجعية المرجع الواحد مع اجتماع أكثر من معصوم واحد في زمان واحد بعصمة واحدة وبدعوة واحدة لأن لكل زمان مركزية واحدة تدور حولها الخلائق وهو النظام الأحسن وأما في الموارد التي أذن فيها الإمام القائم للإمام اللاحق عليه السلام بالرجوع إليه والأخذ عنه فذلك لبيان فضله وعلمه وأنه الإمام الذي يقوم بعده، وطاعة اللاحق للقائم في منتهى الكمال لأن أدبهم القرآن فقد جاء في وصية أمير المؤمنين عليه السلام: (لكميل بن زياد) (رضوان الله تعالى عليه) قال عليه السلام: يا كميل إن رسول الله صلى الله عليه وآله أدبه الله وهو صلى الله عليه وآله أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الآداب للمؤمنين، يا كميل ما من علم إلا وأنا أفتحه وما من سر إلا والقائم عليه السلام يختمه يا كميل ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم^(١).

إن قيام أحد الأئمة الأطهار عليهم السلام بتكليفه الرباني ودعوته في أي إتجاه كان بالظهور أو الخفاء، العلن أو السر، القتال أو السلم، القبض أو البسط، بالنطق أو الصمت هو تكليف رباني لا يقوم صلاح الدين والدنيا إلا به، ويقوم التالي مع الإمام القائم عليه السلام بمقام كونه أحد رعيته الذي يبذل تمام سعيه لطاعة الإمام القائم عليه السلام في تنفيذ أوامره المقدسة وإليه الإشارة بقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنا إلا عبد من عبيد محمد (اللهم صلي على محمد وآله محمد) فكان عليه السلام ينفذ كل ما صدر إليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله بآتم وأكمل صورة وليس همه إلا طاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وكما قال عليه السلام عن نفسه لرسول الله صلى الله عليه وآله: إنك إن بعثتني في أمر أكون كالسكين المحممة في اللحم، فهم عليهم السلام من الطاعة في أداء ما أوكل إليهم من مهام تتجاوز

حدود الوصف المعهودة من شدة كمالها وتمامها وإذا كانت طاعة أنصار إمام العصر والزمان عليه السلام قد وصفت بأنهم أطوع من الأمة إلى سيدها وهم علماء حكماء، زهاد فقهاء رهبان في الليل أسود في النار، كما نقلت لنا كتب التاريخ والروايات الشريفة عن طاعة علي الأكبر للإمام الحسين عليه السلام أو طاعة أبو الفضل العباس للأئمة الأطهار (عليهم أفضل الصلاة والسلام) أو ما ظهر من عقيلة بني هاشم (صلوات الله وسلامه عليهم) كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً فكيف تكون إذا طاعة المعصوم بالعصمة الكبرى للمعصوم بالعصمة الكبرى عليه السلام؟!!

أما الأدلة العقلية والنقلية التي تدل على وحدة المرجعية التشريعية للنبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فهي كثيرة جداً، فلولا هذه المرجعية المقدسة لمحق الدين ولما قامت لشريعة سيد المرسلين قائمة. فيها ساس الله عباده، وبها بان دينه على دين أعدائه، وبها سلك أوليائه وبلغ كل عامل مراده.

روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن فضيل بن يسار قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لبعض أصحاب قيس الماصر: إن الله عز وجل أدب نبيه فأحسن أدبه فلما أكمل له الأدب قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ثم فوض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده فقال عز وجل ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(٢) وإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان مسدداً موقفاً مؤيداً بروح القدس لا يزل ولا يخطيء في شيء مما يسوس به الخلق فتأدب بآداب الله ثم إن الله عز وجل فرض الصلاة ركعتين ركعتين عشر ركعات فأضاف رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الركعتين ركعتين وإلى المغرب ركعة فصارت

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) سورة الحشر الآية ٧ .

عديل الفريضة لا يجوز تركهن إلا في سفر وأفرد الركعة في المغرب فتركها قائمة في السفر والحضر فأجاز الله عز وجل له ذلك كله فصارت الفريضة سبع عشرة ركعة ثم سن رسول الله صلى الله عليه وآله النوافل أربعاً وثلاثين ركعة مثلي الفريضة فأجاز الله عز وجل له ذلك والفريضة والنافلة إحدى وخمسون ركعة منها ركعتان بعد العتمة جالساً تعد بركعة مكان الوتر وفرض الله في السنة صوم شهر رمضان وسن رسول الله صلى الله عليه وآله صوم شعبان وثلاثة أيام في كل شهر مثلي الفريضة فأجاز الله عز وجل له ذلك وحرم الله عز وجل الخمر بعينها وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله المسكر من كل شراب فأجاز الله له ذلك كله.. ليس لأحد إن يُرخص شيئاً ما لم يرخصه رسول الله صلى الله عليه وآله فوافق أمر رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الله عز وجل ونهيه نهي الله عز وجل ووجب على العباد التسليم له كالتسليم لله تبارك وتعالى^(١).

وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن بكار بن بكر عن موسى بن أشيم قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إلى أن قال: ثم التفت إلي فقال لي: يا ابن اشيم إن الله عز وجل فرض إلى سليمان بن داود فقال هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وفوض إلى نبيه صلى الله عليه وآله فقال: «ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» فما فوض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقد فوضه إلينا^(٢). والأدلة الواردة على مرجعيتهم التشريعية المقدسة كثيرة جداً كما ذكرنا ذلك مسبقاً، وأكتفي بإرجاعكم إليها في البحوث السابقة ولا سيما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٣) والتي هي ولاية مطلقة لا يحدها شيء

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٢٦-٢٦٧ ح ٤ باب التفويض إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى آله عليهم السلام.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) سورة المائدة الآية ٥.

والولاية التشريعية مظهر من مظاهرها الكثيرة والعظيمة، ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(١) فجاء الأمر بطاعة النبي وآله عليهم السلام وإنحصاره بهم دليلاً على أنهم المظهر الأوحد والأتم والأكمل لطاعة الله تعالى ومن دونهم لا تتحقق لله طاعة أبداً، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وفي حديث غدير خم المقدس دلالة واضحة كافية وجامعة لكل المطالب والتي منها مرجعيتهم التشريعية على حد مرجعية القرآن الكريم وبالخصوص قوله عليه السلام: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبدا» وإشارة النبي عليه السلام بكلتا مسبحتيه دليلاً واضحاً على تساويهما، وأن الإمام عليه السلام محيط إحاطة كاملة وتامة بالقرآن الكريم فقال عنه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٣)، وقال تعالى عن القرآن الكريم: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤)، ثم صرح جل وعلا في موقع آخر في قرآنه الكريم بأنه: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾^(٥)، وقد وصف المطهرين بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾^(٦)، وجعل الله تعالى علم الكتاب بتمامه عندهم عليهم السلام فقرن شهادتهم بشهادته فقال: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(٧).

- (١) سورة النساء الآية ٥٩ .
- (٢) سورة المائدة الآية ٣ .
- (٣) سورة يس الآية ١٢ .
- (٤) سورة النحل الآية ٨٩ .
- (٥) سورة الواقعة الآية ٧٩ .
- (٦) سورة الأحزاب الآية ٣٣ .
- (٧) سورة الرعد الآية ٤٣ .

فقد فهم جملة من الأعلام أن المرجعية التشريعية لأئمتنا الأطهار عليهم السلام لها أربعة أركان.

الركن الأول: هو أن يقوم عليه السلام بتعليم كتاب الله العزيز ويشرح مقاصده وأهدافه ويفك رموزه وأسراره يعطي منه ما يشاء ويمسك عما يشاء لعلمه بأحوال الناس وإحاطته بكتاب الله ظاهراً وباطناً، محكماً ومتشابهاً، عاماً وخاصاً، مطلقاً ومقيداً، ناسخاً ومنسوخاً.

قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزِمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾^(١).

عن محمد بن أحمد بن محمد بن سنان عن عبد الأعلى قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: أنا امرؤ من قريش قد ولدني رسول الله صلى الله عليه وآله وعلمت كتاب الله وفيه تبيان كل شيء بدء الخلق وأمر السماء وأمر الأرض وأمر الأولين وأمر الآخرين وأمر ما كان وأمر ما يكون كأني أنظر إلى ذلك نصب عيني)^(٢).

وروى محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن محمد بن عيسى عن أبي عبد الله المؤمن عن عبد الأعلى مولى آل سلام قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول والله إنني لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره كأنه في كفي فيه خبر السماء وخبر الأرض وخبر ما كان وخبر ما هو كائن قال الله عز وجل (فيه تبيان لكل شيء)^(٣).

الركن الثاني: أنهم عليهم السلام يبينون أحكام الموضوعات التي تحدث في زمانهم وتأسيس قواعد رئيسية يعتمد المسلمون عليها لحفظ دينهم بالسير

(١) سورة آل عمران الآية ٧ .

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ٢٢٢ باب الكتان ح ٥ .

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٣٩ باب أنه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة عليهم السلام ح ٤ .

على خطاها في الآفاق، كتأسيس قاعدة وجوب التقية مع الخوف إلى خروج القائم عليه السلام.

عن الحسن بن علي الكوفي عن العباس بن عامر عن جابر المكفوف عن عبد الله بن أبي يعفور عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (اتقوا على دينكم واحجبهوا بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له إنما أنتم في الناس كالنحل في الطير ولو أن الطير تعلم ما في أجواف النحل ما بقي منها شيء إلا أكله ولو أن الناس علموا ما في أجوافكم أنكم تحبوننا أهل البيت لأكلوكم بألستهم ولنحلوكم في السر والعلانية رحم الله عبداً منكم كان على ولايتنا)^(١).

وجاء في السرائر نقلاً من كتاب مسائل الرجال ومكاتباتهم: عن مولانا علي بن محمد عليه السلام من مسائل داود الصرمي قال: (قال لي: يا داود لو قلت أن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً)^(٢) أو كتأسيس قواعد في الاحكام كقاعدة الاستصحاب أو قاعدة الفراغ أو قاعدة البرائة ونحوها.

الركن الثالث: الرد على الحملات التشكيكية والتساؤلات العويصة التي ترد على المسلمين من اليهود والنصارى وغيرهم، وشواهد ذلك في كتب التاريخ والأخبار والتفسير كثيرة جداً شيعية وسنة.

الركن الرابع: مراقبة الدين أصولاً وفروعاً وما يكتسبه المسلمون حتى لا تنحرف المسيرة العامة للإسلام والمسلمين عن خطوطها العامة السليمة.

لقد وقف آل البيت عليهم السلام لصد مد غواية المغالين، وتحريف القالين، وإبطال مزاعم المعاندين كنسبة المغالين الربوبية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام أو نسبة الإمامة والإحياء، أو العلم بالمغيبات أو تقسيم الأرزاق وغيرها من

(١) الأصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر رحمته الله ص ٣١٧، ص ٣٢٠.

(٢) الأصول الأصلية والقواعد الشرعية للسيد عبد الله شبر رحمته الله ص ٣١٧، ص ٣٢٠.

عظائم الأمور لهم بالاستقلال وبمعزل عن حول الله وقوته والتي قد أثبتنا بطلانها مسبقاً عقلاً ونقلاً، أو كنسبة القالين الذين أنزلوا الأئمة الطاهرين منزلة الناس العاديين فنفوا عنهم مقاماتهم العلية وشؤوناتهم القدسية التي قد أثبتها الله تعالى لهم في كتابه الكريم فنفوا عصمتهم وولايتهم المطلقة الكلية وقدرتهم على الإمامة والإحياء وإبراء الأكمه والأبرص وعلمهم بالمغيبات التي جرت بإذن الله تعالى تحت دعاوي البشرية، أو تحريف المعاندين لأصول الدين وشريعة رب العالمين بغضاً وحسداً أو إستخفافاً بمقام عترة رسول الله الكريم عليه السلام. فاجتمعت أبناء العامة أشاعرة ومعتزلة على ترك ولاية العترة الطاهرة عليهم السلام واستبدالها بولاية الطاغوت والتعتيم على ظلاماتهم ومولاة ظالميههم (لعنة الله عليهم) فحرّفوا معاني القرآن واستمالت أنفسهم إلى نشر أحاديث الزور المكذوبة على رسول الله عليه السلام وأنزلوها منزلة الموثوق ولو إعتقاداً وعملاً ليس فقط تصريحاً فنشأت عنهم عشرات المسائل المخالفة لأصول الدين من الجبر أو التفويض وإلى ما شاء الله من سنة الطواغيت وأما في الفروع فحدث ولا حرج فمن مباني عقائدية فاسدة إلى مباني فقهية فاسدة من سنة الصحابة وسنة الخلفاء والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة وغيرها إلى عشرات القواعد المعتمدة عندهم والتي ما أنزل الله بها من سلطان، وسيجزئهم الله على سوء أعمالهم.

عن يحيى الحلبي عن بشير الكناسي قال: (سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن حقنا في كتاب الله بين لنا صفو الأموال ولنا الأنفال، وإنا قوم فرض الله عليه طاعتنا وإنكم تأتمون بمن لا يعذر الناس بجهالته، وقال رسول الله عليه من مات وليس له إمام مات ميتة جاهلية)^(١).

وروى علي بن إبراهيم عن أبيه عن حماد عن ربعي عن زرارة عن أبي

جعفر عليه السلام قال: (سمعتَه يقول إن الله عجله لا يوصف وكيف يوصف وقال في كتابه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فلا يوصف بقدر إلا كان أعظم من ذلك وإن النبي صلى الله عليه وسلم لا يوصف وكيف يوصف عبد احتجب الله عجله بسبع وجعل طاعته في الأرض كطاعته في السماء، فقال: ﴿وَمَا آءَانَكُمْ الرَّسُولُ فَاخْذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ ومن أطاع هذا - يعني علي بن أبي طالب عليه السلام - فقد أطاعني ومن عصاه فقد عصاني وفوض إليه، وإنا لا نوصف وكيف يوصف قوم رفع الله عنهم الرجس وهو الشك والمؤمن لا يوصف وإن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحات^(١) عن وجوههما كما يتحات الورق عن الشجر^(٢).

المرجعية التشريعية بقبس من نور الحديث الشريف

١. أحمد بن إدريس عن محمد بن يحيى عن الحسن بن علي الكوفي عن عبيس بن هشام عن عبد الله بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (سألته عن الإمام فوض الله إليه كما فوض إلى سليمان بن داود؟ فقال: نعم وذلك أن رجلاً سأله عن مسألة فأجابه فيها وسأله آخر عن تلك المسألة فأجابه بغير جواب الأول ثم سأله آخر فأجابه بغير جواب الأولين ثم قال: هذا عطاؤنا فامنن أو أعط بغير حساب هكذا هي في قراءة علي عليه السلام قال: قلت أصلحك الله فحين أجابهم بهذا الجواب يعرفهم الإمام قال: سبحان الله أما تسمع الله يقول: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٣) وهم الأئمة ﴿وَلِئَلَّا يَسْتَبِيلَ

(١) تتحات أي تتساقط.

(٢) الكافي الشريف ج ٢ ص ١٨٢ باب المصافحة ح ١٦.

(٣) سورة الحجر الآية ٧٥.

مُقْبِرٌ ﴿١﴾ لا يخرج منها أبداً ثم قال إن الإمام إذا أبصر إلى الرجل عرفه وعرف لونه وإن سمع كلامه من خلف حائط عرفه وعرف ما هو علمه.. (٢).

٢. الحسين بن محمد الأشعري عن معلى بن محمد عن أبي الفضل عبد الله بن إدريس عن محمد بن سنان قال: (كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فأجريت إختلاف الشيعة فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها وأجرى طاعتهم عليها وفوض أمورها إليهم فهم يحللون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون ولن يشاؤوا إلا أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثم قال يا محمد هذه الديانة التي من تقدمها مرق ومن تخلف عنها محق ومن لزمها لحق خذها إليك يا محمد) (٣).

٣. روى في كشف الغمة من مناقب الخوارزمي عن جابر قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله لما خلق السماوات والأرض دعا من فأجبنه فعرض عليهن نبوتي وولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فقبلتاها ثم خلق الخلق وفوض إلينا أمر الدين فالسعيد من سعد بنا والشقي من شقي بنا نحن المحللون لحلاله والمحرمون لحرامه) (٤).

٤. محمد بن يحيى عن محمد بن الحسن قال: (وجدت في نوادر محمد بن سنان عن عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا والله ما فوض الله إلى أحد من خلقه إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وإلى الأئمة عليهم السلام قال عجل الله فرجه: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرْنَاكَ اللَّهُ ﴾

(١) سورة الحجر الآية ٧٦ .

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٣٨-٤٣٩ .

(٣) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٤١ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته ح ٥ .

(٤) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠ باب وجوب طاعته والتفويض إليه ح ١٨ .

وهي جارية في الأوصياء عليهم السلام ^(١).

٥. عن بصائر الدرجات عن أحمد بن الحسين عن أبيه بكر بن صالح عن عبد الله بن إبراهيم الجعفري عن يعقوب بن جعفر قال: (كنتُ مع أبي الحسن عليه السلام بمكة فقال له رجل إنك لتفسر من كتاب الله ما لم تسمع به فقال أبو الحسن علينا نزل قبل الناس ولنا فسر قبل أن يفسر في الناس فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضره وفي أي ليلة نزلت كم من آية وفيمن نزلت وفيما نزلت فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه وهو قول الله تبارك وتعالى: ﴿سَتَكُنُّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾ ^(٢) فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه فهذا علم ما قد أنهيته إليك وأديته إليك ما لزمني فإن قبلت فاشكر وإن تركت ف﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ^(٣).

٦. بصائر الدرجات عن أحمد بن موسى عن الحسن بن موسى الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (نحن ولاة أمر الله وخزنة علم الله وعيبة وحي الله وأهل دين الله وعلينا نزل كتاب الله وبنا عبد الله ولولانا ما عُرف الله ونحن ورثة نبي الله وعترته) ^(٤).

٧. بصائر الدرجات عن ابن هاشم عن يحيى بن أبي عمران عن يونس عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إنَّ الله خلق محمداً طاهراً ثم أدبه حتى قومه على ما أراد ثم فوَّض إليه الأمر،

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٢٦٧ ح ٨، ورواها المجلسي رحمته الله عن بصائر الدرجات ج ٢٥ ص ٣٣٤ ح ١١.

(٢) سورة الزخرف الآية ١٩.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٣ ص ١٩٦ باب ١٠ أنهم (عليهم السلام) أهل علم القرآن ح ٢٦.

(٤) بحار الأنوار ج ٢٦ ص ٢٤٦ باب ٥ جوامع.

فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فحرم الله الخمر بعينها وحرم رسول الله صلى الله عليه وآله المسكر من كل شراب وفرض الله فرائض الصلب وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله الجد فأجاز الله له ذلك وأشياء ذكرها من هذا الباب^(١).

٨. من كتاب رياض الجنان: لفضل الله بن محمد الفارسي بالإسناد عن محمد بن سنان قال: (كنت عند أبي جعفر عليه السلام فذكرت اختلاف الشيعة فقال: إن الله لم يزل فرداً متفرداً في الوجدانية ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة عليهن السلام فمكثوا ألف دهر ثم خلق الأشياء وأشهدهم خلقها وأجرى عليها طاعتهم وجعل فيهم ما شاء وفوض أمر الأشياء إليهم في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق لأنهم الولاة فلهم الأمر والولاية والهداية فهم أبوابه ونوابه وحجابه يحللون ما شاء ويحرمون ما شاء ولا يفعلون إلا ما شاء ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ^(٢) لَا يَسْقُونَهُ، بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿﴾ فهذه الديانة التي من تقدمها غرق في بحر الإفراط ومن بخسهم حقهم عن هذه المراتب التي رتبهم الله فيها زهق في بر التفريط ولم يوف آل محمد حقهم فيما وجب عليه من معرفتهم ثم قال خذها يا محمد فإنها من مخزون العلم ومكنونه)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١١ باب ١٣ وجوب طاعته ووجه التفويض إليه.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٩ فصل في بيان التفويض ومعانيه ح ٢١، بصائر الدرجات:

ص ٨١ باب في أن الأئمة حجة الله وولاية أمره، ح ٣.

المراد من تفويض النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدين والدنيا وفرقه عن التفويض المعتزلي

حينما نلقي نظرة سريعة على الروايات المستفيضة عن النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) الدالة على مرجعيتهم التشريعية نجد أن عبارة (فوض الله إليهم أمر دينه) متكررة ومقصودة، ولكن ما هو المراد من التفويض هنا؟!.

فَهَمَ الأشاعرة، والمعتزلة من هذا التفويض هو التفويض الاصطلاحي الذي نشأ عند المدرسة السنية من المعتزلة، وقد دفع هذا الفهم بعض أعلام الشيعة (أعز الله رأيهم) إلى التوقف عن قبول هذه الروايات أو الإعراض عن ذكرها في الموارد التي لا يتم البحث إلا بها، وما ذاك إلا لشبهة التفويض التي قد أحدثتها المعتزلة، وهَدَّت أركانها المدرسة الإمامية أصولية وإخبارية وحرمت بإجماعها الاعتقاد بها عملاً بالأدلة العقلية التامة برهاناً والنقلية التامة سنداً ودلالة.

والشيء الملفت للانتباه في هذه الروايات الشريفة بأنها ليست بالروايات القليلة العدد حتى يمكن لأي باحث أن يتجاوزها فضلاً عن طرحها، فاستفاضتها وورودها في معظم كتب الشيعة ومصادرهم الرئيسية تجعلنا ملزمين بالوقوف عليها والتدبر فيها. وما يزيد إطمئناننا بصدورها عنهم عليهم السلام هو نَفْسُ المعصوم الواضح في عباراتها الشريفة، ولم يعرف في المسألة خلاف إلا عند الشيخ الصدوق رحمته الله الذي رفض التفويض عموماً، إلا أن إبراده لتلك الروايات الشريفة رحمته الله يدل على قبولها وأن رفضه للتفويض يحمل على التفويض المعتزلي دون غيره، فما هو التفويض عند المعتزلة؟

المراد من التفويض عند المعتزلة أن الله أوجد العباد وأقدرهم على

ترك الأفعال وفوض إليهم الاختيار، فهم مستقلون بإيجادها وفق مشيئتهم وقدرتهم وليس لله في أفعالهم صنع فقالوا بأنهم الخالقين لأفعالهم واستدلوا بقوله تعالى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ولم يعرفوا معنى الخلق على كم وجه هو فأرادت المعتزلة أن تفر عن الجبر الأشعري الذي هو نسبة الظلم إلى الله عز وجل فوقعت في الشرك قال صادق العترة عليه السلام: (لعن الله المعتزلة أرادت أن توحد فألحدت ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت).

إن أس مصائب القوم، ولب مشاكلهم هو تركهم لعدل القرآن الكريم وهم العترة الطاهرة عليهم السلام والاعتماد على عقولهم القاصرة في فهم الدين، ودين الله أبعد ما يكون عن عقول الناس، فجزوا بفهمهم القاصر الويلات على هذه الأمة فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وزينوا للناس مذاهبهم الفاسدة (لعنة الله عليهم وعلى من اتبعهم. وما يحزن المؤمن أن يجد لتلك الشبهات صدى عند أصحاب المسلك القويم المتبعين لصراط علي المستقيم مما جعل الكثيرون يتهيئون الخوض في فهم المعنى الصحيح أو يترددون عن التصريح بالقبول لشبهة قد استحكمت.

إعلم أيها العزيز أن التفويض المرفوض عقلاً ونقلاً هو التفويض المصطلح عليه في زمن المعتزلة الذي قد أسسه عمرو بن عبيد، وواصل بن عطاء وحفص بن سالم مولى ابن هبيرة وقد اقترن إسم المعتزلة بواصل بن عطاء أكثر من غيره وقد جاء في بعض تراجمه من أنه نشأ في أخريات حياة أمير المؤمنين عليه السلام ومرداي لا يتعلق بالرجل ولا بمذهبه الفاسد ولكن يتعلق بزمان شيوع هذا المصطلح فلم يكن هذا المعنى الفاسد من التفويض مقصوداً في الأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والشطر الأعظم من حياة أمير المؤمنين عليه السلام وأما باقي الأئمة الأطهار عليهم السلام فما ورد من أحاديث مقدسة تتناول هذا الموضوع، فمنها المثبت وهي جاءت تتحدث

عن التفويض الذي شرعه الله في خلقه، وأما النافية فتلك الروايات التي جاءت تحذر الناس عن السقوط في التفويض المصطلح عليه عند المعتزلة وقد بينوها عليه السلام بالأدلة القطعية التي لا تترك مجالاً لأحد أن يدعي عدم العلم ببطلانها إلا لمعانداً متكبراً أو جاهلاً مقصر أو قاصر، فليس للإنسان أو لأي موجود كان من عالم الإمكان الاستقلال في إحداث شيء أو إيجاد أي شيء كان مهماً صغراً ولا حتى تحريك قشة عن محلها بمعزل عن الله تعالى لاستحالة تحول الفقير بالذات إلى غني بالذات أو العكس هذا مضافاً إلى قطعية الأدلة النقلية قرآن وسنة على بطلان هذا النوع من التفويض الذي تبنته المعتزلة وصار عنواناً لمدرستها وهو الذي توجه إليه ذم الأئمة الأطهار عليهم السلام كما جاء في قول صادق العترة عليه السلام: (لعن الله المعتزلة أرادت أن توحد فألحدت، ورامت أن ترفع التشبيه فأثبتت) وورد في صحاح الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (لعن الله القدرية على لسان سبعين نبياً) وجاء أيضاً: (إن قدرية هذه الأمة مجوسها)، فقالت الأشاعرة: هم المعتزلة وقالت المعتزلة: هم الأشاعرة، لأن إحداهما تنفي القدر والأخرى تثبته والحق أن كليهما مجوس هذه الأمة. فالتفويض المرفوض إذاً عقلاً ونقلاً هو التفويض المعتزلي. وأما التفويض الذي أثبته الله تعالى لرسوله الكريم وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هو تفويض من سنخ ولايتهم المبسوطة على الخليقة بأمر الله تعالى، فالمعتزلي يقول أنا أقوم وأقعد بحولي وبقوتي وباستقلالي بقتوتي وبحولي عن قوة الله وحوله، فالله بزعمهم أعطاهم الحول والقوة ثم خرج حولهم وقوتهم عن سيطرة الله عز وجل ونسبة العجز إليه، أما الأئمة الأطهار عليهم السلام فهم يقولون: كل ما عندنا فهو من الله وخاضع لسلطان الله وسيطرته فبحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد، وأقبض وأبسط، فقالوا عليهم السلام: (من قال لا حول ولا قوة إلا بالله فقد فوض

الأمر إلى الله عزَّ وجلَّ (١).

روى تميم بن عبد الله بن تميم عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن يزيد بن عمر الشامي عن الرضا عليه السلام قال: (من زعم أن الله يفعل أفعالنا ثم يعذبنا عليها فقد قال بالجبر ومن زعم أن الله فوض أمر الخلق والرزق إلى حججه فقد قال بالتفويض والقائل بالجبر كافر والقائل بالتفويض مشرك) (٢).

هذا هو التفويض المعتزلي الذي تبرأ آل البيت عليهم السلام من القائلين به، أما التفويض الذي تحدث عنه النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وأثبتوه لأنفسهم فذاك سنخ تفويض يعد جزءاً من ولايتهم المبسوطة تكويناً بأمر الله تبارك وتعالى على تمام خلقه وأخضع لها كل شيء، فما هذا التفويض إذا الذي أسس قواعده الله عزَّ وجلَّ ؟

إعلم هداك الله بهديه حينما ننظر في رواياتنا الشريفة الواردة عن النبي وآله عليهم السلام التي تتحدث عن التفويض المشرع والممكن عقلاً، نجد أن التفويض له مراتب متعددة تتناسب مع طبيعة تكوين كل إنسان وقد ترتبط بدرجة إيمانه فقد روي أن الله عزَّ وجلَّ فوض للمؤمن، قال صادق العترة عليه السلام: (إن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً) (٣) وفوض للمرأة أمور فروى الفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان عن الإمام الصادق عليه السلام: في قوله تعالى ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ قال عليه السلام: (قد فوض الله إلى النساء ثلاثة أشياء الحيض والطمهر

(١) المستدرک ج ٥ ص ٤٠٣.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٨ ص ٣٢٠: ٣٤٩٠٧.

(٣) الفقيه ج ٣ ص ٩٣ باب الحكم بالقرعة ح ١٦.

والحمل) (١).

وأنت تلاحظ أن التفويض الوارد في هذين النموذجين من الروايات الشريفة ليس من المعقول أبداً حملهما على المعنى المعتزلي لا لإستحالته فقط كما بينا سابقاً من الجهة العقلية، بل أن ذاك التفويض لا ينسجم مع تمام القرآن الكريم والتي منها الأوامر والنواهي الالهية أو الوعد والوعيد الإلهيين وليست هذه الروايات أيضاً مما تعارض كتاب الله ﷻ حتى نتركها عملاً بالحديث الشريف الوارد عن رسول الله ﷺ: (إن على كل حق حقيقة وعلى كل صواب نوراً فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه) (٢) فلنقف إذاً على معنى الحديث الأول في (أن الله فوض إلى المؤمن أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً) إن من المسلم به أن الله ﷻ قد كتب على المؤمن مجموعة من الأوامر والنواهي وجعله مختاراً فيها ولم يضطره إليها فهو أجل من أن يظلم عبده فمعنى فوض إلى المؤمن أموره كلها أي جعله مختاراً ولم يجبره عليها وتوجه الخطاب إلى المؤمن دون غيره للتشريف، وأما معنى قوله (ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً) أي لم يجعله مختاراً فيها لأن العزة تلازم الإيمان، فما دام المؤمن مؤمناً لا بد أن يكون عزيزاً قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣).

عن محمد بن يعقوب عن محمد بن الحسين، عن إبراهيم بن إسحاق الأحمر، عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن عبد الله بن سنان، عن أبي الحسن الأحمسي، عن أبي عبد الله ﷺ قال: (إن الله ﷻ فوض إلى المؤمن

(١) وسائل الشيعة ج ٢٢ ص ٢٣٣ باب أن المرأة إذا ادعت انقضاء عدتها: ٢٨٤٤.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ٦١ باب الرد إلى الكتاب والسنة.

(٣) سورة المنافقون الآية ٨.

أموره كلها ولم يفوض إليه أن يكون ذليلاً أما تسمع قوله الله عز وجل يقول ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالمؤمن يكون عزيزاً لا ذليلاً ثم قال: إن المؤمن أعز من الجبل يستفل منه بالمعاول والمؤمن لا يستفل من دينه شيء^(١) فملكية المؤمن للعزة ملكية حقيقية بإذن الله عز وجل فمن كان ذليلاً لا يكون مؤمناً. وأما معنى الرواية الثانية في التفويض إلى النساء ثلاثة أشياء الحيض والطهر والحمل أي أن الله عز وجل جعل إخبارها عن نفسها بهذه الأمور الثلاثة مقبولاً من غير أن تطالب بإقامة البينة عليها وهو موافق لقوله تعالى: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي آرْحَامِهِنَّ﴾^(٢) من الولد استعجالاً في العدة، وإبطالاً لحق الرجعة، وفيه دليل على أن قولها مقبول ولا يقصد من التفويض هنا أن الله قد ترك لها الأمر على هواها من دون تكليف فهذا ما لا يقول به مسلم.

وأما الروايات التي أثبتت التفويض إلى النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في الحكم والتصرف والإرشاد والأمر والنهي في الخلق، بل في كل شيء، كرواية علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن عمير ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: (في الصلاة عشر ركعات ركعتان من الظهر وركعتان من العصر وركعتان من الصبح وركعتان من المغرب وركعتان من عشاء الآخرة لا يجوز الوهم فيهم ومن وهم في شيء منهن استقبل الصلاة إستقبالاً وهي الصلاة التي فرضها الله عز وجل على المؤمنين في القرآن وفوض محمد عليه السلام فزاد النبي عليه السلام في الصلاة سبع ركعات وهي سنة ليس فيها قراءة إنما هو تسبيح وتهليل وتكبير ودعاء فالوهم إنما يكون فيهن فزاد رسول الله عليه السلام في صلاة المقيم غير المسافر ركعتين في الظهر والعصر

(١) تفسير البرهان الشريف ج ٥ ص ٣٣٩ السطر ٩ ح ١.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٢٨.

والعشاء الآخرة وركعة في المغرب للمقيم والمسافر)^(١) والغريب في المسألة أن معظم من توقف في روايات التفويض هذه خوفاً من الوقوع في شبهة المعتزلة عمل بمضمون هذه الروايات في فتاوى شكوك الصلاة وفي ذلك مؤاخذه علمية على من لم يفرغ من تنقيح مباحثه العقائدية قبل الإفتاء ولم يقرّ بهذا النوع من التفويض، وهذا التفويض للنبي وآله عليهم السلام لم يكن محصوراً في الصلاة بل في كل شيء.

روى في بصائر الدرجات عن بعض أصحابنا عن محمد بن الحسن عن علي بن النعمان عن ابن مسكان عن إسماعيل بن عبد العزيز قال: (قال لي جعفر بن محمد عليه السلام: إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يُفَوِّضُ إليه، إن الله تبارك وتعالى فوض إلى سليمان عليه السلام ملكه فقال: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وإن الله فوض إلى نبيه محمد صلى الله عليه وآله فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، فقال رجل إنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مفوضاً إليه في الزرع والضرع - يعني يأخذ منهما ما يشاء ويترك ما يشاء - فلوى جعفر عليه السلام عنه عنقه مغضباً فقال: في كل شيء والله في كل شيء)^(٢).

إذاً هذا التفويض من سنخ خاص إختص الله تعالى به نبيه المصطفى وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فهم يحلون ما يشاؤون ويحرمون ما يشاؤون، وهم يبسطون ما يشاؤون، أو يقبضون عنم يشاؤون وليس لأحد أن يعترض عليهم بلم أو كيف أو لماذا أو يسألهم الدليل على ما جعل الله تعالى لهم في مملكتهم.

ولكن فعلهم ذاك يجري بالاستقلال وبمعزل عن قدرة الله عز وجل كما هو عند المعتزلة؟ نقول ليس فقط أنه لا يمكن الاستقلال عن الله تعالى بل

(١) الكافي الشريف ج ٣ ص ٢٧٣ باب تفويض الصلاة إلى محمد صلى الله عليه وآله
 (٢) بحار الأنوار ج ١٧ ص ٩ حديث ١٦ باب وجوب طاعته وحبه والتفويض إليه.

هو مستحيل. فكلما عندهم إنما يجري بإذن الله وإقداره ومشيئته تعالى فمشيئتهم عليهم السلام قد فنت بمشيئة الله وَجَلَّ (إذا شاء الله شئنا وإذا شئنا شاء الله وَجَلَّ) لأن الله وَجَلَّ أدب نبيه حتى أكمل له الأدب وقال له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١)، وقال جل وعلا عنهم فهم: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، فساس الله عباده بهم بأن فوض إليهم أمر دينه فهم يحرمون ما يشاؤون ويحللون ما يشاؤون ولن يشاؤوا حتى يشاء الله وَجَلَّ، فأمرهم يلازم أمره ونهيهم يلازم نهيه، وقد يتبادر إلى الأذهان مما تقدم بأننا نعتمد أوامر ونواهي النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) إنما نعتمد على ما يستنبطونه من القرآن الكريم وليس لهم أن يحللوا أو يحرموا إلا ما وجدوه في القرآن الكريم وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾^(٣) وقال لنبيه المصطفى صلى الله عليه وآله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾^(٤)، فحقيقة تمام الأحكام إذاً هو القرآن فقط وما السنة النبوية إلا مبينة ومفصلة للقرآن الكريم ليس إلا!!.

وللجواب عن هذه الشبهة أقول: إن الروايات المستفيضة في هذا الباب نصت على أن الأمر والنهي صادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة لا مجازاً، وإن هذا الأمر والنهي لم يكن وارداً في القرآن الكريم كما جاء في قضية تحريمه صلى الله عليه وآله للمسكر من كل شراب، والمستفاد حرمة المسكر من القرآن الكريم للخمر فقط لا من كل شراب. وكذلك الأمر في الصيام فإن الله وَجَلَّ أوجب في قرآنه الكريم صيام شهر رمضان فقط، ولم يذكر استحباب صيام غيره، فالذي سن صيام شهر شعبان وثلاثة أيام من كل شهر هو رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل

(١) سورة القلم الآية ٤ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٧ .

(٣) سورة الحاقة الآيات ٤٤-٤٥ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٢٨ .

تشريع النبي ﷺ في كل شيء حتى في الصلاة التي هي عمود الدين مع أن تفاصيل التشريع لم تذكر في القرآن الكريم بل ذكرت عناوينها العامة فقط والذي فصلها وبينها وأجراها هو رسول الله ﷺ بما فيها الصلاة وإختلاف عدد الركعات، فإن أصل التشريع في عدد ركعات الصلاة كما أخبرنا به الصادق الأمين (صلوات الله وسلامه عليه وآله) ركعتين ركعتين لجميع الصلوة اليومية وأنه هو الذي أضاف لصلاة الظهر والعصر والعشاء ركعتين فصارت أربع وأضاف لصلاة المغرب ركعة واحدة فصارت ثلاث ركعات وهو الذي أجاز قصر الصلاة الرباعية إلى ثنائية في السفر لا في الحضر رافة منه ورحمة ولم يجز القصر في المغرب ودخل تشريع رسول الله ﷺ في جميع المعاملات حتى في المواريث وقد أذن الله تعالى له بذلك فهو لم يشرع شيء بالاستقلال وبمعزل عن إرادة الله ﷻ كما فهمته المعتزلة، بل أن مرجعيته التشريعية نابعة من كمال أدبه وعبوديته وهو القائل (أدبني ربي فأحسن تأديبي)^(١)، وقال تعالى له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢) فهذا ما نعتقده بالمرجعية التشريعية للنبي وآله ﷺ وأن الذي قال كفانا كتاب الله لأحمق كبير، وهو أول تارك لكتاب الله المنير، مسند الهجر إلى الذكر والنج الكفر بلا فكر. فليست مرجعيتهم التشريعية - أعني العترة الطاهرة - ﷺ إذا محدودة باستنباطهم للأحكام الشرعية من القرآن الكريم والسنة الشريفة كما إنصرفت إليها الأذهان بما اصطلح عليه الأعلام على أنفسهم في زمان الغيبة الشريفة ولا يحق لأحد منهم كائن من يكون أن يفتي عن غير دليل يورث الاطمئنان بالورود عنهما، فالشريعة لا تستقيم إلا بالقرآن الكريم والسنة

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٢١٠ وري في المستدرک الوسائل ج ١٧ ص ٢٦٨ . ٢ . ٢١٣ بسند متصل بكميل بن زياد رضي الله عنه عن أمير المؤمنين رضي الله عنه أنه قال في وصيته إليه يا كميل إن رسول الله ﷺ أدبه الله ﷻ وهو أدبني وأنا أؤدب المؤمنين وأورث الأدب المكرمين..

(٢) سورة القلم الآية ٤ .

الشريفة معاً. بتشريع الله عزَّ وجلَّ الوارد في القرآن الكريم وبتشريع رسوله صلى الله عليه وآله وما ثبت من مرجعية تشريعية للنبي صلى الله عليه وآله فهو ثابت للعترة الطاهرة عليهم السلام من غير تمييز ولا فصل لأنهم ولاة الأمر فلهم الأمر والولاية والهداية فهم أبواب الله ونوابه وحجابه يحللون ما شاء الله ويحرمون ما شاء الله ولا يفعلون إلا ما شاء الله تبارك وتعالى.

إعلم أيها العزيز أن المسلمين عموماً شاؤوا أم أبوا، أعلنوا أم تكتموا، علموا أم جهلوا فهم مفوضة بالتفويض المحمدي صلى الله عليه وآله لا بالتفويض المعتزلي والفارق بين المقر العامل به عن الجاحد العامل به كالفارق بين الإيمان والكفر.

عرفتهم حقنا فجدتوه

كما عرف السواد من البياض

كتاب الله شاهداً عليكم

وقاضينا إليه فنعم قاض^(١)

وأما استناد أصحاب هذه الشبهة فكان اعتمادهم على قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَقُولَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَابِلِ﴾ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦) فهو إسناد أجنبي لإنتفاء التقول مع الاذن الإلهي.

وأما اعتمادهم على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ (٣) فقد روي في بصائر الدرجات عن عبد الله بن عامر عن البرقي عن الحسن بن عثمان عن محمد بن الفضيل عن الشمالي قال: (قرأت هذه الآية على أبي جعفر عليه السلام): ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قول الله لنبيه صلى الله عليه وآله وأنا أريد أن أسأله عنها فقال أبو

(١) أبيات لنضر بن مزاحم.

(٢) سورة الحاقة الآيات ٤٤-٤٦.

(٣) سورة القلم الآية ٤.

جعفر عليه السلام: بلى وشيء وشيء مرتين وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوض الله إليه دينه فقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١) فما أحل رسول الله ﷺ فهو حلال وما حرم فهو حرام^(٢).

وجاء في تفسير العياشي عن جابر قال: (قلت لأبي جعفر عليه السلام قوله لنبيه ﷺ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ فسر له لي؟ قال: فقال أبو جعفر عليه السلام الشيء قاله الله ولشيء أراد الله يا جابر: إن رسول الله ﷺ كان حريصاً على أن يكون علي عليه السلام من بعده على الناس وكان عند الله خلاف ما أراد. أي إرادة تكوين لا إرادة تشريع. رسول الله ﷺ قال: قلت: فما معنى ذلك؟ قال: نعم عني بذلك قول الله لرسوله ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ يا محمد في علي أو في غيره ألم أتل عليك يا محمد فيما أنزلت من كتابي إليك ﴿آلَمَ﴾ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٣﴾ قال فوض رسول الله ﷺ الأمر إليه^(٣).

ومن تفسير العياشي أيضاً عن جابر الجعفي قال: (قرأت عند أبي جعفر عليه السلام قول الله ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ قال: بلى والله إن له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً وليس حيث ذهبت ولكني أخبرك أن الله تبارك وتعالى لما أمر نبيه ﷺ أن يظهر ولاية علي عليه السلام فكر في عداوة قومه له ومعرفته بهم وذلك الذي فضله الله به عليهم في جميع خصاله كان أول من آمن برسول الله ﷺ وبمن أرسله وكان أنصر الناس لله ولرسوله وأقتلهم لعدوهم وأشدهم بغضاً لمن خالفهما وفضل علمه الذي لم يساوه أحد ومناقبه التي

(١) بحار الأنوار ج ١٧ ص ١٠ باب وجوب طاعته ووجهه والتفويض إليه ح ١٨.

(٢) سورة العنكبوت الآيات ١-٣.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٨.

لا تحصى شرفاً فلما فكر النبي ﷺ في عداوة قومه له في هذه الخصال وحسداهم له عليها ضاق عن ذلك فأخبر الله أنه ليس له من هذا الأمر شيء إنما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً عليه السلام وصيه وولي الأمر بعده فهذا عنى الله وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال وما حرم فهو حرام وهو قوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾^(١).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (فنحن معانيه ومظاهره فيكم اخترعنا من نور ذاته وفوض إلينا أمور عبادته فنحن نفعل بإذنه ما نشاء ونحن إذا شئنا شاء الله وإذا أردنا أراد الله ونحن أحلنا الله وَعَلَّاهُ هذا المحل وإصطفانا من بين عبادته وجعلنا محجته في بلاده فمن أنكر شيئاً ورده فقد رد على الله جل اسمه وكفر بآياته وأنبيائه ورسله يا جابر من عرف الله تعالى بهذه الصفة فقد أثبت التوحيد لأن هذه الصفة موافقة لما في الكتاب المنزل وذلك قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾

قال جابر: يا سيدي ما أقل أصحابي؟!

قال عليه السلام: هيهات هيهات! أتدري كم على وجه الأرض من أصحابك؟

قلت: يا ابن رسول الله كنت أظن في كل بلدة ما بين المائة إلى المائتين وفي كل أرض ما بين الألف إلى الألفين، بل كنت أظن أكثر من مائة ألف في أطراف الأرض ونواحيها، قال عليه السلام: يا جابر خالف ظنك وقصر رأيك أولئك المقصرون وليسوا لك بأصحاب.

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ٣٣٨ وتفسير العياشي ج ١ ص ١٩٧.

قلتُ: يا ابن رسول الله ومن المقصر قال: الذين قصرُوا في معرفة الأئمة وعن معرفة ما فرض الله عليهم من أمره وروحه، قلت يا سيدي وما معرفة روحه قال عليه السلام أن يعرف كل من خصه الله تعالى بالروح فقد فوض إليه أمره يخلق بإذنه ويحيى بإذنه ويعلم الغير ما في الضمائر ويعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وذلك أن هذه الروح من أمر الله تعالى، فمن خصه الله تعالى بهذه الروح فهذا كامل غير ناقص يفعل ما يشاء بإذن الله، يسير من المشرق إلى المغرب، في لحظة واحدة، يعرج به إلى السماء وينزل به الأرض ويفعل ما شاء وأراد قلت: يا سيدي أوجدني بيان هذه الروح من كتاب الله تعالى وإنها من أمر خصه الله تعالى بمحمد عليه السلام قال: نعم اقرأ هذه الآية ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ قلت فرج الله عنك كما فرجت عني^(١).

الفصل التاسع

الأسوة الحسنة والمجسمة لتمام القرآن الكريم

إعلم هداك الله أننا من مقام الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة نعلم سر إتجاه الناس جميعاً على اختلاف أممهم ومجتمعاتهم وأفرادهم وتقلب أحوالهم إلى محبة من يقتدى به، حيث أن حاجة الفرد أو الأمة إلى من يقتدى به أو بها هي حاجة فطرية.

حينما خلق الله ﷻ الإنسان خلقه وهو عاشق للكمال، وعشقه لتحصيل الكمال في أصل تكوينه وهو المعبر عنها بالفطرة قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِن مَّا أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١) وقال: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ط وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(٣) وقال: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾^(٤).

(١) سورة الروم الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ١٣٨ .

(٣) سورة الشمس الآية ٨ .

(٤) سورة الأنبياء الآية ٣٧ .

وسأترك البحث عن فطرة الله عَلَّمَ التي فطر الناس عليها إلى مباحث التوحيد الشريفة إن شاء الله تعالى وسأمر مروراً سريعاً على الآية الأخيرة أعني قول تعالى: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ للحاجة إليها.

إعلم أيها العزيز إن المفسرين قد اختلفت أقوالهم في تفسير هذه الآية الكريمة فمنهم من فسر الإنسان بجنس الإنسان، ومنهم من فسره بآدم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقط، واختلفوا أيضاً في تفسير كلمة (عجل) الواردة في الآية الكريمة، وأهم هذه الأقوال ثلاثة:

القول الأول: أن المراد من العجل هو الطين الذي خلق الله منه آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ واستشهدوا بقول الشاعر.

والنبع ينبت بين الصخر ضاحيةً

والنخلُ ينبتُ بين الماء والعجلِ

القول الثاني: هم أولئك الذين فسروا العجل بحسب المعنى اللغوي لهذه الكلمة وإن اختلفت كلماتهم، فقال قتادة: المراد به أنه خلق الإنسان عجولاً والمراد بالإنسان جنس الإنسان ومعنى العجلة هو تقديم الشيء قبل وقته والعجول هو الذي يكثُر من طلب الأشياء قبل وقتها وهو مذموم وقد إتجه الكثير من المفسرين لتبني هذا المعنى من دون التوجه من أن للعجلة معنى آخر ممدوح.

وقال مجاهد: المراد أن الله خلق كل شيء آخر نهار يوم الجمعة وهو آخر أيام السنة على سرعة معجلاً به غروب الشمس وقوله هذا مرفوض لعدة وجوه أهمها أن الزمان شيء متكون من دوران الأفلاك، فإن كان الزمان من هذا الشيء الذي خلقه الله في آخر نهار يوم الجمعة يلزم منه وجود الشيء وعدمه في آن واحد وهو محال، وأما أن يقول أن الزمان ليس بشيء وهذا

ما لا يقول به عاقل: أو أن يقول أنه خارج عن الأشياء فلماذا لم يستثنه في الكلام؟! أن الله لا يعجل لأنه لا يخاف الفوت فالعجلة صفة المخلوق لا الخالق.

وقال ثالث: أن العجلة في سرعة خلق الله لآدم عليه السلام فهو لم يخلقه كباقي الناس من نطفة ثم مضغة ثم علقة إنما أنشأه إنشاءً، فنبه الله عز وجل في هذه الآية على الآية العجيبة في خلقه لآدم عليه السلام وهذا القول مستعبد أيضاً لأن الله عز وجل قد صرح بكيفية خلق آدم عليه السلام في آيات كثيرة في القرآن الكريم من أنه خلق من طين ولم يخلقه في رحم الأمهات.

القول الثالث: البلخي الذي قال: أن العجلة من فعل الله وهو ما طبع الله عليه الخلق من طلب سرعة الأشياء، وهو كما خلقهم يشتهون أشياء يميلون إليها، ويحسن أمرهم بالتأني عنها والتوقف عن ذلك فلاجل ذلك قال: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوا﴾ كما حسن نهيهم عن ارتكاب الزنا الذي تدعوهم إليه الشهوة.

وبعد هذه الأقوال أطرح هذا السؤال: هل العجلة مما طبع الله عليه الناس أم هو نتيجة لذلك الطبع؟ وبقول آخر: هل العجلة من فطرة الله التي فطر الناس عليها أم هي نتيجة لتلك الفطرة؟

إعلم رحمك الله بعد أن قلنا أن الله عز وجل خلق الإنسان وهو طالب لكماله اللائق به جاءت هذه الآية الكريمة لتحديد طبيعة هذا الطلب وليس لتأسيس مطلب جديد في طبيعة الإنسان وفطرته، فمعنى الآية الكريمة أن الإنسان عجول في تحصيل كماله، وللعجلة معنى واحد وهو تقديم الشيء قبل وقته وبكلمة أدق هو السعي لتحقيق شيء قبل مواعده في نفس الأمر سواء تحقق في مواعده أم لا. فإن كان سعيه لتحقيق الخير كان استعجاله خير وإن

كان سعيه لتحقيق الشر كان إستعجاله شراً مع انهما سعي لتحقيق ما ظن به الإنسان أنه كمال له، ولكن اختلاف اتجاه السعي هو الذي يحدد كون العجلة ممدوحة أو مذمومة قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾^(١). فهو يعجل بكل ما يقع في قلبه خير أم شر، وكان استعجال قوم موسى عليه السلام مذموم وعجلتهم كانت سبب لعنهم لوقوعهم بعبادة العجل والسامري، كما وقع غالب هذه الأمة بعبادة عجلها وسامريها بعد قبض رسول الله ﷺ فقال تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾^(٢)، وقال الإمام علي عليه السلام: «لا تعجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا»

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «مع التثبيت تكون السلامة، ومع العجلة تكون الندامة»، هذه صور من العجلة المذمومة وأما العجلة الممدوحة هو ما وقع في جواب موسى عليه السلام لقول تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ﴾^(٣). فكان جواب موسى عليه السلام ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾^(٤). فهذه عجلة لرضا الله ﷻ وهي عجلة ممدوحة، ومنها أيضاً هتاف نبينا الأكرم ﷺ ببلال المؤذن إذا حان وقت الصلاة: أرحنا يا بلال بالصلاة (وعجلتُ إليك ربي لترضى) هذه عجلة عشق الموحدين المخلصين الذائبين بعبودية رب العالمين الذين لسان حالهم (ممن دأبهم الإرتياح إليك والحنين ودهرهم الزفرة والأنين، جباههم ساجدة لعظمتك وعيونهم ساهرة في خدمتك، ودموعهم سائلة من خشيتك، وقلوبهم متعلقة بمحبتك وأفئدتهم منخلعة من مهابتك).

(١) سورة الإسراء الآية ١١ .

(٢) سورة الأعراف الآية ١٥٠ .

(٣) سورة طه الآية ٨٣ .

(٤) سورة طه الآية ٨٤ .

ويرددون أبدأ (يامن أنوار قدسه لأبصار محبيه رائقة، وسبحات وجهه لقلوب عارفيه شائقة، يا منى قلوب المشتاقين وياغاية آمال المحبين) وهم الذين مدحهم الله بكتابه الكريم فقال: ﴿وَالسَّيِّقُونَ السَّيِّقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(١) فقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أن الله تعالى لما جعل الروح في أكثر جسد آدم عليه السلام وثب عجلان مبادراً إلى ثمار الجنة وفي رواية أخرى مبادراً إلى الثواب، والعجلة إلى طلب الثواب هو طبيعة الأنبياء عليهم السلام، وهو يوافق آيات كتاب الله المجيد فإن آدم عليه السلام خلق على الفطرة وهو عشقه للكمال في الخلود والملك الذي لا يبلى بأن يكون له ما للملائكة من التنعم بعبادة الله عزَّ وجلَّ وجنة رضوانه وقد علم بأن الله تعالى: لم يخلقه لتلك الدار التي هو فيها والتي وعده بـ ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾﴾^(٢) فهي دار الخلود والعقول المحضة والأنوار الملكوتية ليس فيها إلا ذكر الله عزَّ وجلَّ بل أن الله خلقه لكي يستخلفه في أرضه وهي دار الموت والجوع والعطش والعري والحسد والبغض وسفك الدماء، فمن فطرة آدم في حبه للكمال وخشيته من النقص ولج إبليس بوسوسته له ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾﴾^(٣)، وقال لهما ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰ رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿١٢١﴾﴾^(٤). فعكس لهما اللعين الأمور وهو على علم ويقين بعاقبة ذاك الأكل وهو الطرد والشقاء والموت ولما كان آدم عليه السلام محباً وطالباً لكماله الذي هو مقام العبودية وعشق الربوبية وكان عجول في حفظ هذا المقام من أن تتغير النعمة عليه لعلمه مسبقاً أنه لم يخلق للبقاء

(١) سورة الواقعة الآيات ١٠-١١ .

(٢) سورة طه الآيات ١١٨-١١٩ .

(٣) سورة طه الآية ١٢٠ .

(٤) سورة الأعراف الآية ٢٠ .

في دار الجنان ابتداءً أبل لا بد له ولذريته من بعده أن يَمروا بدار الدنيا وقد عرف عنها ما عرف فشغلته تلك المعرفة في دار الجنان للبحث في نفسه الطاهرة عن السبيل للبقاء في مقام الملكوت ولم يكن في حسابانه أن يوجد في ذلك المقام موجود قد إنشغل بغير عبادة الله وتسبيحه وتنزيهه فاستغل إبليس لعنه الله ذلك فأقسم له بالله، وآدم عليه السلام في محل لا يدخل في ظنه أنه يوجد في الخلق مخلوق قط يحلف بالله كاذباً في محل الصدق والذكر والعبادة فقال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ ﴾^(١).

(جاء عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لما أخرج آدم من الجنة نزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا آدم أليس الله خلقك بيده فنفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكته وزوجك حواء وأسكنك الجنة وأباحها لك ونهاك مشافهة أن لا تأكل من هذه الشجرة فأكلت منها وعصيت الله، فقال آدم عليه السلام: يا جبرائيل إن إبليس حلف لي بالله أنه لي ناصح فما ظننت أن أحداً من خلق الله يحلف بالله كاذباً»^(٢)، فاستعجال آدم عليه السلام للخلود عجلت بخروجه من الجنة وتمت مقادير الله عز وجل، فالإنسان إذا ميال بفطرته لتحصيل كماله اللائق به، وهو لا يتأني بكسب ما ظن به أنه خير له سواءً كان ما طلبه خير بحد ذاته أم شر بل هو عجول في تحصيله وبما أن الإنسان متكون من مجموعة من القوى المتنازعة فيما بينها بتركيبة اختص الله تعالى بها الإنسان من بين سائر خلقه، وجعلها محركاً لسيره وكدحه ليبلغ بها أعلى مراتب الكمال فقد يكون مسجوداً للملائكة، وتفتخر الملائكة بخدمته، أو يختار بسعيه للسقوط في أدنى دركات النقص والهاوية، فكل قوة جهز الله تعالى بها الإنسان تسعى لتحصيل كمالها فقوته الشهوية أو البهيمية تسعى

(١) سورة الأعراف الآية ٢١ .

(٢) تفسير القمي رحمته الله ج ١ ص ٢٢٤ .

لتحصيل كمالها عن طريق تحصيل جميع مشتبهاته من الطعام والشراب والنكاح وغيرها من دون أن تعبأ بكونها حلال أو حرام، بل إن الحلال والحرام تمثل قيوداً لها وصارفة عن تحقيق مشتبهاتها، وأما القوة الغضبية والسبعية فشأنها تحصيل كمالها لظهور الأفعال السبعية من التكالب والغضب والتوثب على الناس بأنواع الأذى وإخضاع الآخرين لسيطرته العدوانية وإستعمال الجوارح من غير رقيب تحت واعز الغضب ليس إلا، وقوة ثالثة وهمية شيطانية تأزُّ النفس الإنسانية إذ توسوس له بكل إتجاه، وقوة رابعة وهي القوة العاقلة شأنها إدراك حقائق الأمور والتمييز بين الخيرات والشرور والتوجيه إلى ما ينبغي فعله من الأفعال الجميلة والصد عما لا ينبغي فعله من الأفعال القبيحة.

ومن الظاهر أن كل قوة لها إتجاه مغاير بالتمام للقوى الأخرى عدا القوة الواهمة فإنها قادرة على أن تطير في كل اتجاه وتحط على كل غصن، وأضرب لك مثلاً على اختلاف هذه القوى، فالقوة العاقلة مثلاً كمالها بالانشغال بالأمور العقلية المحظية كادراك الحقائق، وحين ينشغل البدن بإعطاء باقي القوى مستلزماتها ينصرف بانشغاله عن طلب القوة العقلية لكمالها، وتحدد له قدراتها بل قد تعطلها، فحينما ينصرف البدن لأداء كمال القوة الشهوية للطعام مثلاً والوصول به إلى حد التخمة يصاب العقل بالخمول والنقص وإليه الإشارة بقول النبي المصطفى عليه السلام: «الفكر نصف العبادة، وقلة الطعام هي العبادة»، وقال: «لاتميت القلوب بكثرة الطعام والشراب فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر الماء عليه». والأمر في شهوة النكاح أعظم وأخطر، روى شيخنا الكليني رحمته الله في الكافي الشريف عن عدة من أصحابنا عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن الحسن بن أبي قتادة عن رجل عن جميل بن دراج قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: ماتلذذ الناس في

الدنيا والآخرة بلذة أكثر من لذة النساء وهو قول الله ﷻ: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾^(١)، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «زوال العقل بين دواعي الشهوة والغضب»^(٢) وقال عليه السلام: «من لم يملك شهوته لم يملك عقله»^(٣) فمملكة البدن إذاً في حالة نزاع وصراع دائم بين هذه القوى المتناحرة وكل قوة منها طالبة لكمالها وطالبة لأن تكون هي القوة العظمى الأمرة الناهية والمسيطرة على تمام هذه المملكة، ولهذه الحقيقة أشار الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: «العقل والشهوة ضدان ومؤيد العقل العلم ومزين الشهوة الهوى، والنفس متنازعة بينهما فأيهما قهر كانت في جانبه».

قد ثبت مما تقدم حقائق ثلاث:

الحقيقة الأولى: أن النفس الإنسانية مخلوقة من عدة قوى متنازعة فيما بينها وهي القوة العاقلة، والقوة الشهوية، والقوة الغضبية، والقوة الوهمية أو الشيطانية.

الحقيقة الثانية: أن هذه القوى المتنازعة فيما بينها كل منها طالب لكمالها اللائق به فحقيقة النزاع إذاً واقع في فطرة الإنسان.

الحقيقة الثالثة: أن النفس الإنسانية عجولة في طلب تحقيق كمالها وقد قامت على هذه الحقائق مسألتان.

المسألة الأولى: لمعرفة الجهة التي تقوم بفك هذا النزاع المتواجد في فطرة الإنسان فهل هو نفس الإنسان بالتوجه إلى فطرته لحل هذا النزاع أم غيره؟ وإذا كان غيره فمن هو؟

(١) ج ٥ ص ٣٢٠ كتاب النكاح.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٢١٠-٢١١.

(٣) مستدرک الوسائل ج ١١ ص ٢١٠-٢١١.

المسألة الثانية: أن الإنسان عجول في طلب كماله وعجلته لتحقيق كمال كل قوة من قواه المتنازعة فيما بينهما محتاجة إلى كابح لهذه العجلة يمنعها عن الإفراط أو التفريط ويوجهها للممدوح منها دون المذموم فهل هذا الكابح أو المرشد الهادي هو نفس فطرة الإنسان أم غيره؟ ولو كان غيره فمن هو؟ وكيف هو؟

أما جواب المسألة الأولى: فقد تقدم مسبقاً أن منشأ هذا النزاع هو فطرة الإنسان، فلا يمكن أن تكون هي نفسها منشأ لحل هذا النزاع لأن فاقد الشيء لا يعطيه، فلا بد أن يكون الحل من غيرها، والعقل يدرك هذا النزاع ويدرك عجزه عن حله، ويدرك وجوب وجود حَكَم يرجع إليه، وأنه يجب أن يكون بتعيين من الحكيم العليم الذي فطر كل شيء خلقه، وهذا لا يكون إلا وحيًا، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ﴾^(١) لأنه ألطف عن مدى ما تبلغه الأوهام فسبحانه الذي جعل حلاوة المسير إليه بالأوهام في مسالك الغيوب.

من ذاك الذي أوحى الله إليه لحل ذاك النزاع! قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾^(٢).

فالمعصوم عليه السلام هو الذي قرن الله طاعته بطاعته وأوكل الله إليه فك ذلك النزاع وحفظ النظام، وإسناد فك النزاع إلى القرآن الكريم من دون المعصوم عليه السلام عملاً بمقولة كفانا كتاب الله ما هو إلا ضلال مبين وتكذيب

(١) سورة الشورى الآية ٥١ .

(٢) سورة النساء الآية ٥٩ .

للقرآن الكريم ولو كان القرآن الكريم بمفرده كافياً كما يزعمون فيها هو القرآن الكريم بين أيديهم يقيمون على تلاوته فما بالهم متنازعين متناحرين يفتون الناس بغير علم ولا يقين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ومالوا على عترة رسول رب العالمين ظالمين لهم وقاتلين لدمائهم سافكين ولنسائهم سابين ولعيلاتهم ضاربين ولأموالهم مصادررين، ولاشياعهم ومحبيهم نابذين ولأعدائهم وظالميههم مقربين، وبعد كل ذلك يزعمون أنهم للقرآن مصدقين وبسنة رسول الله ﷺ عاملين!!؟

فلماذا لم ينتفع القوم بالقرآن الكريم؟ لم ينتفع القوم بالقرآن الشريف لا لتركهم العترة الأطهار ﷺ فقط، بل لتركهم القرآن الكريم قبل العترة الطاهرة ﷺ لأنهم قد تركوا محتواه والعمل بمعناه فأضاعوا مقاصده وغاب عن عقولهم أن القرآن الكريم فيه المجمل والمفصل، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والظاهر والباطن وللظاهر ظاهر وللباطن باطن إلى سبعين بطن وفيه ما نزل على العبارة، وفيه ما نزل على الإشارة وفيه، وفيه.

ولا يحيط علماً بذلك إلا أهل الذكر الذين أمرنا الله تعالى بسؤالهم والرجوع إليهم بعد أن أخذ العهد لهم على خلقه بالطاعة والتسليم، وأن لا يقولوا حتى يعلموا ولا يردوا ما لم يعلموا، روى علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن يونس بن عبد الرحمن عن أبي يعقوب إسحاق بن عبد الله عن أبي عبد الله ﷺ قال: (إن الله خص عباده بآيتين من كتابه أن لا يقولوا على الله ﴿إِلَّا الْحَقَّ﴾ وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(١).

إذا أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الإنسان من مجموعة من القوى المتنازعة فيما بينها والطالب كل منها لكمالها اللائق بها لم يتركها الله من دون هادياً ولا مرشداً بل بعث لهم من أنفسهم رسلاً وأنزل عليهم كتباً ليعلموا الناس بآيات كتب الله طريق نجاتهم وتوجيه قواهم لما فيه خيرهم وصلاحهم واصطفى الله وَجَلَّ سَعْدُ سيد خلقه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليكون آخر الأنبياء وخاتمهم وسيدهم وأشرفهم وأعلمهم وأفضلهم وأقربهم منزلة وأرفعهم درجة وخاتماً لجميع الشرائع السماوية السابقة بشريعة سمحة شاملة متكاملة مستمرة إلى قيام يوم الدين، هذه الشريعة المقدسة قادرة على نظم قوى النفس الداخلية والخارجية بعضها مع بعض بوضع ميزان القسط فيما بينها وهذا يستحيل تحقيقه بالإسلوب النظري فقط من دون وجود حقيقة شاخصه مجسمة لتمام شريعة الله المدونة في كتابه فأنزل الله وَجَلَّ سَعْدُ القرآن الكريم الذي فيه ﴿تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِّلْمُسْلِمِينَ﴾^(١) على نبي كريم هو حقيقة ناطقة لتمام القرآن الكريم ليكون أسوة للناس تهتدي الخلق بهديه، وتتنعم بفيضه قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٢)، فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو القرآن الناطق الذي لولاه لكان كتاب الله صامت فلقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام قرآناً متحركاً في وسط الناس ثم جعل الله وَجَلَّ سَعْدُ تلك المنزلة الشريفة من بعده لعترته ولثقله الأكبر بين خلقه يلازمون القرآن والقرآن يلازمهم حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قال أبو عبد الله عليه السلام: (لا يسعكم فيما ينزل بكم مما لا تعلمون إلا الكف عنه والتثبيت والرد إلى أئمة الهدى حتى يحملوكم فيه على القصد

(١) سورة النحل الآية ٨٩ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

ويجلوا عنكم فيه العمى ويعرفوكم فيه الحق قال الله تعالى: ﴿فَتَسَلُّوا أَهْلَ
الَّذِ كُرِّ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾^(١).

وروى علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن ابن مسكان
عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام قال: (إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولولا
ذلك لم يعرف الحق من الباطل)^(٢) وأنقل هذه الرواية الشريفة الجامعة لمقاصد
فضل الإمام وصفاته عن أبي محمد القاسم بن العلاء رحمته الله رفعه عن عبد العزيز
بن مسلم قال: (كنا مع الرضا عليه السلام بمرور فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة
في بدء مقدمنا فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة اختلاف الناس فيها فدخلت
على سيدي عليه السلام فأعلمته خوض الناس فيه فتبسم عليه السلام ثم قال يا عبد
العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم إن الله عز وجل لم يقبض نبيه صلى الله عليه وآله حتى
أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن فيه تبيان كل شيء بين فيه الحلال والحرام
والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كاملاً فقال عز وجل: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي
الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ وأنزل في حجة الوداع وهي آخر عمره صلى الله عليه وآله ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وأمر الإمامة من
تمام الدين ولم يمض صلى الله عليه وآله حتى بين لأمته معالم دينهم وأوضح لهم سبيلهم
وتركهم على قصد سبيل الحق وأقام لهم علياً عليه السلام علماً وإماماً وما ترك
لهم شيئاً تحتاج إليه الأمة إلا بينه فمن زعم أن الله عز وجل لم يكمل دينه فقد رد
كتاب الله ومن رد كتاب الله فهو كافر به، هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من
الأمة فيجوز فيها إختيارهم، إن الإمامة أجل قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً
وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو
يقيموا إماماً باختيارهم إن الإمامة خص الله عز وجل بها إبراهيم الخليل عليه السلام

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ٥٠ باب النوادر ح ١٠.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٨ باب أن الأرض لا تخلو من حجة.

بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثةً وفضيلة شرفه بها وأشاد به ذكره فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ فقال الخليل عليه السلام سروراً بها ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة وصارت في الصفوة ثم إلى أن قال عليه السلام: الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذي يبلغ معرفة الإمام أو يمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الأبواب وخسأت العيون وتضاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماة وحصرت الخطباء وجهلت الألباء وكلت الشعراء وعجزت الأدباء وعييت البلغاء عن وصف شأن من شأنه أو فضيلة من فضائله وأقرت بالعجز والتقصير، وكيف يوصف بـكله أو ينعت بـكنهه أو يفهم شيء من أمره أو يوجد من يقوم مقامه ويغني عنه لا كيف وأنى وهو بحيثُ النجم من يد المتناولين ووصف الواصفين فأين الاختيار من هذا وأين العقول عن هذا وأين يوجد مثل هذا؟ أتظنون أن ذلك يوجد في غير آل الرسول محمد ﷺ؟ كذبتهم والله أنفسهم ومنتهم الأباطيل فارتقوا مرتقاً صعباً دحضاً تزل عنه إلى الحضيض أقدامهم راموا إقامة الإمام بعقول حائرة باثرة ناقصة وآراء مضلة فلم يزدادوا منه إلا بعداً قاتلهم الله أنى يؤفكون ولقد راموا صعباً وقالوا إفكاً وضلوا ضلالاً بعيداً ووقعوا في الحيرة إذ تركوا الإمام عن بصيرة وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدتهم عن السبيل وكانوا مستبصرين رغبوا عن اختيار الله واختيار رسول الله ﷺ وأهل بيته إلى اختيارهم والقرآن يناديهم ﴿وَرُبُّكَ يُخَلِّقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وقال عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦) أم لَكُمْ كَيْفَ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ

لَمَّا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَلِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا بِهِمْ
 بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَمَا يُؤْتُوا مِنْهُمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾ وَقَالَ عَجَّلًا : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
 الْفُرْعَانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ أم (طبع) الله ﴿ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُوْنَ ﴾
 أم ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضَّمُّ الْبِكْمُ
 الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿٤٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ
 مُعْرِضُونَ ﴿٤٣﴾ أو ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ﴾ بل هو ﴿ فَضَّلُ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
 وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ فكيف لهم باختيار الإمام والإمام عالم لا يجهل وراع لا ينكل
 معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة مخصوص بدعوة
 الرسول ﷺ ونسل المطهرة البتول، لا مغمز فيه في نسب، ولا يدانيه ذو
 حسب، في البيت من قريش والذروة من هاشم والعتره من رسول الله ﷺ
 والرضا من الله ﷻ شرف الأشراف والفرع من عبد مناف نامي العلم كامل
 الحلم مطلع بالإمامة عالم بالسياسة مفروض الطاعة قائم بأمر الله ﷻ ناصح
 لعباد الله حافظ لدين الله..^(١) إلى آخر الرواية الشريفة.

إذا إن الإنسان من حيث فطرته التي فطره الله عليها بتكونه من مجموعة
 من القوى المتنازعة فيما بينها لبلوغ كل واحدة منها لكمالها اللائق بها
 محتاجة إلى شريعة إلهية وإلى قدوة سالحة وأسوة حسنة يرشد الناس إلى
 تعاليم ربهم ويعلمهم ويزكيهم قال تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ
 بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٢). هذا من حيث فطرة
 الإنسان أما من حيث كونه عجولاً في طلب كماله فحيثية العجلة المودعة

(١) الكافي الشريف ج ١ ص ١٩٨-٢٠٢ ح ١ باب نادر جامع في فضل الإمام

وصفاته ﷺ.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

فيه تحوجه إلى وجود كباح يمنعه عن العجلة المذمومة ويترك الممدوح منها للانطلاق في فناء رضوان الله وَجَلَّ ، وهذا الواعز لا يمكن أن ينطلق من نفس فطرة الإنسان المتنازعة لأن فاقد الشيء لا يعطيه بل لا بد من وجود واعز خارجي عن النفس الإنسانية معصوم بشري يحمل جميع القوى التي عند بني البشر وزيادة قد وظف جميع قواه لطاعة معبود واحد هو الله وَجَلَّ ولذا حينما سئل أمير المؤمنين عليه السلام بم بلغت ما بلغت يا أمير المؤمنين أجاب عليه السلام: «وقفت على باب قلبي فلم أدعُ أحد يدخله سواه»: فوجود القدوة الصالحة والأسوة الحسنة المتمثلة بوجود المعصوم عليه السلام هو ذلك الواعز الرباني الذي يقوم بعملية توجيه قوى النفس المتنازعة إلى الائتلاف والاتفاق إذا ما توجهت إليه لتحقيق حقيقة واحدة وهي عبودية الله الواحد القهار ذلك الدين القيم لا إكراه فيه ، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^(١). فقله سبحانه ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ إذ الإكراه هو إلزام الغير فعلاً لا يرى فيه خيراً ولكن: ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ والألف واللام هنا للإستغراق أي أن كل رشد وكل غي صار بائناً واضحاً مميزاً حتى صار الداخِل في هذا الدين رغبة لا مكره عليه ، ولعدم قرينة التخصيص في المقام الخطابِي بزمان دون زمان ، وبأحد دون أحد فالرشد والغي يتن في كل زمان لكل أحد وهذا لا يكون إلا بديمومة القدوة الصالحة والأسوة الحسنة المقيم على حفظ الدين عن الإنحراف والتغيير.

روى في عيون الأخبار بإسناده إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام ، عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: (قال رسول الله ﷺ من أحب أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ويعتصم بحبل الله المتين ، فليوالي علياً

بعدي، وليعادي عدوه، وليأتم بالأئمة الهداة من ولده) وروى في كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته أنا حبل الله المتين، وأنا عروة الله الوثقى)، فالأئمة الأطهار عليهم السلام هم العروة الوثقى وهم الأسوة الحسنة التي لا انفصام لها) أي لا إنقطاع لها ويقال للشيء فصمته أي قطعته أو كسرتة ثم قال سبحانه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ﴾، والفاء للترتيب في الإخبار أي فنقول من يكفر أو جزاء لشرط مقدر والتقدير إذا تبين الرشد فمن يكفر (بالطاغوت) إلى آخر الآية الشريفة.

وروى عن حذيفة بن أسيد، قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا حذيفة، إن حجة الله عليكم بعدي علي بن أبي طالب عليه السلام. الكفر به كفر بالله، والشرك به شرك بالله، والشك فيه شك في الله، والإلحاد فيه إلحاد في الله، والإنكار له إنكار لله، والإيمان به إيمان بالله، أخو رسول الله صلى الله عليه وآله ووصيّه، وإمام أمته، وهو حبل الله المتين، وعروته الوثقى لا انفصام لها، وسيهلك فيه إثنان ولا ذنب له: غالٍ، ومقصر، يا حذيفة لا تفارقن علياً فتفارقني، ولا تخالفن علياً فتخالفني، إن علياً مني، وأنا منه، من أسخطه فقد أسخطني، ومن أرضاه فقد أرضاني)^(١).

وروى عن أحدهما عليه السلام قال: (إن الله لم يدع الأرض بغير عالم ولولا ذلك لم يعرف الحق من الباطل)^(٢).

فإن الله عز وجل قد نصب نبيه محمداً وآله عليهم السلام مناراً للهدى وأعلاماً للتعلى، وأن الحق لهم وفيهم وبهم، يدور معهم حيثما داروا ميزان عدل الله وحقه الذي لا يعرف إلا بهم (من عرف الحق فقد عرف أهله) وهم الحق، وأهل

(١) تفسير البرهان الشريف ج ١ ص ٥٢٢.

(٢) الكافي الشريف ج ١ ص ١٧٨ باب أن الأرض لا تخلوا من حجة.

الحق من تولاهم وأحبهم وأبغض أعدائهم وتبرأ منهم الذين يفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم، فإن طريق الحق صعب عسير وأهله أقل القليل ممن إصطفاهم الله وَعَزَّاهُ من طينتهم الطاهرة المطهرة الذين إستيسروا ما استعسره الناس واستسهلوا ما استصعبوه، واستلأنوا ما استخشونوه، واستأنسوا ما استوحشوه، ورغبوا بما زهد فيه غيرهم وزهدوا بما رغب فيه غيرهم تتجافى جنوبهم عن المضاجع يلتذون بوصول رب المجاري والمطالع قد جعلوا نصب أعينهم النبي وآله عليهم السلام بسيرتهم يقتدون وبسنتهم يتأسون التي لولاها ما سلك سبيل الحق سالك ولضاع الدين بين شارق وغارب، فلو نظرت إلى سيرة المسلمين الملتزمين بإسلامهم على إختلاف أزمانهم وفي جميع ألوان حياتهم من فرح أو عزاء، مولد أو وفاة، زيجة أو طلاق، قتال أو سلم، تجارة أو زراعة أو صناعة في سفر أو حضر، بر أو بحر أو غيرها إلا ويذكر النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) في تلك الموارد الكريمة والمشاهد الشريفة تأسياً بحياتهم المقدسة الطاهرة.

روى في مجمع البيان أن ثعلبة بن خاطب، وكان رجلاً من الأنصار، قال للنبي صلى الله عليه وآله: «إدع الله أن يرزقني مالاً، فقال: يا ثعلبة، قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه. أما لك في رسول الله صلى الله عليه وآله أسوة حسنة؟ والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً وفضة لسارت»^(١).

وقد أجرى النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) على أنفسهم الكثير من الأحكام الشرعية التي يتحرج المسلمون عن الإتيان بها مخافة التعبير كشيوع شبهة تحريم أو تحليل مسبق عليها ومخالف لما عليه في حقيقة الأمر كاعتبار الربيب ولدأ وترتب الآثار عليه كحرمه الزواج بطليقته والتي نقض حكمها النبي صلى الله عليه وآله بزواجه من أم المؤمنين زينب بنت جحش

بعد أن طلقها ربيبه زيد، أو كاعتبار المنقصة والعييب في الزواج من الإماء ففعلها النبي وآله عليهم السلام، فقد أعتق رسول الله ﷺ أمته وتزوجها وعنده نساء قريش. وقد فعلها آل بيته عليهم السلام من بعده، وفي رسول الله ﷺ وآله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر، وجاء في كتاب علي بن الحسين عليهما السلام: (ولنا برسول الله ﷺ إسوة زوج زينب بنت عمه^(١) زيداً مولاه، وتزوج مولاته صفية بنت حيي بن أخطب)^(٢)، فقد تزوج النبي ﷺ وزوج ربيباته اللواتي كن بمثابة بنات له على قاعدة حسن الظاهر فقال: (اختاروا لنطفكم فالعرق دساس)، وقال: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه **﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾**)^(٣). فتزوج هو (صلوات الله وسلامه عليه) من الحرة والأمة بعد عتقها، ومن العربية وغير العربية، وتزوج من أعالي القوم وأشرفهم حساباً ومنزلة وثراءً من قريش كزواجه بسيدتنا ومولاتنا سيدة النساء أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام والتي بالغت في نصرة رسول الله ﷺ وإظهار الدين بعظيم المواساة في الأهل والمال والنفس والعشيرة، كما تزوج ﷺ من أدنى القوم حساباً ومنزلة ومالاً وكانت تعدهم قريش من أرادلها كزواجه من عائشة وحفصة حينما عرض أبو بكر وعمر إبنتيهما على رسول الله ﷺ للزواج فظهر من عظيم جنائتيهما ما ظهر حتى شبههما الله ﷻ في محكم كتابه الكريم بامرأتي نوح ولوط وزوج رسول الله ﷺ ربيباته لمن تقدم لهن خاطباً على حسن الظاهر حتى لا يدع للمسلمين مجالاً لرفض خطبة الخاطبين حتى جرى ما جرى من عثمان بن عفان في ضربه لرقية ربيبة رسول الله ﷺ ووفاتها من ذلك

(١) كذا ورد في الخبر والظاهر أنه اشتباه من أحد الرواة أو النساخ حيث أن الصحيح بنت عمته.

(٢) وسائل الشيعة ج ٢٠ ص ٧٥.

(٣) سورة الأنفال الآية ٧٣.

الضرب وكان الثلاثة قد آلوا على أنفسهم أن لا يخرجوا من الدنيا حتى ينفكوا دماء بنات رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾^(١) ولم يستثن رسول الله ﷺ من سنة الزواج هذه أحد إلا بضعته الطاهرة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام فإن لها شأن خاص ليس لأحد أن يتدخل فيه إلا الله ﻋَﻠَﻴْهِ السَّلَامُ وجرت سنة رسول الله ﷺ في الزواج والتزويج على تمام أمته ليستنوا بسنته ويتأسوا بفعله ولنا في رسول الله ﷺ وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) أسوة حسنة وكذا جرت سنته في الطلاق رغم أنه أبغض الحلال عند الله فقام بطلاق حفصة بعد أن اشتد إيذاؤها وافترائها على النبي ﷺ وطول صبره عليها، وعلى عائشة حتى لم يترك مجالاً لمسلم أن يعجل أحدهم بطلاق زوجته من دون صبر عليها، أو يتركها على ذمته بعد طول صبر عليها ولا إصلاح يرجى فيها، وأما التأسى بهم عليهم السلام بمقام عظيم صبرهم على عظيم البلايا وشديد المحن بما لا يخفى على الداني والقاصي حتى اشتهر قوله ﷺ: «ما أؤذي نبي كما أؤذيت». وما أؤذي آل بيت نبي كما أؤذي آل بيت رسول الله ﷺ وما جرى عليهم في هذه الأمة كان محلاً لتأسي الأنبياء السابقين عليهم السلام فاتخذوهم قدوة صالحين تعينهم على تحمل مشاق النبوة والدعوة إلى عبودية رب العالمين، روى في علل الشرائع عن أبي عن سعد عن أبي يزيد عن محمد بن سنان عن عمار ابن مروان عن سماعة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: (إن إسماعيل كان رسولاً نبياً سلط عليه قومه فقشروا جلده وجهه وفروة رأسه فأناه رسولاً من رب العالمين فقال له ربك يقرؤك السلام ويقول قد رأيت ما صنع بك وقد أمرني بطاعتك فمرني بما شئت فقال يكون لي بالحسين بن علي عليهما السلام أسوة)^(٢).

(١) سورة الأحزاب الآية ٥٧ .

(٢) بحار الأنوار ج ١٣ ص ٣٨٨ باب ١٥، ح ٣، كامل الزيارات الشريفة ص ١٣٧ ح ٦٢،

فإن الله سبحانه وتعالى جعل التأسى بالصالحين والإقتداء بهم سيرة عباده المؤمنين فجعل الله التأسى نافعاً لأهل الدنيا ولم يجعله نافعاً لأهل النار مبالغة في تعذيبهم ونفياً لراحة تصل إليهم فقال: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾^(١)، فأقرب العباد إلى الله تعالى أشدهم تأسياً بالمعصومين عليه السلام قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه: (فتأس بنبيك الأطهر الأطيب عليه السلام فإن فيه أسوة لمن تأسى وعزاء لمن تعزى وأحب العباد إلى الله تعالى المتأسى بنبيه والمقتص لأثره)^(٢).

إني علقْتُ بحبلهم مستمسكاً

أرجو بذاك من الإله رضاءً

أسواهم أبغي لنفسي قدوة

لا والذي فطر السماء سماءً

ومن هنا تفهم لماذا سمي الإمام إماماً لأنه قدوة للناس بل هو قدوة لجميع خلق الله وهذا لا يكون إلا بِنِصْبٍ وتعيين من الله تعالى ذكره وفرض على العباد طاعته وهذا لا يكون إلا للمعصوم عليه السلام، بل في أعلى درجات العصمة فهذا عهد معهود من عند الله تعالى ذكره، إذ قال: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَهِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٣)، وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إن الله تبارك وتعالى اتخذ إبراهيم عبداً قبل أن يتخذه نبياً وأن الله اتخذ رسولا قبل أن يتخذه خليلاً وأن الله اتخذ خليلاً قبل أن يجعله إماماً فلما جمع له الأشياء

وسائل الشيعة: ج ٢ ص ٩١٠، باب تحريم إظهار الشهامة بالمؤمن، الحديث ٢٠.

(١) سورة الزخرف الآية ٣٩.

(٢) مستدرک الوسائل ج ١٢ ص ٥١ ح ١٣٤٩٨، ونهج البلاغة: ج ٢ ص ٥٥.

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤.

قال إني جاعلك للناس إماماً^(١) فمن عظمها في عين إبراهيم قال ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ قال ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، قال: لا يكون السفية إماماً للمتقين فالإمام قدوة للثقلين ورئيس الدارين قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢).

روى شيخنا القمي رحمته الله عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (نحن هم أهل البيت وقال عليه السلام: إن أزواجنا خديجة وذريتنا فاطمة وقرّة عيننا الحسن والحسين ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ علي بن أبي طالب والأئمة عليهم السلام)^(٣). قال: أمير المؤمنين عليه السلام (فيقتدي المتقون بنا من بعدنا).

وجاء في زيارة أمير المؤمنين: (وصل على أمير المؤمنين عبدك المرتضى وأمينك الأوفى وعروتك الوثقى ويدك العليا وجنبك الأعلى وكلمتك الحسنى وحجتك على الورى وصديقك الأكبر وسيد الأوصياء وركن الأولياء وعماد الأصفياء أمير المؤمنين ويعسوب الدين وقدوة الصالحين وإمام المخلصين..)^(٤).

وجاء في وداع الأئمة عليهم السلام: (السلام عليكم يا سادة المؤمنين وأئمة المتقين وأعلام المهتدين وورثة النبيين وسلالة المرسلين وقدوة الصالحين وحجج الله على العالمين)^(٥) فالأئمة الأطهار عليهم السلام هم قدوة السابقين واللاحقين إلى قيام يوم الدين وعيسى المسيح عليه السلام هو الذي يقتدي بإمامة إمام زماننا الحجة بن الحسن العسكري رحمته الله والإمام قدوة المأموم، وأفعالهم

(١) تفسير الصافي ج ١ ص ٩٠، الكافي ج ١ ص ١٧٤ باب طبقات الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام. الحديث ٢.

(٢) سورة الفرقان الآية ٧٤ .

(٣) تفسير الصافي المجلد ٤ ص ٢٦ .

(٤) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٣٠٧ باب زيارته عليه السلام.

(٥) بحار الأنوار ج ٩٩ ص ٢٠٤ باب الزيارة الجامعة.

وأقوالهم وتقريراتهم حجة يحتج بها الله على خلقه أجمعين فإن نبي الله يحيى بن زكريا عليه السلام أوتي الحكمة صبياً وكان يبكي عن غير ذنب حتى بانث نواجذه ويواصل الصوم ولم يتزوج وإنما اختار نبينا التزويج لأنه كان قدوة في فعله وقوله وتقريراته والنكاح مما أمر الله جلّ وعلا به آدم عليه السلام وقال عنه نبينا الأكرم عليه السلام: «تناكحوا تكاثروا فإنني أباهي بكم الأمم» وقال: «مباضعتك أهلك صدقة فقيل له يا رسول الله تأتي شهواتنا ونفرح أفنؤجر؟ فقال: أرأيت لو جعلتها في باطل أفكنت تأثم؟ قال: نعم. قال أفتحاسبون بالشر ولا تحاسبون بالخير؟!».

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وحده وأوصى علي عليه السلام إلى الحسن والحسين جميعاً عليه السلام وكان الحسن عليه السلام إمامه فدخل رجل على الحسن وهو يتغذى والحسين عليه السلام صائم ثم جاء بعدما قبض الحسن عليه السلام فدخل على الحسين عليه السلام يوم عرفة وهو يتغذى وعلي بن الحسين عليه السلام صائم فقال له الرجل إني دخلت على الحسن يتغذى وأنت صائم ثم دخلت عليك وأنت مفطراً فقال إن الحسن عليه السلام كان إماماً فأفطر لئلا يتخذ صومه سنة ويتأسى به الناس فلما أن قبض كنت أنا الإمام فأردت أن لا يتخذ صومي سنة فيتأسى الناس بي»^(١) فالتأسي بالأئمة المعصومين عليهم السلام أصل رياضات جميع السالكين إلى الله عز وجل ، وقال أحد العارفين في مدح سيد المرسلين صلى الله عليه وآله:

صلى عليك ربنا دائماً

صلاته الزاكية العاطرة

ثم على العترة أهل التقى

أكرم بهم من عترة طاهرة

كذا على الآل له قدوة

للناس مثل الأنجم الزاهرة

فنسأل الله بهم رحمة

تعمنا باطننة ظاهرة

نحن حينما نمعن النظر في الروايات الشريفة السابقة وأضرابها التي تتحدث عن مقام الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة للأئمة الأطهار عليهم السلام نلاحظ أن للمعصومين عليهم السلام مع هذا المقام حالتان، حالة ما قبل توليهم منصب الإمامة وحالة ما بعد توليهم منصب الإمامة، فإن فعله لشيء ما قبل توليه لمنصب الإمامة فيدل على أنه من السنة الممدوحة أو يقوم الدليل على وجوبه، فصيام المعصوم عليه السلام يوم عرفة قبل توليه لمنصب الإمامة لا يدل على أكثر من جواز الصيام يوم عرفة أما لو فرض وقوع الصيام من المعصوم عليه السلام يوم عرفة بعد توليه لمنصب الإمامة لدل على أن صيامه سنة، ولعدم وقوعه بعد تولي الإمامة دل على أن صيامه ليس من السنة حتى يقوم دليل على خلافه وهذا من المباحث الفقهية قد تم ذكره هنا لبيان أمرين

الأول: إن هذا الدين بأدق تفاصيله لم يأتِ اعتباطاً، بل شرعه الله جل

وعلا ليطابق تكوين الإنسان ويسموا به إلى كماله اللائق به.

وثانياً: إن المباني الفقهية قائمة على المباني العقائدية فلا يمكن الولوج

في المباني الفقهية من دون الانتهاء من المقدار المعول عليه في المباني

العقائدية في الرتبة السابقة، وخلاصة الكلام أن الله وَجَلَّ فَطْرُ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ

كل نوع من أنواع الخليقة وهو طالب لكمالها، وقد جهزها الله تعالى في

أصل تكوينها ما يتناسب غاياتها ويكفل لها القدرة على الوصول لكمالها

اللائق بها وهو مقر سعادتها قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ،

ثُمَّ هَدَىٰ ﴿١﴾. وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾﴾.

فكل نوع من أنواع الخليقة له غايته التي يتوجه إليها من أول وجوده حتى يبلغها وكل منها يسعى بتكوينه لتحصيل كماله الذي يتناسب معه، وليس له إلا حياة خاصة وسنة خاصة وسبل معينة تتناسب مع نوعه ليسلك بها إلى غاية مشخصة ليس له إلا سلوكها، فبذرة التفاح مثلاً إذا استقرت في الأرض واجتمعت لها العلل والشرائط المناسبة لنموها كالرطوبة والحرارة ونحوهما وارتفعت الموانع التي تمنعها عن ذلك أخذ لبها في النمو والازدياد قاصداً الوصول لكمالها اللائق بها وهو بلوغ النبات مبلغ شجرة التفاح المثمرة فبذرة التفاح لا ينشأ منها إلا شجرة تفاح ولا ينشأ منها شجرة برتقال أو رمان كما أن بذرة البطيخ لا ينتج منها إلا بطيخاً ولا ينتج منها شجرة قرع فرغم اختلاف شرائط بعض أفراد النوع الواحد عن البعض الآخر إلا أن العلل الحاكمة لكل نوع واحدة، وأما الإنسان فإنه كسائر الأنواع المخلوقة مفطور بفطرة تهديه إلى تتميم نواقصه وتحصيل كماله اللائق به قال تعالى: ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ ﴿٣﴾، وأن بني البشر متساوون عموماً في تكوينهم من بدن وروح لهم سبيل للسعادة واحد، تجمعهم سنن واحدة للوصول إلى غاية واحدة ومشخصة قال تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ﴿٤﴾، ويقول: ﴿لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ أن الإنسان على اختلاف أفراده ومجتمعاته وأقطاره وعاداته وأمهه وأزمانه هو حقيقة واحدة سالكة ضمن سنن واحدة لتحصيل سعادته التي فيها كماله والتي ليس له فيها إلا سبيل واحد هو الذي ينسجم انسجاماً تاماً وكاملاً مع

(١) سورة طه الآية ٥٠ .

(٢) سورة الأعلى الآيات ٣-٤ .

(٣) سورة عبس الآية ٢٠ .

(٤) سورة الروم الآية ٣٠ .

تكوينه وتركيبه وذاك السبيل هو دين الله وشريعته المحمدية الخالدة المنطبقة بالتمام مع البنية الإنسانية، والملبية لجميع احتياجاته المادية والروحية، والقادرة على إيصال قواه المتنازعة إلى قوى متآلفة متصادقة يشد بعضها بعضاً للوصول به إلى السعادة الأبدية التي هي عين كمالها اللائق بها.

روى في الكافي عن هشام بن الحكم قال: (قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: أما أن أبدانكم ليس لها ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها بغيرها)^(١).

فإن الله سبحانه وتعالى جهز الإنسان بجهاز هضمي للتغذي، وجهاز تناسلي للتوالد، وجهاز للبصر وجهاز للسمع وغيره، فلا بد من وجود أصول عملية وقوانين وسنن حاكمة تضمن لجميع هذه الأجهزة والقوى الفرص العادلة واللائقة بها للوصول إلى كمالها الذي يضمن سعادة الفرد بما اقتضته إنسانيته لتنعكس على سعادة المجتمع والأمة ولا يكون ذلك إلا بشريعة متكاملة لا تصدر إلا عن فطر الخلائق أجمعين لتضمن لهم التوازن المشترك في العيش الكريم، ثم لوراثة جنة النعيم، فجعل الله لشريعته قيماً حافظاً ودليلاً يدل عليها وأسوة نقتدي بها فاقتفت الناس آثارهم واستدللت بأقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم فهداهم الله إلى سعادتهم بحسن عواقبهم وأما من ظل وكفر واختار العمى على البصر ودس بالتراب فطرته فقد خاب في الدنيا سعيه وذلك الخسران المبين نستجير برب العالمين وبمحمد وآله الميامين من سوء المنقلب إنه سميع مجيب.

(١) مدارك الاحكام للسيد العاملي ج ١ ص ٣ القضاء والشهادات للشيخ الأنصاري ص ٢٤٠ رواه بقوله (فللعوام أن يقلدوه) وهو الأدق.

وقفة مع النفس

إعلم هداك الله بهديه أن من مقام الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة تعلم سر اتجاه الناس جميعاً على اختلاف أممهم ومجتمعاتهم وأفرادهم وتقلب أحوالهم إلى محبتهم لمن يقتدى به، حيث أن حاجة الفرد أو الأمة إلى من يقتدى به أو بها هي حاجة فطرية وليست زائدة عليه في طلب كل إنسان للوصول إلى كماله اللائق به، ومن هذه الحاجة الفطرية الملحة أوجد الله ﷻ لخلقه خلقاً من أنفسهم ميزهم سبحانه بالعصمة والظهارة وأمدهم بكل ما يحتاجون إليه لهداية الناس وأمر الناس باتباعهم بعد أن دل عليهم بدلائله الواضحات وبراهينه الصادقات، فنصبهم أعلاماً لخلقه صادقاً بعد صادق لم يخلُ الزمان من أحدهم، ظاهر في خلقه أو مستتر، وقد جعلهم تبارك وتعالى على مراتب في العصمة والظهارة وأمر أصحاب كل رتبة بالاقتران والتأسي بأصحاب الرتبة الأعلى منها حتى تنتهي تلك المراتب بالمرتبة الأعلى التي لا يعلو عليها شيء إلا الله تبارك وتعالى وهي المرتبة المختصة بالنبي المصطفى محمد وآله الأطهار (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التي تنتهي إليها كما ابتدأ منها جميع وسائل الخير والصلاح ويتحقق بها ومنها وإليها جميع مسالك الفلاح والنجاح، وقد نصب النبي وآله ﷺ في مختلف أصقاع أرض المسلمين أعلاماً لخلقه فقهاء علماء أمناء يرجع إليهم لمن شق عليه الوصول إليهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) ولما زادت حاجة الناس إلى الفقهاء في زمان غيبة إمام زماننا (ع) وسهل مخرجه وجعلنا من خدامه المتمسكين بنور ولايته) شدد هو (صلوات الله عليه) الأمر باتباعهم وطاعتهم وقرن طاعتهم بطاعته المقدسة لما يقوم على هذا الأمر من صلاح الأمة وسلامة دينهم ودنياهم، ولأهمية هذا المقام المقدس ألا وهو مقام الإقتداء والتأسي وكونه مقاماً نابعاً عن الحاجة الفطرية

للناس لم يتركوه عليه السلام من دون شرح وبيان بل نصبوا للناس ميزاناً يرجعون إليه للتمييز بين الفقيه والسفيه الذي تلبس بلباس أهل العلم والورع فقال الإمام العسكري عليه السلام: «من كان من الفقهاء صائناً لنفسه مخالفاً لهواه مطيعاً لأمر مولاه فعلى العوام أن يقلدوه»^(١).

فاتباعهم والإقتداء بهم لا يكون حتى تتحقق فيهم تلك الشرائط العزيزة النفسية والعلمية وهذا ما لا يدركه كل عالم ولذا قال عليه السلام بعدها: «وذلك لا يكون إلا في بعض فقهاء الشيعة لا جميعهم» كي لا يركن الناس إلى المسميات بل يجب عليهم وجوباً عينياً أي على كل إنسان مكلف السعي في تحصيل اليقين عن مقتدي بهم ويتأسى بأقوالهم وأفعالهم التي تشير كلها لعبودية الله تعالى وطاعته، بطاعة إمام الزمان عليه السلام ولا يتحقق هذا الأمر بكل من لبس العمامة والقباء مهما سطر له أتباعه ومريديه من القاب ومسميات من دون تنصيب ميزان العدالة التام فيهم والذي أمرنا بتنصيبه، ولذا قال عليه السلام في تمام الرواية: (فإن من ركب القبائح والفواحش مراكب فسقة فقهاء العامة فلا تقبلوا منهم عنا شيئاً ولا كرامة لهم) حتى قال عليه السلام: (ومنهم قوم نصاب لا يقدر على القدح فينا، يتعلمون بعض علومنا الصحيحة فيتوجهون به عند شيعتنا وينقصون بنا عند نصابنا ثم يضيفون إليه أضعافه وأضعاف أضعافه من الأكاذيب علينا التي نحن براء منها فيتقبله (المسلمون) المستسلمون من شيعتنا على أنه من علومنا فضلوا وأضلو وهم أضر على ضعفاء شيعتنا من جيش يزيد على الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه فإنهم يسلبونهم الأرواح والأموال، - وفي رواية [وللمسلمين عند الله في أفضل الأحوال لما لحقهم من أعدائهم]-، وهؤلاء علماء السوء الناصبون المشبهون بأنهم لنا موالون ولأعدائنا معادون يدخلون الشك والشبهة على ضعفاء شيعتنا، فيضلونهم

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٢٩٨.

ويمنعونهم عن قصد الحق المصيب لا جرم أن من علم الله من قلبه - من هؤلاء العوام - أنه لا يريد إلا صيانة دينه وتعظيم وليه، لم يتركه في يد هذا المبلس الكافر ولكنه يقيض له مؤمناً يقف به على الصواب ثم يوافقه الله تعالى للقبول فيجمع له بذلك خير الدنيا والآخرة، ويجمع على من أضله لعن الدنيا وعذاب الآخرة.

ثم قال: قال رسول الله ﷺ شرار علماء أمتنا المضلون عنا، القاطعون للطريق إلينا، المسمون أضدادنا بأسمائنا، الملقبون أضدادنا بألقابنا يصلون عليهم وهم للعن مستحقون، ويلعنوننا ونحن بكرامات الله مغمورون، وبصلوات الله وصلوات ملائكته المقربين علينا عن صلواتهم علينا مستغنون^(١)

ومما يؤسف له أن غالب الناس في غفلة عن حاجتهم الفطرية إلى القدوة الصالحة والأسوة الحسنة فغلبت عليهم أهوائهم، ومما يؤسف له أكثر أن يتجه السواد الأعظم من الناس بل من المؤمنين إلى تحديد القدوة والأسوة إلى المصالح الشخصية أو جعلها بيد الساسة الخونة الذين حَرَفُوا فطرة الناس وغيروها عن مسارها الذي جهد على حفظه الأنبياء والأوصياء وأوليائهم الصالحين (صلوات الله عليهم أجمعين) وقد ساهم أهل الضلال وغفلة معظم الناس في دس فطرتهم في التراب، واهتم أهل الضلال في تغيير فطرة الصغار قبل الكبار حتى يكون تأثيرهم أبلغ وسلطانهم أشد وأعظم وأدوم فصنعوا للأطفال من خلال وسائل الاعلام الفاسدة شخصيات وهمية يغرق فيها خيال الطفل وتسمم أفكاره، تبث له بشتى الوسائل من تلفاز وسينما وكمبيوتر وصور ومجلات وغيرها من نعومة أظافرهم وحتى يهرموا عليها وصنعوا لهم من تلك الشخصيات ألعاباً وملابس وطعام وصور

زيادة في إغراق وطمس الفطرة الإنسانية بما يعود عليهم بأكبر منفعة ممكنة بل جعلوا المؤمنين يروجون لها فغفلة الأب والأم وجهلها زاد الطين بلة، فالطفل في الأزمان السابقة كان يقتدي بالصالحين ويحاكي الذكور منهم أفعال البطولة والصلاح والرجولة والعزة والعفة والطهارة وكانت لشعائر الإمام الحسين عليه السلام أثراً بليغاً في تربيتهم والتي من أبسط صورها ما يعرف في أيامنا بالتشابه فكان الكثير من الأطفال يشاركون بتقمص أدوار يتامى آل محمد عليهم السلام لأن الآباء والأمهات رغبوا بجعل يتامى الحسين عليه السلام قدوة لأولادهم وكلما كبروا كبرت معهم حاجاتهم في الاقتداء والتأسي فمن بلغ سن الصبا وكان يقتدي بأولاد مسلم عليه السلام مثلاً فحينما يبلغ هذا السن يقتدي بالقاسم عليه السلام الذي هو يتلائم مع تلك المواقف الشريفة فما أن ترسخت في نفسه تلك المواقف الكريمة وبلغ مبلغ الشباب والرجولة إقتدى بالخلص من ذرية وأتباع الأئمة الأطهار عليهم السلام في معاني التقديس والطاعة والتضحية والشهامة والرجولة والكرم والجود والفتوة في نصرة الأئمة الأطهار عليهم السلام كالذي كان في أبي الفضل العباس وعلي الأكبر وغيرهما عليهما أفضل الصلاة والسلام وفي أتباعهم وأنصارهم كحبيب بن مظاهر الأسدي ونافع وسلمان وأبي ذر الغفاري والمقداد وعمار وميثم وكميل بن زياد وجابر بن يزيد الجعفي ومالك الأشتر وغيرهم الكثير (رضوان الله تعالى عليهم أجمعين وسلام الله عليهم أبد الأبدین) ومادام هو كذلك تجده مستديلاً ومهتدياً ومقتدياً بفقهاء آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) نصب الميزان في معرفتهم فلما عرفهم تولاهم واقتدى بهداهم فإذا بلغه الموت حشر في زمرةهم ونال شفاعتهم، وأما الإناث فقد تربت على الستر والعفة والقناعة والتدبير والحياء وإدارة شؤون المنزل والطاعة واحترام المركزية لولي الأسرة وكانت قدوتهن سيدتنا رقية وفاطمة العليلة وسكينة (صلوات الله وسلامه عليهن) وكلما كبرن كبرت معهن تلك الصفات

الحميدة وزادت حاجتهم في الإقتداء والتأسي لبلوغ منازل الكمال التي قد جمعها الله جميعاً في الإنسان الكامل سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها أفضل الصلاة والسلام ومن بعدها ابنتها العقيلة زينب وأمها سيدة النساء خديجة وسكينة وأم البنين والرباب وليلى وأمها الأئمة الأطهار (عليهم وعليهن أفضل الصلاة والسلام)، واعلم أن سبيل الكمال للذكور والإناث واحد وهو العصمة والطهارة ولكن الاختلاف واقع بينهما في الحثيات بما ينسجم مع الطبيعة الذكورية ووظيفتها أو بما ينسجم مع الطبيعة الأنثوية ووظيفتها التي خلقهم الله عليها وهو النظام الأحسن الذي لا يقوم الصلاح إلا به قد كان هذا لكثير ممن مضى وللقليل ممن بقي، وأما في أيامنا هذه فقد انقلبت الموازين وصار غالب شبابنا وفتياتنا يقتدون بالمثل الفلاني والممثلة الفلانية أو بالمغنى الفلاني والمغنية الفلانية فتسربلوا بملابسهم المغرية وظهروا بمظاهرهم المقرفة أتباع الموضة القائمة على الميوعة والاستهتار والمجون والبذاءة والخلاعة ونبذوا العفة والحشمة والدين والأخلاق والعادات الحسنة والتقاليد الطيبة فاستبدلوا كل طاهر عزيز بكل مستهجن رجس رذيل حتى نشأ دين جديد لم يأت به النبي الأمين فيقول أحدهم أنا مسلم ولكني كهنوتي أو من بثالوث اليهود والمسيح وأتبع كل فاجر كافر، كتابي القرآن ولكني أقرأ على أنغام فلان وفلان قبلتي الكعبة ولكني أصلي باتجاه النساء والخمرة أعلق على رقبتني القرآن ولكني أعلق معه النرد والصلبان ابتداء الطعام بيسم الله حتى على الميتة والخنزير والجرذان وأنا مع كل ذلك أقول الدين في القلب لا في المظهر واللسان فلبس الحجاب والتعري على الخلجان عندي سيان.

أوليس هذا واقع الحال الذي وصلنا إليه؟ أو لم تقتدِ غالب فتيات المسلمين بالممثلة الفلانية والمغنية الفلانية والراقصة الفلانية وفعل الفتيان

كذلك؟!!

قل لي بربك أولم تتحول أعراسنا إلى سفاهة وطرب ومجون؟!!

أو لم تتحول غالب حسينيّاتنا إلى يزيديات يراد منها مصالح شخصية
وصناديق انتخابات تروج للسياسة الفلانية والفلانية؟!!

أولم يتحول الحج عند غالب مسلمينا إلى أحد ثلاثة للسياحة أو التجارة
أو السمعة؟!!

ماذا نريد أن نكون؟! وإلى أين نريد الوصول؟!!

هل ننتظر لأمتنا ذل ومهانة أكثر من هذا؟!!

هل ننتظر لفتياننا وفتياتنا فجور واستهتار أكثر من هذا؟!!

فما العمل؟!!

أيها الأخ الكريم، أيتها الأخت الصالحة، أيها الأب الكريم أيتها الأم
الفاضلة انتبهوا عن غفلتكم قوموا عن سباتكم وشمروا عن سواعد الجد،
عليكم أمانة والحياة قصيرة ولا بد لكم من أدائها أنتم لستم عبدين
لشهوآتكم أو شهوات أولادكم بل أنتم وليين مسؤولين عن صلاح أنفسكم
وأولادكم ومجتمعاتكم، ولا تتخاذلوا في الصغيرة كي لا تقعوا في الكبيرة
قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾
حيطوا أنفسكم وأولادكم ومجتمعاتكم بالفقه والنصيحة قال رسول الله ﷺ:
«كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

وابداً بتنصيب قدوة وأسوة لك ولأولادك وحببها في قلبك وقلوب أولادك
بذكر صفاتهم وأفعالهم ومنازل قربهم إلى الله أذكر لهم طاعتهم وعبوديتهم
لله ولآل بيت رسول الله ﷺ ولا تسمحوا لأولئك الذين انتقصوا من قدسية

أتباع آل البيت عليهم السلام أن يدخلوا إلى بيوتكم بل إسمح أنت لتغييره وإصلاحه
وكن على ارتباط بالفقهاء الحقيقيين وخذ تكاليفك عنهم بعد أن تنصب
ميزان الحق فيهم ولا تيأس وكن أنت قدوة في منزلك لا تعميك الغفلة
ولا تضلك الفتنة ما دمت ملتزماً بولاية آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وفقهائهم
العاملين ومتبرئاً من أعدائهم (عليهم لعائن الله) قلباً وقولاً وعملاً والحمد
لله رب العالمين.

الفصل العاشر

العلاقة بين تعدد دائرة العصمة والأسوة الحسنة

إعلم هداك الله بهديه أن للعصمة مراتب متعددة
وأوسع تلك المراتب هي المرتبة المتعلقة بمقام
حجج الله على خلقه وهم الأنبياء والأئمة عليهم السلام،

وقد مر عليك مسبقاً أن العصمة هي سنخ علم لا يحصل عليه الإنسان
إلا بالطهارة وفي أعلى مستوياتها، وأن أعلى المستويات جميعاً هي الطهارة
المتحققة بالنبي محمد وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) التي
ذكرتها آية التطهير المباركة، ولذا كانت علومهم سنخ علم لم ولن يدركه
مخلوق قط وكانت عبوديتهم وولايتهم سنخ عبودية وولاية لم ولن يدركها
مخلوق قط.

فمقام علاقة الأنبياء والأئمة عليهم السلام بالله عز وجل متكثرة ومختلفة من معصوم
لآخر حسب منازل قربهم ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فاختلفت تبعاً لذلك
الحيثيات الأخرى التي بينهم وبين الله عز وجل وأوضحها مصداقاً العلم والشهادة
والولاية وهي مظاهر القدرة الإلهية العظمى التي تختلف تجلياتها باختلاف
درجة القرية.

أما الطاعة أي حيثية علاقة الناس بهم لحيثية علاقتهم بالناس وهي حيثية وجوب طاعتهم والتسليم لأمرهم والانقياد لحكمهم، فهي حيثية واحدة ذات مفهوم واحد وقد بينت لكم مسبقاً الفرق بين الولاية والطاعة في آية الولاية وآية أولي الأمر. وأريد أن أبين لكم في إيضاح مسألة مراتب العصمة وعلاقتها بالأسوة الحسنة عن طريق الأمثلة التالية:

منها اجتماع نبوة لوط عليه السلام مع نبوة خليل الله إبراهيم عليه السلام فكان لوط نبياً ووصياً لإبراهيم الخليل عليه السلام، وكلاهما في مقام حجة الله على خلقه وشاهده على عباده وعلومهما مع تفاوت الدرجة تفي وتكفي لحاجة جميع الناس وعندهم مزيد، ومع أن مقام خليل الله إبراهيم عليه السلام أصل، فولايته وعلومه وشهادته أوسع، ومحيطه حتى بنبوة لوط عليه السلام، وكان وجوب طاعتها على الخلائق في زمان نبوتها واحدة مع أن الدائرة الصغرى مفاضة عن الدائرة الأوسع، ولكن في حيثية وجوب طاعة الناس لهما عليه السلام على حد سواء لأنهما في مقام الاخبار عن الله تعالى وكل ما يصدر عنهما حجة على الناس ولا يقع بينهما خلاف قط ولا قيد أنملة لأن المصدر هو الواحد الأحد الذي أفاض على الدائرة الأوسع وافض منها بإذن الله على الدائرة الأضيق والمفاض عليه في مقام الطاعة والتسليم إلى المفيض.

وكذلك الحال في نبوة موسى وهارون عليه السلام فكلاهما كان نبياً مخبراً عن الله تعالى حجته على خلقه ووجوب طاعتها على الناس على حد سواء، ولما لم ينزل قوم موسى لهارون منزلة موسى عليه السلام وتمردوا عن طاعته إلا من رحم الله من شيعة هارون الذين أطاعوا هارون كطاعة موسى عليه السلام فكانوا هم الناجين وهم أقل القليل، وأما باقي قوم موسى عليه السلام ففي الفتنة سقطوا وللسامري وعجله عبدوا فأصابهم الله بالقتل الذريع والقراد والقمل ثم التيه والذل والوهن والضعف، وجرى في هذه الأمة ما جرى في قوم موسى عليه السلام

من عبادتها للسامري وعجله أصحاب السقيفة المشؤومة الذين تمردوا عن طاعته وآله (صلاته وسلامه عليهم أجمعين) ولم ينبج منها إلا شيعة علي عليه السلام وتمرد غالب هذه الأمة عن طاعة العترة الطاهرة عليهم السلام فأصابها القتل والذل والهوان حتى يقوم صاحب العصر والزمان عليه السلام فيجمع الله شتات هذه الأمة تحت شهادة واحدة هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله علي وأبناءه المعصومين بالحق حجج الله وفاطمة الزهراء أمة الله، اللهم اجعلني من الداعين والعاملين لتلك الدولة الحميدة وأكحل ناظري بنظرة مني إليه وعجل فرجه وسهل مخرجه وأوسع منهجه واسلك بي محجته بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وقد مر عليك مسبقاً الفرق بين فعل المعصوم عليه السلام قبل توليه لمنصب الإمامة وفعل المعصوم عليه السلام بعد توليه لمنصب الإمامة والذي يكون له مقام القدوة والأسوة الحسنة بين الناس الذي يكون فعله الشريف فيها يدل على حكماً شرعياً معيناً يتناسب مع القرائن الخارجية والداخلية التي سبقت في المقام، فمقام المتأسى به هو مقام المعصوم عليه السلام الذي تصدى لأمر الله تعالى بأمره تعالى والذي تكون فيه أفعالهم وأقوالهم وتقريراتهم حجة على الناس ومصدراً من مصادر التشريع جزء من السنة النبوية الشريفة على حد حجيتها وحجية القرآن الكريم فهو مقام حدهم بكونهم مصدراً من مصادر التشريع (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين)، ومقام التصدي هذا هو غير مقامهم قبل توليهم لذلك المنصب الإلهي الذي حباهم الله به مع أنهم معصومون قبل التولي وبعده والفارق أن أقوالهم وأفعالهم وتقريراتهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) قبل التولي لا تكون مصدر من مصادر التشريع فالعصمة شيء وعد المعصوم مصدراً من مصادر التشريع شيء آخر، وهذا لا يعني أن صدور الفعل من المعصوم عليه السلام قبل توليه لمنصبه الإلهي

لا يفيد شيئاً معيناً بل فائدته تدل على إباحة ذلك الفعل وعلى أنه ليس بمحضور فعله، وأما فعله بعد تولي منصب الإمامة فإنه يدل على الرجحان من الاستحباب أو الوجوب بحسب القرينة وقد مرت عليك الرواية الشريفة التي ذكرت صيام الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة قبل توليه لمنصب الإمامة، وإفطاره في يوم عرفة بعد توليه لمنصب الإمامة وذكر الإمام عليه السلام سبب ذلك هو أن مقام الإمامة مقام التأسّي أي أن فعلهم فيه يدل على حكماً تكليفاً معيناً، وأحب هنا أن أنبه الأخوة أهل الاختصاص رعاهم الله أن علمائنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) حينما يأتون إلى أقسام الحكم التكليفي في علم الأصول يجعلونه على خمسة أقسام وهي: الوجوب، الاستحباب، الحرمة، الكراهة والإباحة فمع عدمه للإباحة حكماً تكليفاً يعني أن فعل المعصوم عليه السلام قبل توليه لمنصبه الإلهي أو بعده يدل على أن فعله واحد وكونه دائماً مصدراً من مصادر التشريع ويمكن نقله إلى كل معصوم ففعل كل من ثبتت عصمته سواءً تولى الإمامة أم لا، يكون مصدراً من مصادر التشريع وهذا الأخير ما لا يقولون به وذكرني لهذا البحث هنا وإثارتي لبعض النقاط الفقهية أو الأصولية في المباحث العقائدية هذه لبيان أن هذا الدين له هيكل واحد ورأس هذا الهيكل الشريف هو العقيدة التي تلاشت مباحثها في أيامنا هذه وهذه العقيدة تحتاج إلى بيان أكثر يضيق هذا المختصر عن ذكرها، وخلاصة الكلام أن المبحث العقائدي المتقدم مع روايات أخرى جعلتني أتبنى فكرة أن الأحكام التكليفية في الحقيقة أربعة وليست خمسة وهي الوجوب، الاستحباب، الحرمة والكراهة أما الإباحة فليست حكماً تكليفاً بل هي (لا تكليف) فهي سلب التكليف وليست تكليفاً في قبال التكليف فالإباحة إذاً هو أن يكون من بلغ سن التكليف بالحرية فله أن يفعل وله أن يترك في الأمر المباح، وسلب التكليف لا يكون حكماً تكليفاً سواء صرح بهذا الشيء أنه مباح أو أن الأدلة الشرعية ساكتة عنه فلم تسمه

بأحد الوجوه الأربعة للتكليف وأن المسكوت عنه يُنزل منزلة المباح حتى يصدر بحقه حكماً معيناً فعد الإباحة من الأحكام التكليفية يعدها خادمهم من سهو الأقدام الشريفة لمخالفتها حتى للقواعد المنطقية.

إذاً أن فعل المعصوم عليه السلام قبل توليه لمنصب الإمامة يدل على الإباحة عندي أي عدم التكليف ولو فعل الشيء بعد توليه لمنصب لإمامة لدل ذلك على الرجحان لأنه في مقام من ثبتت له المرجعية التشريعية فهو مصدر من مصادر التشريع على حد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أما فعل المعصوم عليه السلام الذي لم يبلغ درجة الإمامة وهم الثلة الطيبة الطاهرة من نسل أمير المؤمنين عليه السلام كعصمة عقيلة بني هاشم سيدتنا ومولاتنا زينب عليها السلام أو كعصمة أخيها قمر بني هاشم أبو الفضل العباس عليه السلام أو كعصمة مولانا علي الأكبر والآخرين معهم (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فإن لهم من المقامات العلية والمنازل الشريفة ما تفتخر به الشيعة إلى قيام يوم الدين وتتوسل ببركاتهم عند سيد المرسلين وبهم تقضى الحاجات وتنزل البركات وتكشف الكربات وهم الذين يمكن أن يقال عنهم التاليين تلو الأئمة الأطهار والحاملين لأسرارهم والمُجربين لما أشد وعظم من أوامرهم التي قام عليها الدين فهم حقاً ركيزة الإسلام والمسلمين رزقنا الله شفاعتهم بحق محمد وآله الطيبين الطاهرين.

ف فعل هذه الثلة الطيبة الطاهرة رمز كمال الطاعة للأئمة الهداة المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) يفيد الإباحة وأفعالهم المقدسة قدوة صالحة لأكمل مسالك الطاعة وأشرفها للأئمة الهادين المهديين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

ولا يخفى عليك أن فعل المباح إذا أتى الشخص به بنية القربى إلى الله

تعالى يترتب عليه الثواب وإذا أتى به بنية المعصية والعياذ بالله تعالى ترتب عليه العقاب، فشرب الماء مثلاً مباح فإذا شربه الشخص مثلاً بنية القربة إلى الله تعالى وإكرام الساقى ثم البدء بالبسملة ثم الختم بحمد الله والثناء عليه مصحوباً بذكر عطش الحسين وآله عليهم السلام ولعن يزيد وزمرته عليهم لعائن الله كتب الله سبحانه وتعالى له من الثواب على شربة ماء ما لا يحصيه إلا الله تعالى وكان بداية فيض الثواب هو القربة إلى الله تعالى، وأما إذا شربه متمنياً أن يكون خمراً والعياذ بالله تعالى كتب على نفسه خطيئة تقوده إلى النار ما لم يتب عنها ويستغفر، فإن الذي أثبتته النقل عن فعل من ثبتت عصمته دل ذلك الفعل على الإباحة وعدم حضره ومنها ذلك الذي نقلته مصادرنا المعتمدة والموثوقة عن ضرب سيدتنا العقيلة عليها السلام رأسها الشريف بالمحمل حتى فاض الدم منه حزناً على مصاب سيد الشهداء عليه السلام وكذلك البكاء حتى يجف دمع العين وتتقرح حزناً على الحسين وآله عليهم السلام أو مظاهر اللطم على الصدور والخدود والرؤوس حصراً في مصاب العترة الأطهار عليهم السلام، دليلاً كافياً على إباحة هذا العمل وعدم حضره ولا يحق لأحد أن يقف في وجهه مع ثبوته أو رجحانه ولو ظناً وأن الذي قد نوى فيه القربة إلى الله تعالى في مقام الطاعة إليه سبحانه فالنهي عنه يكون نهياً عن طاعة الله وعز وجل والنهي عنه يكون قد أنزل نفسه منزلة الصارف عن المعصوم عليه السلام وبئس منزلة الكفر تلك. ولو أضاف الفاعل لذلك الفعل المباح نية نشر ظلامه آل البيت عليهم السلام والتبري ممن أسس أساس الظلم والجور عليهم حتى تكون صرخة ظلامه العترة الطاهرة عليهم السلام صرخة كل مظلوم في وجه كل ظالم تهز حصونهم وتعكر مضاجعهم لزيد ذلك من الثواب أضعاف مضاعفة وقد يتحول الفعل المباح إلى فعل راجح، وإن لصرخة الأحران والآلام والآهات والحسرات على تلك المواقف الشريفة والدموع الجارية لها وقع كبير على النفس الإنسانية في شحذ الهمم للأخذ بالثار ونبذ الظلم والظلام وتوحيد الصفوف

ورصها لإقامة العدل والقسط على هذه البسيطة على يد سبط الرسول وفرحة فاطمة البنول وميزان عدل الله وقسطه الإمام الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام وجعلنا الله خدام خدامه المتبركين بقربوس فرسه إنه سميع مجيب.

إن إساءة الجهال من بعض العوام ممن ادعى انتحاله لمذهب الحق أعز الله رايته إلى هذه الشعائر الشريفة ومظاهر عشق آل البيت عليهم السلام واستنكار القلوب بذكر آل البيت عليهم السلام ثم نسبتها إلى الدولة الصفوية ما هو إلا ترديد لمن ناصب العدا لآل البيت عليهم السلام ، نعم إن واحدة من مفاخر الدولة الصفوية أنها حطمت أصنام الناصبية ونصرت العترة المرضية بإخراج تلك الطقوس من الدور المغلقة والزوايا المتهالكة والمجالس المستورة التي قد خيم عليها أقسى أنواع الظلم والتشريد والجوع والعطش إلى الظهور والعلن في تلك الحقبة ولم يكن هذا الظهور والعلن من إبتكارات هذه الدولة بل كان جرياً على وفق ما أجراه آل البيت عليهم السلام ولا سيما ذلك الذي أجرته عقيلة بني هاشم عليهم السلام التي أقامت مجالس العزاء في كل مكان تنزل فيه حتى نُفيت عن مدينة جدها رسول الله صلى الله عليه وآله من بلد إلى بلد ولم تفتقر عن ذلك حتى وافتها المنية في أرض الشام بدموع جارية وزفرات وازية تنادي مرة حبيبي حسين وثانية أخي أبا الفضل وثالثة تندب جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وأما فاطمة وأباها أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فرويداً رويداً أيها الكريم لا تنصب نفسك للناس إماماً وتفتي بما لا تعلم، إنها مباحث شريفة تبحث في الفقه والعقيدة فارجعوا إلى علمائكم العاملين المعروفين بالعلم والطهارة والنسك والعبادة ودع عنك المتلبس زيهم المنتحل ألقابهم وعليك أولاً البحث عن العالم الحقيقي حتى تصدق مقولة العوام المشهورة (ذبه براس عالم واطلع منه سالم) فلكي تخرج من الدنيا سالماً عليك أن تبحث عن العالم الذي اكتسب علومه بالطهارة الداعي لنصرة إمام زمانه

في العقيدة والعمل وأسأل الله لي ولكم حسن العاقبة وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين.

تم الكلام في هذا الفصل بما يتناسب مع هذا المختصر إن شاء الله تعالى.

الفصل الحادي عشر

الخلافة والحاكمية للأئمة الأطهار عليهم السلام

الخلافة لا تنفك عن الإمامة وأن الإمامة لا تنفك عن
العصمة وأن العصمة لا تنفك عن النص وأن النص
حصر في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولنا هنا عدة وقفات:

الوقفة الأولى الخلافة والحاكمية بمفهومها العام

الإمام المعصوم عليه السلام وحيد دهره لا يدانيه أحد، ولا يعادله عالم، ولا يوجد منه بديل، ولا له مثيل ولا نظير، قد فوض الله إليه أمر دينه وأمر عباده، وجعل فتقها ورتقها بيده وقرن الله طاعته بطاعته وولايته بولايته وذكره بذكره وسهمه بسهمه، وقد دل عليه في محكم آياته وشدد على النبي صلى الله عليه وآله بالنص عليه في تمام بعثته ومختلف مواطن ذكره، حتى لم يبق مجال لمعتذر بجهالته أو يتذرع باختياره لقصور العقول عن معرفته، فقال تعالى مخاطباً لخلقه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ﴿٢﴾ وقال: ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ ﴿٣﴾ أم لَكُمْ كُتِبَ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أم لَكُمْ آتَمَنَّا عَلَيْنَا بَلِغَةً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلِّمُوا بِهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أم لَهُمْ شُرَكَاءُ فَيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾، فالإمام عليه السلام هو معدن القدس والطهارة والنسك والزهادة والعلم والعبادة والأسوة الحسنة والقدوة الصالحة: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿٤٢﴾ فمن اصطفاه الله عزَّ وجلَّ لذلك المنصب العظيم واختاره من بين خلقه ثبت له ما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا النبوة وعليه ما على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مهام إلهية ووظائف ربانية ليس لأحد أن يتقدم عليه أو يتخلف عن بيعته ونصرته إلا كافر، وحاكميته على الناس جزء من خلافته الكلية الإلهية ووزر المتخاذل عن بيعة أحدهم كوزر من تخاذل عن بيعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بإمرة المؤمنين يوم غدِير خَمِّ بِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أو كوزر من نقض بيعته المقدسة يوم السقيفة المشؤومة بعد عقدها وبإبدالها ببيعة السامري وعجله عليهم لعائن الله أبد الأبد.

وليست الحاكمية على الناس تعني الإمامة والخلافة أو تساويهما في المضمون كما صورها أبناء العامة الذين نظروا إليها بنظرة مختلفة بالتمام عن نظرة أتباع مدرسة آل البيت عليهم السلام وقد مر عليك ذلك مفصلاً في أول البحث وإن فيما ذكرناه هناك أن غاية ما اشترطته جماعة من أبناء العامة هو العدالة في أدنى درجاتها وذهب بعضهم إلى جواز أن يكون مرتكباً للذنوب عاصياً بل لا يمنع أن يكون سفاكاً للدماء أخذ الحكم بقوة السيف، فالإمام

- (١) سورة القصص الآية ٦٨ .
- (٢) سورة الأحزاب الآية ٣٦ .
- (٣) سورة القلم الآيات ٣٦-٤١ .
- (٤) سورة الحديد الآية ٢١ .

عندهم هو ولي الأمر والحاكم على الناس الذي تجب عليهم طاعته، إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد، وما أكثر خطأهم وأقل صوابهم، فيحكمون ويظلمون ويقتلون وينهبون، ثم إلى الجنة بلا حساب يزفون، وعلى ثمالة شرب الكؤوس يفتون، فسُعدَ الأمراء بهكذا علماء، نعم الندماء صيروا السفهاء للناس أنبياء، ومن لم يفت بهذا الإفتاء حل عليه البلاء، فصاروا أربعة أشقياء والناس بواحد سعداء ولآل محمد عقد الولاء.

ومما يبدو من كتابات مفكري أبناء العامة أنهم جعلوا للخليفة مقام يفوق الحاكمية وأنزلوه منزلة المعصوم وجعلوا سنتهم على حد سنة رسول الله ﷺ فصارت سنة الخلفاء الراشدين مصدراً من مصدر التشريع عندهم مع أنهم جميعاً يقرون بما ليس عنه محيص بعدم عصمة أبو بكر وعمر وعثمان واختلاف سيرة أحدهم عن الآخر ولا سيما اختلاف مجموعهم مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي امتنع عن بيعة أبي بكر حتى أخذت منه عنوة والسيوف مشرعة على رأسه والنار أضرمت على باب داره وضربت زوجته وأسقط ولده، ولا ريب أن القول بإمامة إمامين كل منهما يحكم بضلال الآخر عمل بالمتناقضين، وكيف تؤخذ بسنة الثلاثة بعد أن ثبت عليهم الظلم الضلال؟! وقد قال تعالى مخاطباً لنبيه إبراهيم عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(١) فكل من تلبس بلباس الظلم في آن ما حتى ولو تاب بعد ذلك قد صدق عليه عنوان الظلم، وأي ظلم أشد من الشرك بالله!!؟

ما علاقة تيم وعدي بذرية إبراهيم عليه السلام؟!.

قام فروة بن عمر الأنصاري وكان يقود مع رسول الله ﷺ فرسين ويصرم

ألف وسق من تمر فيتصدق به على المساكين فنادى يا معشر قريش أخبروني هل فيكم رجل تحلّ له الخلافة وفيه ما في عليّ عليه السلام.

فقال قيس بن مخزومة الزهوي: ليس فينا من فيه ما في عليّ عليه السلام.

فقال له: صدقت، فهل في عليّ عليه السلام ما ليس في أحد منكم.

قال نعم.

قال: فما يصدّكم عنه.

قال: إجماع الناس على أبي بكر.

قال: أما والله لئن أصبتم سنّتكم لقد أخطأتم سنّة نبيّكم، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيّكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم^(١).

قال أحد الشعراء.

اترى صهاك وابنها وابن

ابنها وأبا قحافة آكل الذبان

كانوا يرون وفي الأمور

عجائب يأتي بها تصرف الزمان

إن الخلفة من وراثته هاشم

فيهم تصير وهيبة السلطان

وروي في كتب الأخبار عن يوم عقد الخلافة لعثمان أن أهل المدينة

سمعوا ليلة بايعوه منادياً ينادي بهذه الأبيات:

يا ناعي الإسلام قم فانه

قدمات عرف وبدانك

(١) مصباح البلاغة: ج ٤ ص ٦٩، كشف المحجة لثمره المهجة ص ١٧٧.

ما لقريش لا علا كعبها

من قدموا اليوم ومن أخروا

إن علياً هو أولى به منه

فولوه ولا تنكروا^(١)

الوقف الثانية: الخلافة عند أهل اللغة

قال صاحب العين: الخلف الخليفة بمنزلة حال يذهب فيخلف الله خلفاً، ووالد يموت فيكون ابنه خلفاً له أن يقوم مقامه، وقال: الخليفة من استخلف مكان من قبله^(٢). وفي لسان العرب قال: خلفه يخلفه: صار خلفاً له، والذي يستخلف ممن قبله والجمع خلائف، وقال سيبويه يجمع خلفاء لأنه لا يكون إلا للمذكر وهو نقل ابن سيده^(٣). فالخليفة إذاً هو الذي يستخلف^(٤) ممن كان قبله فظاهر الاستخلاف يفيد التعيين والتعيين لا يكون إلا بالنص عليه عيناً أو صفاتاً وخلافة الخلفاء الراشدين بحسب اصطلاح أبناء العامة هي خلافة لرسول الله ﷺ والقيام مقامه وإطلاق كلمة خليفة عليهم وعدم تحديدها بالحاكمية لغة وعرفاً وشرعاً كانت تلك الخلافة كلية كخلافة رسول الله ﷺ بلا فرق إلا ما خرج بالدليل ولم يخرج بالدليل إلا النبوة ومع إطلاق اللفظ ودلالته على التعيين ينتفي الاسم قطعاً وبإجماع المسلمين قاطبة عن أبي بكر وعمر وعثمان^(٥) ويثبت قطعاً وبالإجماع على

(١) بحار الأنوار ج ٣ ص ١٤.

(٢) العين ج ٤ ص ٢٦٥.

(٣) لسان العرب ج ٩ ص ٨٢.

(٤) بضم الياء وفتح اللام.

(٥) للإجماع على عدم وجود النص عليهم من عند رسول الله ﷺ.

الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بثبوت نص بيعة غدِير خم سنة وشيعة أصلاً وعلى باقي الأئمة الأطهار من صلبيه عليه السلام فرعاً، وعلى أبناء السنة والجماعة على الأقل أن يلتزموا بسنة رسول الله ﷺ ووحدة إجتماع أمته فيذروا ما اختلفنا عليه ويأخذوا بما اجتمعنا عليه وقد اختلفنا على خلافة الثلاثة، واجتمعنا على خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام والعجب كل العجب من إسناد الخلافة إلى من نفاها عن نفسه وقد صح قوله واشتهر: (إنما تراضوا الناس بي فسموني خليفة، وفي الأمة من هو أعلم مني). فانتفى أبو بكر عن العلم واعتذر عن الإسم فهل هم بصاحبهم من نفسه أفهم؟! وبانتفاء خلافة الأول انتفت خلافة الثاني والثالث لقيام دعواهما على دعواه، وتبقى خلافة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله ﷺ بلا منازع وبالاتفاق.

الوقف الثالث: الخلافة في القرآن الكريم

لو نظرنا إلى نظرية الخلافة في القرآن الكريم لوجدناها قائمة على المعنى اللغوي، فالخلافة تقوم بجعل من عند الله ﷻ أي بتعيين ونص منه تعالى فقال لآدم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾^(١)، وقال تعالى لداود عليه السلام: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾^(٢) وقال تعالى: في خلافة هارون لموسى عليه السلام: ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾^(٣).

عن أبي الحسن الرضا عن أبيه موسى عن أبيه جعفر عن أبيه محمد

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة ص الآية ٢٦ .

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٢ .

عن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة إذ لقينا شيخ طويل كث اللحية بعيد ما بين المنكبين فسلم على النبي صلى الله عليه وآله ورحب به، ثم إلتفت إلي فقال: السلام عليك يا رابع الخلفاء ورحمة الله وبركاته أليس هو كذلك يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بلى، ثم مضى فقلت: يا رسول الله ما هذا الذي قال لي هذا الشيخ وتصديقك له؟ قال: أنت كذلك والحمد لله إن الله تعالى قال في كتابه ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ والخليفة المجهول فيها آدم عليه السلام، وقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ فهو الثاني، وقال تعالى حكاية عن موسى حين قال لهارون: ﴿اخْلُقْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ فهو هارون إذا استخلفه موسى عليه السلام في قومه وهو الثالث، وقال تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ فكنت أنت المبلغ عن الله وعن رسوله، وأنت وصيي ووزير، وقاضي ديني والمؤدي عني، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي، فأنت رابع الخلفاء كما سلم عليك الشيخ، أو لا تدري من هو؟ قلت: لا قال: هو أخوك الخضر عليه السلام (١).

فالخلافة إذا بحسب القرآن الكريم لا تكون إلا بتعيين وجعل من عند الله وَعَلَّمَ لأنها حصر في المعصوم عليه السلام والمعصوم عليه السلام هو الطاهر عن كل دنس، عيبة علم الله وخزانة أسراره، فخلافة الإنسان على الأرض لم يتركها الله وَعَلَّمَ من دون بيان أو شرح، بل جعل الله وَعَلَّمَ ميدان الخلافة العلم فجعله مستودعاً لعلمه وإليه الإشارة بقول تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ، فاعتراض الملائكة أو عجبهم من ذلك الجعل الشريف ناتج عن عدم علمهم بميدان الخلافة وهويتها. ثم جاءت الآية التي بعدها لبيان ميدان الخلافة وهويتها فقال الله جل شأنه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ ، فجاء امتحان الله ﷻ للملائكة ﷺ وثبوت عجزهم بقولهم: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ لإظهار ميدان الخلافة وهويتها لخلقه أجمعين التي امتاز بها الخليفة عن تمام الخليقة والذي هو العلم الخاص الذي حباه الله به دون خلقه، فجاءت هذه الآيات الكريمة بمثابة استثناء للخليفة عن تمام الخليقة من الوقوع في الفساد وسفك الدماء، أو عن مطلق الظلم أي كقوله تعالى لإبراهيم الخليل ﷺ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنْتَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ ، وأي فساد أو ظلم أشد من الكفر بالله والشرك به؟! فلو وقع الفساد أو الظلم في آن ما من إنسان ما فإن مسمى الفساد والظلم قد وقع عليه، حتى ولو تاب بعد ذلك، فلا يكون صالحاً للإمامة والخلافة إلا من كان صالحاً طوال حياته ومن هنا نجد أن أهل اللغة قالوا إن الخلف لا يكون إلا من الصالحين، وقد ثبت قطعاً وقوع الكفر والشرك بالله من الثلاثة قبل إسلامهم فيما لو تنازلنا للقول بإسلامهم، ومع إنتفاء العلم عنهم وتحقق الفساد والظلم منهم صاروا هم والخلافة على حد النقيض.

وقد قال تعالى في فضل طالوت وتقدمه على قومه واصطفاه الله ﷻ له ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي

(١) سورة البقرة الآية ٣٠ .

(٢) سورة البقرة الآية ٣١ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٢٤ .

مُلْكُهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ، فجعل الله العلم وقوة الجسم سبباً لاصطفائه أما كان مولى الموحددين أمير المؤمنين سيد الكونين علي بن أبي طالب عليه السلام قد ميزه الله عن تمام خلقه بالعلم وقوة الجسم حتى أذعن بذلك تمام خصومه ومعاديه؟! وما تقديم تيم وعدي على بني هاشم وعبد مناف إلا تقديم للعبيد على السادات.

الوقفه الرابعة: الخلافة في الحديث الشريف

نجد الخلافة في الحديث الشريف على أنها شأن خاص من شؤون النبوة والإمامة ، روي بسند متصل عن أم هاني بنت أبي طالب عليها السلام قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله أظهر الله تبارك وتعالى الإسلام على يدي وأنزل الفرقان علي وفتح الكعبة على يدي وفضلني على جميع خلقه وجعلني في الدنيا سيد ولد آدم وفي الآخرة زين القيامة وحرّم دخول الجنة على الأنبياء حتى أدخلها أنا وحرّمها على أممهم حتى تدخلها أمتي وجعل الخلافة في أهل بيتي من بعدي إلى النّفخ في الصور فمن كفر بما أقول فقد كفر بالله العظيم»^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من نازع علياً في الخلافة فهو كافر وقد حارب الله ورسوله ومن شك في علي فهو كافر»^(٢) ، وعن أبي عبد الله عليه السلام: «من ادعى الإمامة وليس من أهلها فهو كافر»^(٣).

إن المضامين العالية والمستوفية لتمام معاني الفضل والكرامة الموجودة في حديث الغدير الشريف تعطينا منهجاً واضحاً وبيناً لمعرفة منازل العترة

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٧ .

(٢) الخصال ج ٢ ص ٤١٣ .

(٣) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ١٣٥ مستدرک الوسائل ج ١٨ ص ١٨٦ ، ٢٢٤٦٥ - ٤٦ .

(٤) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١١٢ ح ٧ .

الطاهرة عليه السلام لخلافة رسول الله ﷺ فهم والقرآن الكريم حقيقة واحدة
 لخليفة رسول الله ﷺ على أمته بأمر رب العالمين ، ولكن وجود المنافقين
 والكافرين والطامعين الذين أضلوا الناس وسعوا بهم جاهدين من أجل إخفاء
 هذه الحقيقة وطمسها في أذهانهم أو التقليل من شأنها وحرف مضامينها
 عندهم رغم توالي الحجج والبراهين نجد أن المجتمع الإسلامي في تلك
 الفترة كان يعاني من عدم إدراك حقيقة الخلافة والإمامة لا بسبب وجود
 تقصير في البيان أو التبليغ والعياذ بالله تعالى بل بسبب وجود مجموعة
 كبيرة من أهل النفاق والطامعين الذين أظهروا أنفسهم في مظهر التصدي
 وقيادة المسلمين بحجة السبق في إظهار الدين الحنيف والهجرة مع رسول
 رب العالمين ﷺ أو مصاهرته فراموا إظهار ذلك المنصب الإلهي العظيم
 بمظهر الاختيار والانتخاب فراراً عن النص فشككوا الناس في إدراكهم
 لمعنى الخلافة والإمامة ومن هنا نجد تكرار السؤال من الناس لرسول
 الله ﷺ عن معرفة الخليفة أو الإمام من بعده وأن رسول الله ﷺ يجيبهم
 بصور وطقوس مختلفة زيادة في الحجة عليهم في أنه مخبر عن الله بأن
 أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إمام وخليفة من بعده، ومن تلك
 الصور ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَاضِلٌ صَاحِبِكُمْ وَمَا غَوَىٰ
 ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ
 فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَنَىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩
 فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠﴾.

روى القطان عن ابن زكريا عن ابن حبيب عن الحسن بن زياد عن
 علي بن الحكم عن منصور بن الأسود عن جعفر بن محمد عن أبيه عن
 آبائه عليهم السلام قال: «لما مرض ﷺ مرضه الذي قبضه الله فيه اجتمع عليه

أهل بيته وأصحابه وقالوا يا رسول الله إن حدث بك حدث فممن لنا بعدك والقائم فينا بأمرك فلم يجبههم جوابا وسكت عنهم فلما كان اليوم الثاني أعادوا عليه القول فلم يجبههم عن شيء مما سألوه فلما كان اليوم الثالث قالوا له يا رسول الله إن حدث بك حدث فممن لنا من بعدك ومن القائم فينا بأمرك فقال لهم إذا كان غدٌ هبط نجم من السماء في دار رجل فانظروا من هو فهو خليفتي عليكم من بعدي والقائم فيكم بأمري ولم يكن فيهم أحد إلا وهو يطمع أن يقول له أنت القائم من بعدي فلما كان اليوم الرابع جلس كل رجل منهم في حجرته ينتظر هبوط النجم إذ انقض نجم من السماء قد غلب نوره على ضوء الدنيا حتى وقع في حجرة علي عليه السلام فهاج القوم وقالوا والله لقد ضل هذا الرجل وغوى وما ينطق في ابن عمه إلا بالهوى فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ مَاضِلٌ ﴿١﴾ وروى ابن عباس المعنى ذاته، وروت عائشة فقالت: بينما النبي صلى الله عليه وآله جالس إذ قال له بعض أصحابه من أخير الناس بعدك يا رسول الله؟ فأشار إلى نجم في السماء فقال: من سقط هذا النجم في داره فقال القوم فما برحنا حتى سقط النجم في دار علي بن أبي طالب عليه السلام فقال بعض أصحابه ما قالوا ما رفع بضبع ابن عمه فأنزل الله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝٢﴾.

وورد عن الإمام الباقر عليه السلام: «ما ضل في علي وما غوى وما ينطق فيه عن الميل والهوى وما كان ما قاله إلا عن الوحي الذي أوحى إليه، وفي الكافي الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام قال: (أقسم بمحمد إذا قبض ما ضل صاحبكم بتفضيله أهل بيته وما غوى وما ينطق بفضل أهل بيته بهواه وهو قول الله إن هو إلا وحي يوحى)»^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٣٥ ص ٢٧٣-٢٧٤.

(٢) تفسير فرات الكوفي ج ١ ص ٤٤٩.

(٣) تفسير مقتنيات الدرر ج ١٠ ص ٢٥٨.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه الشريفة: (أما والله لقد تقمصها ابن أبي قحافة وإنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي ينحدر عني السيل ولا يرقى إلي الطير، فسدت دونها ثوباً، وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذاء أو أصبر على طخية عمياء، يشيب فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجاً، أرى تراثي نهياً، حتى مضى الأول لسبيله فأدلى بها إلى ابن الخطاب بعده، ثم تمثل بقول الشاعر:

شـتـان ما يـومـي عـلى كـورها

وـيـوم حـيـان أخـي جـابـر

فيا عجباً بينا هو يستقبلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته لشد ما تشطرا ضرعيها، فصيرها في حوزة خشناء، يخشن مسها ويغلظ كلمها، ويكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن عنف بها حزن وإن أسلس بها غسق، فمني الناس لعمر الله بخبط وشماس، وتلون واعتراض وبلوى وهو مع هن وهين، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض فيّ الريب مع الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر لكنني أسففت إذ أسفوا، وطرت إذ طاروا فمال رجل بضبعه، وأصغى آخر لصره وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين نثيله ومعتلفه، وقاموا معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع، حتى أجهز عليه عمله، وكبت به بطنته، فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع قد أنثالوا علي من كل جانب حتى لقد وطىء الحسنان، وشق عطفائي، حتى إذا نهضت بالأمر نكثت طائفة، وفسق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول ﴿ تِلْكَ

الَّذَارُ الْآخِرَةُ نَجَعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٠﴾ ،
 بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكن انحلت الدنيا في أعينهم ، وراقهم
 زبرجها ، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة
 بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقرؤا على كظة ظالم ولا
 سغب مظلوم ، لألقيت حبلها على غاربها ، ولسقيت آخرها بكأس أولها ،
 ولا لفيئُ دنياكم هذه عندي أزهد من خبقة [عفطة] عنز..^(١).

وقال عليه السلام: (واعجباً أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة
 والقرابة!!).

وجاء في محادثة الإمام علي عليه السلام مع عبد الرحمن بن عوف لعنه الله
 حينما قال الأخير: (يا ابن أبي طالب إنك على هذا الأمر لحريص ، فقال
 له عليه السلام: لستُ عليه حريصاً ، وإنما أطلب ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله وحقه ،
 وإن ولاء أمته لي من بعده ، وأنتم أحرص عليه مني إذ تحولون بيني وبينه ،
 وتصرفون وجهي دونه بالسيف ، اللهم أني أستعديك على قريش فإنهم
 قطعوا رحمي وأضاعوا أيامي ، ودفعوا حقي ، وصغروا قدري وعظم منزلتي ،
 وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به منهم ، فاستلبوني ثم قال: أصبر
 مضموماً أومت متأسفاً ، وأيم الله لو أستطاعوا أن يدفعوا قرابتي كما قطعوا
 سببي فعلوا ، ولكنهم لا يجدون إلى ذلك سبيلاً..)^(٢).

ونقل المجلسي رحمته الله عن كتاب سليم بن قيس ، فيما جرى بين أمير
 المؤمنين عليه السلام وبين الأشعث بن قيس: (إن الأشعث قال للإمام عليه السلام: والله
 لئن كان الأمر كما تقول لقد هلكت الأمة غيرك وغير شيعتك قال عليه السلام:

(١) بحار الأنوار ج ٢٩ ص ٤٩٧- ص ٥٠٠ الخطبة المعروفة بالشقشقية.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٥.

فإن الحق والله معي يا ابن قيس كما أقول وما هلك من الأمة إلا الناصبين والمكابرين والجاحدين والمعاندين فأما من شك بالتوحيد والإقرار بمحمد والإسلام ولم يخرج من الملة ولم يظهر علينا الظلمة ولم ينصب لنا العداوة وشك في الخلافة ولم يعرف أهلها وولاتها ولم يعرف لنا ولاية ولم ينصب لنا عداوة فإن ذلك مسلم متضعف يرجى له رحمة الله ويتخوف عليه ذنوبه^(١).

وللتأكيد على كون الخلافة هي القيام مقام رسول الله ﷺ بأمر من عند الله ﷻ لا يحق لأحد أن يدعيها إلا لمن كان عنده موثيق النبوة نجد عند مبايعة الناس لأمر المؤمنين ﷺ بالخلافة أنه خرج عليهم ﷺ وهو متعمماً بعمامة رسول الله ﷺ لا بساً بردة رسول الله ﷺ منتعلاً نعل رسول الله ﷺ متقلداً سيف رسول الله ﷺ وهو بهذه الصورة صعد المنبر^(٢)، وكذلك فعل بنوه الأئمة الخلفاء ﷺ من بعده فإن الظهور بهذا الزي الشريف فيه إشارة لطيفة إلى مبدأ الخليفة حتى المعاد، وثبوت حقه على العباد.

قال الإمام الحسن ﷺ لمعاوية (لعنة الله تعالى عليه): (نحن نقول أهل البيت أن الأئمة منا وإن الخلافة لا تصلح إلا فينا وأن الله جعلنا أهلها في كتابه وسنة نبيه وأن العلم فينا ونحن أهلها)^(٣).

وروى أهل الأخبار أن المأمون العباسي وهو الخؤون (لعنه الله) لما عرض الخلافة على الإمام الرضا ﷺ فقال للعين: (قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك فقال له الإمام الرضا ﷺ: إن كانت هذه الخلافة لك وجعلها الله لك فلا يجوز لك أن تخلع شيئاً ألبسك

(١) مصباح البلاغة مستدرک نهج البلاغة للميرجهاني ج ٣ ص ٢.

(٢) راجع مستدرک الوسائل ج ١ ص ١٠٢ نقلاً عن الشيخ المفيد في الاختصاص.

(٣) بحار الأنوار ج ٨٩ ص ٤٧.

الله وتجعل لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك، فقال المأمون (لعنه الله): يا ابن رسول الله لا بد لك من قبول هذا الأمر فقال له عليه السلام: تريد أن يقول الناس أن علي بن موسى الرضا عليه السلام لم يزهّد في الدنيا بل زهدت الدنيا فيه أما ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة فغضب اللعين^(١)، فالخلافة خلعة إلهية لا بالانتخاب والشورى بل بنص من عند الله ينص عليه ليس للناس الخيرة فيه.

وأما أبناء العامة فإنك حينما تنظر إلى مجمل أقوالهم وبالذات في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾^(٢). فإنهم يجعلون الخليفة من أبرز مصاديق أولي الأمر فيفرضون لهم على الناس من وجوب الطاعة ما تفرضه مدرسة آل البيت عليهم السلام لأئمتهم الأطهار عليهم السلام مع أن هذه الطاعة لا تنسجم إلا مع المعصوم عليه السلام الذي حمّله الله الإمامة والخلافة وهذه العصمة لا تعرف إلا بالنص، فإن إسناد الخلافة إلى أولئك الثلاثة جريمة لا تغتفر وكبيرة على حد الشرك بالله أسستها السقيفة واستن بها أتباعها عليهم لعائن الله. نقل محمد بن جرير الطبري في تاريخه أن عمر بن الخطاب كان يقول يوم السقيفة: (أيها الناس بايعوا خليفة الله، فإن من بات ليلة بغير إمام كان عاصياً). فأقروا بأن الخلافة لا تنفك عن الإمامة وأن الإمامة لا تنفك عن العصمة وأن العصمة لا تنفك عن النص وأن النص حصر في آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من بات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). ومن هنا سنة السقيفة سنتها، وأحكمت شبهتها على الناس ففسروا الإمام والخليفة وولي الأمر

(١) وسائل الشيعة ج ١٧ ص ٢٠٣.

(٢) سورة النساء الآية ٥٩.

بالحاكم على الناس ليس إلا. فلم يشترطوا لهم العصمة ولكنهم فرضوا لهم من وجوب الطاعة ما لا تجوز إلا للمعصوم عليه السلام، هذه سنة من جعل إلهه هوأه وقد شرعه على شرع الله، منتحلين أسماء العترة الأطهار عليهم السلام، ووثبوا على سلطانهم، ومنعوه ميراثهم، وقطعوا رحم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سمو أنفسهم بأنهم أبناء السنة حتى يوهموا ضعاف العقول والسذج من عوام الناس بأنهم أتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وغيرهم ليس على سنته، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله منهم براء، بل هم أتباع سنة كل فاجر كذاب ترأس أو نشأ من سقيفة بني ساعدة المشؤومة التي خرجت منها أول صيحة تنادي بقتل آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وضربهم وإحراق دورهم عليهم السلام ومقولة عمر أشهر من أن تخفى حينما قال لابن أبي قحافة أقتل علي وحاربه أو حرق عليه داره لأنه لم يبايع فسمعت أم أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وآله فصرخت تدافع عن آل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فهم بضربها وطردها، وكيف لا يكون هذا فعلهم وقد تعاهدوا عليه.

روى في الكافي الشريف عن علي بن محمد عن علي بن الحسين عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(٧١). قال عليه السلام: (نزلت هذه الآية في فلان وفلان وأبي عبيدة بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وسالم مولى أبي حذيفة والمغيرة بن شعبة حيث كتبوا الكتاب بينهم وتعاهدوا وتوافقوا لئن مضى محمد لا يكون في بني هاشم الخلافة ولا النبوة أبداً فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية. قال قلت قوله عز وجل: ﴿ أَمْ أُنزِلُوا أَصْرًا فَاِنَّا مُبْرِمُونَ ﴾^(٧١) أم يحسبون أننا لا نسمع سيرهم ونجوتهم بل

وَرُسُلَنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿١١﴾. قال عليه السلام: هاتان الآيتان نزلتا فيهم ذلك اليوم، قال أبو عبد الله عليه السلام لعلك ترى أنه كان يوم يشبه يوم كتب الكتاب إلا يوم قتل الحسين عليه السلام وهكذا كان في سابق علم الله وَجَلَّ الذي أعلمه رسول الله ﷺ أن إذا كتب الكتاب قتل الحسين وخرج الملك من بني هاشم فقد كان ذلك كله) (١).

روى الكافي الشريف أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال: (كنت دخلت مع أبي الكعبة فضلى على الرخامة الحمراء بين العمودين فقال في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله ﷺ أن لا يردوا هذا الأمر في أحد من أهل بيته أبداً، قال: قلتُ ومن كان قال الأول والثاني وأبو عبيدة بن الجراح وسالم بن الحبيبة) (٢).

وقال أبان بن أبي عياش قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام: «ما لقينا أهل البيت من ظلم قريش وتظاهرهم علينا وقتلهم إيانا وما لقيت شيعتنا ومحبوينا من الناس إن رسول الله ﷺ قبض وقد قام بحقنا وأمر بطاعتنا وفرض ولايتنا ومودتنا وأخبرهم بأننا أولى بهم من أنفسهم وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب فتظاهروا على علي عليه السلام واحتج عليهم بما قال رسول الله ﷺ فيه وما سمعت العامة فقالوا صدقت قد قال رسول الله ﷺ ولكن قد نسخت فقال: إنا أهل بيت أكرمنا الله وَجَلَّ واصطفانا ولم يرض لنا بالدنيا وإن الله لا يجمع لنا النبوة والخلافة فشهد له بذلك أربعة نفر عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة فشبهاوا على العامة وصدقوهم وردوهم على أدبارهم

(١) سورة الزخرف الآيات ٧٩-٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٣٦٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٨ ص ٨٥ باب تمهيد غضب الخلافة وقصة الصحيفة الملعونة. وفي ص ١٠٤ فيها بيان لتهام الصحيفة الملعونة واتفاقهم مع عائشة.

وأخرجوها من معدنها حيث وضعها الله واحتجوا على الأنصار فعقدوها لأبي بكر ثم ردها أبو بكر على عمر يكافيه بها ثم جعلها عمر شورى بين ستة ثم جعلها ابن عوف لعثمان على أن يردها عليه فغدر به عثمان وأظهر ابن عوف كفره وطعن في حياته وزعم أن عثمان سمه فمات ثم قام طلحة والزبير فبايعا علياً عليه السلام طائعين غير مكرهين ثم نكثا وغدرا وذهبا بعائشة معهما إلى البصرة^(١). وكل إنسان يحصد ما يزرع إن كان خير فخير وإن كان شر فشر.

روى في إرشاد القلوب بحذف الإسناد مرفوعاً إلى عبد الرحمن ابن غنم الأزدي ختن معاذ بن جبل وحين مات كانت إبنته تحت معاذ ابن جبل، وكان أفقه أهل الشام وأشدهم اجتهاداً قال: (مات معاذ بن جبل بالطاعون، فشهدت يوم مات والناس متشاغلون بالطاعون، قال وسمعتة حين احتضر وليس في البيت غيري وذلك في خلافة عمر ابن الخطاب فسمعتة يقول ويل لي فقلت في نفسي أصحاب الطاعون يهزون ويقولون الأعاجيب، فقلت له أتهدني؟ قال لا رحمك الله، قلت فلم تدعوا بالويل والشبور، قال لموالاتي عدو الله على ولي الله، فقلت له من هم قال: موالاتي عتيقاً على خليفة رسول الله ﷺ ووصيه علي ابن أبي طالب عليه السلام فقلت إنك لتهجر، فقال يا بن غنم والله ما أهجر: هذان رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب عليه السلام يقولان لي يا معاذ أبشر بالنار أنت وأصحابك، أفليس قلتم إن مات رسول الله ﷺ أو قتل زوينا الخلافة عن علي بن أبي طالب عليه السلام فلن تصل إليه، فاجتمعت أنا وعتيق وأبو عبيدة وسالم. قال: قلت متى يا معاذ، قال في حجة الوداع، قلنا نتظاهر على علي عليه السلام فلا ينال الخلافة ما حينئذ.. إلى أن قال فحججت ولقيت الذي غمض أبا عبيدة وسالماً - اللذين

(١) بحار الأنوار ج ٢٥ ص ١٣٧ باب جامع في صفات الإمام وشرائطه ح ٧.

دخلا في الخيانة - فأخبراني أنه حصل لهما ذلك عند موتهما، لم يزد فيه حرفاً ولم ينقص حرفاً، قال سليم فحدثت ابن غنم هذا كله محمد بن أبي بكر، فقال لي أكتم علي وأشهد أن أبي قد قال عند موته مثل مقالتهم، فقالت عائشة إن أبي يهجر، قال محمد فلقيتُ عبد الله بن عمر في خلافة عثمان وحدثته بما سمعته من أبي عند موته فأخذت عليه العهد والميثاق إلا يكتم علي فقال لي عمر أكتم علي، فوالله لقد قال أبي مثل ما قال أبوك وما زاد ولا نقص، ثم تداركها ابن عمر وتخوف أن أخبر بذلك علي بن أبي طالب عليه السلام، لما علم من حبي له وانقطاعي إليه..^(١) والرواية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة وبعد أن أخذت البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام مجبراً قال عليه السلام: أذكركم الله أيها الأربعة قال لسلمان وأبي ذر والزبير والمقداد أسمعتم رسول الله صلى الله عليه وآله يقول إن في النار لتابوتاً من نار أرى فيه إثني عشر رجلاً ستة من الأولين وستة من الآخرين في جب في قعر جهنم في تابوت مقفل على ذلك الجب صخرة فإذا أراد الله أن يسعر جهنم كشف تلك الصخرة من ذلك الجب فاستعرت جهنم من وهج ذلك الجب ومن حره، قال علي عليه السلام: فسألت رسول الله صلى الله عليه وآله عنهم وأنتم شهود فقال صلى الله عليه وآله: أما الأولون فابن آدم الذي قتل أخاه وفرعون الفراعنة (والذي حاج إبراهيم في ربه) ورجلان من بني إسرائيل بدلا كتابهم وغيرا سنتهم أما أحدهما فهو اليهود والآخر نصرّ النصارى وإبليس سادسهم والدجال في الآخرين وهؤلاء الخمسة أصحاب الصحيفة الذين تعاهدوا وتعاقدوا على عداك يا أخي وتظاهروا عليك بعدي هذا وهذا حتى سماهم وعدهم لنا قال سلمان فقلنا صدقت نشهد أنا سمعنا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله فقال عثمان يا أبا الحسن أما عند أصحابك هؤلاء حديث فيّ فقال له علي عليه السلام بلى سمعت رسول

الله ﷺ يلعنك ثم لم يستغفر الله لك بعد ما لعنك فغضب عثمان^(١).

والكلام في هذا الموضوع طويل جداً وذو شجون: فنكتفي بالإشارة منعاً عن تشتت العبارة في المراد من الخلافة شيعة وعامة، وقد مر عليك مسبقاً في وصية ابن أبي قحافة التي خطها عثمان بيده وعمل عمر بها من بعده فأجاز أشياعه سنته وتناسوا مقولته كفانا كتاب الله فجوزوا الهذيان على سيد الأنام ﷺ ومنعوه عن ابن آكلة الذبان، فيالها من سنة تسموا بها، وسيحشرون عليها.

روى ابن عباس قال لما طعن عمر دخلت عليه فرأيته جزعاً فقلت: (يا أمير المؤمنين ما هذا الجزع، فقال يا ابن عباس ما جزعي لأجلي ولكن لهذا الأمر من يليه بعدي قال: قلت ولها طلحة بن عبيد الله، قال رجل له حدة، كان النبي ﷺ يعرف فلا أولي أمور المسلمين حديداً. قال: قلت ولها زبير بن العوام. قال: رجل بخيل، رأيت يماكس امرأته في كبة من غزل، فلا أولي أمور المسلمين بخيلاً. قال: قلت ولها سعد بن أبي وقاص. قال رجل صاحب فرس وقوس وليس من أحلاس الخلافة، قلت ولها عبد الرحمن بن عوف. قال رجل ليس يحسن أن يكفي عياله، قال قلت ولها عبد الله بن عمر، فاستوى جالساً وقال يا ابن عباس ما والله أردت بهذا، أولي رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته، قلت ولها عثمان بن عفان، فقال والله لئن وليه ليحملن آل أبي معيط على رقاب المسلمين، وأوشك إن فعلها أن يقتلوه.. قالها ثلاثاً، ثم سكّت لما أعرف من معاندته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ قال لي يا ابن عباس إذكر صاحبك قال قلت ولها علياً، قال والله ما جزعي إلا لما أخذنا الحق من أربابه، والله لئن وليته ليحملنهم

على المحجّة البيضاء، وإن يطيعوه يدخلهم الجنة^(١).. فهو يقول هذا ثم صيّرها شورى بين الستة وجعل الإمام علي عليه السلام أحدهم، ثم ألم يشهد مع أقرانه بأن النبوة والخلافة لا يجتمعان في بيت واحد فانظر كيف يناقض الرجل نفسه بنفسه ويظهر كذبه على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله على عهده حتى قام خطيباً فقال أيها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ثم كذب عليه من بعده، فما أشد كذبهم وما أجراهم على الله وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله أفيجيزون الوصية لأنفسهم ويمنعوها عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟! أم هم أحرص على أمة رسول الله صلى الله عليه وآله من رسول الله صلى الله عليه وآله؟! !!

عن بريد العجلي عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (١) **تَرَىٰ إِلَىٰ الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** (٢). فلان وفلان: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أئمة الضلال والدعاة إلى النار، هؤلاء أهدي من آل محمد وأوليائهم سبيلاً ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ (٣) **أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا** ﴿ نحن الناس الذي عنى الله (٣).

وأنت أيها الموالي طبق كلام أهل البيت عليهم السلام مع واقع الحال الذي يعيشه المسلمون لو جدت أن السواد الأعظم منهم سلك طريقاً غير طريق الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بل أنهم سلكوا طرق أعدائه وظالميه وشائنيه وغاصبي حقوقه عليهم لعائن الله أبد الأبدین، فلا تستوحش طريق الحق لقلّة سالكيه ويكفيك فخراً فيه أن مولاك مولى الموحدین أمير المؤمنين وآل

(١) بحار الأنوار ج ٣١ ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) سورة النساء الآية ٥١.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٠ ص ١٨٧-١٨٨.

بيته الطهر الميامين ويتقدمهم الرسول الأمين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) هم أصحاب هذا الطريق وهو الصراط المستقيم وسبيل السالكين فيه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام.

الوقفه الخامسة: الخلافة في فهم أهل الكتاب

فهم أهل الكتاب من خلافة رسول الله ﷺ بأنه القائم مقامه وولي الأمر بعده ووصيه.

روى ابن عباس قال: لما ولي عمر بن الخطاب الخلافة أتاه أقوام من أحبار اليهود فقالوا يا عمر أنت ولي الأمر من بعد محمد قال: نعم قالوا: نريد أن نسألك عن خصال إن أخبرتنا بها دخلنا في الإسلام، وعلمنا أن دين الإسلام حق وأن محمداً كان نبياً وإن لم نخبرنا بها علمنا أن دين الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً^(١) ثم سألوه عن مسائل فأظهر الرجل عجزه، وافتضح أمره فبعث بهم إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام فأجابهم عن جميع ما سألوه.

روي عن الإمام الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام قال: (كنت عند أبي عبد الله عليه السلام ذات يوم وأنا طفل خماسي إذ دخل عليه نفر من اليهود فقالوا أنت ابن محمد نبي هذه الأمة والحجة على أهل الأرض قال لهم نعم، قالوا: إنا نجد في التوراة أن الله تبارك وتعالى أتى إبراهيم وولده الكتاب والحكم والنبوة وجعل لهم الملك والإمامة وهكذا وجدنا ذرية الأنبياء لا تتعداهم النبوة والخلافة والوصية فما بالكم قد تعداكم ذلك وثبت في غيركم ونلقاكم مستضعفين مقهورين لا يرقب فيكم ذمة نبيكم فدمعت عينا

أبي عبد الله عليه السلام ثم قال: نعم لم يزل أنبياء الله مضطهدة مقهورة مقتولة بغير حق والظلمة غالبية وقليل من عباد الله الشكور قالوا: فإن الأنبياء وأولادهم علموا من غير تعليم وأوتوا العلم تلقينا وكذلك ينبغي لأئمتهم وخلفائهم وأوصيائهم فهل أوتيتم ذلك فقال أبو عبد الله عليه السلام: إدنو يا موسى فدنوت فمسح يده على صدري ثم قال الله أيده..^(١) إلى آخر الحديث الشريف والأحاديث التي تحمل هذه المضامين كثيرة جداً فأهل الكتاب ينظرون إلى الخلافة لا مجرد الحاكمية على الناس بل هي منصب إلهي فالخليفة هو الوصي وهو الإمام وهو ولي الأمر بعده وخزانه علمه ومن أهل بيته، ومن هنا تجدهم يتوجهون بمعضلات مسائلهم إلى من سمّته الناس خليفة حتى يتبين لهم أنه مغتصب كذاب وأن الذي جرى على أهل البيت عليهم السلام هو من سنة الله عليهم التي هي جزء من سنته العامة التي أجراها في خلقه فقال: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ ونعم ما أفاده العلامة والد العلامة المجلسي (قدس الله روحيهما الزاكية) وهو معنى مستوحى من الروايات الشريفة فقال رحمته الله: «كل من يقرأ القرآن يتبادر إلى ذهنه أن الخطابين لواحد لاجتماعهما في محل واحد والحال أن الخطاب في قوله (لكيلا تأسوا) لعلي عليه السلام لما فاته من الخلافة وفي قوله (ولا تفرحوا) لأبي بكر وأصحابه لما غصبوا من الخلافة فقوله واحدة مقدمة وواحدة مؤخره لبيان اتصالهما وانتظامهما في آية واحدة»^(٢).

الحاكمية على الناس هي جزء من الخلافة الإلهية الكلية ووظيفة من

(١) بحار الأنوار ج ١ ص ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ٣٥١.

وظائفها إجراء شريعة الله في خلقه ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١). وإقامة العدل بين الناس هو أحد الأهداف الرئيسة للأنبياء والأئمة عليهم السلام وذلك لا يتحقق إلا بهداية الناس وتعلميهم والحاكمية عليهم قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾^(٢)، قال في لسان العرب، الحاكم: «هو الذي يمنع الناس عن المظالم، وهو القاضي فهو فعيل بمعنى فعال، أو هو الذي يحكم الأشياء ويتقنها»، وقال الأصمعي: «أصل الحكومة رد الرجل عن الظلم، والحاكم هو منفذ الحكم»^(٣)، وقال الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية (لعنه الله): «ويلك يا معاوية إنما الخليفة من سار بسيرة رسول الله ﷺ وعمل بطاعة الله» فالحاكمية على الناس إذاً مع ما وصلنا إليه لا تتفق قطعاً مع ما ذهبت إليه أبناء العامة في مفهومها المبتدع للخليفة أو ولي الأمر أو الحاكم على الناس فإن أفضل من اتبعوهم واستنوا بسنتهم وحملوا رايتهم هم الملعونين على لسان النبي ﷺ باتفاق المخالف والمؤلف لتخلفهم عن جيش أسامة ومنهم أبو بكر وعمر وعثمان وقد ذكره أصحاب السير والتواريخ ونقل السيد الأجل ﷺ في الشافي عن البلاذري في تاريخه وهو معروف ثقة كثير الضبط وبريء من ممالاة الشيعة، وقد رواه ابن أبي الحديد كما رواه الطبري، ولست في مورد ذكر أسانيد الخبر لكونه من المسلمات التي لا ينكرها إلا جاهل أو معاند، ومن لعنه رسول الله ﷺ كيف يكون خليفته؟! ومن استأمر عليهم رسول الله ﷺ أسامه بن زيد حتى توفي رسول الله ﷺ وبقي أمره قائم عليهم كيف تسنى لهم عزل من أمره رسول الله ﷺ ثم التروؤس عليه؟! ومن عرف بنقض عهوده وموآثيقه هل يصح أن يكون خليفة لرسول الله ﷺ؟! فنقضوا بيعة الغدير بإمرة

(١) سورة الحديد الآية ٢٥ .

(٢) سورة المائدة الآية ٤٤ .

(٣) لسان العرب ج ١٢ ص ١٤٠ .

المؤمنين للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ثم نقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حينما تمردوا على أسامة بن زيد وترأسوا عليه فقام معترضاً عليهم ولم ينفعه اعتراضه. ثم فعلوا عظيم فعلتهم بسلب الزهراء عليها السلام إرثها في فديك ثم التجاوز عليها بالضرب والركل واللطم وكسروا ضلعين من أضلاعها ثم اسقطوا جنينها وعصروها جانبي الباب والجدار فلعن الله ظالميها وشانئها وغاصبي حقوقها إلى يوم الدين^(١).

يأدار فاطم ما تراءى طيفها

إلا وأصبح منه في عيني قذى

حتم هذا القلب يترعه الأسى لم

يلف من شرك المصائب منقذا

عهد لعترة أحمد في صحبه

غض يفوح به من الوحي الشذى

أمسى يؤكد الرسول لقومه

فكأنه أوحى به أن ينبذا

لا حبذا الغدر الشنيع ويومه من

بعد موت المصطفى لا حبذا

يوم أناخ به الظلام فلم يجد

نور الهداية في الضمائر منقذا

لهفي لبنت محمد من بعده ذاقت

من الأصحاب ألوان الأذى

(١) راجع المصادر في كتاب مأساة الزهراء عليها السلام شبهات وردود الجزء الثاني من ص ٣٢٩-٤٠٤ تأليف العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي (دام الله عزه).

خرجت تزدود النار عن باب
به يقف الأمين مسلماً ومعوذا
ولقد أصاب من الهداية قلبها
ما ألم المسمار منه وأوقدا
والسوط يلعن حامله بما جنى
حقداً على الزهراء حرص قنفذا
ياسوط قنفذ قد شهرت على
الهدى سيفاً تعود أن يسل ويشحذا
فهبت به مهيج لآل محمد
راح العدو بسفكها متلذذا
يوم استفاقت في الصدور ضغائن
وغدا الضلال على الهدى مستحوذا
كانت به أبناء فاطم بعدها
في كل نازلة مثالاً يحتذى
ما همهم خصم تنازع حقهم
كلا ولم يسكتهم هاذي هذي
ولأن تلمظ في زكي دماتهم
خصم غدا في ظلمهم متنفذا
فالله يوم الحشر يأخذ ثارهم
والصور يدعوا ظالماً كي يؤخذاً^(١)

(١) الدكتور السيد مسلم الجاهري نقلاً عن قيس من نور فاطمة عليها السلام للشيخ حسن الشمري
ص ٣٣٢-٣٣٣.

الفصل الثاني عشر

مقام الشفاعة الكبرى

مَنْ ثَبِتَ لَهُ مَقَامَ التَّصَدِّي لِلدِّينِ بِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 إِمَاماً مَعْصوماً طَاهِراً مَطْهُراً مَنْزَهاً عَنِ كُلِّ عَيْبٍ
 وَرَجَسٍ قَدْوَةً لِلصَّالِحِينَ خَلِيفَةً لِرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 وَوَلِيَّ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ عَيْبَةً عِلْمَ اللَّهِ وَخِزَانَةَ أَسْرَارِهِ
 حُجَّةَ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَجْمَعِينَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ
 وَالشَّاهِدَ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الدِّينِ، فَلِمَقَامِ قُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
 وَوَجَاهَتِهِمْ عِنْدَهُ جَعَلَ لَهُمْ مَقَامَ الشَّفَاعَةِ الْكُبْرَى قَبْلَ
 أَنْ يَبْرِيءَ خَلْقَهُ، يَا سَادَتِي يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
 يَا وَجْهَاءَ عِنْدَ اللَّهِ إِشْفَعُوا لَنَا عِنْدَ اللَّهِ.

ما هي الشفاعة؟

الشفاعة لغة: جاء في لسان العرب هي التجاوز عن الذنوب والجرائم^(١).
 وقد تأتي الشفاعة بمعنى الزيادة ومنه حق الشفعة للشريك الذي هو إستحقاق

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ١٨٤.

الشريك الحصة المبيعة في شركة ما كما هو مبين في كتب الفقه، فقال صاحب كتاب لسان العرب، سئل أبو العباس عن اشتقاق الشفاعة في اللغة فقال الشفاعة الزيادة وهو أن يشفعك فيما تطلب حتى تضمه إلى ما عندك فتزيده وتشفعه بها أي أنه كان وترأ واحداً فضم إليه ما زاده وشفعه به^(١). وقال صاحب كتاب العين: اشتقاقها على ما قيل من الزيادة، لأن الشفيع يضم المبيع إلى ملكه فيشفعه به، كأن كان واحداً وترأ فصار زوجاً شفيعاً^(٢). فالشفاعة في اللغة إذا تأتي لبيان معنيين: المعنى الأول: لطلب التجاوز عن الذنوب والجرائم بإسقاط العقاب المترتب على مرتكبها كلياً أو جزئياً بتخفيف العقوبة عنه.

المعنى الثاني: لطلب زيادة المنفعة بمضاعفة ثواب أهل الإحسان. هذا من حيث اللغة، أما لو نظرنا إلى الشفاعة كعقيدة مع غض النظر إلى مواردها وأقسامها فإننا نجدها مورد إتفاق لعموم المسلمين، قال العلامة رحمته الله في شرح تجريد الاعتقاد: «إتفقت العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾^(٣) قيل أنه الشفاعة»^(٤).

وقال النووي (وهو من أبناء العامة) في شرح صحيح مسلم قال القاضي عياض مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً بصريح الآيات وبخبر الصادق وقد جاءت الآيات التي بلغت بمجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من السنة عليها، وأما مذهب الخوارج وبعض المعتزلة فقد امتنعوا عن قبول

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٨ ص ١٠٤.

(٢) كتاب العين ج ١ ص ٢٦١.

(٣) سورة الإسراء الآية ٧٩.

(٤) بحار الانوار ج ٨ ص ٦١.

الشفاعة بالمعنى السابق وأثبتوها في زيادة الدرجة محتجين بقوله تعالى: ﴿فَأَنْتَعِمُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾^(١)، في نفي الشفاعة عن العصيين وخلودهم في النار، والحق أن هذه الآية الكريمة ومثيلاتها جاءت لتنفي الشفاعة عن أهل الكفر والشرك وليس مطلق العصيين، وصريح الآيات والروايات تمنع التأويل فيها وتثبت بطلان ما ذهبوا إليه فالشفاعة كعقيدة إذا يلتزم بها منتحلوا الإسلام جميعاً على اختلاف مشاربهم، بل أنها تعدُّ من ضروريات كل معتقد حتى ولو كانوا ممن يعبدون الوثن، فكل فرقة تعتقد بأن رمز دينها ورئيسها على الدين والدنيا شفيع لها وسائقها إلى السعادة الأبدية بما حظى به من قربة إلى الإله ولتلك القربة جاه ولذلك الجاه لوازم ومن لوازمه الشفاعة، وإليه الإشارة بالحديث الشريف (الشفاعة زكاة الجاه)، وقد تحدثت آيات القرآن الكريم عن غواية الشيطان الرجيم لاتباعه المشركين بجعلهم يعتقدون بأن آلهتهم تشفع لهم، فقال تعالى: ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾^(٢)، فزعم الكفار بأن أصنامهم تقربهم إلى الله وتشفع لهم، فتشهد الأصنام يوم القيامة على كفرهم ليكون الخذلان مآبهم ونار جهنم مآلهم، وقال أيضاً: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٣)، قال المجلسي رحمته الله في بحار أنواره: «هو إستفهام معناه الإنكار والنفي أي لا يشفع يوم القيامة أحد لأحد إلا بإذنه وأمره وذلك أن المشركين كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم فأخبر الله سبحانه أن أحداً ممن له الشفاعة لا يشفع إلا بعد أن يأذن الله له في ذلك ويأمر به»^(٤). وقال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾^(٥) لَا

(١) سورة المدثر الآية ٤٨ .

(٢) سورة الأنعام الآية ٢٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٥ .

(٤) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣١ .

يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ ﴿١﴾ أي لا يقدرُونَ على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض فيبين الله سبحانه أن هؤلاء الكفار لا شفاعة لغيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم لأنه سبحانه بين شرط الشفاعة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿٢﴾، أي لا يملك الشفاعة إلا هؤلاء الذين عاهدوا الله ووفوا بعهدهم الذي عاهدوا عليه، وهو الإيمان والإقرار بوحدانية الله تعالى الجامع لجميع أصول الدين، وقال: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ ﴿٣﴾ أي إلا الذين رحمهم الله من المؤمنين فإنه إما أن يسقط عنهم العقاب كلياً بالتوبة أو جزئياً بتسليط العذاب عليهم في مختلف المواطن كي لا تنزل أقدامهم عن الصراط أو يأذن بالشفاعة فيهم وأما عقيدة أهل الكتاب بالشفاعة فمن الواضح في كتبهم وجميع مسالك حياتهم لم تعد تخفى على أحد، روى في الأمالي: أن نفراً من اليهود جاءوا إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن مسائل وفيما سألوه أن قال أعلمهم: أخبرني عن سبع خصال أعطاك الله من بين النبيين وأعطى أمتك من بين الأمم؟ قال النبي ﷺ: أعطاني الله ﷻ فاتحة الكتاب والأذان والجماعة في المسجد ويوم الجمعة والإجهار في ثلاث صلوات والرخص لأمتي عند الأمراض والسفر والصلاة على الجنائز والشفاعة لأصحاب الكبراء من أمتي. قال اليهودي: صدقت يا محمد... الخ ﴿٤﴾.

وروى في المستدرک عن أمالي شيخنا الصدوق رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ الْأَسَدِيِّ عَنْ عَبْدِ الْعَظِيمِ الْحَسَنِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْهَادِي عَنْ آبَائِهِ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: (لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ

(١) سورة مريم الآيات ٨٦-٨٧.

(٢) سورة مريم الآية ٨٧.

(٣) سورة الدخان الآية ٤٢.

(٤) وسائل الشيعة ج ٥ ص ٣٧٧.

قال موسى عليه السلام: إلهي ما جزاء من دعا نفساً كافرة إلى الإسلام؟ قال: يا موسى آذن له في الشفاعة يوم القيامة لمن يُريد^(١)، وروي في خبر لقاء عبد المطلب عليه السلام مع سيف بن ذي يزن فقال له: (إعلم يا أبا الحارث^(٢)). أن بأرضكم غلام حسن الوجه والبدن جميل القد والقامة بين كتفيه شامة المبعوث من تهامة أنبت الله تعالى على رأسه شجرة النبوة وظللته الغمامة وصاحب الشفاعة يوم القيامة مكتوب بخاتم النبوة على كتفيه سطران الأول: لا إله إلا الله، والثاني محمد رسول الله ﷺ (...)^(٣).

وأما ذكرها عندنا فحدث ولا حرج فقد روي في التشديد على الاعتقاد بها روايات كثيرة ومنها على سبيل المثال ما رواه شيخنا الصدوق رحمته الله في أماليه عن القطان السكري عن الجوهرى عن ابن عمارة عن أبيه قال: (قال الصادق عليه السلام: من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا، المعراج والمسائلة في القبر والشفاعة)^(٤)، وقال النبي ﷺ: (مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِشَفَاعَتِي فَلَا أَنَالَهُ اللَّهُ شَفَاعَتِي)^(٥)، إن إدراك معنى هذا الحديث الشريف ومدى عظم المصيبة بصرف الشفاعة عن غير المعتقد بها سيتضح لكم أكثر حينما نتناول أقسام الشفاعة إن شاء الله تعالى، هذا مضافاً إلى أن إنكار مقام الشفاعة للنبي وآله عليهم السلام يعدُّ جحوداً لحقهم وإنكاراً لأحد مقاماتهم العلية التي ميزهم الله بها عن سائر خلقه، وقد قال ﷺ: (لا شفيع أنجح من التوبة والشفاعة للأنبياء والأوصياء والمؤمنين والملائكة وفي المؤمنين من يشفع مثل ربيعة ومضر وأقل المؤمنين شفاعة من يشفع لثلاثين إنساناً والشفاعة لا تكون

(١) المستدرك ج ١٢ ص ٢٤٠، ١٣٩٩٥ - ٧.

(٢) كنية لعبد المطلب عليه السلام.

(٣) بحار الأنوار ج ١٥ ص ١٤٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٦ ص ٧٦، ح ٣.

(٥) بحار الأنوار ج ٨ ص ٢٨.

لأهل الشرك والشك ولا لأهل الكفر والجحود بل تكون للمؤمنين من أهل التوحيد^(١). وإن توقف البعض عن قبول مورد من موارد الشفاعة لبعض المؤمنين لا يمنع من الإعتقاد بها بالجملة، فقد توقف العلامة رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح تجريد الاعتقاد عن قبول الشفاعة بمعنى زيادة المنافع للمؤمنين فقال: «اتفقت العلماء على ثبوت الشفاعة للنبي ﷺ... إلى أن قال فقالت الوعيدية: إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للشواب، وذهبت التفضيلية إلى أن الشفاعة للفساق من هذه الأمة في إسقاط عقابهم وهو الحق وقال المجلسي رَحِمَهُ اللهُ وَأَبْطَلَ المصنف أي العلامة رَحِمَهُ اللهُ، فقال بأن الشفاعة لو كانت في زيادة المنافع لا غير لكننا شافعين في النبي ﷺ حيث نطلب من الله تعالى علو الدرجات والتالي باطل قطعاً لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه فالمقدم مثله، وقد إستدلوا بوجوه:

دليلهم الأول: قوله تعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾^(٢) لأن المطاع فوق المطيع والله تعالى فوق كل موجود ولا أحد فوقه، وأجابه المجلسي رَحِمَهُ اللهُ فقال: «لا يلزم من نفي الشفيع المطاع نفي الشفيع المجاب مضافاً إلى أن المعنيين بالآية هم الكفار».

دليلهم الثاني: قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^(٣) ولو شفع ﷺ في الفاسق لكان ناصرأ له.

الدليل الثالث: عموم الآيات الدالة على نفي الشفاعة ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾

(١) بحار الانوار ج ٨ ص ٢٨.

(٢) سورة غافر الآية ١٨.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٩٢.

وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١﴾ وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرَى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٢)، والجواب أن هذه الآيات كلها مختصة بالكفار الذين رغبوا عن الاستغفار والتوبة بدلالة الآيات المجوزة للشفاعة والمجوزة لمغفرة ما دون الشرك.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (٣) وهو نفي لشفاعة الملائكة من غير المرضي لله تعالى والفاسق غير مرضي.

والجواب: لا نسلم أن الفاسق غير مرضي مطلقاً بل قد يكون مرضياً لله تعالى في إيمانه.

أقول: مستعيناً بذكره تعالى: أن دعاء عموم المسلمين للنبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين برفع درجاتهم لا تدخل في باب الشفاعة لهم، بل تدخل في باب شكر المنعم والثناء على النبي وآله الأطهار عليهم السلام بالإقرار بعظيم فضلهم وعنائهم لنشر الإسلام وبقائه حياً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها مع الاعتراف بعظيم منزلتهم عند الله تعالى إذ خلق جميع الخلق لأجلهم، وقد يكون من باب لزوم أمرهم بالدعاء لهم لأن في الدعاء لهم يبلغ الداعي رجاءه ويصل لمراده، مع أنه يذكره بمقام العبودية المطلقة والفقير الدائم والمستمر لأولياء الله الصالحين وبالخصوص النبي وآله عليهم أفضل الصلاة والسلام الذين ظهرت عليهم آثار مقام بسط الولاية لتنزيههم عن الربوبية والغلو فيهم والتي وقّع بها سالف الأمم بسبب ظهور بعض آيات بسط الولاية على يد الأنبياء السابقين كنبى الله عيسى وموسى وسليمان على نبينا وآله وعليهم أفضل الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا

(١) سورة البقرة الآية ٤٨ .

(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٣ .

(٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨ .

الْمَلَكَةِ وَالنَّبِيَّاتِ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾.

وأما الشفاعة بمعنى زيادة المنافع فلا مانع عقلي يحول عن قبولها، بل العقل يرجحه بعد ثبوته بمعنى إسقاط المضار، قال المحقق الطوسي رَحِمَهُ اللهُ: «الحق صدق الشفاعة فيهما أي لزيادة المنافع وإسقاط المضار وثبوت الثاني له عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله إدخرتُ شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»^(١).

والقرآن الكريم والروايات الشريفة تثبت المعنيين فقد وردَ الكثير من آيات القرآن الكريم التي تذكر مضاعفة الثواب وزيادة درجات أهل الاحسان فقال جلَّ ذكره: ﴿وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٢) فهو جل ذكره ليس فقط يضاعف الثواب بل هو واسع عليم ومن سعته أن شفيع سادة الخلق للمؤمنين ليبلغوا مقام المستأنسين بالنبي وآله الطاهرين عَلَيْهِ السَّلَامُ. وقال أيضاً: ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يَضْعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾^(٣)، قال الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي رَحِمَهُ اللهُ: من شدد أراد المتصدقين إلا إنه أدغم التاء في الصاد، ومن خفف أراد الذين صدقوا بالحق وأقرضوا الله قرضاً حسناً فقال يضاعف لهم أي يجازون بأمثال ذلك، ومن شدد العين أراد التكثير، لأن الله تعالى يعطي بالواحد عشر إلى سبعين وإلى سبع مائة ثم قال: ولهم أجر كريم أي لهم جزاء وثواب مع اكرام الله إياهم وإجلاله لهم^(٤)، وقرأ ابن كثير وابو بكر بتخفيف الصاد في اللفظين والباقون بتشديدهما، روى في الخصال عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: (من تمسك بنا لحق، ومن سلك غير طريقنا غرق، لمحبينا أفواج من رحمة

(١) سورة آل عمران الآية ٨٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٦١.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٦١.

(٤) سورة الحديد الآية ١٨.

(٥) تفسير التبيان ج ٩ ص ٥٢٨.

الله ولمبغضينا أفواج من غضب الله). وقال عليه السلام: (من أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه وقاتل أعداءنا بيده فهم معنا في درجتنا ومن أحبنا بقلبه وأعاننا بلسانه ولم يُقاتل معنا أعداءنا فهو أسفل من ذلك بدرجة ومن أحبنا بقلبه ولم يُدافع عنا بلسانه ويده فهو مع عدونا في النار، ومن أبغضنا بقلبه ولم يعن علينا بلسانه ولا بيده فهو في النار). قال عليه السلام: (أنا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الظلمة والله لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق)^(١). والإنسان لا يبلغ درجة أهل البيت والكون معهم في غرفهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عملاً ما عمل وبلغ ما بلغ إلا بشفاعتهم يا سادتي يا آل بيت النبوة يا وجهاء عند الله إشفعوا لي عند الله.

وروى شيخنا المفيد عليه السلام في مجالسه عن الحسن بن حمزة عن أحمد ابن عبد الله عن جده أحمد بن عبد الله عن أبيه عن داود بن النعمان عن ابن أبي المقدام عن أبيه عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام أنه قال: (من أحبنا بقلبه ونصرنا بيده ولسانه فهو معنا في الغرفة التي نحن فيها ومن أحبنا بقلبه ونصرنا بلسانه فهو دون ذلك بدرجة ومن أحبنا بقلبه وكف بيده ولسانه فهو في الجنة)^(٢). ولا تعارض بين الخبرين حيث أن مقتضى الكف غير المعونة.

وقال ابو عبد الله عليه السلام: (من أحبنا ولم يحبنا لقراءة بيننا وبينه ولا لمعروف أسديناه إليه إنما أحبنا لله ولرسوله عليه السلام جاء معنا يوم القيامة كهاتين وقرن بين سبأتيه (مسبحتيه))^(٣).

وروى الشيخ الطوسي (رضوان الله تعالى عليه) بإسناده إلى جابر بن عبد

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٨٨-٨٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٠١.

(٣) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ١٢٧، ح ١١٨.

الله ﷻ قال: (قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: يا علي من أحبك وتولاك أسكنه الله معنا في الجنة ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ الْتَّقِينَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُّقَدِّرٍ﴾^(١)).

وفي عيون أخبار الإمام الرضا ﷺ بإسناد التميمي عن الرضا عن آبائه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا وهذا يعني علياً يوم القيامة كهاتين وضم بين إصبعيه وشيعتنا معنا ومن أعان مظلوماً كذلك)^(٢). وعن أبي جعفر الباقر ﷺ قال: (من أحبنا حشر من حفرته معنا ومن أبغضنا أو ردنا أو رد واحداً منا حشر من حفرته إلى النار وقد خاب من إفتري)^(٣).

وفي منتخب البصائر عن أبي عبد الله ﷺ قال: (إن الله ﷻ فضل أولي العزم من الرسل بالعلم على الأنبياء ﷺ وفضل محمد ﷺ عليهم وورثنا علمهم وفضلنا عليهم في فضلهم وعلم رسول الله ﷻ ما لا يعلمون وعلما علم رسول الله ﷻ فرويناه لشيعتنا فمن قبله منهم فهو أفضلهم وأينما نكون فشيعتنا معنا)^(٤)، وروى في (كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الطاهرة) عن أبو طاهر المقداد بن غالب عن رجاله بإسناده المتصل إلى علي بن أبي طالب ﷺ: (وهو ساجد يبكي حتى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء فقلنا يا أمير المؤمنين لقد أمرضنا بكاؤك وأمّضنا وشجانا وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قط فقال كنتُ ساجداً أدعو ربي بدعاء الخيرات في سجدتي فغلبتني عيني فرأيت رؤيا هالتني وفضعتني رأيت رسول الله ﷻ قائماً وهو يقول يا أبا الحسن طالت غيبتك فقد اشتقتُ إلى رؤياك وقد انجز لي ربي

(١) سورة القمر الآية ٥٤-٥٥. بحار الأنوار ج ٣٦ ص ٦٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٢١٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٣٨ ص ٣٣.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٢.

ما وعدني فيك فقلتُ يا رسول الله وما الذي أنجز لك في قال أنجز لي فيك وفي زوجتك وإبنك وذريتك في الدرجات العلى في عليين قلتُ بأبي أنت وأمي يا رسول الله فشيعتنا - انظر أيها الموالي في سؤال سيدنا الهادي - قال: شيعتنا معنا وقصورهم بحذاء قصورنا ومنازلهم مقابل منازلنا قلتُ يا رسول الله فما لشيعتنا في الدنيا قال الأمن والعافية قلتُ فما لهم عند الموت قال يحكم الرجل في نفسه ويؤمر ملك الموت بطاعته قلتُ: فما لذلك حد يعرف؟ قال: بلى إن أشد شيعتنا لنا حبا يكون خروج نفسه كشراب أحدكم في يوم الصيف الماء البارد الذي تنتفع به القلوب وإن سائرهم ليموت كما يغبط أحدكم على فراشه كأقر ما كانت عينه بموته^(١).

وفي أمالي شيخنا الصدوق (رضوان الله تعالى عليه) عن ثامن الائمة الامام الرضا عليه السلام قال: (من تذكر مصابنا وبكى لما ارتكب منا كان معنا في درجتنا يوم القيامة ومن ذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون ومن جلس مجلساً يحبي فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب)^(٢).

وفي الرواية التالية الواردة في كشف الغمة دلالة واضحة على ما ذكرناه مسبقاً من كتاب الدلائل عن زيد الشحام قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: يا زيد كم أتى لك سنة قلتُ كذا وكذا قال يا أبا أسامة أبشر فأنت معنا وأنت من شيعتنا أما ترضى أن تكون معنا قلتُ بلى يا سيدي فكيف لي أن أكون معكم فقال يا زيد إن الصراط إلينا وإن الميزان إلينا وحساب شيعتنا إلينا والله يا زيد إني أرحم بكم من أنفسكم والله لكأني انظر إليك وإلى الحارث بن المغيرة النضري في الجنة في درجة واحدة)^(٣). وقال الإمام أمير

(١) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٢١٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٤ ص ٢٧٨.

(٣) بحار الأنوار ج ٤٧ ص ١٤٣، وكذا في الخرائج والجرائح.

المؤمنين عليه السلام: (الآخذ بأمرنا معنا غداً في حظيرة القدس والمنتظر لأمرنا كالمتشحط بدمه في سبيل الله)^(١).... ثم قال عليه السلام: (نحن باب النوى إذا بغوا وضافت المذاهب نحنُ باب حطة وهو باب السلام من دخلها نجا ومن تخلف عنه هوى بنا يفتح الله وبنا يختم وبنا يمحو ما يشاء وبنا يثبت وبنا يدفع الله الزمان الكلب وبنا ينزل الغيث فـ ﴿لَا يَغْرَتْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢)).

وعن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: (ما نظر الله ﷻ إلى وليّ له يجهد نفسه بالطاعة لإمامه والنصيحة إلا كان معنا في الرفيق الاعلى)^(٣).

وقال الإمام الرضا عليه السلام لدعبل الخزاعي (رضوا الله تعالى عليه): (ولا تنقضي الأيام والسنون حتى تصير طوس مختلف شيعتي فمن زارني في غربتي كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له)^(٤). وجاء في تفسير فرات بن إبراهيم رضي الله عنه عن جعفر بن محمد بن سعيد الأحمس معنعنا عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: (كنتُ عند رسول الله ﷺ فقال:.... أقبلت إلي شردمة من الملائكة فسلموا علي وقالوا يا محمد لنا إليك حاجة هل تقضيها يا رسول الله فظننت أن الملائكة يسألون الشفاعة عند رب العالمين لأن الله فضلني بالحوض والشفاعة على جميع الأنبياء - وما ظن النبي ﷺ من طلب الملائكة للشفاعة إلا لاحتياجهم إليها وجوازها عليهم ومع قطعية عصمة الملائكة فلا تصدق عليهم الشفاعة إلا في زيادة الدرجة ومع جوازها عليهم جازت لغيرهم - قلتُ ما حاجتكم يا ملائكة ربي؟ قالوا: يا نبي الله إذا رجعت إلى الأرض فاقرأ علي بن أبي طالب منا السلام واعلمه بأن قد

(١) بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٣، وفي ج ١٠ ص ١٠٤.

(٢) سورة لقمان الآية ٣٣. بحار الأنوار ج ٥٢ ص ١٢٣، وفي ج ١٠ ص ١٠٤.

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٤٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٩ ص ٢٥١.

طال شوقنا إليه...^(١).

أقسام الشفاعة

القسم الأول:

(هو مقام الشفاعة الكبرى المختص بالنبي المصطفى محمد ﷺ دون سائر خلقه لإزاحة هول الموقف وتعجيل الحساب لخلقه). قال تعالى: ﴿لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ﴾^(١). جاء في تفسير القمي رَحِمَهُ اللهُ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (قال لا يشفع أحد من أنبياء الله ورسله يوم القيامة حتى يأذن الله له إلا رسول الله ﷺ فإن الله قد أذن له في الشفاعة من قبل يوم القيامة)^(٢). قال رسول الله ﷺ: (أخبرني جبرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: بينما الخلائق وقوف في عرصة القيامة إذ أمر الله تعالى ملائكة النار أن يقودوا جهنم فيقودها سبعون ألف ملك بسبعين ألف زمام فيجد الخلائق حرها ووهجها مسيرة شهر للراكب المجد، وقد تطاير شررها وعلا زفيرها فإذا دنت من عرصة القيامة صارت ترمي بشرير كالقصر فلا يبقى يومئذ أحد من سائر الخلق إلا ويخرُّ على وجهه وكل منهم ينادي يارب نفسي نفسي إلا أنت يا نبي الله فإنك قائم تقول يا رب

(١) سورة طه الآية ١٠٩ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٧.

نجني وذريتي وشيعتي ومحبي ذريتي قال فيطلب النبي ﷺ أن تتأخر عنهم جهنم فيأمر الله تعالى خزنة جهنم أن يرجعوا إلى حيث أنت منه^(١). وروي في تفسير القمي رحمته الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٢). قال: حدثني أبي عن الحسن بن محبوب عن أبي محمد الوايشي عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام قال: (إذا كان يوم القيامة جمع الله الناس في صعيد واحد وهم حفاة عراة فيوقفون في المحشر حتى يعرقوا عرقاً شديداً وتشتد انفاسهم فيمكثون في ذلك خمسين عاماً وهو قول الله: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^(٣) وقال ثم ينادي مناد من تلقاء العرش أين النبي الأمي؟ فيقول الناس قد أسمعت فسمه بأسمه فينادي أين نبي الرحمة أين محمد بن عبد الله الأمي، فيقدم رسول الله ﷺ أمام الناس كلهم حتى ينتهي إلى حوض طوله ما بين إيله وصنعاء فيقف عليه فينادي بصاحبكم فيقدم علي عليه السلام أمام الناس فيقف معه ثم يؤذن للناس فيمرون فبين وارد الحوض يومئذ وبين مصروف عنه فإذا رأى رسول الله ﷺ من يصرف من محبينا يبكي ويقول: يا رب شيعة علي قال: فيبعث الله إليه ملكاً فيقول له: ما يبكيك يا محمد؟ فيقول ﷺ: أبكي لأناس من شيعة علي أراهم قد صرفوا تلقاء أصحاب النار ومنعوا ورود حوضي. قال: فيقول الملك: إن الله يقول قد وهبتهم لك يا محمد وصفح لهم عن ذنوبهم بحبهم لك ولعترتك والحقتهم بك وبمن كانوا يتولون به وجعلناهم في زمرك فأوردهم حوضك. فقال أبو جعفر عليه السلام: فكم من باك يومئذ وباكية ينادون يا محمداه إذا راوا ذلك ولا يبقى احد يومئذ يتولانا ويحبنا ويتبرأ من

(١) إرشاد القلوب ج ١ ص ٥٧.

(٢) سورة طه الآية ١٠٨ .

(٣) سورة طه الآية ١٠٨ .

عدونا ويبغضهم إلا كانوا في حزبنا ومعنا ويردون حوضنا^(١).

وما ثبت من مقام الشفاعة الكبرى لرسول الله ﷺ هو ثابت لآل بيته الأطهار عليهم السلام.

«يا رسول الله يا نبي الرحمة يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله وقدمناك بين يدي حاجاتنا يا وجيها عند الله اشفع لنا عند الله»^(٢).

فهذا المقام المعظم هو من مختصاته وآله عليهم السلام. ولذا حينما جاء عبد المطلب عليه السلام وأدخل النبي ﷺ إلى حليلة حتى ترضعه قال لها أبشري يا حليلة فإنك ستسعين بهذا المولود فقال الشاعر تهنئة لحليلة:

لك البشري فطبيي يا حليمه

بأحمد صاحب القدر العظيمة

لقد فزتي بأنعام عميمه وقد

أضحت امورك مستقيمة

لقد نلت التوفيق بالرضاعة

لخير الخلق قد أعطي الشفاعة^(٣).

قال رسول الله ﷺ: (أعطيت في علي تسعاً ثلاثة في الدنيا وثلاثة في الآخرة وإثنان أرجوهما له وواحدة أخافها عليه فأما الثلاثة التي في الدنيا فسائر عورتي والقائم بأمر أهلي ووصيي فيهم وأما الثلاثة التي في الآخرة فإني أعطى يوم القيامة لواء الحمد فأدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فيحمله عني وأعتمدُ عليه في مقام الشفاعة ويعينني على مفاتيح الجنة وأما

(١) تفسير القمي عليه السلام ج ٢ ص ٦٤.

(٢) فقرة من دعاء التوسل (مفاتيح الجنان).

(٣) الأنوار ص ١٩٨.

اللتان أرجوهما له فإنه لا يرجع من بعدي ضالاً ولا كافراً وأما التي أخافها عليه فغدرُ قريش به من بعدي»^(١).

سيدي يا أمير المؤمنين وياسيد الوصيين يا سيدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله وقدمناك بين يدي حاجاتنا يا وحيهاً عند الله اشفع لنا عند الله.

القسم الثاني: في إدخال قوم الجنة بغير حساب في الآخرة والاكتفاء بما جرى عليهم من عقوبة في المنازل التي قبلها.

عن معاذ بن جبل قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله أعطاني في علي أنه متكئ بين يدي يوم الشفاعة وأعطاني في علي لآخرتي أنه صاحب مفاتيحي يوم أفتح أبواب الجنة وأعطاني في علي لآخرتي إني أعطى يوم القيامة أربعة ألوية فلواء الحمد بيدي وأدفع لواء التهليل لعلي وأوجهه في أول فوج وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً ويدخلون الجنة بغير حساب عليهم وأدفع لواء التكبير إلى حمزة وأوجهه في الفوج الثاني وأدفع لواء التسبيح إلى جعفر وأوجهه في الفوج الثالث ثم أقيم على أمتي حتى أشفع لهم ثم أكون أنا القائد وإبراهيم السائق حتى ادخل أمتي الجنة)^(٢).

وعن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام قال: (إذا كان يوم القيامة أمر الله خُزَّانَ جهنم أن يدفعوا مفاتيح جهنم إلى علي يدخل من يُريد وينجي من يُريد)^(٣).

(١) بحار الأنوار ج ٣٩ ص ٧٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٧ باب ١٨ حديث ١١.

(٣) المصدر السابق.

رحم الله السيد الحميري إذ قال:
 أتُنسى أهل الفضل جهلاً
 وتذكر غيرهم في الذاكرينا
 من الشفعاء يوم الحشر أكرم
 بهم من شاقعين مشفعينا
 من الأنوار في ظلم الليالي
 من الأنوار عند المُجدبينا
 من الشجعان يوم الحرب لا بل
 من الفرسان فيها المبدعونا
 من الفقهاء في الثُبه اللواتي
 يحارلشرحها المتفقهونا
 من الحجج التي نصبت مناراً
 تزيدُ بصائر المستبصرينا
 على من أنزل القرآن أم مَنْ
 أبان الرشيدُ للمسترشدينَا
 بِمَنْ هُدِيَ الوري لما استجابوا
 بحجة من أقروا مذعنينا
 بِمَنْ فخر المطوق جبرئيل
 أتعرف مثله في الفاخرينا
 بِمَنْ ضم الكماء بِمَنْ يباهي
 رسول الله من كالمنجحينا
 بِمَنْ ذا باهل الكفار لما
 أتوه بمجادلين مباهلينا^(١)

ورد في تفسير فرات الكوفي رحمته الله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (أنا وشيعتي يوم القيامة على منابر من نور فيمر علينا الملائكة ويُسلم علينا قال: فيقولون: من هذا الرجل ومن هؤلاء فيقال لهم هذا علي بن أبي طالب ابن عم النبي وهؤلاء شيعته قال فيقولون أين النبي العربي وابن عمه فيقولون هما عند العرش. قال: فينادي منادٍ من السماء عند رب العزة يا علي أدخل الجنة أنت وشيعتك لا حساب عليك ولا عليهم فيدخلون الجنة ويتنعمون فيها من فواكهها ويلبسون السندس والإستبرق وما لم تر عين فيقولون **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ** ﴿١﴾).

روى فرات الكوفي رحمته الله في تفسيره عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: ثم يقول جبرائيل عليه السلام: يا فاطمة سلمي حاجتك أي يوم القيامة فتقولين يا رب شيعتي فيقول الله **وَجَلَّ** قد غفرتُ لهم فتقولين يا رب شيعة ولدي فيقول الله قد غفرت لهم فتقولين يا رب شيعة شيعتي فيقول الله إنطلقني فمن إعتصم بك فهو معك في الجنة فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتها مستورة عوراتها قد ذهب عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويضماً الناس وهم لا يظمتون فإذا بلغت باب الجنة تلقتك إثنتا عشر ألف حوراء لم يلتقين أحداً قبلك ولا يلقين أحداً كان بعدك بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت أزمتهما من لؤلؤ رطب... إلى آخر الحديث الشريف) (٢).

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٩٨-١٩٩ ح ٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٢٥-٢٢٨.

الله أكبر فاطم قد أقبلت
 ملاً الدنيا والخافقين سناها
 صيغت من الأنوار تبهر من
 رأى فأتت فريدة دهرها ببهاها
 في يوم مولدها السلام لفاطم
 ومحبة من مهجتي أقرأها
 فولائها فرض بأعناق الورى
 وقلوبنا لا ترتضي بسواها^(١).

(يا فاطمة يا بنت رسول الله ﷺ ويا سيدة نساء العالمين يا زهراء يا
 زهراء يا زهراء يا وجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله).

القسم الثالث: الشفاعة لقوم إستوجبوا النار

الشفاعة لقوم إستوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا الاكرم وآله الأطهار عليهم السلام
 ثم من أذن له الرحمن ، قال النبي ﷺ: (إني أشفع يوم القيامة فأشفع ويشفع
 علي عليه السلام فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون وإن أدنى المؤمنين شفاعة
 ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد إستوجبوا النار)^(٢).

ورد في الكافي الشريف عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن ابن
 فضال عن علي بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبد الحميد الوابشي عن أبي
 جعفر عليه السلام قال: (إنه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا
 مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها إلا أن يجيء بذنب يخرج من

(١) مقتطفات من قصيدة الولاء للاستاذة عزيزة صندوق نقلاً عن كتاب فبس من نور

فاطمة عليها السلام ص ٣١٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٧.

ورد في تفسير فرات الكوفي رحمته الله عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (أنا وشيعتي يوم القيامة على منابر من نور فيمر علينا الملائكة ويُسلم علينا قال: فيقولون: من هذا الرجل ومن هؤلاء فيقال لهم هذا علي بن أبي طالب ابن عم النبي وهؤلاء شيعته قال فيقولون أين النبي العربي وابن عمه فيقولون هما عند العرش. قال: فينادي منادٍ من السماء عند رب العزة يا علي أدخل الجنة أنت وشيعتك لا حساب عليك ولا عليهم فيدخلون الجنة ويتنعمون فيها من فواكهها ويلبسون السندس والإستبرق وما لم تر عين فيقولون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾...^(١)).

روى فرات الكوفي رحمته الله في تفسيره عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: (دَخَلَ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم على فاطمة عليها السلام وهي حزينة... إلى أن قال صلى الله عليه وآله: ثم يقول جبرائيل عليه السلام: يا فاطمة سلي حاجتك أي يوم القيامة فتقولين يا رب شيعتي فيقول الله تعالى قد غفرتُ لهم فتقولين يا رب شيعة ولدي فيقول الله قد غفرت لهم فتقولين يا رب شيعة شيعتي فيقول الله إنطلقني فمن إعتصم بك فهو معك في الجنة فعند ذلك يود الخلائق أنهم كانوا فاطميين، فتسيرين ومعك شيعتك وشيعة ولدك وشيعة أمير المؤمنين عليه السلام آمنة روعاتها مستورة عوراتها قد ذهبت عنهم الشدائد وسهلت لهم الموارد يخاف الناس وهم لا يخافون ويضمأ الناس وهم لا يظمئون فإذا بلغت باب الجنة تلتقتك إثنتا عشر ألف حوراء لم يلتقين أحداً قبلك ولا يلتقين أحداً كان بعدك بأيديهم حراب من نور على نجائب من نور رحائلها من الذهب الأصفر والياقوت أزمتها من لؤلؤ رطب... إلى آخر الحديث الشريف)^(٢).

(١) بحار الأنوار ج ٧ ص ١٩٨-١٩٩ ح ٧٥.

(٢) بحار الأنوار ج ٤٣ ص ٢٢٥-٢٢٨.

الله أكبر فاطم قد أقبلت
 ملاً الدنيا والخافقين سناها
 صيغت من الأنوار تبهر من
 رأى فأنت فريدة دهرها بيهاها
 في يوم مولدها السلام لفاطم
 ومحبة من مهجتي أقراها
 فولائها فرض بأعناق السورى
 وقلوبنا لا ترتضي بسواها^(١).

(يا فاطمة يا بنت رسول الله ﷺ ويا سيدة نساء العالمين يا زهراء يا
 زهراء يا زهراء يا وجيهة عند الله اشفعي لنا عند الله).

القسم الثالث: الشفاعة لقوم إستوجبوا النار

الشفاعة لقوم إستوجبوا النار فيشفع فيهم نبينا الاكرم وآله الأطهار عليهم السلام
 ثم من أذن له الرحمن ، قال النبي ﷺ: (إني أشفع يوم القيامة فأشفع ويشفع
 علي عليه السلام فيشفع ، ويشفع أهل بيتي فيشفعون وإن أدنى المؤمنين شفاعة
 ليشفع في أربعين من إخوانه كل قد إستوجبوا النار)^(٢).

ورد في الكافي الشريف عن محمد بن يحيى عن ابن عيسى عن ابن
 فضال عن علي بن عقبة عن عمر بن أبان عن عبد الحميد الوابشي عن أبي
 جعفر عليه السلام قال: (إنه ليس من عبد يذكر عنده أهل البيت فيرق لذكرنا إلا
 مسحت الملائكة ظهره وغفر له ذنوبه كلها إلا أن يجيء بذنب يخرج منه من

(١) مقتطفات من قصيدة الولاء للاستاذة عزيزة صندوق نقلاً عن كتاب قبس من نور

فاطمة عليها السلام ص ٣١٠.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٧.

الإيمان وإن الشفاعة لمقبولة وما تقبل من ناصب وإن المؤمن ليشفع لجاره وماله حسنة فيقول يا ربّ جاري كان يكفي عني الأذى فيشفع فيه فيقول الله تبارك وتعالى أنا ربك وأنا أحق من كافي عنك فيدخله الجنة وما له من حسنة وإن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً فعند ذلك يقول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (١٠٠) ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠١).

وعن محمد بن سنان أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (إن الله أباح محمداً الشفاعة في أمته وأعطانا الشفاعة فيهم وإن لشيعتنا الشفاعة في أهاليهم وإليه الإشارة بقوله ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ قال: والله لنشفعن في شيعتنا حتى يقول أعداؤنا ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ ثم قال: والله ليشفعن شيعتنا في أهاليهم حتى تقول شيعة أعدائنا ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ (١٠٢).

وقد ورد في زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله: (جئتك يا رسول الله زائراً وقصدتك راجباً متوسلاً بك إلى الله وأنت صاحب الوسيلة والفضيلة والمنزلة الجليلة والشفاعة المقبولة والدعوة المسموعة فاشفع لي إلى الله عز وجل في الرحمة والتوفيق والعصمة والتسديد فقد غمرتني الذنوب وشملتني العيوب وكثرت الآثام وتضاعفت الأوزار وأثقلت الخطايا ظهري، وأفنت المعاصي عمري... إلى آخر الزيارة الشريفة) (١٣)، كما روي في زيارة عبد المطلب عليه السلام: (أتيتك متقرباً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك راجباً إليك الشفاعة أبتغي لزيارتك خلاص نفسي متعوذاً بك من نار استحققتها مثلي... إلى آخر الزيارة الشريفة) (١٤).

وفي المجمع عن النبي صلى الله عليه وآله قال: (ويزيدهم من فضله) الشفاعة لمن

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٥٦-٥٧.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٤ ص ٢٧٢، ح ٥٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ١٦٢.

(٤) بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٢٢٠.

وجبت له النار ممن أحسن إليهم في الدنيا^(١).

وروى في تفسير فرات بن إبراهيم عن محمد بن القاسم بن عبيد معنعنا عن بشير بن شريح البصري قال: (قلتُ لمحمد بن علي عليه السلام آية آية في كتاب الله أرجى؟

قال عليه السلام: ما يقول فيها قومك؟ قال: قلتُ يقولون (يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله). قال: لكنا أهل البيت لا نقول ذلك، قال: قلتُ فأي شيء تقولون فيها؟ قال: نقول ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٢) الشفاعة والله الشفاعة والله الشفاعة^(٣).

روى في الخصال عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (من أحبنا فليعمل بعملنا وليستعن بالورع فإنه أفضل من يستعان به في أمر الدنيا والآخرة ولا تجالسوا لنا عائباً ولا تمتدحوا بنا عند عدونا بإظهار حبنا فتذللوا أنفسكم عند سلطانكم الزموا الصدق فإنه منجاة وارغبوا فيما عند الله عز وجل واطلبوا طاعته واصبروا عليها فما أقبح بالمؤمن أن يدخل الجنة وهو مهتوك الستر لا تعنونا في الطلب والشفاعة لكم يوم القيامة فيما قدمتم ولا تفضحوا أنفسكم عند عدوكم في القيامة ولا تكذبوا أنفسكم عندهم في منزلتكم عند الله بالحقير من الدنيا.... آخر الحديث الشريف)^(٤).

يابن الذين متى استقر هواهم
في نفس إنسان هوى شيطانه

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٣٥.

(٢) سورة الضحى الآية ٥.

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ٥٧-٥٨.

(٤) بحار الأنوار ج ٦٨ ص ١٧٤.

فإذا اراد الله سرا للعلی فهم
على رغم العدى خزانه^(١).

القسم الرابع: الشفاعة للموحدين باخراجهم من النار بشفاعة نبينا
الأكرم وآله الاطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وباقي الأنبياء
من المؤمنين

اعلم رحمك الله إن هذا القسم من الشفاعة مورد إبهام واقع في مجمل
كلمات علمائنا الأعلام (رضوان الله تعالى عليهم) الذين كتبوا أو حققوا في
هذا الباب من العقيدة ومنشأ هذا الإبهام ليس لتعارض بين الروايات الشريفة
كما صورها بعضهم (رضوان الله تعالى عليه جميعاً) بل هو ناتج عن اختلافها
في العموم والخصوص أو المطلق والمقيد أو المجمل والمفصل، وحينما
ننظر في تفاصيل ما كُتب عن هذا القسم من الشفاعة نجد توارد مقولة عدم
الخلود في النار إلا لأهل الكفر والشرك وأن كل من قال لا إله إلا الله لا
يخلد في النار فقال العلامة المجلسي قدس سره في بحاره الشريف: «ثم يخرج
الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا
الكافرون»^(٢)، وقال رحمته الله في موقع آخر: «عدّ في إعتقادنا في النار أنها دار
الهوان ودار الإنتقام من أهل الكفر والعصيان ولا يخلد فيها إلا أهل الكفر
والشرك فأما المذنبون من أهل التوحيد فإنهم يخرجون منها بالرحمة التي
تدركهم والشفاعة التي تنالهم، وروي لا يصيب احداً من أهل التوحيد ألم
النار إذا دخلوها وإنما تصيبهم الآلام عند الخروج منها فتكون تلك الآلام
جزاء بما كسبت أيديهم وما الله (بظلام للعبيد) وأهل النار هم المساكين

(١) المناقب ج ٣ ص ٢٣٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٦٤.

حقاً ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾^(١). أنا العبد الحقير المهتدي بأنوار الصالحين المقتدي بالماضين والخدام للمتبقين لا أختلف مطلقاً مع هذه المقولة في شطرها الاول من عدم الخلود في النار إلا لأهل الكفر والشرك، ولكنني أتوقف عن قبول الشطر الثاني لإبهامه فليس كل من قال لا إله إلا الله مات على التوحيد بل بشرطها وشروطها، نعم قد ورد لدينا بعض الأخبار تشير إلى ما ذهبوا إليه ولكنها مجملة لا يمكن الإعتماد عليها من دون الرجوع الى المفصل منها وأذكر على سبيل المثال ما رواه الاحول بن حمران قال: (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول: إن الكفار والمشركين يرون أهل التوحيد في النار فيقولون ما نرى توحيدكم أغنى عنكم شيئاً وما أنتم ونحن إلا سواء قال: فيأنف لهم الرب عزَّ وجلَّ فيقول للملائكة إشفعوا فيشفعون لمن شاء الله ويقول للمؤمنين مثل ذلك حتى إذا لم يبقَ أحد تبليغه الشفاعة قال تبارك وتعالى أنا أرحم الراحمين أخرجوا برحمتي فيخرجون كما يخرج الفراش، قال: ثم قال أبو جعفر عليه السلام: ثم مدت العمدة واعمدت عليهم وكان والله الخلود)^(٢).

وفي عيون الأخبار فيما كتب الإمام الرضا عليه السلام للمأمون لعنه الله: (إن الله لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود فيها ومذنبوا أهل التوحيد يدخلون النار ويخرجون منها والشفاعة جائزة لهم)^(٣). ولكن لنسأل من هم أهل التوحيد؟ روى في كشف الغمة بحذف الإسناد عن أنس بن مالك قال: (رأيتُ رسول الله ﷺ مقبلاً على علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يتلُ: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً

(١) المصدر السابق ج ٨ ص ٣٣٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦١ - ص ٣٦٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٦٢ ح ٢٦.

لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا»^(١)، ثم قال: يا علي إن الله تعالى ملكني الشفاعة في أهل التوحيد من أمتي وحظر ذلك على من ناصبك أو ناصب وليك من بعدك^(٢).

إذاً أن الذي ناصب الأئمة الأطهار وفاطمة الزهراء عليها السلام وناصب وليهم العداء لموالاتهم آل البيت عليهم السلام فهو في النار خالداً فيها لا يخفف عنه العذاب وما ينفعه قول لا إله إلا الله والروايات الواردة في ذلك كثيرة جداً وعدم شمول الشفاعة للناصب محل اتفاق العلماء وإليه أشار المجلسي رحمته الله بقوله: «اعلم أن الذي يقتضيه الجمع بين الآيات والأخبار أن الكافر المنكر لضرورة من ضروريات دين الإسلام مخلد في النار لا يخفف عنه العذاب إلا المستضعف الناقص في عقله أو الذي لم تتم عليه الحجة ولم يقصر في الفحص والنظر فإنه يحتمل أن يكون من المرجون لأمر الله وأما غير الشيعة الإمامية من المخالفين وسائر فرق ممن لم ينكروا شيئاً من ضروريات دين الإسلام فهم فرقتان احدهما المتعصبون المعاندون منهم ممن قد تمت عليهم الحجة فهم في النار خالدون والأخرى المستضعفون منهم وهم ضعفاء العقول مثل النساء العاجزات والبله وأمثالهم ومن لم يتم عليه الحجة ممن يموت في زمان الفترة، أو كان في موضع لم يأت إليه خبر الحجة فهم المرجون لأمر الله إما يُعذبهم وإما يتوب عليهم»^(٣).

عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (إن قوماً يحرقون في النار حتى إذا صاروا حميماً أدركتهم الشفاعة قال: فينطلق بهم إلى نهر يخرج من رشح أهل الجنة فيغسلون فيه فتنبت لحومهم ودمائهم وتذهب

(١) سورة الإسراء الآية ٧٩ .

(٢) تأويل الآيات ص ٢٧٩ .

(٣) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٦٣ - ص ٣٦٤ .

عنهم قشف النار ويدخلون الجنة فيسمون الجهنميون فينادون بأجمعهم اللهم اذهب عنا هذا الاسم. قال: فيذهب عنهم ثم قال: يا أبا بصير ان أعداء علي هم الخالدون في النار لا تدركهم الشفاعة^(١).

وروى في غيبة النعماني عن ابن عقدة عن الحسن بن حازم عن عبيس بن هاشم عن عبد الله بن جبلة عن الحكم عن أيمن عن محمد بن تمام قال: (قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن فلانا مولاك يقرؤك السلام ويقول لك أضمن لي الشفاعة فقال أمن موالينا؟ قلت: نعم.

قال: أمره أرفع من ذلك، قال: قلت إنه رجل يوالي علياً ولم يعرف من بعده من الأوصياء قال: ضال، قلت: فأقر بالأئمة جميعاً وجحد الآخر، قال: هو كمن أقر بعيسى وجحد بمحمد عليه السلام أو أقر بمحمد عليه السلام وجحد بعيسى عليه السلام نعوذ بالله من جحد حجة من حججه^(٢).

إذا من هم الموحدون الذين يشفع الشافعون لهم لإخراجهم من النار؟ عن كتاب الخصال في خبر الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (أصحاب الحدود فساق لا مؤمنون ولا كافرون ولا يخلدون في النار ويخرجون منها يوماً ما والشفاعة لهم جائزة وللمستضعفين إذا إرتضى الله دينهم)^(٣).

وعن ثواب الأعمال عن أبي بصير قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام: مُدمن الخمر كعابد الوثن والناصب لآل محمد شرٌّ منه قلت: جعلت فداك ومن شر من عابد الوثن فقال إن شارب الخمر تدركه الشفاعة يوماً ما، وإن الناصب

(١) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٦١.

(٢) بحار الانوار ج ٢٣ ص ٩٧ ح ٥.

(٣) بحار الانوار ج ٦٨ ص ٤١١.

لو شفع أهل السموات والأرض لم يشفعوا^(١).

وعن العلاء بن سيابة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلتُ له إن الناس يتعجبون منا إذا قلنا يخرج قوم من جهنم فيدخلون الجنة فيقولون لنا فيكونون مع أولياء الله في الجنة، فقال: يا علاء إن الله يقول: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾^(٢) لا والله لا يكونون مع أولياء الله قلتُ كانوا كافرين قال عليه السلام والله لو كانوا كافرين ما دخلوا الجنة قلت: كانوا مؤمنين؟ قال: لا والله لو كانوا مؤمنين ما دخلوا النار ولكن بين ذلك)^(٣).

فالجهنميون إذا هم ليسوا بمؤمنين ولا كافرين بل هم موحدون فاسقون ولكن فسقهم لم يخرجهم عن صحة المعتقد.

قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٤) قال الزجاج: «العهد هو الإيمان» وروى شيخنا الكليني (رضوان الله عليه) في الكافي الشريف عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (إلا من دان الله بولاية أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة من بعده فهو العهد عند الله)^(٥).

روى في تفسير القمي عن صادق العترة عليه السلام قال: (لا يشفع لهم ولا يشفعون إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً إلا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام من بعده فهو العهد عند الله)^(٦).

روى علي بن إبراهيم قال حدثنا جعفر بن أحمد، عن عبيد الله بن

(١) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٢٣٤ ح ٤٦.

(٢) سورة الرحمن الآية ٦٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٨ ص ١٠٦.

(٤) سورة الرحمن الآية ٦٢.

(٥) تفسير الصافي ج ٣ ص ٢٩٥.

(٦) تفسير الصافي ج ٣ ص ٢٩٥.

موسى ، عن الحسن بن أبي حمزة ، عن أبيه ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام : (في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ قال عليه السلام : إلا من أذن له بولاية علي أمير المؤمنين والأئمة من بعده عليهم السلام فهو العهد عند الله) (١).

قال ابو عبد الله عليه السلام : (لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله فقال ابن أبي يعفور: قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء قال عليه السلام : نعم لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء ثم قال: ألا تسمع لقول الله تعالى : ﴿اللَّهُ وَبِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (٢) يعني من ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كل إمام عادل من الله وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ (٣) إنما عنى بهذا أنهم كانوا على نور الاسلام فلما أن تولوا كل إمام جائر ليس من الله تعالى خرجوا بولايتهم إياه من نور الاسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله النار مع الكفر: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٤).

وروى في غرر الحكم عن النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (عليكم بطاعة ائمتكم فإنهم الشهداء عليكم اليوم والشفعاء لكم عند الله غداً) (٥).

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام في بيان قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ

(١) تفسير البرهان ج ٤ ص ٢٥ ، تفسير نور الثقلين ج ٣ ص ٣٦١ ، وفي تفسير القمي نقلها عنه في البحار ج ٨ ص ٣٧ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٥٧ .

(٤) سورة البقرة الآية ٢٥٧ الكافي الشريف ج ١ ص ٣٧٥ - ص ٣٧٦ .

(٥) غرر الحكم ص ١١٦ .

تَمَسَّنَا النَّكَارُ إِلَّا أَنْتَا مَا مَعْدُودَةٌ ﴿١﴾، قال عليه السلام: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أن ولاية علي حسنة لا تضر معها شيء من السيئات وإن جلت إلا ما يصيب أهلها من التطهير منها بمحن الدنيا و ببعض العذاب في الآخرة، ولا يكون لهم دائم العذاب، ثم قال: من جحد ولاية علي عليه السلام لا يرى بعينه الجنة أبداً إلا ما يراه مما يعرف به أنه لو كان يواليه لكان ذلك محله ومأواه فيزداد حسرات وندمات، وإن من تولى علياً وتبرأ من أعدائه وسلم لأوليائه لا يرى النار بعينه إلا ما يراه فيقال له لو كنت على غير هذا لكان ذلك مأواك وإلا ما يباشره فيها إن كان مسرفاً على نفسه بما دون الكفر إلى أن ينظف بجهنم كما ينظف القدر بدنه بالحمام ثم ينقل بشفاعة مواليه...) (٢).

إن الرواية الشريفة المتقدمة تزيد الموضوع وضوحاً في أن الموحد الذي يدخل جهنم ويخرج منها هو الذي لم يخرج إسرافه على نفسه عن حدود كونه مرضي العقيدة، فهو وإن كان مبغوض العمل جوارحياً ولكنه مرضي العمل الجوانحي وأن سوء أعماله الجوارحية لم تنشأ عن فساد في العقيدة، وإليه الإشارة في الدعاء الشريف: (اللهم إني أطعتك في أحب الأشياء إليك وهو التوحيد ولم أعصك في أبغض الأشياء إليك وهو الكفر فاغفر لي ما بينهما) (٣). ثم يذكر الداعي أن لسؤاله ذاك المعتمد على التوحيد ليس بمعزل عن وسيلته، بل هو قائم عليها، فقال: (أسألك بحق من اصطفتهم من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلي علي محمد وآل محمد) (٤)، هذا أول السؤال ثم يذكر الداعي حاجته، وفي مورد

(١) سورة البقرة الآية ٨٠ .

(٢) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٥٣ .

(٣) المصباح للكفعمي رحمته الله ص ٢٩١ .(٤) المصباح للكفعمي رحمته الله ص ٢٩٢ .

آخر يأتي الدعاء المقدس من الفم الطاهر المقدس الذي لم يعص الله أبداً ليبين للناس أن سبب فساد الأعمال لم ينشأ عن فساد في العقيدة كفساد أولئك الذين فسدت أعمالهم لفساد عقائدهم فظاهر العمل وإن كان ربما واحداً فالزنا (والعياذ بالله تعالى) عند هذا هو الزنا عند ذلك إلا أن منشأ فساد هذا غير منشأ فساد ذلك ففساد هذا كان عن جهل أو تزيين نفس أو هوى غلبه على أمره أما فساد ذلك فقد كان عن شرك أو كفر فهو لا يعبا أن يقع على فرج حلال أو فرج حرام في شهر حرام ففساد هذا يستتبعه الألم والندم وفساد ذلك يستتبعه الغرور والفرح والسرور في الدنيا، فأين هذا من ذلك؟ فيقول الموحد (حُجَّتي يا الله في جُرأتي على مسألتك مع إتياني ما تكره جودك وكرمك وعُدَّتِي في شِدَّتِي مع قلة حياتي رأفتك ورَحمتك وقد رجوت ان لا يُخيِّب بين ذين وذين منيتي...)^(١)، ولسان حاله ينطقُ دائماً (أي ربِّ جللني بسترِكَ واعفُ عن توبيخي بكرم وجهك لو اطلع اليومَ على ذنبي غيرك ما فعلته ولو خفتُ تعجيل العقوبة لأجتنبته لا لأنك أهون الناظرين وأخف المُطلعين بل لأنك يا ربَّ خيرُ الساترين وأحكم الحاكمين وأكرم الأكرمين ستارُ العيوب غفار الذنوب علامُ الغيوب تستر الذنوب بكرمك وتؤخر العقوبة بحلمك فلك الحمدُ على حلمك بعد علمك وعلى عفوك بعد قدرتك ويحملني ويُجرُّوني على معصيتك حلمك عني ويدعوني إلى قلة الحياء سترك علي ويسرعني إلى التوثب على محارمك معرفتي بسعة رحمتك وعظيم عفوك)^(٢).

فهل رأيت أو سمعت بتربية أكمل أو أحسن أو أجمل أو أرق أو أفضل من هذه التربية؟! أتى وكيف أن يكون لغيرهم ما لهم؟! وقد نادى رب العزة

(١) المصباح للكفعمي رحمته الله ص ٥٩٠.

(٢) المصدر السابق.

تعالى شأنه بعظيم شأنهم وعلو منزلتهم وفضلهم على تمام بريته (اللهم ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنّا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار فإننا يا رب أجبنا داعيك واتبعنا الرسول وصدقنا مولى المؤمنين وكفرنا بالحبث والطاغوت فولنا ما تولينا واحشرنا مع أئمتنا فإننا بهم مؤمنون موقنون ولهم مسلمون آمنّا بسرهم وعلانيتهم وشاهدتهم وغائبهم وحيهم وميتهم)^(١). فارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

روى في التوحيد عن ابن أبي عمير قال سمعتُ موسى بن جعفر عليه السلام يقول: (لا يخلد الله في النار إلا أهل الكفر والجحود وأهل الضلال والشرك ومن اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر قال الله تعالى: ﴿إِنْ جَاءَ بِكُمْ كَبَائِرٌ مَّا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾^(٢). فقال: قلتُ له يا ابن رسول الله لمن تجب من المؤمنين فقال حدثني أبي عن آبائه عن علي عليه السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل قال ابن عمير: فقلت له يا ابن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر والله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشِيئَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾^(٣). ومن يركب الكبائر لا يكون مرتضى، فقال: يا أبا أحمد ما من مؤمن يرتكب ذنباً إلا ساء ذلك وندم عليه وقال: قال النبي صلى الله عليه وآله كفى بالندم توبة، وقال وسرته حسنة وساءته سيئة فهو مؤمن فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن لم تجب له الشفاعة وكان ظالماً والله تعالى يقول: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

(١) مقتطفات من دعاء يقرأ بعد صلاة ركعتين في يوم عيد الغدير الشريف عن مفاتيح الجنان ص ٢٧٦ - ص ٢٧٧.
 (٢) سورة النساء الآية ٣١.
 (٣) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

حَمِيرٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١﴾. فقلت له: يا ابن رسول الله وكيف لا يكون مؤمناً من لم يندم على ذنب يرتكبه؟ فقال: يا أبا أحمد ما من أحد يرتكب كبيرة من المعاصي وهو يعلم أنه سيعاقب عليها إلا ندم على ما ارتكبه ومتى ندم كان تائباً مستحقاً للشفاعة ومتى لم يندم عليها كان مصراً والمصر لا يُغفر له لأنه غير مؤمن بعقوبة ما ارتكبه ولو كان مؤمناً بالعقوبة لندم، وقد قال النبي ﷺ: لا كبيرة مع الإستغفار ولا صغيرة مع الإصرار وأما قول الله ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فإنهم لا يشفعون إلا لمن إرتضى الله دينه والدين الإقرار بالجزاء على الحسنات والسيئات ومن إرتضى الله دينه ندم على ما يرتكبه من الذنوب لمعرفته بعاقبته في القيامة^(٢). (إلهي إن لنا فيك رجاء عظيماً عصيناك ونحن نرجو أن تستر علينا ودعوناك ونحن نرجو أن تستجيب لنا فحقق رجاءنا مولانا)^(٣).

روى في الكافي الشريف عن هشام بن سالم عن عبد الحميد بن أبي العلاء قال: (دخلتُ المسجد الحرام فرأيت مولى لأبي عبد الله ﷺ فملتُ إليه لأسأله عن أبي عبد الله ﷺ فإذا أنا بأبي عبد الله ﷺ ساجداً إلى أن قال: فلما خرج ﷺ من المسجد قال لي: يا أبا محمد والله لو أن إبليس سجد لله عز ذكره بعد المعصية والتكبر عُمر الدنيا ما نفعه ذلك وما قبله الله عز ذكره ما لم يسجد لآدم كما أمره الله ﷻ أن يسجد له وكذلك هذه الأمة العاصية المفتونة بعد نبيها ﷺ بعد تركهم الإمام الذي نصبه نبيهم ﷺ لهم فلن يقبل الله تبارك وتعالى لهم عملاً ولن يرفع لهم حسنة حتى يأتوا الله ﷻ من حيث أمرهم ويتولوا الإمام الذي أمرهم بولايته ويدخلوا من

(١) سورة غافر الآية ١٨ .

(٢) بحار الانوار ج ٨ ص ٣٥١ .

(٣) فقرة من دعاء أبي حمزة الثمالي عن مفاتيح الجنان ص ١٨٩ .

الباب الذي فتحه الله تعالى ورسوله لهم يا أبا محمد إن الله إفترضَ على أمة محمد عليه السلام خمس فرائض الصلاة والزكاة والصيام والحج وولايتنا فرخصَ لهم في أشياء من الفرائض الأربعة ولم يُرخص لأحد من المسلمين في ترك ولايتنا لا والله ما فيها رخصه^(١).

روى في عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله: (من سرته حسنته وساءته سيئته فهو المؤمن ومتى ساءته سيئة ندم عليها والندم توبة التائب مستحق للشفاعة والغفران ومن لم تسؤه سيئته فليس بمؤمن وإذا لم يكن مؤمناً لم يستحق الشفاعة لأن الله غير مرتضي لدينه)^(٢).

(أعوذ بك اللهم أن تحيط بي خطيئتي وظلمي وإسرافي على نفسي وإتباعي لهواري وإشتغالي بشهواتي فيحول ذلك بيني وبين رحمتك ورضوانك)^(٣).

وعن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: (سمعت أبي يقول ورجل يسأله عن قول الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾^(٤). قال عليه السلام: لا ينال شفاعة محمد عليه السلام يوم القيامة إلا من أذن له بطاعة آل محمد ورضي له قولاً وعملاً فيهم فحيي على مودتهم ومات عليها فرضي الله قوله وعمله فيهم ثم قال عليه السلام: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ لآل محمد كذا نزلت ثم قال: (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً) قال مؤمن بمحبة آل

(١) الكافي الشريف ج ٨ ص ٢٧٠-٢٧١. وفي سائل الشيعة ج ١ ص ١٦٩، ح ٣٠١.

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٤، ح ٥.

(٣) دعاء أبو حمزة الثمالي عليه السلام.

(٤) سورة طه الآية ١٠٩.

محمد ومبغض لعدوهم^(١).

فالإيمان بمحبة آل محمد (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) والبغض لاعدائهم جزء لا يتجزأ عن حقيقة التوحيد والدين بغير هذا لا يعد مرضياً عند الله تعالى فيكون فاقداً لشرط الشفاعة، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾^(٢)، وقال: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾^(٣).

روى في الكافي الشريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: (نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية هكذا (إن الذين....ظلموا) آل محمد حقهم (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً. إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً)، ثم قال: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٤) في ولاية علي: ﴿فَقَامُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا﴾^(٥) بولاية علي: ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٦). وروى أيضاً عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال محمد بن الفضيل: (سألته عن قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾^(٧)، قال يريدون ليطفئوا ولاية أمير المؤمنين عليه السلام بأفواههم. قلت: ﴿وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾^(٨)، قال والله متم الإمامة لقوله وَجَلَّ جَلَلُهُ: ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ رُسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾^(٩) فالنور هو الإمام....إلى أن قال قلت: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ

(١) تأويل الآيات ص ٢٧٩.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٨.

(٣) سورة مريم الآية ٨٧.

(٤) سورة النساء الآية ١٧٠.

(٥) سورة النساء الآية ١٧٠.

(٦) سورة النساء الآية ١٧٠.

(٧) سورة التوبة الآية ٣٢.

(٨) سورة الصف الآية ٨.

(٩) سورة التغابن الآية ٨.

﴿كَفَرُوا﴾^(١) قال عليه السلام: إن الله تبارك ستمى من لم يتبع رسوله في ولاية وصيّه منافقين وجعل من جحد وصيّه إمامته كمن جحد محمداً وأنزل بذلك قرآناً، فقال: يا محمد: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾^(٢) بولاية وصيِّك: ﴿قَالُوا شَهِدْنَاكَ لِرَسُولِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾^(٣) بولاية علي عليه السلام: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(٤)، والسبيل هو الوصي: ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا﴾^(٦) برسالتك (وكفروا) بولاية وصيِّك (فطبع) الله: ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾^(٧)، فقال: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٨) يقول الظالمون لوصيِّك... إلى آخر الرواية الشريفة)^(٩).

ولن نفيد التأييد كما تعلم فإن من أنكر ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام أو أحد الأئمة الأطهار من بعده وقد قامت الحجة عليه بذلك فقد كفر والكافر غير رضي الدين عند الله فلا ينال الشفاعة أبد الأبدین بنص آيات القرآن الكريم ويقول الصادق الأمين وعترته الميامين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وهذا ما أشار إليه العلامة المجلسي رحمته الله بقوله: الولاية من شروط الشفاعة وهما متلازمتان لأن التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها أو يهديهم في الآخرة إليها قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ حَقَّقْنَا لِنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٩).

(١) سورة المنافقون الآية ٣ .

(٢) سورة المنافقون الآية ١ .

(٣) سورة المنافقون الآية ١ .

(٤) سورة المنافقون الآية ٢ .

(٥) سورة المنافقون الآيات ٢-٣ .

(٦) سورة المنافقون الآية ٣ .

(٧) سورة المنافقون الآية ٦ .

(٨) الكافي الشريف ج ١ ص ٤٣٢، ح ٩١ .

(٩) سورة يونس الآية ١٠٣ بحار الأنوار ج ٩٧ ص ٣٠٧ .

ولم يكن رأي العلامة رحمته الله في أول البحث ذلك أو إنه أراد رحمته الله أن يوصل قراءه لهذه النتيجة بعد طول شرح وبيان ففرق نتائج أبحاثه نجوماً في موسوعته الكبيرة رحمته الله. فقال في أوائل أبحاثه الشريفة حينما ذكر أقسام الشفاعة في القسم الرابع منها قال: «فيمن دخل النار من المؤمنين وقد جاءت الأحاديث بإخراجهم من النار بشفاعة نبينا رحمته الله والملائكة وإخوانهم من المؤمنين ثم يخرج الله تعالى كل من قال لا إله إلا الله كما جاء في الحديث لا يبقى فيها إلا الكافرون»^(١).

وقد بينا الحق في المسألة فان البحث في هذا القسم من الشفاعة ينشطر إلى موردين.

المورد الأول: يتعلق بقولهم (رحمهم الله) فيمن دخل النار من المؤمنين.

المورد الثاني: يتعلق بقولهم (رضوان الله تعالى عليهم) ثم يخرج الله كل من قال لا إله إلا الله.

وقد بينت لكم مسبقاً بأن المؤمن لا يدخل النار مطلقاً وتدركه الشفاعة حتى من استحق العذاب منهم قبل دخول النار بإذنه تعالى فقاعدة الشفاعة أن المؤمن لا يدخل النار وأن الكافر لا يدخل الجنة، نعم يُصب البلاء على العاصي من المؤمنين في فترة حياته أو بعد موته حتى يطهر من ذنبه وينجو بشفاعة النبي وآله الأطهار عليهم السلام من دخول النار.

وروى في الخصال في خبر الأعمش عن الإمام الصادق عليه السلام: (أصحاب الحدود مسلمون لا مؤمنون ولا كافرون فإن الله تبارك وتعالى لا يدخل النار مؤمناً وقد وعده الجنة ولا يخرج من النار كافراً وقد أوعده النار والخلود

فيها: ﴿وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾^(١)، فأصحاب الحدود فساق لا مؤمنون ولا كافرون ولا يخلدون في النار ويخرجون منها يوماً والشفاعة جائزة لهم وللمستضعفين إذا ارتضى الله عز وجل دينهم^(٢).

وروى شيخنا الكليني رحمته الله في الكافي الشريف عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن عبد الله بن سنان قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يرتكب الكبيرة من الكبائر فيموت هل يُخرجه ذلك من الإسلام وإن عذبَ كان عذابه كعذاب المشركين أم له مُدَّةٌ وإنقطاع؟ فقال: من ارتكب كبيرة من الكبائر فزعم أنها حلال أخرجته ذلك من الإسلام وعُذِّبَ أشدَّ العذاب وإن كان مُعترفاً أنه أذنب ومات عليه أخرجته من الإيمان ولم يخرجته من الإسلام وكان عذابه أهون من عذاب الاول)^(٣). فإن من صدق عليه إسم الإيمان يوم القيامة لا يعذب بالنار، وفي كتاب التوحيد عن محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد قال: (وأوردته في جامعه عن محمد بن الحسن الصفار عن العباس بن معروف عن عبد الرحمن بن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرحيم القصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: الإسلام قبل الإيمان وهو يشارك الإيمان فإذا أتى العبد بكبيرة من كبائر المعاصي أو صغيرة من صفائر المعاصي التي نهى الله عنها كان خارجاً من الإيمان وثابتاً عليه إسم الإسلام فإن تاب واستغفر عادَ إلى الإيمان ولم يُخرجه إلى الكفر والجحود والاستحلال وإذا قال للحلال هذا حرام وللحرام هذا حلال ودان بذلك فعندها يكون خارجاً من الإيمان والإسلام إلى الكفر)^(٤).

(١) سورة النساء الآية ٤٨ .

(٢) بحار الأنوار ج ٨ ص ٤٠ .

(٣) الكافي الشريف ج ٢ ص ٢٨٥ باب الكبائر ح ٢٣، وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٣ بسند آخر مع اختلاف يسير في النص.

(٤) وسائل الشيعة ج ١ ص ٣٧، ح ٥٧ .

وأنقلُ إلى مسامعك هذا الخبر اللطيف الذي فيه من التفصيل والترهيب ما يستوقف كل لبيب: (عن معاني الأخبار قيل لأمير المؤمنين عليه السلام صف لنا الموت فقال عليه السلام: على الخبير سقطتم هو أحدُ ثلاثة أمور يرد عليه إما بشارة بنعيم الأبد وإما بشارة بعذاب الأبد وإما تحزين وتهويل وأمره مبهم لا ندري من أي الفرق هو فأما ولينا المطيع لأمرنا فهو المبشر بنعيم الأبد وأما عدونا المخالف علينا فهو المبشر بعذاب الأبد وأما المبهم أمره الذي لا يدري ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه لا يدري ما يؤول إليه حاله يأتيه الخبر مبهما مخوفا ثم لن يسويه الله عزَّ وجلَّ بأعدائنا لكن يخرجنا من النار بشفاعتنا فاعلموا وأطيعوا ولا تنكروا ولا تستصغروا عقوبة الله عزَّ وجلَّ فإن من المسرفين من لا تلحقه شفاعتنا إلا بعد عذاب ثلاثمائة ألف سنة)^(١).

وروى في كامل الزيارات الشريف عن أبي ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه) قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقبل الحسن بن علي وهو يقول من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصا لم تلمح النار وجهه ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج إلا أن يكون ذنباً يخرج من الإيمان)^(٢). فهذه الرواية الشريفة مبينة لما تقدم، إذا فالمؤمن لا يعذب بالنار وأما الذي يعذب منهم بالنار فذلك الذي قد أخرجته سوء عمله من الإيمان ولم يخرج من الإسلام فهو الموحد الذي تدركه الشفاعة ولو بعد حين.

اللهم إني أسئلك بحق من اصطفتهم من خلقك ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً أن تصلي على محمد وآل محمد وأن تغفر لي ذنوبي كلها.

والغريب أن يستند البعض على الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني مستوهب من ربي أربعة وهو واهبهم لي إن شاء

(١) بحار الانوار ج ٦ ص ١٥٤.

(٢) بحار الانوار ج ٤٢ ص ١٠٦ ح ٢٩.

الله آمنة بنت وهب وعبد الله بن عبد المطلب وأبو طالب ابن عبد المطلب ورجل من الانصار بيني وبينه ملحہ). على كفر هؤلاء وعلى أن الشفاعة لا تجوز لكافر إلا فيهم مستندين على ذيل الرواية في قوله عليه السلام: (ورجل من الأنصار) في حين أن الرواية تدل على إيمان هؤلاء عليهم السلام ونعم ما قاله الفيروز آبادي رحمته الله في بيانه لهذا الخبر: أن المراد من قوله عليه السلام بيني وبينه ملحہ أي حرمة ثم قال رحمته الله: «وهذا الخبر يدل على إيمان هؤلاء فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستوهب ولا يشفع لكافر»^(١).

القسم الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات والثواب على الأعمال

الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها والاطلاق الوارد في الروايات الشريفة التي تتحدث عن الشفاعة، أو ما ورد في فضل زيارة النبي وآله عليهم السلام وعدم إمتناعها عقلاً دليلاً كافياً عليها.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا سيد من خلق الله وأنا خير من جبرائيل وإسرافيل وحملة العرش وجميع الملائكة المقربين وأنبياء الله المرسلين وأنا صاحب الشفاعة والحوض الشريف وأنا وعلي أبوا هذه الأمة من عرفنا فقد عرف الله ومن أنكرنا فقد أنكر الله عز وجل ومن علي سبطا أمتي وسيدا شباب أهل الجنة الحسن والحسين ومن ولد الحسين أئمة تسعة طاعتهم طاعتي ومعصيتهم معصيتي تاسعهم قائمهم ومهديهم)^(٢). وفيما أنشد العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

من عهد إبراهيم ظل مكانه يرجو

الشفاعة خوف جسر جهنم

(١) بحار الانوار ج ١٥ ص ١٠٨.

(٢) بحار الانوار ج ١٦ ص ٣٦٤.

من ذا يقاس بأحمد في الفضل
 من كل البرية في فصيح وأعجم
 وبه توسل في الخطيئة آدم
 فليعلم الأخبار من لم يعلم^(١)

وجاء في فضل زيارة الإمام الرضا عليه السلام عنه عليه السلام قال: (هذه تُرَبِّي
 وفيها أَدْفَنُ وسيجعل الله هذا المكان مختلف شيعتي وأهل محبتي والله
 لا يزورني منهم زائر ولا يُسَلِّمُ علي منهم مُسَلِّمٌ إلا وجبت له غفران الله
 ورحمته بشفاعتنا أهل البيت. وقال عليه السلام: أبلغ شيعتي أن زيارتي تبلغ عند
 الله وَعَلَى ألف حجة قال: فقلتُ لأبي جعفر عليه السلام ألف حجة؟ قال أبي والله
 ألف ألف حجة لمن زاره عارفاً بحقه^(٢).

اللهم ارزقنا زيارته وشفاعته بحق محمد وآل محمد.

يا علي بن موسى الرضا يا غريب الغرباء ويا أنيس النفوس يا وحيهاً
 عند الله إشفع لنا عند الله.

وقد مر عليك تفصيل هذا القسم من الشفاعة مسبقاً بحمده تعالى.

(١) بحار الأنوار ج ١٦ ص ٣٧.

(٢) وسائل الشيعة ج ١٤ ص ٥٥٦-٥٥٩ باب استحباب زيارة الامام الرضا عليه السلام.

تمت كتابة هذا الفصل بمنه تعالى وبجود وكرم النبي وآله عليهم السلام في ليلة عيد الأضحى المبارك المصادف ليلة الجمعة في العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٤٢٧هـ. ق في الساعة الواحدة وخمس وعشرين دقيقة بعد منتصف الليل.

وبذلك قد تم ببركة الصلاة على محمد وآل محمد الجزء الأول من كتاب سبيل السالكين بولاية أمير المؤمنين عليه السلام في الإمامة والجزء الذي يتلوه بعونه تعالى في الرجعة وهو أحد المباحث المهمة جداً في الإمامة. سائلاً من الله التوفيق لي ولكم انه سميع مجيب بجاه النبي محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين واللعنة الدائمة على اعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

خادمكم

السيد محمد عباس كاظم العوادي

المحتويات

٧ زيارة أمير المؤمنين عليه السلام
٩ الإهداء
١٢ إستهلال
١٣ كيف تتعامل أنت مع كلام أهل البيت <small>عليهم السلام</small> ؟
١٤ تمهيد
١٧ الثمرة من مباحث العقيدة
١٧ العلاقة بين العقيدة والعمل
١٩ القول الفصل (في العقيدة والعمل)
٣٥ قبسٌ من نور الولاية
٥٣ مبحث أصل الإمامة
٥٤ الفصل الأول
٥٤ مبحث العصمة
	المسألة الأولى: ما هو سبب تقديم مبحث العصمة على مبحث النص في
٥٤ الإمامة؟
٥٨ المسألة الثانية: ما هي فلسفة وجوب العصمة في الإمام <small>عليه السلام</small> ؟
٦٤ بيان
٧٥ وقفة مع النفس
٧٥ هل يمكن لنا بلوغ مرتبة العصمة؟
٧٩ الأمر الأول: هل العصمة ممكنة عقلاً؟
٩٢ الفصل الثاني

٩٢.....	في التنزيه.....
٩٣.....	الآية الأولى:
٩٣.....	تفسير.....
٩٧.....	الآية الثانية:
١٠٣.....	الآية الثالثة:
١١٣.....	الآية الرابعة:
١١٤.....	مقدمة تاريخية.....
١١٩.....	بحث لفهم الآية الكريمة.....
١٢٢.....	قبسٌ من نور العصمة.....
١٢٤.....	الآية الخامسة.....
١٢٥.....	بحث في أسباب النزول.....
١٢٨.....	بيان.....
١٣١.....	الآية السادسة:
١٣٣.....	الآية السابعة.....
١٣٩.....	قبسٌ من نور العلامة الطباطبائي <small>قدس سره</small> :
١٤١.....	الفصل الثالث.....
١٤١.....	في النص على الإمامة.....
١٤١.....	المسألة الأولى: ما هي الحاجة إلى النص على الإمام <small>عليه السلام</small> ؟.....
١٤١.....	بيان.....
١٤٧.....	المسألة الثانية: هل هناك حاجة إلى عمل فهرسة للنصوص؟.....
١٤٩.....	فهرسة النصوص.....
١٥١.....	المقصد الأول.....
١٥١.....	آية التطهير.....
١٥١.....	الوقفه الأولى: دلالة آية التطهير.....

- الوقفه الثانية: نظرةً على بعض مفردات الآية..... ١٥٢
- الوقفه الثالثة: بيان وفيه خمسة بحوث..... ١٥٥
- المبحث الأول: في الإرادة والتمييز بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية ١٥٦
- بيان لمشكلة الجبر في قوله إن الإرادة في آية التطهير المباركة هي إرادة
تكوينية..... ١٥٩
- المبحث الثاني: قوله: ﴿لِيُذْهِبَ﴾، فما هو المراد بالإذهاب الرفع أو
الدفع؟ ١٦٦
- المبحث الثالث: حول معنى الرجس..... ١٧٥
- المبحث الرابع: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ ١٧٦
- وقفه لمناقشة أقوال أبناء العامة..... ١٧٧
- قولهم الأول: إنها نازلة حصراً في نساء النبي..... ١٧٧
- وقفه مع الماضي على بعض نساء النبي ﷺ وتجديدُ نظر لمن اعتبر..... ١٨٤
- غالبُ أبناء العامة لا تربطهم بآل البيت عليهم السلام رابطة؟! ١٨٨
- قبس من نور الولاية: في إجمال الأدلة..... ٢٣٠
- تذكير وتفصيل..... ٢٣٢
- بيان لقوله تعالى: ﴿وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً﴾ ٢٣٤
- المقام الأول: هو مقام طهارة الذات..... ٢٣٥
- المقام الثاني: هو مقام طهارة الصفات..... ٢٣٨
- المقام الثالث: مقام طهارة الأفعال..... ٢٣٩
- المقصد الثاني..... ٢٤١
- قوله تعالى: ((إنما وليكم الله ورسوله...))..... ٢٤١
- بحث في أسباب النزول..... ٢٥٠
- المقصد الثالث..... ٢٥٥
- قوله تعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله...))..... ٢٥٥

٢٧١ بحث روائي
٢٧٨ المقصد الرابع
٢٧٨ قوله تعالى: ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك...))
٢٧٨ بيان
٢٧٩ نزول الآية
٢٨٢ تعقيب
٢٩١ البحث الروائي
٢٩٥ المقصد الخامس
٢٩٥ مدينة عيد الغدير التي تفتح على ثلاث قلاع
٢٩٦ مدخلُ قلعة الأمر
٣١١ قلعة البشارة
٣٢٢ الوقفة الأولى
٣٢٦ الوقفة الثانية: تحديد المراد من اليوم في الآية الكريمة:
٣٤٨ البحث الروائي
٣٧٥ الفصل الرابع
٣٧٥ العلم الخاص الذي عند آل البيت (عليهم السلام)
٣٩٧ إشكال
٤١١ الفصل الخامس
٤١١ المرتبة الأولى: مقام الشهادة الجامعة
٤٣٠ البحث الروائي
٤٣٦ المرتبة الثانية علم النبي وآله (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) بالمغيبات..
٤٥٨ قبس من نور الإمامة
٤٦٨ الفصل السادس
٤٦٨ الولاية التكوينية

٤٦٩ ما هو التكوين؟
٤٧٤ قانون السببية
٤٨٢ الولاية التكوينية في القرآن الكريم
٤٩٧ شبهات وردود
٥٠٢ البحث الروائي: نقطة من بحر كلامهم الشريف
٥١٧ الفصل السابع
٥١٧ الدور التكويني للإمام (عليه السلام)
٥٣٩ الفصل الثامن
٥٣٩ وحدة المرجعية التشريعية
٥٤٧ المرجعية التشريعية بقبس من نور الحديث الشريف
٥٥١ والمراد من تفويض النبي وآله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدين والدنيا وفرقه عن التفويض المعتزلي
٥٦٤ الفصل التاسع
٥٦٤ الأسوة الحسنة والمجسمة لتمام القرآن الكريم
٥٨٩ وقفة مع النفس
٥٩٦ الفصل العاشر
٥٩٦ العلاقة بين تعدد دائرة العصمة والأسوة الحسنة
٦٠٤ الفصل الحادي عشر
٦٠٤ الخلافة والحاكمية للأئمة الأطهار عليهم السلام
٦٠٤ الوقفة الأولى الخلافة والحاكمية بمفهومها العام
٦٠٨ الوقفة الثانية: الخلافة عند أهل اللغة
٦٠٩ الوقفة الثالثة: الخلافة في القرآن الكريم
٦١٢ الوقفة الرابعة: الخلافة في الحديث الشريف
٦٢٥ الوقفة الخامسة: الخلافة في فهم أهل الكتاب

- ٦٣٠ الفصل الثاني عشر
- ٦٣٠ مقام الشفاعة الكبرى
- ٦٣٠ ماهي الشفاعة؟
- ٦٤٣ أقسام الشفاعة
- ٦٤٣ القسم الأول:
- القسم الثاني: في إدخال قوم الجنة بغير حساب في الآخرة والاكتفاء بما جرى عليهم من عقوبة في المنازل التي قبلها. ٦٤٦
- ٦٤٩ القسم الثالث: الشفاعة لقوم إستوجبوا النار.
- القسم الرابع: الشفاعة للموحدين باخراجهم من النار بشفاعة نبينا الأكرم وآله الاطهار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وباقي الأنبياء من المؤمنين. ٦٥٢
- ٦٦٨ القسم الخامس: الشفاعة في زيادة الدرجات والثواب على الأعمال.

